تهذيب
شرح العقيدة الطحاوية

تهذيب وتعليق
عبد المنعم مصطفى حليمة
" أبو بصير الطرطوسي "

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ **إنَّ اللهَ لايغفرُ أن يُشرَك به ويَغفرُ مادون ذلك لمن يشاءُ** سورة النساء: ٤٨.

إنَّ الشركَ لظُلمٌ عظيم سورة لقمان: ١٣.

فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها سورة البقرة: ٢٥٦.

فلا وربك لايؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً سورة النساء: ٦٥.

أفحكمَ الجاهلية يبغون ومن أحسنُ من الله حكماً لقومٍ يوقنون سورة المائدة: ٥٠.

إنِ الحكمُ إلاّ لله أمرَ ألاّ تعبدوا إلا إيَّاه ذلك الدين القيّمُ ولكنَّ أكثر الناس لايعلمون سورة يوسف: ٤٠.

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك همُ الكافرون سورة المائدة: ٤٤.

﴿**وما أُمروا إلاَّ ليعبدوا اللهَ مُخلصينَ له الدينَ حُنفاء**﴾ سورة البينة: ٥.

﴿**ليس كمثلهِ شيءٌ وهو السميعُ البصيرُ**﴾ سورة الشورى: ١١.

المقدمـة :

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفُسِنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسُوله.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولاتموتنَّ إلا وأنتم مسلمون آل عمران: ١٠٢ .

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجَها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً النساء:١ .

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يُصلِح لكم أعمالَكم ويَغفر لكم ذنوبَكم ومن يُطع الله ورسُوله فقد فاز فوزاً عظيماً الأحزاب: ٧٠-٧١ .

أما بعـد :

فإن أصدقَ الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

لاشيء أخطر على الأمة -أثراً وفتكاً ودماراً- من ذنوبها، ولاذنب أكبر وأعظم من الإشراك بالله **إن الشرك لظلم عظيم** لقمان: ١٣. وبالمقابل فإنه لاشيء أنفع للأمة من توحيدها لله تعالى وإفراده بالعبودية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، فإن الخير كلَّ الخير معقود باخلاص العبادة لله تعالى دون أحدٍ سواه.

والعقيدة حصن الأمة تحفظها وتقيها من كل خطبٍ وجور، إذا فُقدت فُقدت المناعة لديها تجاه أي خطرٍ يتهددها في دينها ومعاشها، حيث يستوي عندها المنكر والمعروف، والكفر والإيمان، ولاتأبه لحصول كفرٍ أو فقد إيمان !!

ومن يتأمل – بعين الإنصاف والعدل – واقع الأمة في هذا الزمان، وما نابها من ذلٍّ وهوانٍ، وضعفٍ وفقرٍ وجهلٍ، جرَّأ عليها أمم الكفر والفجور لينتهكوا حرماتها قتلاً وغصباً وتشريداً، يدرك حقَّ الإدراك أن سبب ذلك كله يعود للخواء العقدي والإيماني الذي يعاني منه الناس، ولجهلهم الكبير بمتطلبات ولوازم شهادة التوحيد " أن لا إله إلا الله، محمداً رسُول الله ".

والمسلم بعقيدته وإيمانه – والإيمان تصديق وقول وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصي وارتكاب الموبقات – فإن كمل إيمانه اجتمع له كمال الخير في الدنيا والآخرة، وإن شابه نَقْصٌ تحقق له من الذل والشرود عن الحق بقدر ما تحقق من ثلمٍ ونقصٍ في عقيدته وتوحيده.

وثَمَّةَ أمرٍ أيضاً لابد من الاتفاق عليه والتسليم به، وهو أن العقيدة الإسلامية حتى تحقق ثمارها المرجوة، يجب أن تُدَرَّس الناسَ بلغة سهلة بسيطةٍ، وباسلوب بعيد عن تعقيدات أهل الكلام وتعبيراتهم، ليتمكَّن الجميع من دراستها وفهمها من غير صعوبة أو حرج. كما يجب أن تكون هذه العقيدة مستمدةً من نصوص الكتاب والسنة مع مراعاة فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم لهذه العقيدة، وتقديم أقوالهم على غيرهم ممن يخالفونهم الفهم والقول، فهم مما لاشك فيه أفهم خلق الله بمراد الرسُول ﷺ، وهم المنصوص على وجوب اتباعهم، واقتفاء آثارهم، كما في قوله تعالى : ﴿**ومن يشاقق الرسولَ من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غيرَ سبيلِ المؤمنين نوله ما تولى ونُصله جهنمَ وساءت مصيرا**﴾ النساء : ١١٥. وقال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة"(١) وقال: "اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر"(٢).

---

(١) صحيح ، رواه أبو داود وغيره.

(٢) صحيح أخرجه أحمد وغيره.

وقال ابن مسعود ﷺ: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتن، أولئك أصحاب رسُول الله ﷺ أبَرُّ الناس قلوباً، وأغزرُهم علماً، وأقلُّهم تكلفاً[1].

والذي دعاني لأن أقوم بتهذيب شرح العقيدة الطحاوية، للإمام ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله– والتعليق عليه، الأسباب التالية :

١– سعة انتشار الكتاب في أمصار المسلمين، واعتماده بين المسلمين كمرجع عقدي حوى في صفحاته عقيدة أهل السنة والجماعة، لذا فالكتاب في نظري يحتاج لمزيد من الخدمة والتبسيط، ليتحقق به أكبر قدر من النفع، وليتمكن من قراءته وفهمه الخاصة والعامة، فالتوحيد فرض على الجميع، وليس لأناسٍ دون أناس.

٢– اطناب الشارح – رحمه الله – في عرض شُبه ومبادئ الفرق الضالة، والرد عليها، وبخاصة أن أكثر هذه الفرق ليس لها أثر يُذكر بين المسلمين في هذا العصر[2]، مما جعل الكثير من طلبة العلم فضلاً عن عامة المسلمين ينأون عن قراءة الكتاب وينفرون منه.

٣– عرض مبادئ الفرق الضالة وشبهاتهم والرد عليها، قد يؤدي إلى تشويش القارئ المسلم وبخاصة إذا كان من العامة، وإشغاله عن الغاية الأساسية التي لأجلها يدرس العقيدة

[1] أخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله": ٩٧/٢، وغيره.

[2] ربما كان المؤلف–رحمه الله–يوجد في عصره من الفرق الضالة مايبرر له هذا الاطناب، بينما في زماننا قد استجدت مذاهب وفرق–لم يسمع بها سلفنا من قبل–تهدد عقيدة الأمة بالردة والانتكاس إلى جاهلية ماقبل الإسلام، تتطلب جهداً مضاعفاً من العلماء لمواجهتها وتعريتها، حيث من العبث الانشغال بفتن انتهت واندرست–والخوض فيها قد يحييها من جديد–عن فتن العصر التي تنتظر من يتصدى لها ويدحضها.

والتوحيد، بل لربما يؤدي ذلك ببعض أصحاب القلوب المريضة إلى تبنّي تلك الأفكار واعتقادها، ومن ثم دعوة الناس إليها، فيكون قد حصل عكس المراد[1].

٤- مرور الشارح على مسائل عقدية - هامة في زماننا - بشكلٍ مقتضب وموجزٍ تحتاج لمزيدٍ من التوضيح والشرح والبيان.

٥- اهتمام الشارح بالجانب النظري الغيبي للعقيدة دون الجانب العملي الذي يتضمن الكفر بالطاغوت، والإشارة إلى جوانب الشرك المتعددة التي تُعتبر من نواقض الإيمان.

٦- وجود بعض العبارات والكلمات - يصعب فهمها على العامة - تحتاج إلى تعليقٍ وتبسيطٍ وشرحٍ.

٧- رغبة بعض الإخوان والزملاء بإجراء تهذيب يسهل تدريسه لطلبة العلم والعامة سواء.

هذه الأسباب مجتمعة كانت حافزاً لي وسبباً في أن أقوم بتهذيب هذا الشرح والتعليق عليه، راجياً من الله تعالى التوفيق والقبول، إنه قريب مجيب.

ويتلخص عملي في النقاط التالية:

١- هذبت الشرح تهذيباً تفاديت فيه كل مملّ يقل نفعه، من دون إخلالٍ بقيمة الشرح العلمية.

٢- علقت على الشرح، وشرحت الغامضَ منه، ونبهت على أمورٍ رأيت من الواجب التنبيه عليها.

٣- أثبت متن الإمام الطحاوي - رحمه الله - كما هو في الأصل، وكذلك الشرح لم أتدخل في عبارات الشارح إلا ما استلزمته ضرورة التهذيب، وجعلت كلامي وتعليقاتي في الهامش من الشرح.

---

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل للحارث بن أسد المحاسبي، بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة: ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم؟ ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر بالشبهة، فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث والفتنة؟! عن شرح كتاب "الفقه الأكبر" للشيخ الملا علي القاري الحنفي، ص ٩.

٤- ترجمت لكل فقرة من الكتاب، بعنوان يعرف القارئ على موضوع وفكرة الفقرة.

٥- وكذلك قمت بتشكيل بعض الكلمات، ليسهُلَ قراءتُها وفهمها.

٦- ألحقت في نهاية الكتاب أسئلة شاملة للمادة، تمكن القارئ من اختبار نفسه ومعرفة مدى استيعابه وفهمه لهذه العقيدة، وكذلك أشرت إلى موضع الإجابة في الكتاب.

٧- لم تكن غايتي من عملية التهذيب تقليل صفحات الكتاب، وتصغير حجمه، بل لربما التهذيب مع التعليق يوازي الأصل من حيث الحجم.

٨- ومن حيث الأحاديث الواردة في الشرح، فقد حذفت الضعيف منها، وأثبت الحديث الصحيح الذي به تقوم الحجة، واعتمدت في ذلك تخريج وتصحيح الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني - حفظه الله - ثقة مني بعلمه ودرايته بالحديث الصحيح من الضعيف، وفي التعليق أيضاً اجتهدت في أن لاأثبت إلا الحديث الصحيح معتمداً في ذلك على الصحيحين، وكتب الشيخ وتعليقاته، وغيره من أهل العلم والاختصاص.

٩- ولضبط عملية التهذيب، اعتمدت النسخ التالية :

أ- نسخة مكتبة الرياض الحديثة، حققها الشيخ أحمد محمد شاكر.

ب- نسخة المكتب الإسلامي، حققها وراجعها جماعة من العلماء، وخرج أحاديثها الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

ج- نسخة مؤسسة الرسالة، حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها، الدكتور عبد الله ابن عبد المحسن التركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط.

راجياً من الله تعالى التوفيقَ والقبولَ، وأن ينفعني وجميع المسلمين بهذا العمل ويجعله قرة عين للموحدين، وسبب هداية للضالين التائهين، إنه تعالى سميعٌ قريب مجيب.

وصلَّى الله على محمد النبي الأُمي، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبها

عبد المنعم مصطفى عبدالقادر حليمة

" أبو بصير الطرطوسي "

عفا الله عنه وعن والديه بمنه ورحمته

من مقدمة الشارح، الإمام ابن أبي العز الحنفي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله نحمدُه، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسُوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيراً.

أما بعد: فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم[١] إذْ شرفُ العلم بشرف المعلوم[٢]، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة –رحمة الله عليه– ما قاله وجمعه في أوراقٍ من أصول الدين: " الفقه الأكبر "، وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة،وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة، لأنه لاحياة للقلوب، ولانعيم ولا طمأنينة، إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون مع ذلك كله أحبَّ إليها مما سواه ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه.

ومن المحال أن تستقل العقول بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين[٣]، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين[١]، ولمن

---

(١) هو علم التوحيد، ومتطلباته ونواقضه.

(٢) أي علمٍ أشرف من علمٍ يُعرِّف العبد على خالقه ومايجب له عليه.

(٣) رغم أن الحجة تقوم على العباد من غير حجة الرسل، إلا أن رحمة الله تعالى قضت أن لايعذب أحداً إلا بعد قيام حجة الرسل عليه، والمسألة قد فصلت فيها في كتابي "العذر بالجهل وقيام الحجة "، فليراجعه من شاء.

خالفهم منذرين[2]، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها.

ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:

أحدهما : تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه[3].

والثاني : تعريف السالكين مالهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم.

فأعرفُ الناس بالله أتبعهم للطريق الموصل إليه[4]، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه، ولهذا سمى الله ما أنزله على رسُوله روحاً، لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونوراً لتوقف الهداية عليه.

فقال تعالى: **﴿يُلقي الروحَ من أمره على من يشاءُ من عباده﴾** غافر: ١٥.

وقال تعالى: **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاءُ من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾** الشورى: ٥٢.فلا روح إلا فيما جاء به الرسول، ولا نور إلا في الاستضاءة به. وهو الشفاء، كما قال تعالى: **﴿قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاءٌ﴾** فصلت: ٤. فهو وإن كان هدىً وشفاءً مطلقاً، لكن لما كان المنتفع بذلك هم المؤمنين، خُصوا بالذكر[5]ولاريب

---

[1] أي مبشرين لهم بالجنة والأجر الجزيل جزاء طاعتهم وتوحيدهم لربهم.

[2] أي منذرين لهم النار والعذاب الأليم جزاء عصيانهم وكفرهم.

[3] وليس ما تستحسنه عقول الرجال وتهواه أنفسهم، من غير دليلٍ شرعي من الكتاب والسنة.

[4] وهو طريق الاتباع والاقتداء بالأنبياء والرسل، فعلى قدر الاتباع والاقتداء بسُنَّةِ وهدي النبي ﷺ يكون السالك عارفاً لربه وموحداً له، وعلى قدر الابتعاد عن هديه وسنته ﷺ يكون السالك جاهلاً بربه ومفرطاً بحقه عليه، كما قال تعالى: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾** .

[5] لأن الكفار والمنافقين، تكون أجهزة الاستقبال والفهم معطلة لديهم، فهي تدرك الأمور إدراكاً آلياً سطحياً، وليس إدراكاً يؤدي إلى فقه الأشياء ومعرفتها على حقيقتها، فهم يسمعون

أنه يجب على كل أحدٍ أن يؤمنَ بما جاء به الرسولُ إيماناً عاماً مجملاً[1]، ولاريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية[2].

وأما مايجب على أعيانهم، فهذا يتنوع بتنوع قُدَرِهم، وحاجَتِهم ومعرفتهم، وما أُمِرَ به أعيانهم، ولايجب على العاجز عن سماع بعض العلم، أو فهم دقيقه مايجب على القادر على ذلك[3].

لكنهم لايسمعون السماع الذي يؤدي بهم إلى الفقه والإلتزام، لذلك ينعدم نفعهم من سماع آيات الله ﷻ.

كما قالوا عن أنفسهم لما رأوا العذاب: ﴿**وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير**﴾ الملك: ١٠ .

وقال تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون**﴾ الأعراف: ١٧٩ .

قال ابن كثير في التفسير ٢٧٩/٢: يعني ليس ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، كما قال تعالى: ﴿**وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله**﴾ .

[1] أي دون التفصيل، لأن التفاصيل في أمور الدين يعجز أن يلم بها كلُّ فردٍ من أفراد الأمة، لاختلاف قدراتهم وأعمالهم ووظائفهم.

[2] لكن معرفة ماجاء به الرسول على التفصيل فرض كفاية–حتى لاتندرس هذه التعاليم، وتبقى ظاهرةً ومعروفةً لمن يحتاجها أو يريدها–فإذا قام به نفر من الأمة على الوجه الصحيح وبما يكفي لحفظ الدين، سقط الواجب عن البقية، ويبقى من الندب بحق الآخرين الانتداب للتفقه في تفاصيل الدين.

[3] لأن مدار التكليف قائم على الاستطاعة، فإذا وجدت الاستطاعة وجد التكليف وإذا عدمت الاستطاعة رفع التكليف، سواء كان ذلك في الأمور الاعتقادية أم في الأمور العملية الظاهرة، كما قال تعالى: ﴿**لايكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ ، وقال: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾.

ويجب على من سَمِعَ النصوص وفهمها من علم التفصيل مالايجبُ على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدِّث والحاكم مالايجب على من ليس كذلك.

وعامة من ضل في هذا الباب، أو عجز فيه عن معرفة الحق، فإنما هو لتفريطه[1] في اتباع ماجاء به الرسول، فلما أعرضوا عن كتاب الله، ضلُّوا، كما قال تعالى: **﴿فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتبع هُداي فلا يضلُّ ولايشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يومَ القيامة أعمى، قال ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾** طه: ١٢٣-١٢٦.

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه أن لايَضلَّ في الدنيا ولايَشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

ولايقبل الله من الأولين والآخرين ديناً يدينون به إلا أن يكون موافقاً لدينه الذي شَرَعَه على ألسنة رُسُلِه عليهم السلام[2].

وقد نزَّهَ اللهُ تعالى نفسَه عما يصفه به العباد إلا ماوصفه به المرسلون، بقوله سبحانه: **﴿سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾** الصافات: ١٨٠-١٨٢.

---

[1] أي لتهاونه وتقصيره.

[2] وهو شرط لصحة العبادة والعمل، إذ أن العبادة يشترط لقبولها شرطان: أن تكون موافقة لسنة النبي ﷺ ، وأن تكون خالصة لله تعالى، فالعمل إن كان موافقاً للسنة لكن هو لغير الله ﷻ فلايقبل، وإن كان العمل خالصا لله تعالى، لكنه ليس على السنة أيضاً لايقبل، ولقبول العمل لابد من توفر الشرطين فيه. كما قال تعالى: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾** وهو الموافق للسُّنَّةِ **﴿ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً﴾**. وهو إخلاص العمل لله وحده. وهذا الأصل دلت عليه عشرات النصوص من الكتاب والسُّنَّة. فليحذر الذين يرجون الخير ويجهدون له، لكنهم يطلبونه من غير هدي النبيّ ﷺ!!

فنَزَّهَ نفسه سبحانه عما يصفه به الكافرون، ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب، ثم حَمِدَ نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد.

ومضى على ما كان عليه الرسول خير القرون، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، يُوصي به الأولُ الآخرَ، ويقتدي فيه اللاحِقُ بالسابقِ، وهم في ذلك كله بنبيهم محمد ﷺ مقتدون، وعلى مِنهاجِه سالكون، كما قال تعالى: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني﴾** يوسف: ١٠٨.

ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم وافترقوا، فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصولَ دينها، كما أخبر الصادقُ ﷺ بقوله: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضرهم من خذَلَهُم"[١] .

وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تغمده الله برحمته بعد المئتين، فإن مولده سنة تسع وثلاثين ومئتين، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة.

فأخبر رحمه الله عما كان عليه السلف، ونقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وصاحبيه: أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني -□- ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين ويدينون به ربَّ العالمين.

وكلما بعد العهد ظهرت البدعُ، وكثر التحريف الذي سماه أهلُه تأويلاً ليقبل، وقَلَّ من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد سُمي صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً! وإن لم يكن ثَمَّ قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد، فإذا سموه تأويلاً قُبل وراج على من لايهتدي إلى الفرق بينهما[٢].

---

[١] متفق عليه.

[٢] يراد بالتأويل حقيقة مايؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة. والثاني، يراد بلفظ التأويل "التفسير"وهو اصطلاح كثير من المفسرين. والثالث: أن يُراد بلفظ التأويل، صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدلُّ عليه ظاهره إلى مايخالف ذلك،

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة، ودفع الشُّبه الواردة عليها، وكَثُرَ الكلامُ والشغب، وسبب ذلك إصغاؤهم إلى شبه المبطلين، وخوضهم في الكلام المذموم الذي عابه السلف، ونَهَوا عن النظر فيه، والإشتغال به، والإصغاء إليه، امتثالاً لأمر ربهم، حيث قال: **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتِنَا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيرِه﴾** الأنعام: ٦٨. فإن معنى الآية يشمَلُهم.

وكلٌّ من التحريف والإنحراف على مراتب، فقد يكون كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصيةً، وقد يكون خطأً[١].فالواجب اتباعُ المرسَلين، واتباع ما أنزله اللهُ عليهم. وقد ختمهم الله بمحمد ﷺ ، فجعله آخر الأنبياء، وجعل كتابه مهيمناً[٢] على مابين يديه من كتب السماء، وأنزل عليه الكتابَ والحكمة، وجعل دعوتَه عامَّة لجميع الثقلَين: الجنِّ والإِنس، باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجَّةُ العباد على الله[٣]، وقد بين الله به كل شيءٍ[٤]، وأكمل

لدليلٍ منفصل يحتمل ذلك، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السَّلَف، وإنما سمى هذا وحده تأويلاً طائفةٌ من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله، والكلام. انظر الفتاوى لابن تيمية: ٤/٦٩ .

وقوله "**وإن لم يكن ثم قرينة**" أي دليل صريح من الكتاب والسنة يفيد هذا التأويل والصرف.

(١) بحسب قدر الإنحراف؛ فإن كان الإنحراف في العقائد فقد يكون كفراً، وإن كان في الأعمال يكون فسقاً ومعصيةً، ومنه ما يكون كفراً كالأعمال التي تعتبر من نواقض التوحيد، وأحياناً يكون الخطأ ناتجاً عن اجتهاد معتبر، فصاحبه له أجر، كما دلت على ذلك السُّنَّة.

(٢) أي مؤتمناً عليها وحاكماً.

(٣) أي تنحسم به ﷺ أعذار العباد التي قد يعتذرون بها يوم القيامة، أما في الحقيقة ليس للعباد حجة على خالقهم سبحانه وتعالى بل **﴿فلله الحجة البالغة﴾** الأنعام: ١٤٩ .

(٤) قال تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾** وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله، إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله ويقربكم إلى النار، إلا وقد نهيتكم عنه". أقول: مادام الخير كل الخير يكون في الاقتداء بسُنَّةِ النبي ﷺ، فمن الغباء كل الغباء طلب الهداية من غير سنته ﷺ والتماس الحلول لمشاكل الأمة من غير هديه ﷺ.

له ولأمته الدين خبراً وأمراً[١]، وجعل طاعته[٢] طاعةً له، ومعصيتَه معصيَةً له، وأقسم بنفسه أنهم لايؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم[٣]، وأخبر أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى غيره[٤]، وأنهم إذا دعو إلى الله والرسول -وهو الدعاء إلى كتاب الله وسُنَّةِ رسُوله- صَدُّوا صُدوداً، وأنهم يَزعمون أنهم إنما أرادوا إحساناً وتوفيقاً[٥]!

كما يقوله كثير من المتملِّكَةِ والمتأمِّرة[٦]: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة[٧]، والتوفيق بينهما وبين الشريعة، ونحو ذلك.

وكل من طلَب أن يُحَكِّمَ في شيءٍ من أمر الدين غيرَ ما جاء به الرسول، ويظنُّ أن ذلك حسن، وأن ذلك جمعٌ بين ما جاء به الرسول وبين ما يُخالِفه، فله نصيب من ذلك[٨] بل ما

---

(١) الخبر هو ما يتعلق بالعقائد والغيبيات، والأمر هو مايتعلق بالأحكام والشرائع أمراً ونهياً.

(٢) أي طاعة النبي ﷺ سبباً لطاعة الله ﷻ، ومعصيته ﷺ هي معصية لله تعالى.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**﴾ النساء: ٦٥

(٤) فيه أن إرادة التحاكم إلى غير سنته ﷺ، إمارة صريحة على النفاق الأكبر، والعياذ بالله.

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً. فكيف إذا أصابتهم مصيبةٌ بما قدمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا**﴾ النساء: ٦١-٦٠.

قال ابن تيمية: فبين سبحانه أن من دُعي إلى التحاكم إلى كتاب الله وإلى رسُوله فصدَّ عن رسُولِهِ كان منافقاً، الصارم المسلول (ص ٣٨).

(٦) أي من الملوك والأمراء.

(٧) الحسن ما حسنه الله ولو اجتمع أكثر الناس على تقبيحه، والقبيح ما قبحه الله ولو اجتمع أكثر النَّاس على تحسينه. جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أنا مدحي زين، وذمي شين، فقال له النبي ﷺ: "ذلك الله". ورحم الله الشافعي إذ يقول: من استحسن -من تلقاء نفسه من غير دليل من كتاب الله وسنة رسوله- فقد شرع.

(٨) أي من ذلك النفاق المشار إليه من قبل. قلت: إذا كان هذا شأن من يجمع ويقارب ويستحسن ويوفِّق ويرُقِّع بزعم إرادة الخير والإصلاح، فما يكون القول فيمن ينحي شريعة الله كلياً

جاء به الرسول كافٍ كامل، يدخل فيه كلُّ حقٍّ، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلموا ما جاء به الرسولُ في كثيرٍ من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العباديَّةِ، ولا في كثير من الإمارة السياسيَّة، أو نسبُوا إلى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ماليس منها، وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها.

فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم، وبسبب عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم، كثر النفاق، ودَرَسَ[١] كثيرٌ من علم الرسالة.

بل يكون البحث التام، والنظر القوي، والإجتهاد الكامل، فيما جاء به الرسول ﷺ، ليُعْلَم ويعتقد، ويُعمل به ظاهراً وباطناً، فيكون قد تُلي حقَّ تلاوته[٢]، وأن لايُهمَل منه شيئاً.

وإن كان العبد عاجزاً عن معرفة بعض ذلك، أو العمل به، فلاينهى عما عجز عنه مما جاء به الرسول[٣]، بل حسبه أن يسقط عنه اللومُ لعجزِه[١]، لكن عليه أن يَفرح بقيام غيره

عن الحكم ويستحسن غيرها من شرائع الطاغوت، ثم هو يفرضها على الأمة بالحديد والنار كما هو شأن طواغيت الحكم في هذا الزمان.. لاشك أنه أولى بالنفاق والكفر مهما زعم بلسانه أنه من المسلمين المؤمنين.

(١) أي محي وخفي.

(٢) أي أن تلاوة القرآن –الذي جاء به النبي ﷺ– حق التلاوة، تكون بقراءته وتدبره، واعتقاده، والعمل به.

(٣) أي غايته أن يَظهر الإسلام، ويعم الخير بين الناس، سواء تحقق ذلك عن طريقه أو عن طريق غيره، ولاينبغي أن يصده الهوى أو التحزب أو العجز عن نصرة ذلك الحق لكونه جاء عن طريق غيره، كما هو حال كثير من الأحزاب اليوم. ولكن قد يقال: من كان عنده علم صحيح لكنه لايعمل به، هل يتكلم به وينشره بين الناس، أم أنه يلتزم الصمت حتى لايقع تحت طائلة النصوص التي تتوعد من يقول مالايفعل؟ الصحيح: أنه يتكلم وينشر العلم الصحيح وإن كان لايعمل به، فلئن إجتمع عليه وزر أن يقول مالايفعل، خير له من أن يجتمع عليه وزران: أن يقول مالايفعل، ووزر كتمان العلم، وبخاصة إن كان الناس بحاجة إلى هذا العلم الذي قد لا يوجد إلا عنده، والله أعلم.

به، ويرضى بذلك، ويودَّ أن يكون قائماً به، وأن لايؤمنَ ببعضه، بل يؤمن بالكتاب كله، وأن يُصان عن أن يُدخل فيه ما ليس منه(٢)، من روايةٍ أو رأيٍ، أو يتبع ماليس من عند الله اعتقاداً أو عملاً، كما قال تعالى: **﴿ولاتلبسوا الحق بالباطل، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾** البقرة: ٤٢.

وهذه كانت طريقة السابقين الأولين، وهي طريقة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، ومن هؤلاء أئمة الدين المشهود لهم عند الأمة الوسط(٣) بالإمامة.

---

(١) لأن العجز الذي لايمكن دفعه يسقط عن صاحبه التكليف، كما قال تعالى: **﴿لايكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**. البقرة: ٢٨٦.

وفي الصحيحين: "وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم" والقاعدة تقول: (الميسور لا يسقط بالمعسور). وهذا أمر متفق عليه بين الأمة.

(٢) لقول النبي ﷺ : "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" وقوله: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد" متفق عليه.

(٣) الأمة الوسط، هم العدول ليقوموا بالشهادة على بقية الأمم يوم القيامة، بأن الأنبياء قد بلغوا الدين لشعوبهم وأقوامهم، لأن العدالة شرط لصحة الشهادة. وقد ذهب البعض إلى تأويل قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً﴾**، التوسط في أمر الدين، والتوسط بين الأمرين وغير ذلك، وهو تأويل مرجوح لمخالفته لتفسير النبي ﷺ، كما في الحديث عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: " يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومُه، فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا! فيقال: من شهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد. فيقال: هل بلّغ هذا؟ فيقولون: نعم. فيقول: وماعلمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا، فصدقناه، قال فذلك قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾** السلسلة الصحيحة: ٢٤٤٨. وقوله: "فذلك قوله تعالى" تقديره: فذلك تأويل قوله تعالى. ولايصح أن يقدم على تأويل النبي ﷺ تأويل.

فعن أبي يوسف رحمه الله تعالى، أنه قال لبشرٍ المريسي: العلمُ بالكلام هو الجهلُ، والجهلُ بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام، قيل: زنديق، أو رُمي بالزندقة[1]. أراد بالجهل به اعتقادَ عدم صحته، فإن ذلك علمٌ نافع، أو أراد به الإعراض عنه، وترك الإلتفات إلى اعتباره، فإن ذلك يصونُ عِلمَ الرجل وعقلَه، فيكون علماً بهذا الاعتبار.

وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام، تزندق[2]، ومن طلب المالَ بالكيمياء[3] أفلسَ، ومن طلب غريب الحديث كَذَبَ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : حكمي في أهل الكلام أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

---

(1) الزنديق هو من يظهر شعائر الإسلام، وبنفس الوقت يعتقد عقائد الكفر، والفرق بينه وبين المنافق، أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإسلام، وكفره غير ظاهر للناس، بينما الزنديق قد عُرف كفره وباطله بالدليل والبينة، وإذا أقيمت عليه الحجة واستتيب أنكر وجحد أنه يعتقد عقائد كفرية، وتظاهر بالإسلام، لذلك الصحيح أن الزنديق يُقتل ولا يستتاب، لأن الاستتابة تكون من شيءٍ، وهذا لايعترف بشيءٍ رغم قيام البينة القاطعة التي تُدينه.

وعندما سُئل علي بن أبي طالب ﷺ عن قتله للزنادقة من دون أن يستتيبهم، قال: جحدوني.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين ٢/١٤٤: ومما يدل على أن توبة الزنديق بعد القدرة لاتعصم دمه، قوله تعالى: ﴿**قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا**﴾. قال السلف في الآية: أو بأيدينا أي بالقتل إن أظهرتم ما في قلوبكم. وهو كما قالوا، لأن العذاب على ما يبطنونه من الكفر بأيدي المؤمنين لايكون إلا بالقتل، فلو قبلت توبتهم بعدما ظهرت زندقتهم لم يكن المؤمنون أن يتربصوا بالزنادقة أن يصيبهم الله بأيديهم، لأنهم كلما أرادوا أن يعذبوهم على ذلك أظهروا الإسلام فلم يُصابوا بأيديهم قط ا-هـ.

(2) أي اعتقد عقائد باطلة كفرية وصار زنديقاً.

(3) لعل المقصود بالكيمياء، السحر والشعوذة، حيث كان يستغل عند القدامى لأغراض السحر والشعوذة، والله تعالى أعلم.

وقال أيضاً:

كلُّ العلومِ سوى القرآن مَشغلَةٌ إلا الحديثَ وإلا الفقهَ في الدينِ

العلمُ ما كان فيه قال حدثنا وماسِوى ذاك وسْواسُ الشياطينِ

ولقد أحسن القائل:

يا أيها المغتدي ليطلُبَ عِلماً كلُّ عِلمٍ عبدٌ[١] لعلمِ الرسولِ

تطلُبُ الفَرْعَ كي تُصحّحَ أصلاً كيف أغفلت عِلمَ أصلِ الأصُولِ

ونبيُّنا ﷺ أُوتي فواتحَ الكلمِ وخواتمهُ وجوامعَه[٢]، فبُعِثَ بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخروية، على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلامُ المتأخرين كثيراً، قليلَ البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليلٌ، كثيرُ البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلَتُهم: إن طريق القوم أسلم، وإن طريقتَنا أحكم وأعلم! وكما يقوله من لم يقدِّرهم قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: إنَّهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبطِ قواعدِهِ وأحكامِه اشتغالاً منهم بغيره، والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه[٣]!!

---

(١) أي تبعٌ لعلم الرسول ﷺ ، فمن أراد أن يطلب العلم الصحيح بحق، فعليه أن يطلبه من مصدره، من سنة النبي ﷺ.

(٢) قيل في تأويل مجامع الكلم: أن النبي ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني. وقيل: المراد أنه أوتي القرآن الكريم، والقرآن غاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني، وكلا القولين حق، ونبينا ﷺ يتصف بهما.

(٣) قولهم أن الخلف أفقه وأحكم وأعلم من السَّلَف فيه رد للأحاديث النبوية الصحيحة، الدالة على أفضلية القرون الثلاثة الأولى، وفضل الرعيل الأول على مَن بعده. وعندما أمرنا الرسول ﷺ، باقتداء سنة الخلفاء الراشدين مِن بعده، ذلك لعلمهم بالسنة الذي لايتحصل لمن بعدهم إلا بفضلهم وبواسطتهم. ثم هل يستوي الذين رضي الله عنهم بالنص الثابت وأمر بالترضي عليهم، والذين لايُعرف حالهم عند الله ﷻ، أهم من المرضيين المرحومين أم من المغضوب عليهم؟! لاشك أنهما لايستويان مثلا.

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعُمقِ علومهم، وقلَّة تكلُّفِهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والإشتغال بالأطراف التي كانت هِمَّةُ القوم مراعاةَ أصولها، وضبطَ قواعدِها، وشدَّ معاقدِها، وهِمَمُهم مشمَّرةً إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأنٍ، والقومُ في شأنٍ آخر، وقد جعل الله لكل شيءٍ قَدراً.

وقد شرح هذه العقيدة غيرُ واحدٍ من العلماء، ولكن رأيت بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم وتكلم بعباراتهم.

وقد أحببت أن أشرحَها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسُجَ على منوالِهم، متطفلاً عليهم، لعلي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم، وأحشر في زمرتهم ﴿**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾ النساء: ٦٩. ﴿**وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾ هود: ٨٨. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قولُه[١]: " نقول في توحيدِ اللهِ، معتقدين بتوفيق الله: أن اللهَ واحدٌ لاشريك له "

ش: اعلم أن التوحيدَ أولُ دعوةِ الرسل، وأولُ منازل الطريق[٢]، وأول مقامٍ يقوم فيه السالكُ إلى الله (١).

---

[١] هو قول صاحب متن العقيدة الطحاوية، الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، رحمه الله تعالى.

[٢] أي طريق طلب العلم المؤدي إلى معرفة الله ﷻ. فقد روى ابن ماجة في سننه، أن جندب ابن عبد الله، قال : "كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً" (صحيح سنن ابن ماجه: ١٧٠).

ومن حديث ابن عباس المتفق عليه، أن رسُول الله ﷺ، لما بعث معاذاً على اليمن، قال: "إنك تقدم على قومٍ أَهْلِ كتابٍ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم".

قال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال ياقومِ اعبدوا اللهَ مالكم من إله غيرُه**﴾ الأعراف: ٥٩.

وقال هودٌ لقومه: ﴿**اعبدوا اللهَ مالكم من إلهٍ غيرُه**﴾ الأعراف: ٦٥.

وقال صالح لقومه: ﴿**اعبدوا اللهَ مالكم من إلهٍ غيرُه**﴾ الأعراف: ٧٥.

وقال شعيب لقومه: ﴿**اعبدوا الله مالكم من إلهٍ غيرُه**﴾ الأعراف: ٨٥.

وقال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا اللهَ واجتنبوا الطاغوتَ**(٢)﴾ النحل: ٣٦.

---

(١) أي أول مايبدأ به العبد من الأعمال نحو ربه هو التوحيد، ولو بدأ بغيره من الأعمال فلن يقبل منه، لأن الشرك يمنع من قبول الأعمال ويحبطها كلياً، لذلك نجد أن الله تعالى قدم البراءة من الطواغيت والشرك على الاثبات بشهادة التوحيد أن لاإله إلا الله، وفي قوله: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها**﴾. وهذا المعنى أُكّد في أكثر من نص من نصوص الشريعة، لأن من قدم الإيمان والاثبات على الكفر بالطواغيت والبراءة من الشرك فإن إيمانه المتقدم لاينفعه في شيء . وهو مثله كمن يقول بالشيء وضده في آنٍ معاً. فالتوحيد نفي واثبات والنفي لابد من أن يتقدم الاثبات بكل لوازمه ومتطلباته.

(٢) **الطاغوت**: هو كل ما عُبد من دون الله، ورضي بذلك. قال ابن القيم رحمه الله: الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ، **فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله**، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرةٍ من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم عدلوا من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرَّسُول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته. أعلام الموقعين: ١/ ٥٠ .

وقال ابن تيمية رحمه الله: الطاغوت فعلوت من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد وهو الظلم والبغي. فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهاً لذلك طاغوت. ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح، لما قال: "ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت" . والمطاع في

وقال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ [١]الأنبياء: ٢٥.

وقال ﷺ: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسُول الله"[٢] ولهذا كان الصحيح أن أولَ واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله[٣].

معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق، هو طاغوت. **ولهذا سمي من تُحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت**، وسمى فرعون وعاداً طغاة. الفتاوى: ٢٨/٢٠٠ .

قلت: قد تعددت أقوال أهل العلم في الطاغوت، وخلاصة أقوالهم أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بذلك، ولو في جزئية أو مجال من مجالات العبادة، فمن يُعبد من جهة الحب والموالاه والمعاداة فهو طاغوت، ومن يُعبد من جهة الطاعة والاتباع والتحاكم فهو طاغوت، ومن يُعبد من جهة الدعاء والخشية والنذر والنسك فهو طاغوت، ومن يُعبد من جهة الإقرار له بخصائص الإلهية أو بعضها فهو طاغوت.

وكذلك مما يندرج في مسمى الطاغوت: الشرائع، والقوانين، والدساتير والمناهج المضاهية لشرع الله، وكذلك كل إمام في الكفر والفساد والضلال فهو طاغوت. وقد تناولتُ أقوال أهل العلم في الطاغوت بشيء من التفصيل في كتابي "الطاغوت" فليراجع.

[١] قلت: الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، والكفر بكل ما يعبد سواه هي مهمة العلماء –ورثة الأنبياء والرسل– الأساسية والأولى، وشغلهم الشاغل، وهمهم الأكبر، يجب أن توضع على رأس الأولويات عند كل عمل أو مشروع دعوي، وهي غاية تصب في خدمتها جميع الوسائل والإمكانيات، ولايجوز أن يكون العكس، ولما غفلت كثير من الأحزاب والجماعات الإسلامية المعاصرة عن هذا الأصل الهام وانشغلت عنه بالدون من الوسائل والفروع، قلّت بركتها، وفقدت مبرر وجودها، ولم تتمكن من تحقيق شيء من أهدافها العامة.

[٢] متفق عليه.

[٣] الواجب هنا يمتد ليشمل النطق بها وفهما والعمل بمدلولاتها ولوازمها، وبغض نواقضها والإمساك عن الوقوع فيها.

وهنا مسائل تكلم فيها الفقهاء: فمن صلى ولم يتكلم بالشهادتين(١)، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما: هل يصير مسلماً أم لا؟ والصحيح أنه يصير مسلماً بكل ماهو من خصائص الإسلام(٢).

فالتوحيد أول ما يُدخَل به في الإسلام، وآخر ما يُخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ "من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة"(٣). فهو أول واجب وآخر واجب(٤) فإن التوحيدَ يتضمن ثلاثةَ أنواع: الكلام في الصفات(٥)، وتوحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيءٍ. وتوحيد الإلهية، وهو استحقاقه أن يعبد وحده لاشريك له.

-توحيدُ الربوبية لم يذهبْ إلى نقيضه طائفة مِن بني آدم-

(١) الصلاة تتضمن الشهادتين، والشهادتان من فرائض الصلاة، من تعمد تركهما لاتقبل صلاته.

(٢) هذا الكلام لايصح على إطلاقه وهو كلام تعوزه البينة والدليل، لأن الصيام والزكاة من خصائص الإسلام وأهم أركانه ومع ذلك لايصح أن يُقال لمن صام أو زكى ماله أنه صار بذلك مسلماً من دون أن ينطق بشهادة التوحيد.

والذي عليه أهل العلم ودلت عليه السنة أن المرء لايصير مسلماً إلا بنطقه لشهادة التوحيد، ولايجزئ عن الشهادة من الأعمال شيء سوى الصلاة، لقوله ﷺ : "من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذاك المسلم له ذمةَ الله وذمة رسوله". ولأن الصلاة تتضمن الشهادتين كما تقدم.

(٣) حديث صحيح، رواه الحاكم وغيره.

(٤) لأن من شروط التوحيد الذي ينفع صاحبه يوم القيامة الموافاة عليه، فالعبرة بالخواتيم وبما يختم به على المرء مهما كان العمل قبل الموافاة مغايراً لما تمت الموافاة عليه.

(٥) يراد توحيد الله في أسمائه وصفاته، وهذا النوع من التوحيد قد ضل فيه كثير من الفرق عن الصواب، وعما كان عليه الرسول ﷺ، ولم يسلم إلاَّ من رضي بالمتابعة والانقياد لما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه، وتابعيهم بإحسان من سلف الأمة من الاعتقاد والتصور الصحيحين.

توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كلّ شيءٍ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حقٌّ لاريب فيه وهو الغاية عند كثيرٍ من أهل النظر والكلام وطائفةٍ من الصوفية.

وهذا التوحيد لم يذهبْ إلى نقيضه طائفةٌ معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورةً على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل عليهم السلام فيما حكى الله عنهم: **﴿قالت رسلهم أفي الله شكٌّ فاطِرِ السماواتِ والأرض﴾** إبراهيم: ١٠.

-توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل-

التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ونزلت به الكتب، هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لاشريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية[1]، وأن خالقَ السماوات والأرض واحدٌ، كما أخبر تعالى عنهم بقوله:**﴿ولئن سألتهم**

---

[1] والحق أنهم كانوا يقرون ببعض معاني توحيد الربوبية وليس كلها، حيث كانوا يشركون ببعض معاني الربوبية من جهة الطاعة لسلطة عليا -من العبيد- تصدر الأوامر والتعليمات والتشريعات والإرادات بغير سلطان من الله.

وهذا هو المراد من الربوبية الواردة في قوله تعالى: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾** وذلك عندما أقروا لهم بخاصية التحليل والتحريم لذاتهم من دون الله تعالى.

وكذلك قوله تعالى: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾**.

وقوله تعالى عن فرعون: **﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾**. فهنا فرعون لم يرد ربوبية الخلق والتصرف بنواميس الكون، فهو أعجز من أن يخلق بعوضة فأدنى، وإنما أراد الربوبية بمعنى أنه السيد المطاع، الذي يجب على قومه

من خلق السماوات والأرض ليقولُنَّ اللَه﴾.لقمان: ٢٥. **﴿قل لمن الأرضُ ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله قل أفلا تذَكَّرون﴾** المؤمنون: ٨٤-٨٥. ومثل هذا كثير في القرآن.

-التحذير من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد-

ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركةٌ للهِ في خلق العالَم، بل كان حالُهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والبربر وغيرهم، تارةً يعتقدون أن هذه تماثيلُ قومٍ صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونَهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب.

قال تعالى حكايةً عن قوم نوحٍ: **﴿وقالوا لاتذرُنَّ ءالهتكم ولاتذرُنَّ ودَّاً ولا سُواعاً ولايغوثَ ويعوقَ ونَسْراً﴾** نوح: ٢٣. وقد ثبت في صحيح البخاري، وغيره عن ابن عباس وغيره من السلف: أن هذه أسماءُ قومٍ صالحين في قومِ نوحٍ، فلما ماتوا، عكفوا على قبورهم،

أن يخضعوا لأمره ونهيه من غير تعقيب أو سؤال، وأن لايبرموا أمراً دونه إلا وفق ما يرى ويهوى! وما أكثر الفراعنة في عصرنا التي تدعي هذا الحق لنفسها من دون الله تعالى.ومنه تعلم أيها القارئ أن الربوبية أشمل من أن تحصر في معاني الخلق والتدبير والتصرف بنواميس الكون، بل أحياناً تطلق ويراد منها توحيد الألوهية.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما في قوله: **﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس﴾**، وكما يُقال رب العالمين وإله المرسلين، وعند الإفراد يجتمعان كما في قول القائل من ربك، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك؟ معناه من إلهك لأن الربوبية التي أقر بها المشركون ما يمتحن أحد بها، وكذلك قوله: **﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍّ إلا أن يقولوا ربنا الله﴾**، وقوله: **﴿قل أغير الله أبغي ربا﴾**، وقوله: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾**، فالربوبية في هذا هي الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران، فينبغي التفطن لهذه المسألة. ا-هـ (من الرسائل الشخصية، ص ١٧).

ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم[1]، وأن هذه الأصنام بعينها صارت إلى قبائلِ العرب، ذكرها ابن عباس قبيلةً قبيلةً[2].

وفي صحيح مسلم، عن أبي الهيَّاج الأَسْدِي، قال: قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على مابعثني رسُول الله ﷺ؟ "أمرني أن لا أدع قبراً إلا سويته، ولاتمثالاً إلا طمسته".

وفي الصحيحين، عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: "لعن اللهُ اليهودَ والنصارى، اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا،قالت عائشة: ولولا ذلك لأُبرِزَ قبرُه، ولكن كره أن يُتَّخذ مسجداً.

وفي الصحيحين، أنه ذُكِرَ له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة وذُكر له من حسنها وتصاويرَ فيها، فقال: "أولئك إذا مات فيهم الرجلُ بنَوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرارُ الخلق عند الله يوم القيامة".

وفي صحيح مسلم، عنه ﷺ أنه قال: "إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك"[3].

وهؤلاء كانوا مقرين بالصانع، وأنه ليس للعالَم صانعان ولكن اتخذوا هذه الوسائط شفعاء، كما أخبر عنهم تعالى بقوله: **﴿والذين اتخذوا من دونهِ أولياءَ ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى اللهِ زُلفى﴾** الزمر: ٣. وقال تعالى: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شُفعاؤنا عندَ اللهِ قل أتنبئون اللهَ بما لا يعلَمُ في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عمَّا يُشركون﴾** يونس: ١٨.

-كلُّ مولودٍ يولدُ على فطرة الإسلام-

---

[1] تأمل كيف أن الإنحراف يتدرج -مع الزمن والتهاون- حتى يتسع إلى درجة الكفر والشرك.

[2] صحيح، وهو موقوف في حكم المرفوع.

[3] رغم هذا النهي الصريح من النبي ﷺ، نجد بعض المسلمين في هذا العصر يتخذون من قبور الصالحين مساجد، والويل لمن ينهاهم عن ذلك، ويبين لهم حرمة ما يصنعون!!

قال تعالى: ﴿**فأقم وجهكَ للدين حنيفاً فطرتَ الله التي فطر الناس عليها**[١] **لاتبديلَ لخلق اللهِ ذلك الدينُ القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون**﴾ الروم: ٣٠.

وقال ﷺ : "كل مولودٍ يولَد على الفطرة، فأبواه يُهودانه، أو يُنصرانه، أو يُمجسانه"[٢]. ولايقال : إن معناه يولد ساذجاً لايعرف توحيداً ولاشركاً –كما قاله بعضهم– لما تلونا[٣] ولقوله ﷺ، فيما يروي عن ربه ؟: "خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين"[٤]. وفي الحديث المتقدم مايدل على ذلك[٥]، حيث قال: "يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"، ولم يقل : ويُسلمانه. وفي رواية: "يولد على الملة"، وفي أخرى: "على هذه الملة"[٦].

وهذا الذي أخبر به ﷺ، هو الذي تشهد الأدلة العقلية بصدقه.

يُحكى عن أبي حنيفة رحمه الله: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحثَ معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: أخبروني –قبل أن نتكلم في هذه المسألة– عن سفينة في دجلة، تذهب، فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فترسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحدٌ؟!! فقالوا: هذا محال، لايمكن أبداً! فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كُلِّه عُلْوِهِ وسُفْلِهِ؟!

---

[١] عن عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾، قالوا: فطرة الله، دين الإسلام. ﴿**لاتبديل لخلق الله**﴾، قالوا لدين الله. واحتجوا بحديث: "إن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين". ذكره ابن القيم في (شفاء العليل).

[٢] متفق عليه.

[٣] يريد الآية: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾، الدالة على أن الفطرة هي الإسلام، وأن التوحيد أصل مفطورة عليه النفس، والشرك طارئ مكتسب بسبب عوامل التضليل والتهويد والتنصير.

[٤] رواه مسلم وأحمد.

[٥] أي أن الفطرة هي الإسلام.

[٦] كلتا الروايتين لمسلم.

فلو أقرَّ رجلٌ بتوحيد الربوبية، وهو مع ذلك لم يعبد اللهَ وحده ويتبرأ من عبادة ما سواه، كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

–توحيدُ الربوبية يستلزمُ تَوحيدَ الألوهيَّةِ–

من ذلك أن القرآن يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لاخالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول[1] دليلاً على الثاني، إذْ كانوا يُسلِّمون للأول ويُنازعون في الثاني فيبين لهم سبحانه أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لاخالق إلا الله، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم مايضرهم، لاشريك له في ذلك، فلِمَ تعبدون غيره، وتجعلون معه آلهةً أخرى ؟!

---

[1] أي توحيد الربوبية دليلاً على توحيد الألوهية، والقرآن الكريم مليء بالآيات البينات التي تدل على هذا المعنى والإسلوب، إذ أن عظمة المخلوق من عظمة الخالق، ودليل على كمال قدرته وفضله، وأنه وحده المستحق للعبادة دون سواه الذي لايملك أن يخلق بعوضة فأدنى.

قال تعالى: ﴿**أفمن يخلق كمن لايخلق أفلاتذكَّرون**﴾، وقال منكراً على من يعبد المخلوق الذي لايستطيع أن يخلق شيئاً: ﴿**أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون**﴾. وقال تعالى: ﴿**أمن خلق السماوات والأرضَ وأنزلَ لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائِقَ ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءِلهٌ مع الله بل هم قوم يعدلون. أمَّن جعل الأرض قَراراً وجعلَ خلالَها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءلهٌ مع الله بل أكثرهم لايعلمون. أمَّن يجيب المضطرَّ إذا دعاهُ ويَكشفُ السُّوءَ ويجعلكم خُلفاء الأرض أءِلهٌ مع الله قليلاً ما تذكَّرون. أمَّن يهديكم في ظلمات البرِّ والبحر ومن يُرسِلُ الرياحَ بُشراً بين يدي رحمته أءِله مع الله، تعالى اللهُ عمَّا يُشركون. أمَّن يبدؤُا الخلق ثم يُعيدُهُ ومَن يرزقكم من السماءِ والأرض أءِلهٌ مع الله قل هاتوا بُرهانكُم إن كنتم صادقين**﴾ سورة النمل: ٦٠–٦٤ وغيرها كثير من الآيات التي تبين توحيد الربوبية كدليل على توحيد الألوهية، وأن الله تعالى وحده المستحق للعبادة. وهذا الإسلوب القرآني القوي في البيان والاستدلال قد غفل عنه كثير ممن يهتمون –في زماننا– بالعقيدة دراسة وتدريساً.

كقوله تعالى: ﴿**قُلِ الحمدُ للهِ وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ءآللهُ خيرٌ أَمَّا يُشركون، أمَّن خلَقَ السماواتِ والأرضَ وأنزل لكم من السماءِ ماءً فأنبتنا به حدائقَ ذات بهجةٍ ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها أءِلهٌ مع الله بل هم قومٌ يعدلون**﴾ النمل: ٥٩-٦٠.

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربَّكُم الذي خلقكُم والذين من قبلِكُم لعلَّكم تتقون**﴾ البقرة: ٢١.

وقال تعالى: ﴿**قل أرءَيتُم إن أخذَ اللهُ سمعَكُم وأبصارَكُم وخَتم على قلوبكم مَّن إله غيرُ اللهِ يأتيكم به**﴾ الأنعام: ٤٦.

وقال تعالى: ﴿**ما اتخذ اللهُ من ولدٍ وما كان معه مِن إلهٍ إذاً لَذَهَبَ كلُّ إله بما خَلقَ ولَعَلاَ بعضُهم على بعضٍ**﴾ المؤمنون: ٩١.

فإن الإله الحقَّ لابد أن يكونَ خالقاً فاعلاً، يُوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يُشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قَدَرَ على قهرِ ذلك الشريك، وتفرده بالملك والإلهية دونه فعَل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعضٍ بممالكه إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلوّ عليه.

وانتظامُ أمرِ العالَمِ كُلِّه، وإحكام أمره، من أدل دليلٍ على أن مدبِّره إلهٌ واحد، ومَلِكٌ واحد، وربٌّ واحد، لا إله للخلق غيره، ولارب لهم سواه، كما دل دليل التمانع[1] على أن خالق العالم واحد، لاربَّ غيْره فلا إله سواه، فذاك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالَمِ ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

---

[1] أي تمانع أن يكون للكون صانعان متكافئان، وهذا مستلزم لتمانع أن يكون للكون إلهان اثنان أو أكثر.

فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية، ودالة مثبتة ملزمة لتوحيد الإلهية.

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما ءالهةٌ إلا اللهُ لفسدتا**﴾ الأنبياء: ٢٢.

فلو كان للعالَم إلهان معبودان لفسد نظامه كله[١]، فإن قيامه إنما هو بالعدل، وبه قامت السماوات والأرض، وأظلمُ الظلم على الإطلاق الشركُ[٢]، وأعدلُ العدل التوحيد.

-توحيد الإِلهية يتضمّن توحيدَ الربوبية-

توحيد الإلهية متضمنٌ لتوحيد الربوبية دون العكس[٣]، فمن لايقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لايصلح أن يكون إلهاً.

---

[١] فإن قيل في العالَم آلهة عديدة تُعبد من دون الله تعالى فعلامَ لم يفسد نظامه؟ نقول: المراد بالمعبودَين أن يكونا إلهين بحق وكلاً منهما مستحق للعبادة، فحينها لابد من فساد الكون وحصول الخصام الذي دلّت عليه الآيات، أما الآلهة التي تُعبد من دون الله فهي لاتستحق العبادة ولا مسمى الإلهية، وهي آلهة مزعومة مكذوبة ضعيفة لاتملك لنفسها نفعاً ولاضراً ومن كان كذلك لايجوز أن يُجعل نداً وشريكاً لله تعالى في الملك والخلق أو في شيء من خصائصه سبحانه، قال تعالى: ﴿**ذلك بأن اللهَ هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل**﴾.

[٢] ودليله قوله تعالى: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾، لذلك كان لأجل استئصاله وتحقيق التوحيد تُسل السيوف، وترخص المقاصد، وتهدر الدماء، كما قال تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كلّه لله**﴾، والفتنة يراد بها الشرك. وقال تعالى لبني إسرائيل لما عبدوا العجل من دون الله: ﴿**فاقتلوا أنفسكم**﴾. وذلك أن التوحيد أعز من الأنفس، والقتل أقل ظلماً وفتنة من ظلم وفتنة الشرك.

[٣] قوله دون العكس فيه نظرٌ، وقد تقدم أن الربوبية أحياناً تطلق ويراد منها الألوهية، كقوله تعالى: ﴿**وألاَّ يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾ أي آلهة تطاع وتتبع فيما تأمر وتنهى عنه من دون الله، وكسؤال الملكين الميت: من ربّك؟ فالمراد منه من إلهك ومعبودك، وقد تقدّم كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المسألة فانظره.

قال تعالى: ﴿**أيُشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون**﴾ الأعراف: ١٩١.

وقال تعالى: ﴿**أفمن يَخلق كمن لا يَخلق أفلا تذكَّرون**﴾ النحل: ١٧.

وقال تعالى: ﴿**قل لو كان معه ءالهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرشِ سبيلا**﴾ الإسراء: ٤٢.

أي لاتخذوا سبيلاً بالتقرُّب إليه، وهو الصحيح المنقول عن السلف[١].

-التوحيد الذي دعت إليه الرسل-

التوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسُوله ﷺ [٢].

والثاني: وهو توحيد الطلب والقصد[١]، مثل ما تضمنته سورة ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ و ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم**﴾ آل عمران: ٦٤.

---

[١] قال ابن كثير في التفسير: يقول تعالى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكاً من خلقه، العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفى: لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة، فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولاحاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فإنه لايحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريم وقدسها فقال: ﴿**سبحانه وتعالى عما يقولون**﴾ أي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى ﴿**علواً كبيراً**﴾ أي تعالياً كبيراً، بل هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفواً أحد. ا-هـ.

[٢] توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله، لايصح القول فيه إلا بنصٍ من الكتاب والسنة، فإعمال العقل هنا من دون أن يسترشد بنصٍّ صحيح، مضيعة للعقل نفسه، ومقتلة للمرء ومهلكة له.

-القرآن كلُّه يدور حول التوحيد ومتطلباتِه-

وغالبُ سورِ القرآن متضمنةٌ لنوعي التوحيد. فإن القرآنَ إما خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلميُّ الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحدَه لاشريك له، وخلع مايُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته[٢].

وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحلّ بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد وحقوقِه وجزائِه، وفي شأن الشرك وأهلِه وجزائهم[٣].

---

[١] هذا النوع من التوحيد متعلّق بالإنسان نحو ربه كاجتنابه للشرك الذي نهى الله عنه، وإتيانه بالتوحيد الذي أمر الله به.

[٢] بعض الأعمال التي لها علاقة بالتوحيد، تعتبر شرطاً من شروط صحة التوحيد ولازماً من لوازمه، كموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين والمنافقين، وإقام الصلاة، والحكم بما أنزل الله، واجتناب السحر .. وبعض الأعمال تعتبر مكملة للتوحيد والإيمان، انتفاؤها لاينفي التوحيد مطلقاً إنما ينقصه إلى أن يصبح ذرةً من إيمان بحسب درجة التقصير.

من هذه الأعمال: الزكاة، وصيام رمضان، وحجّ البيت الحرام على خلاف معروف عند أَهْل العلم. ومن الأمور المنهي عنها كالقتل، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر .. وغيرها. لكن الإدمان على ارتكاب المحظورات، وإهمال الواجبات قد تؤدّي بصاحبها إلى الإستهانة بأحكام الله، واستحسان المنكر، وإلى مؤاثرة الدنيا وزخرفها على الآخرة ونعيمها، وبالتالي إلى الكفر المخرج عن الملة، فالاستهانة بالصغائر بريد إلى الكبائر، والإدمان على الكبائر بريد إلى الكفر والعياذ بالله.

[٣] مادام التوحيد له هذا القدر من الأهمية، والقرآن الكريم كله يدور حول التوحيد ومتطلباته ومكملاته ونبذ الشرك ومقدماته، إنه لحريّ بالمسلمين أن يهتموا بالتوحيد، ويتعلموه ويعلّموه، وأن

فـ **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** توحيد[1]، **﴿الرحمن الرحيم﴾** توحيد[2]، **﴿مالك يوم الدين﴾** توحيد[3]، **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾** توحيد[4]، **﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾** توحيد، متضمن بسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد[5]، **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** الذين فارقوا التوحيد[6].

لا ينشغلوا عنه بالمندوب والمباح، وبما هو دونه. فالتوحيد أصل وما دونه فروع تبنى عليه، فإن صح الأصل صح البناء، وآتى ثماره، ورُجي عطاؤه، وإن فسد الأصل فسد البناء وانهار على صاحبه ولو بعد حين، وطول تحصيل، كما قال تعالى: **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورا﴾**.

أما التوحيد فأصله ثابت يؤتي أكله وثماره كل حين ووقت، كشجرةٍ طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين، كما قال تعالى: **﴿ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمة طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابت وفرعها في السماء. تُؤتي أُكُلَها كل حينٍ بإذن ربها ويضرب اللهُ الأمثالَ للناس لعلَّهم يتذكرون﴾**.

وأما الشرك فمثله كما قال تعالى: **﴿ومثل كلمةٍ خبيثة كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّت من فوق الأرض مالها من قرار﴾**.

[1] يشمل على نوعي التوحيد: توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، أما توحيد الألوهية يكمن في التوجه إلى الله وحده بالحمد والثناء والشكر، وتوحيد الربوبية يكمن في توحيد الله في ربوبيته على العالمين.

[2] يتضمن توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته.

[3] متضمن لتوحيد الربوبية، وهو الملك والتصرف.

[4] متضمن لتوحيد الألوهية، بالتوجه إلى الله وحده بالعبادة والإستعانة.

[5] الآية بذاتها متضمنة لتوحيد الألوهية، لأن طلب الهداية دعاء والدعاء عبادة، وعبادة الله تندرج في توحيد الله في إلهيته.

[6] الآية ذاتها فيها توحيد، حيث أن البراء من الكفار وبغضهم ومعاداتهم يعتبر من متطلبات صحة التوحيد الأساسية.

وكذلك شَهِدَ اللهُ لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسلُه.

قال تعالى: **﴿شَهِدَ اللهُ أنه لا إله إلا هو والملائكَةُ وأولوا العلمِ قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم﴾** [1] آل عمران: ١٨ .

فتضمنت الآية الكريمةُ أجلَّ شهادةٍ وأعظمَها وأعدلَها وأصدقها، من أجلِّ شاهدٍ، بأجل مشهودٍ.

وعبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء، والإعلام والبيان، والإخبار وهذه كلها حق لا تنافي بينها.

فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتبَ الأربع: عِلمَه سبحانه بذلك، وتكلُّمَه به، وإعلامَه وإخبارَه لخلقه به، وأمرَهم وإلزامَهم به.

-شهادةُ اللهِ بتوحيده يكون بالقول والعمل-

وشهادَةُ الربِّ وبيانُه وإعلامه، يكون بقوله تارةً، وبفعله أخرى، فالقول: ما أرسلَ به رسلَه وأنزل به كُتُبَه، وأما بيانُه وإعلامه بفعله، فكما قال ابن كيسان: شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو.

وقال آخر:

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحِدُ.

ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل، قولُه تعالى: **﴿ما كان للمشركين أن يَعمروا مساجدَ الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾** التوبة: ١٧ ، فهذه شهادة منهم على

---

[1] قلت: في الآية دليلٌ على فضل أهل العلم حيث أن الله تعالى قرن شهادتهم دون غيرهم من شرائح الناس بشهادته وشهادة الملائكة على أجلِّ وأعظم مشهود، ألا وهو توحيده ﷻ. وفي الآية كذلك دليل على مفهوم المخالفة الذي يقتضي أن من يشهد أن مع الله آلهة أخرى تشاركه في شيء من خصائصه سبحانه فهو ليس من أولي العلم ولا العلماء مهما تزيَّ بزيهم وادّعى أنه منهم، فالمشرك أو الذي يدعو إلى أي نوع من أنواع الشرك - بدلالة النص - فهو ليس من العلماء المرضيين مهما اتسع صيته في الأرض، وكثر أتباعه.

أنفسهم بما يفعلونه[1]، والمقصود أنه سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، ودلالتها إنما هي بخلقه وجعله.

-الآية دالَّة على بطلان ألوهية غير الله، وأن الله وحده الذي يستحقُّ العبادة-

وشهادته سبحانه أنه لا إله[2] إلا هو، فقد أخبر وبيَّن وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وأن إلهيَّةَ ما سواه باطلة، فلا يستحقُّ العبادَة سواه، كما لاتصلح الإلهيةُ لغيره، وذلك يستلزم الأمرَ باتخاذه وحدَه إلهاً والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً، وهذا يفهمه المخاطَب من هذا النفي والإثبات.

---

[1] فيه أن الكفر يكون أحياناً بالعمل كما يكون بالقول والاعتقاد، وليس كما يقول مشايخ الإرجاء: أن الكفر لايكون إلا بالإعتقاد والإفصاح عنه باللسان !

[2] أي لامعبود في الوجود بحق إلا الله ﷻ. ثم تأمل كيف قدم جانب النفي على جانب الإثبات كما في شهادة التوحيد تماماً، مما يدل على أن الكفر بالطواغيت التي تُعبد من دون الله يعتبر الركن الأول من الدين الذي يجب على العبد أن ينهض به نحو ربه سبحانه. والكفر بالطواغيت ليس عبارة عن كلمات باردة تردد على اللسان لاتلامس حرارة القلب وواقع العمل، يتبعها ركون إلى الطواغيت وموالاه وتودد، فمثل هذا لايكون قد كفر بالطواغيت وإن زعم بلسانه ذلك، فلسان حاله يكذب لسان مقاله، ونصوص الشريعة قد بينت أن الكفر بالطواغيت يكون بتكفيرهم وجهادهم، والبراءة منهم، واعتزالهم ظاهراً وباطناً، وإظهار العداوة والبغضاء لهم، كما قال تعالى: **﴿كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾**، فقوله **﴿بدا﴾** يفيد غاية الظهور والوضوح للعداوة والبغضاء. وقد تكلمنا في كتابنا (الطاغوت) عن صفة الكفر بالطاغوت بشيء من التفصيل فليراجع.

وأيضاً فالآية دلت على أنه وحدُه المستحِقُّ للعبادة[1]، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة، تضمن هذا الإخبارُ أمر العباد وإلزامهم بأداء مايستحقه الربُّ تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم[1].

---

[1] العبادة بمعناها العام الشامل لجميع مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة منها والباطنة، عبادة النسك والشعائر .. وعبادة الركوع والسجود والخضوع .. وعبادة التوكل والخوف والرجاء والدعاء .. وعبادة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وعبادة الطاعة والانقياد والرضى والتسليم .. وعبادة التحاكم والاتباع .. وعبادة الحب والولاء والبراء .. فجميع أنواع ومجالات العبادة هذه وغيرها من الطاعات التي أمر الله بها يجب أن تصرف لله وحده دون أحدٍ سواه.

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لاشريك له وبذلك أُمرت وأنا أولُ المسلمين﴾ الأنعام: ١٦٢-١٦٣ . فجميع الحياة وما يتخللها من أعمال قد شرعها الله للعباد كلها يجب أن تُصرف لله، وحتى الممات فإنه يجب أن يكون في سبيل الله وحده وليس في سبيل الوطن أو القوم أو الإنسانية أو الزعيم، أو الديمقراطية، وغيرها من الطواغيت التي تهدر في سبيلها الأرواح والحرمات، وتُقدم لها القرابين!!

ومن مظاهر انحطاط وتخلف المسلمين في هذا الزمان انحسار كثير من المفاهيم الشرعية عن مدلولها الشرعي الصحيح في أذهانهم وفي واقع حياتهم، والذي كان من وراء ذلك العلمانية الكافرة التي فصلت الدين عن الحياة، والفكر الصوفي الإرجائي الإتكالي القائل: لايضر مع التصديق كفر وذنب.. !

من تلك المفاهيم: العبادة، حيث حُصرت في دائرة النسك والشعائر، وانحسرت مدلولاتها الشرعية الواسعة – في أذهان الناس – إلى مجرد أداء للشعائر التعبدية فقط، وبالتالي فهم إذا ما أُمروا أن يعبدوا الله فسرعان ما يحملون الأمر أو الخطاب على العبادة التي تعني الشعائر وحسب، لذلك فهم لايجدون حرجاً في أن يعبدوا غير الله تعالى في المجالات الأخرى غير الشعائر التعبدية، ولايرون في ذلك تعارضاً مع كونهم لايجوز لهم أن يعبدوا غير الله تعالى..!

-الله تعالى بيّن التوحيد بطرق ثلاث: السمعِ، والبصرِ، والعقلِ-

أما السمعُ: فبسمع آياتهِ المتلوة المبينة لما عَرَّفَنا إِيَّاهُ من صفات كمالِه كلِّها، الوحدانية وغيرها غاية البيان، لا كما يزعمه الجهمية[٢] ومن وافقهم من المعتزلة[٣]، ومعطلة بعض الصفات من دعوى احتمالات توقع في الحيرة، تُنافي البيان الذي وصف الله به كتابَه العزيز ورسُوله الكريم، كما قال تعالى: ﴿**حم، والكتاب المبين**﴾ الزخرف: ١-٢، ﴿**الر تلك ءاياتُ الكتاب وقرءان مبين**﴾ الحجر: ١.

---

[١] حق الله على العباد، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن معاذ بن جبل، قال: قال النبي ﷺ : "يامعاذ أتدري ماحق الله على العباد؟" قال الله ورسُوله أعلم. قال: "أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً، أتدري ماحقهم عليه؟" قال: الله ورسُوله أعلم. قال: "أن لايعذبهم".

[٢] نسبةً إلى الضال جهم بن صفوان، القائل بإنكار الصفات وتعطيلها، وله كلام في الإيمان والوعد والوعيد، مفاده أن الإيمان محصور في القلب والتصديق، وبالتالي فإن الكفر عنده محصور في التكذيب القلبي لاغير. وقد اشتد نكير السَّلَف على من يقول بهذا القول، ومع ذلك فكثير من مرجئة العصر الذين استفحل شرهم في البلاد يقولون بهذا القول وإن لم يعترفوا بأنهم على قول جهم ومن تابعه في الإيمان، وقد قتل جهماً سلم بن أحوز، لإنكاره أن الله كلم موسى، وذلك سنة ١٢٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء: ٦/٢٦-٢٧، وتاريخ الطبري: ٤/٢٩٤-٢٩٥ .

[٣] المعتزلة فرقة ضالة، تجحد صفات الله ﷻ، وتنكر القدر وأن تكون أفعال العباد قد خلقها الله، وقالوا : بأن كلام الله محدث مخلوق، وبالمنزلة بين المنزلتين؛ أي أن الفاسق لاهو مؤمن ولا كافر! وقيل أنهم سُموا بالمعتزلة نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال، الذي طرده الحسن البصري من مجلسه بسبب مقولته في القدر، فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة ومن حينها سمي هو وأتباعه بالمعتزلة. انظر الفرق بين الفرق: ٧٨-٧٩.

وكذلك السنَّة تأتي مبينةً أو مقررةً لما دل عليه القرآن، لم يُحوِجنا ربنا سبحانه وتعالى إلى رأي فلانٍ، ولا إلى ذوق فلانٍ ووجده في أصول ديننا[١].

ولهذا نجد من خالف الكتابَ والسنة مختلفين مضطربين قال تعالى: **﴿اليومَ أكملتُ لكم دينَكُم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكمُ الإسلامَ ديناً﴾** المائدة: ٣ . فلا يَحتاج في تكميله إلى أمرٍ خارجٍ عن الكتاب والسنة.

وأما آياته العيانية الخلقية: فالنظر فيها، والاستدلال بها يدل على ماتدل عليه آياته القولية السمعية، والعقل يجمع بين هذه وهذه، فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل[٢]، فتتفق شهادةُ السمعِ، والبصر، والعقل، والفِطرة.

-ما من نبي إلا ومعه آيةٌ تدلُّ على صدق نبوته-

فهو سبحانه لكمال عدلِه ورحمته وإحسانه وحكمته ومحبته للعذر[٣]، وإقامة الحُجَّة[١]، لم يبعث نبياً إلا ومعه آيةٌ تدل على صدقه فيما أخبر به.

---

[١] كما هو حال كثير من المتصوفة الذين يردون الأمور إلى الذوق والوجد، بعيدين عن الكتاب والسنة، وإن سألت أحدهم عن الدليل فيما يقرر سرعان ما يقول لك: حدثني قلبي عن ربي!! ومن كان هذا وصفه لايستأمن على دين، ولاشك أنه من أكذب الكاذبين على الله ورسُوله.

[٢] لايوجد تعارض بين العقل السليم وبين النقل الصحيح، وفي حال ظهور التعارض، يكون لأحد الأسباب التالية:

أ- أن يكون العقل سليماً، ولكن النقل غير صحيح من حيث السند والمتن.

ب- أن يكون النقل صحيحاً، ولكن العقل يكون قد تجاوز الحد المقدر له، وتطاول في البحث عن أمورٍ لاتخصه ولاتعنيه، فحينها يظهر التعارض ويكون الخلل من العقل لامن النقل.

جـ- أن يكون النقل صحيحاً، والعقل سليماً، لكن لجهلنا في التوفيق بينهما، يظهر لنا الأمر أنهما متعارضان، وفي الحقيقة أنهما غير ذلك.

[٣] قال رسول الله ﷺ : "لاشخصَ أغير من الله تعالى، ولاشخص أحب إليه العذر من الله ﷻ، ومن أجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين ولاشخص أحب إليه المدح من الله تعالى، ومن أجل ذلك وعد الجنة". رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

قال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسُلَنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتابَ والميزان**[٢] **ليقومَ الناسُ بالقسط**﴾ الحديد: ٢٥.

وقال تعالى: ﴿**فإن كذبوك فقد كُذِّب رُسُلٌ من قبلك جاؤوا بالبينات والزُّبُر**[٣] **والكتابِ المنير**﴾ آل عمران: ١٨٤.

حتى إنَّ من أخفى آيات الرسل آياتِ هود، حتى قال له قومه: ﴿**ياهودُ ماجئتنا ببينة**﴾ هود: ٥٣. ومع هذا فبينته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبُّرها، وقد أشار إليها بقوله: ﴿**إني أُشهدُ اللهَ واشهَدوا أني بريءٌ مما تشركون، مِن دونه فكيدوني جميعاً ثم لاتُنظِرون إني توكلت على الله ربي وربِّكم ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها إن ربي على صراطٍ مستقيم**﴾ هود: ٥٤-٥٦ . فهذا من أعظم الآيات: أن رجلاً واحداً يخاطب أمةً عظيمة بهذا الخطاب، غير جَزِعٍ ولافزعٍ ولاخوَّارٍ، بل هو واثقٌ بما قاله، جازم به، فأشهدَ اللهَ أولاً

---

(١) إقامة الحجة تتعلق بثلاثة ضوابط، وهي: **أولاً**: أن الجاهل الذي يجب أن تقام عليه الحجة قبل الحكم عليه، هو من كان جهله عن عجز لايمكن دفعه، أما إذا كان جهله لسبب غير العجز أو عن عجز يمكن دفعه لكنه لايفعل، فهو ملام ومسؤول عن تقصيره ولايعذر بالجهل. **ثانياً**: الحجة تقوم على الجاهل ببلوغه الخطاب الشرعي عبر أي وسيلة كانت، شريطة أن تصله بلغة يفهما وبطريقة ترفع عنه العجز بمعرفة مراد الشارع فيما قد خالف فيه، ولايشترط هنا حصول الاقتناع أو الاستجابة، فهذا أمر مرده إلى الله، فهو سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء. **ثالثاً**: يشترط فيمن يقيم الحجة أن يكون ملماً بالمسألة التي يريد أن يقيم فيها الحجة على المخالف، لأن فاقد الشيء وجاهله لايعطيه، ولايشترط -كما يقول البعض - أن يكون عالماً له صفة العلماء المجتهدين، فإن مثل هذا القيد يستلزم انتفاء قيام الحجة على العباد لانتفاء وجود هؤلاء العلماء، وهو معارض لقوله تعالى: ﴿**فلله الحجة البالغة**﴾ .

(٢) هو العدل، ليقوم الناس بالحق والعدل، ومن أسمى معاني العدل توحيد الله ﷻ واتباع الرسل، كما أنه من أشد الظلم الشرك بالله ﷻ، وصرف شيء من مجالات العبادة لغير الله تعالى.

(٣) ﴿**البينات**﴾، هي الحجج والبراهين القاطعة، ﴿**والزبر**﴾ هي الكتب المتلقاة من السماء كالصحف المنزلة على المرسلين، عن تفسير ابن كثير.

على براءته[1] من دينهم وما هم عليه إشهادَ واثقٍ به معتمدٍ عليه، مُعْلِمٍ لقومِه أنه وليُّه وناصره وغير مُسلطٍ لهم عليه، ثم أشهدَهم إشهاد مجاهرٍ لهم بالمخالفة أنه بريءٌ من دينهم وآلهتهم التي يُوالُون عليها، ويُعادون عليها[2]، ويَبذلون دماءهم وأموالهم في نصرتهم لها، ثم أكَّد ذلك عليهم بالإستهانة بهم، واحتقارهم وازدرائهم، ولو يجتمعون كلُّهم على كيده وشفاء غيظهم منه، ثم يعاجلُونَه ولايمهلونَه لم يقدروا على ذلك إلا ما كتبه الله عليه[3].

فأي آيةٍ وبرهانٍ أحسنُ من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينِهم وأَدلَّتِهم؟ وهي شهادةٌ من الله سبحانه لهم، بينها لعباده غاية البيان.

– من أسمائه تعالى الحُسْنَىَ[4]، المؤمِنُ والشَّهيدُ[1]–

---

[1] لايستقيم دين ولاتوحيد من دون البراءة من دين المشركين ومايعبدونه من دون الله ﷻ، وصفة البراءة تكون بتكفيرهم، وبغضهم، ومعاداتهم، ومفاصلتهم كما قال تعالى: ﴿**قل يأيها الكافرون لا أعبد ماتعبدون ولا أنتم عابدون ماأعبد ولا أنا عابد ماعبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين**﴾.

وقال تعالى: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾ الممتحنة: ٤ .

[2] من الآلهة التي تُعقد الموالاة والمعاداة عليها في زماننا: الوطن، والقوم، والإنسانية، والجنسية، والقبيلة، والقانون الوضعي الجاهلي، والحاكم المُطاع في معصية الله .. كل هذه آلهة تُعبد في زماننا من دون الله ﷻ، وعلى أساسها يُعقد الولاء والبراء !! فليحذر كل مسلم لدينه، ولينتبه أين هو من دين الله.

[3] هذا التحدي من فردٍ – أعزل إلا من سلاح الإيمان بالله ﷻ– لجموعهم وعدتهم وعددهم، ثم أن الله يبطل كيدهم، وينجيه من بينهم ومكرهم، ويمنعه منهم، لهو من أعظم الآيات الدالة على عظمة الخالق وقدرته سبحانه.

[4] علاقة هذا العنوان بما قبله أن من مقتضيات اسمي **المؤمن والشهيد** وما يحملانه من معاني عظيمة وصفات جليلة، أن الله تعالى يستحيل عليه –وهو من أسمائه الحسنى المؤمن والشهيد– أن

ومن أسمائه تعالى "المؤمنُ"، وهو في أحد التفسيرين: المصدِّقُ الذي يُصدق الصادقين بما يُقيم لهم من شواهد صدقِهم[٢] فإنه لابد أن يُرِي العبادَ من الآيات الأُفقية والنفسية ما يُبيِّن لهم أن الوحي الذي بلَّغته رسُلُه حقٌّ، قال تعالى: **﴿سنُريهم ءاياتِنا في الآفاق وفي أنفُسهم حتى يتبيَّنَ لهم أنه الحقُّ﴾** فصلت: ٥٣ ، أي القرآن، وقال: **﴿أوَلَمْ يكفِ بربك أنه على كل شيءٍ شهيدٌ﴾** فصلت: ٥٣ ، فشَهِدَ سبحانه لرسولِه بقوله: إن ما جاء به حقٌّ، ووعد أن يُرِيَ العبادَ من آياته الفعليَّة الخَلْقية ما يَشهد بذلك أيضاً[٣]، ثم ذكَر ما هو أعظَم من ذلك كلِّه وأجل، وهو شهادته سبحانه على كل شيءٍ، فإن من أسمائه الشهيدَ[٤] الذي لا يغيبُ عنه شيءٌ، ولا يَعزُبُ عنه[٥]، بل هو مطلع على كل شيءٍ مُشاهد له، عليم بتفاصيله.

-الاستدلال بأسماء الله تعالى وصفاته، على وِحدانيته وعلى بُطلان الشركِ-

---

يصدق الكاذبين الذين يتقولون عليه الأقاويل، وينصرهم ويظهرهم على العالمين، ولما صدق الأنبياء وأظهرهم على أعدائهم، دل ذلك على صدقهم وصدق ما جاؤوا به من عند ربهم.

[١] إعرابها: مبتدأ لخبرٍ مقدم.

[٢] التفسير الآخر، عن ابن عباس قال: أي أمن خلقه أن يظلمهم. ابن كثير: ٣٦٧/٤ .

[٣] من ذلك صعود الإنسان إلى القمر، وصناعته التلسكوبات الضخمة التي مكنته من رؤية كثير من أسرار هذا الكون العظيم الذي يدل على خالقٍ عظيم، وربٍّ يستحق أن يُعبد ويُفرد بالعبادة **﴿وَعْدَ اللهِ حقّا ومَن أصدق من اللهِ قيلاً﴾** النساء: ١٢٢.

[٤] إعرابها: اسم إنَّ مؤخر..

[٥] أي لايخفى على الله من شيء.

قد أودع الله في الفطرة التي لم تتنجَّس بالجحود والتعطيل ولا بالتشبيه والتمثيل[١]، أنه سبحانه الكاملُ في أسمائه وصفاته وأنه الموصوفُ بما وصف به نفسَه ووصفه به رُسُله[٢]، وما خَفِي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه .

ومن كماله المقدَّسِ شهادته على كل شيءٍ واطلاعُه عليه بحيث لايغيبُ عنه ذَرَّة في السماوات ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومَن هذا شأنهُ كيف يليق بالعباد أن يُشركوا به وأن يعبدوا غيره ويجعلوا معه إلهاً آخر؟ وكيف يليق بكمالِه أن يُقِرَّ من يَكذِبُ عليه أعظمَ الكذب، ويُخبُرُ عنه بخلاف ما الأمرُ عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويُعلي شأنه ويجيب دعوته، ويُهلك عدوَّه، ويُظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يَعجِزُ عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مُفترٍ[٣]؟!

قال تعالى: ﴿**ولو تقوَّلَ علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين**[٤]**، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين**﴾ الحاقة: ٤٤-٤٧ .

---

[١] فيه أن التوحيد أصل في الإنسان قد فطر عليه، والشرك والباطل طاريء مكتسب بفعل عوامل خارجية، وما فُطر عليه الإنسان حجة على الطارئ المكتسب وليس العكس.

[٢] صفات الله تعالى لا يجوز استنباطها واستخراجها من العقل أو مصادر أخرى، وإنما فقط تؤخذ من الكتاب والسنة، وما سوى ذلك لا يجوز إثباته أو إقراره أو الخوض فيه لأنه تقول على الله بغير علم.

[٣] أي أن كمال صفاته ﷻ التي وصف بها نفسه، تستلزم أن لا يرضى سبحانه بالشرك وما يؤول إليه، أو أن يكون له شريك، أو يقر وينصر ويؤيد بالآيات من يدَّعي النبوة ويكذب عليه سبحانه، ومن عرف اللهَ بصفاته المبينة في الكتاب والسنة، أدرك أن الشرك باطل، وأن إلهاً هذه صفاته، يستحيل أن يكون له شريك في ألوهيته وربوبيته سبحانه.

[٤] الوتين: قال القرطبي (٢٧٦/١٨): عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

وقال تعالى: **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو، الملِكُ**[1] **القدّوسُ**[2] **السلام**[3] **المؤمن المهيمن**[4] **العزيز**[5] **الجبار**[6] **المتكبر**[7] **سبحانَ الله عما يُشركون﴾**[8] الحشر: ٢٣.

وهذه الطريق[9] قليلٌ سالكها، لايهتدي إليها إلا الخواصُّ[10]، وطريقة الجمهور[1] الاستدلال[2] بالآيات المشاهدة، لأنها أسهل تناولاً وأوسع، والله سبحانه يُفضل بعضَ خلقه على بعض.

---

(١) الملك: أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة.

(٢) القدوس: أي الطاهر، المبارك، المتنزه عن صفات النقص، والمخلوقين.

(٣) السلام: أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وأفعاله.

(٤) المهيمن: قال ابن عباس: الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم.

(٥) العزيز: أي القاهر الذي لايُغلب ولا يناله ذُل.

(٦) الجبار: قال قتادة: الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء، وقال ابن جرير: الجبار، المصلح أمور خلقه المتصرف فيه بما فيه صلاحهم. وقال ابن عباس: هو العظيم الذي إذا أراد أمراً فعله.

(٧) المتكبر: قال قتادة: يعني عن كل سوء. وقيل: أي الذي له الكبرياء والعلو. (انظر تفسير ابن كثير).

(٨) إله هذه صفاته وأسماؤه كيف يجرؤ الإنسان أن يشرك معه آلهة أخرى لا تتصف بهذه الصفات والأسماء، **﴿سبحان الله عما يشركون﴾**؟!. كيف يضل عنه المخلوق ويهتدي إلى عبادة الطواغيت بجميع أنواعها وأشكالها، والتي لا تملك نفعاً ولا ضراً؟! صدق الله العظيم: **﴿صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾** البقرة: ١٧١.

(٩) أي طريق الإستدلال على توحيد الله ﷻ، بصفاته وأسمائه، إذ أن المألوه المستحق لكمال العبادة هو الإله المتصف بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا، أما ماسواه -أيّاً كان- فإنه مجبول على الضعف والحاجة والنقص والعجز، ومن كان كذلك لايستحق أن يُعبد، ولايجوز أن يُعبد، أو يُهتدى لعبادته.

(١٠) هم أَهْل العلم والتوحيد الخالص، أَهْل الاتباع لا الابتداع.

-أكملُ الناس توحيداً الأنبياءُ والمرسلون، وهم يتفاضلون فيه-

إنَّ أكمل الناس توحيداً الأنبياءُ صلواتُ الله عليهم، والمرسلون[٣] منهم أكمل في ذلك[٤].

وأُولُوا العزم من الرُّسل أكملُهم توحيداً[٥] وهم: **نوحٌ، وإبراهيمُ، وموسى، وعيسى، ومحمد،** صلى الله عليهم أجمعين.

وأكملهم توحيداً الخليلان: **محمدٌ وإبراهيمُ** صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً ومعرفة وحالاً ودعوةً للخلق وجهاداً، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودَعوا إليه، وجاهدوا الأممَ عليه ولهذا أمر سبحانه نبيَّه ﷺ أن يقتدي بهم فيه: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ الأنعام: ٩٠.

وكان ﷺ يُعلِّم أصحابَه إذا أصبحوا أن يقولوا: "أصبحنا على فِطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمدٍ، وملَّةِ أبينا إبراهيمَ حنيفاً مُسلماً وما كان مِنَ المشركين"[٦].

---

[١] هم العامة من المسلمين.

[٢] أي الإستدلال على وحدانية الله ﷻ.

[٣] الفرق بين النبي والرسول: أن النبي يُوحى إليه لكنه لم يؤمر بتبليغ الناس بما أوحي إليه. بينما الرسول يُوحى إليه ويرسل إلى أناس معينين ليبلغهم بما أوحي إليه، ولذلك قالوا: كل رسول نبي وليس العكس.

[٤] المرسلون هم أكمل إيماناً وتوحيداً، لأنهم الأكثر جهاداً وتضحية ومعاناة من أجل إظهار التوحيد وإبطال عبادة الطواغيت، فالمرء كلما كمل جهاده ونصره للتوحيد كلما كمل توحيده وإيمانه، وأعطاه الله القبول في الأرض وفي السماء. ومن يتأمل سير السَّلَف الصالح وسبب تفاوت مراتبهم يُدرك حقيقة ذلك.

[٥] فيه أن التوحيد يتفاضل بين الناس كالإيمان، وهذا يستدعي من طالبه أن لايقتنع بحد يقف عنده، فالمرء كلما كمل توحيده كلما كان أقرب في الإقتداء والتأسي بأولي العزم من الرسل وكان أحسن حالاً، وأسلم ديناً، وأرضى لله تعالى.

[٦] حديث صحيح، أخرجه أحمد، والدارمي، وابن السني.

-تفسير الحديث-

فملَّةُ إبراهيمَ: التوحيد، ودينُ محمدٍ ﷺ : ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً، وكلمةُ الإخلاص هي شهادَةُ أن لاإله إلا الله[١]، وفطرة الإسلام: هي ما فَطرَ عليه عباده من محبتهِ وعبادته وحده لاشريك له والاستسلام له عبوديَّةً وذُلاً وانقياداً وإنابة.

فهذا هو توحيد خاصَّة الخاصة[٢] الذي من رَغِبَ عنه، فهو من أسفه السفهاء، قال تعالى: ﴿**ومن يرغب عن ملَّة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لربِّ العالمين**﴾ البقرة: ١٣٠-١٣١.

-الاشتغالُ بأقوال أهلِ الكلام ومصطلحاتِهم، يُوقِعُ المرء في الشكوك والحيرة والضلال-

كُلُّ من له حسٌّ سليم، وعقل يُمَيِّز به، لايحتاج في الإستدلال[٣] إلى أوضاع أهل الكلام والجدَلِ واصطلاحهم وطُرقِهم البَتَّة، بل ربما يقع بسببها في شكوكٍ وشُبهٍ يحصلُ له بها الحَيرة والضلال والريبة، فإن التوحيدَ إنما ينفعُ إذا سَلِمَ قلبُ صاحبه من ذلك وهذا هو القلب السليم الذي لا يُفلِح إلا من أتى اللهَ به[٤].

قَولُهُ : " ولاشَيءَ مِثْلُهُ ".

---

[١] هذه الكلمة الطيبة تشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الله في أسمائه وصفاته، فمن أنقص منها شيئاً وقع في الشرك الذي لاينفع معه عمل، ولن ينفعه مجرد النطق بشهادة التوحيد.

[٢] المراد نبينا محمد، وإبراهيم عليهما أفضل الصلاة والسلام.

[٣] على توحيد الله.

[٤] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾، أي من الشرك والرياء ومن غبش البدع والأهواء.

ش: اتفق أهلُ السنة على أن اللهَ ليس كمثله شيءٌ لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وأن خصائصَ الربِّ تعالى لايُوصف بها شيءٌ من المخلوقات، ولا يُماثله شيء من المخلوقات في شيءٍ من صفاته: **﴿ليس كمثله شيءٌ﴾** الشورى: ١١، ردٌّ على الممثلة المشبِّهَةِ[١]، **﴿وهو السميعُ البصير﴾**، ردٌّ على النُفَاة المعطلة، فمن جعلَ صفات الخالقِ مثلَ صفات المخلوق فهو المُشبهِ المبطل المذمومِ، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالقِ[٢] فهو نظير النصارى في كفرهم[٣].

-تسميةُ العبدِ ووصفُه ببعض أسماءِ اللهِ تعالى وصفاتِه لا يبرر نفي صفات الله وأسمائه بدعوى التشبيه-

ويُراد به[٤] أنه لايثبت لله شيء من الصفات، فلا يُقال: له قدرةٌ، ولا علم، ولا حياة، لأنَّ العبدَ موصوف بهذه الصفات! ولازمُ هذا القول أنه لايُقال له: حيٌّ عليمٌ، قدير، لأنَّ العبدَ يُسمى بهذه الأسماء،! وكذا كلامه وسمعه، وبصره، ورؤيته وغير ذلك.

وهم[٥] يوافقون أهلَ السنة على أنه[٦] موجودٌ، عليم قديرٌ، حيٌّ، والمخلوق يُقال له: موجودٌ، حيٌّ، عليم، قدير، ولا يُقال هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل ولا يُخالف فيه عاقل فإن اللهَ سمَّى نفسَه بأسماءٍ وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى

---

(١) وهي رد أيضاً على طغاة الحكم الذين يدعون خصائص الحكم والتشريع والطاعة والإنقياد لذاتهم من دون الله، والتي تعتبر من خصوصيات الله تعالى وحده، وهي كذلك رد على كل من يدعي لنفسه أو لغيره شيئاً من خصائص الإلهية.

(٢) بحيث يُنسب إليه صفات الإلهية والربوبية وخصائصهما.

(٣) حيث نسبوا إلى عيسى وأمه مريم – عليهما السلام – وغيرهما خصائص الإلهية وعبدوهم من دون الله تعالى.

(٤) أي قول النفاة المعطلة.

(٥) أي النفاة المعطلة، الذين يتأولون صفات الله ﷻ.

(٦) أي الله ﷻ.

صفاته بأسماءٍ، وسمى ببعضها صفاتِ خلقهِ، وليس المُسَمَّى كالمُسَمَّى، فسمى نفسه: حياً، عليماً، قديراً، رؤوفاً، رحيماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، ملكاً، مؤمناً، جباراً، متكبراً. وقد سمى بعض عباده بهذه الأسماء، فقال : ﴿يُخرج الحيَّ من الميت﴾ الأنعام: ٩٥، وسورة الروم: ١٩. ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ الذاريات: ٢٨. ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ الصافات: ١٠١. ﴿بالمؤمنين رَءُوفٌ رحيم﴾ التوبة: ١٢٨. ﴿فجعلناهُ سميعاً بصيراً﴾ الدهر: ٢. ﴿قالت امرأة العزيز﴾ يوسف: ٥١. ﴿وكان وراءَهم ملك﴾ الكهف: ٧٩ . ﴿أفمن كان مؤمناً﴾ السجدة: ١٨. ﴿كذلك يطبع اللهُ على كل قلبِ متكبِّرٍ جبار﴾ المؤمن: ٣٥ . ومعلوم أنه لايماثل الحيُّ

الحيَّ ولا العليمُ العليمَ، ولا العزيزُ العزيزَ، وكذلك سائرُ الأسماء[1].

– اثباتُ صفات اللهِ لا يَستلزم التشبيهَ والتجسيم لمجرَّدِ إطلاق هذه الأسماء والصفات على العباد –

فقد سمّى اللهُ ورسُولهُ صِفاتِ الله علماً وقدرةً وقوةً، وقال تعالى : ﴿ثم جَعل من بعد ضَعفٍ قوَّةً﴾ الروم: ٥٤. ﴿وإنه لذو عِلمٍ لما عَلَّمناه﴾ يوسف: ٦٨. ومعلوم أنه ليس العِلمُ كالعلمِ، ولا القوَّةُ كالقوَّةِ، وهذا لازمٌ لجميعِ العقلاءِ، فإن من نفى صفةً من صفاته التي وصف اللهُ بها نفسَه كالرضا والغضبِ، والمحبة والبغض ونحو ذلك، وزعَمَ أن ذلك يستلزمُ التشبيهَ والتجسيم[2]! قيل له: فأنت تثبت له الإرادةَ والكلامَ والسمع والبصر، مع أن ما تُثبته له ليس مثل صفات المخلوقين، فقُلْ فيما نفيتَهُ وأثبتَهُ اللهُ ورسُوله مِثلَ قولك فيما أثبتَّهُ إذ لا فرق بينهما.

---

[1] كل اسم من أسماء الله الحسنى صفة من صفاته، وليس كل صفة من صفاته تعالى اسم من أسمائه الحسنى.

[2] بل يكون هو المشبه المجسم لأنه ما دفعه إلى هذا التعطيل إلا تشبيهه لصفات الله تعالى بصفات المخلوق، فوجد نفسه مضطراً لهذا التعطيل بحجة عدم الوقوع في التشبيه والتجسيم!!

فمن نفى ما اتفقا فيه - أي الخالق والمخلوق - كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مُشبِّهاً قائلاً للباطل. وذلك لأنهما وإن اتفقا في مُسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختصٌّ بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته والعبد لايُشركه في شيء من ذلك، والعبد أيضاً مختصٌّ بوجودهِ وعلمه وقدرته، والله تعالى منزَّهٌ عن مشاركة العبد في خصائصه.

وإذا اتفقنا في مُسمى الوجودِ والعلم والقُدْرةِ، فهذا المشتركُ مطلقٌ كُلِّي يوجد في الأذهان لا في الأعيان[١]. والموجود في الأعيان مختصٌ لا اشتراك فيه[٢]، وأصل الخطأ والغلط توهمهم أن هذه الأشياء العامة الكلية، يكون مُسمَّاها المطلق هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك، وهذه الأسماءُ إذا سُمِّيَ اللهُ بها، كان مُسمَّاها مُعيَّناً مختصاً به، فإذا سُمي بها العبدُ كان مُسَمَّاها مختصاً به، فوجودُ اللهِ وحياتُه لايشارِكُه فيها غيرُه، بل وجود هذا الموجود المعين لايشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق؟! ألا ترى أنك تقول: هذا، هو ذاك، فالمشارُ إليه واحد ولكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثلِه يتبيَّنُ لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى[٣]، وزادوا فيه على الحقِّ فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثَلة بوجه من الوجوه، وزادوا فيه على الحق حتى ضَلُّوا، وأن كتابَ الله دلَّ على الحقِّ المحض الذي تعقِلُه العقول السليمةُ الصحيحةُ، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه[٤].

قولُه: " ولا شيءَ يُعْجِزُهُ ".

ش: لكمالِ قدرته، قال تعالى: **﴿إن اللهَ على كلِّ شيءٍ قدير﴾** البقرة: ٢٠. **﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقتدراً﴾** الكهف: ٤٥. **﴿وما كان الله ليُعْجِزَه من شيء في**

---

[١] أي في الذوات؛ ذات الخالق ﷻ، وذات المخلوق.

[٢] أي الموجود في الذوات فهو خاص لا اشتراك فيه ولا تشابه.

[٣] وهو أن الإتفاق في الأسم لا يستلزم الإتفاق في الأعيان وحصول المشاركة.

[٤] وهو يكمن في إثبات أسماء الله تعالى وصفاته -وإن أطلق بعضها على المخلوق- من غير تشبيهٍ أو تعطيل أو جحود.

السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ فاطر: ٤٤. **﴿وسِعَ كُرسيُّهُ السماوات والأرض ولا يؤُدُه حِفظهما وهو العلي العظيم﴾** البقرة: ٢٥٥.

﴿ولا يؤده﴾ أي: لايثقله ولا يُعجزه فهذا النفي لثبوت كمال ضده.

-النفي في صفاتِ الله ، يأتي لثبوت ضده-

كل نفي يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب والسنة، إنما هو لثبوتِ كمالِ ضدِّهِ، كقوله تعالى: **﴿ولا يظلم ربُّكَ أحداً﴾** الكهف: ٤٩. لكمال عدله، **﴿لايَعزُبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض﴾** سبأ: ٣. لكمال علمه، **﴿وما مسنا من لُغوبٍ[١]﴾** ق: ٣٨. لكمال قدرته، **﴿لاتأخذه سِنَةٌ ولا نوم﴾** البقرة: ٢٢٥. لكمال حياته وقيُّوميته، **﴿لا تدركه الأبصار﴾** الأنعام: ١٠٣. لكمال جلاله وعظمته وكبريائه، وإلا فالنفي الصرفُ لا مدح فيه.

-منهج السلف الإثبات المفصَّل للصفات، والنفيُ المجمل-

ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً عكسَ طريقة أهل الكلام المذموم فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولا شبح، ولا جثة ولا صورة، ولا لحم، ولا دم ولا شخص، ولاجوهر[٢]، ولا عرض[٣]، ولا بذي لونٍ، ولا طعم ولا رائحة ولا مَجَسَّةٍ[٤]، ولا بذي حرارةٍ، ولا برودةٍ، ولا رطوبةٍ، ولا يبوسة ولا طول ولا عرض، ولا عمق ولا اجتماع، ولا افتراقٍ، ولا يتحركُ ولا يسكُنُ، وليس بذي جهةٍ، ولا بذي

---

[١] لغوب: الإعياء والتعب والنصب.

[٢] الجوهر: الأمر المعنوي الذي لايحس ولا يرى، ولا يخضع للقياس.

[٣] الظاهر المشرف، القابل للقياس.

[٤] أي لايجس ويلمس.

يمينٍ، ولا شمالٍ وأمامٍ وخلف وفوق[١] وتحت .. إلى آخر ما نقله أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى عن المعتزلة.

وفي هذه الجملة حقٌّ وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة. وهذا النفي المجرد مع كونه لا قدح فيه، فيه إساءةُ أدبٍ، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال، ولا حجَّامٍ، ولا حائكٍ لأدَّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجلُّ، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب[٢].

-التعبيرُ عن الحق بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة مذهبُ أهل السنَّة والجماعة-

والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية، هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطِّلَة يُعرِضون عمَّا قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده.

وأما أهلُ الحق والسنة والإيمان، فيجعلون ما قالَه اللهُ ورسُوله هو الحق الذي يجب اعتقادهُ واعتماده، والذي قاله هؤلاء إما أن يُعرضوا عنه إعراضاً جُمليّاً[٣]، أو يبينوا حالَه تفصيلاً، ويُحكم عليه بالكتاب والسنة، ولا يُحكم به على الكتاب والسنة.

---

[١] هذا يقتضي منهم أن يعبدوا عدماً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذا الكلام كما قال الشارح: فيه حق وباطل. والغرض من سرده بيان طريقة أَهْل الكلام في حديثهم عن الصفات نفياً وإثباتاً، وبيان الفرق بينهم وبين طريقة السَّلَف.

[٢] إذا كان هذا الإجمال في النفي يكون من مقتضيات أدب العبد مع العبد، فالله تعالى أولى في أن يُصرف له كمال التعظيم والأدب والتوقير والإجلال، والذي منه هذا الإجمال في النفي الذي يثبت في ضده صفة كمال لله ﷻ.

[٣] وهو الأفضل والأسلم، والأقرب إلى منهج السَّلَف.

وليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: " **ولا شيء يعجزه** " من النفي المذموم، فإن الله تعالى قال: ﴿**وما كان اللهُ ليُعجِزَهُ من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً**﴾ فاطر: ٤٤ . فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل إنتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة، فإن العجزَ ينشأُ إما من الضعف عن القيام بما يريده الفاعل، وإما من عدم علمه به، والله تعالى لايَعزُبُ عنه مثقالُ ذرةٍ وهو على كل شيء قدير، وقد عُلِمَ ببدائه العقول والفطر كمال قدرته وعلمه، فانتفى العجزُ بما بينه وبين القدرة من التضاد، ولأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قولُه: "ولا إِله غَيْرُهُ".

ش: هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسلُ كُلُّهم، وإثباتُ التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي[١] والإثبات المقتضي للحصر[٢]، فإن الإثباتَ المجرد قد يتطرق إليه الإحتمال

---

[١] أي نفي الإلهية عن غير الله ﷻ. ومنه تعلم أن من أتى بجانب الإثبات لشهادة التوحيد من دون جانب النفي المتضمن الكفر بالطواغيت، لايكون قد شهد أن لا إله إلا الله الشهادة التي تنجيه وتنفعه يوم القيامة.

[٢] أي إثبات الإلهية وحصر جميع معانيها وخصائصها بالله ﷻ من دون شريك. ومعنى (**لا إله إلا الله**)، أي لا معبود في الوجود بحق إلا الله تعالى. ولشهادة التوحيد شروط لايصح توحيد المرء إلا بها - دلت عليها نصوص الكتاب والسنة - لابدّ من استيفائها جميعاً لمن أراد أن ينتفع بها يوم القيامة، وهي شروط عشر، نجملها في النقاط التالية:

١- شرط النطق: حيث أن الإيمان لايصح ولايُقبل من صاحبه إلا بعد أن ينطق بشهادتي التوحيد: أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسُوله.

كما في الحديث، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ : "يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله"، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أباطالب أترغب عن ملّة عبد المطلب، فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب،

وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: "أما والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنه عنك"، فأنزل الله ﷻ: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قُربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾**.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: "قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة"، قال: لولا أن تعيرني قريش يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك! فأنزل الله : **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**.

وفي الحديث المتفق عليه، قال رسُول الله ﷺ: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسُول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهم على الله".

قال النووي في الشرح (٢١٢/١): فيه أنَّ الإيمان شرطه الإقرار بالشهادتين مع اعتقادهما واعتقاد جميع ما أتى به رسُول الله ﷺ. ا هـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٦٠٩/٧): الشهادتان إذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافرٌ باتفاق المسلمين، وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها ا – هـ.

٢- شرط الكفر بالطاغوت: إذ لا يصح الإيمان إلا بعد الكفر بالطاغوت: وهو كل ما يعبد –ولو في مجال من مجالات العبادة– من دون الله تعالى.

وهو المراد من قوله تعالى: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾** البقرة: ٢٥٦ . والعروة الوثقى كما قال أهل العلم والتفسير هي " **لا إله إلا الله** ".

مفهوم الآية الذي دلّ عليه منطوق النصوص الشرعية أن من آمن بالله لكنه لم يكفر بالطاغوت لايكون قد استمسك بالعروة الوثقى، ولا شهد أن لا إله إلا الله الشهادة التي تنفعه أو تنجيه.

وهذا يوضحه قوله ﷺ في صحيح مسلم: "من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله".

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فقوله: "وكفر بما يعبد من دون الله" تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد لم يعصم دمه وماله ا-هـ (مجموعة التوحيد: ٣٥).

قلت: وكونه مهدور الدم والمال، فإنه يدل أن شهادة أن لا إله إلا الله ما نفعته مع عدم الكفر بالطاغوت، لأن مثله مثل من يقول بالشيء وضده في آن معاً، وبالتوحيد والشرك.. !!

والكفر بالطاغوت -المنجي لصاحبه- له صفات وأحوال وعلامات لايتحقق الكفر بالطاغوت إلا بعد استيفائها والقيام بها، أما دعوى الكفر بالطاغوت بحركة اللسان ثم يتبع ذلك ما يضاده من استحسان وموالاة وركون للطواغيت، فهو زعم بلا حقيقة أو برهان، ويكذبه واقع الحال والعمل.

٣- شرط العلم: لقوله تعالى: **﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾** محمد: ١٩ . ولقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه مسلم: " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ".

مفهوم الحديث أن من مات وهو لايعلم أنه لا إله إلا الله لايدخل الجنة وإن كان يتلفظ بها في لسانه وعلى عدد حبات مسبحته؛ لأن الجهل بالشيء من لوازمه عدم اعتقاده في القلب، وعدم اعتقاده التوحيد كفر بلا خلاف.

ثم كم هؤلاء الذين يصرحون بشهادة أن لا إله إلا الله في لسانهم ويفسرونها أن لا خالق ولا رازق ولا ضار إلا الله لذلك لا غرابة لو رأيتهم -مع نطقهم لشهادة أن لا إله إلا الله- يعبدون غير الله تعالى في الطلب والدعاء والنذر والتحاكم والطاعة وغير ذلك من مجالات العبادة، ثم لا يرون في ذلك تعارضاً مع نطقهم لشهادة التوحيد !!.

فمثل هذا لا ينفعه مجرد النطق لشهادة التوحيد وهو يجهل متطلباتها ولوازمها ونواقضها، ويفسرها التفسير المطابق لتفسير وتوحيد كفار قريش.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : دين النبي ﷺ التوحيد؛ وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسُول الله، والعمل بمقتضاها، فإن قيل: كل الناس يقولونها: قيل: منهم من يقولها ويحسب معناها أنه لا يخلق إلا الله ولا يرزق إلا الله وأشباه ذلك، ومنهم لايفهم معناها، ومنهم من لا يعمل بمقتضاها، ومنهم من لايعقل حقيقتها.وأعجب من ذلك من عرفها من

وجه وعاداها وأهلها من وجه ! وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها !! يا سبحان الله العظيم أتكون طائفتان مختلفتين في دين واحد وكلهم على الحق؟! كلا والله، فماذا بعد الحق إلا الضلال ا-هـ (الرسائل الشخصية: ١٨٢).

٤- **شرط الصدق والإخلاص**: لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه البخاري: "ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسُول الله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار".

ولقوله: "أبشروا، وبشروا من وراءكم، أنه من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة".

مفهوم الحديث أن من يشهد أن لا إله إلا الله كذباً ونفاقاً، لاستقطاب الجماهير وإقناعهم به كزعيم، أو لركوب موجة التديّن تضليلاً للناس عن حقيقته ونفاقه وكفره، كما هو شأن كثير من طواغيت الحكم حيث تراهم يتظاهرون بشيء من التديّن ويصرحون بالشهادتين سياسةً وتكتيكاً لتضليل شعوبهم وتمرير كفرهم على الناس..

فمن كان كذلك فإن مفهوم الحديث يقتضي أنه لا يدخل الجنة، بل هو من المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار.

٥- **شرط انتفاء الشك**: لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه مسلم: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسُول الله، لايلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة".

مفهوم الحديث أن من لقي الله بشهادتي التوحيد وهو شاك فيهما أو بشيء من لوازمهما ومقتضياتهما لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها الذين يشهدون الحق بحق.

٦- **شرط حصول اليقين**: وهو الذي ينتفي معه أدنى ريب في أن الله واحد أحد في خصائصه وإلهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، لا شريك له في شيء من ذلك.

لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه مسلم: "من يشهد أن لا إله إلاَّ الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة".

مفهوم الحديث أن من يشهد أن لا إله إلاَّ الله وهو غير مستيقن بها وبمدلولاتها ومتطلباتها لا يبشر بالجنة فضلاً أن يكون من أهلها.

٧- **شرط الحب**: حيث لايصح إيمان، ولا ينفع توحيد إلاَّ بعد أن يكون الله ورسُوله أحب إليه مما سواهما، قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ البقرة: ١٦٥ .

وقال تعالى: ﴿**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسُوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾ التوبة: ٢٤ .

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/١٠٠): فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسُوله، أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه، أو معاملة أحدهم على معاملة الله، فهو ممن ليس الله ورسُوله أحب إليه مما سواهما **وإن قاله بلسانه فهو كذب منه**، وإخبار بخلاف ماهو عليه،**وكذلك من قدَّم حكم أحد على حكم الله ورسُوله**، فذلك المقدَّم عنده أحب إليه من الله ورسُوله ا-هـ.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين".

قال أبو سليمان الخطابي في شرحه للحديث: فمعناه لا تصدق في حبي حتى تُفني في طاعتي نَفْسَك، وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك ا-هـ (شرح صحيح مسلم: ١٥/٣).

قلت: ومصداق ذلك في كتاب الله، قوله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ آل عمران: ٣١ . فانتفاء المتابعة دليل على انتفاء الحب، وعلى قدر الانقياد والمتابعة يكون الحب في القلب، ومن زعم الحب من غير متابعة فهو كذاب أشر بدلالة النص.

وكذلك فإن انتفاء الحب وحصول ضده من الكره لما أنزل الله، هو من نواقض الإيمان وداعٍ لحبوط جميع الأعمال الظاهرة والباطنة، كما قال تعالى: ﴿**والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم. ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾ محمد: ٨-٩ .

فعلل كفرهم وحبوط أعمالهم بأنهم كرهوا ما أنزل الله، وأعظم ما أنزل الله شهادة التوحيد أن لا إله إلا الله، فمن كرهها أو عاداها، أو عادى أهلها ووالى أعداءها، فهو من الكافرين الذين كرهوا ما أنزل الله، ولا ينفعه حينئذ مجرد النطق أو التلفظ بلا إله إلا الله.

٨- **شرط الرضى والتسليم والانقياد التام:** لقوله تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** النساء: ٦٥ . وقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسُوله واتقوا الله إن الله سميع عليم. يـأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾** الحجرات: ١-٢ . وقوله تعالى: **﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسُوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** الأحزاب: ٣٦ . وقوله تعالى: **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾** النور: ٦٣ .

وقد فسر الإمام أحمد وغيره من أهل العلم الفتنة بالشرك، قال تعالى: **﴿والفتنة أكبر من القتل﴾** أي الشرك والكفر.

ومنه يعلم أن من يتلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله لكنه لا يرضاها منهجاً لحياته، ولا يسلم وينقاد لها ولمعانيها، فهو ليس ممن يشهدون أن لا إله إلا الله الشهادة التي تنفعهم يوم القيامة.

٩- **شرط العمل بها وبلوازمها:** فيعمل بالتوحيد ويجتنب الشرك في الظاهر والباطن، وهو المراد من قوله تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾** البينة: ٥ . وقوله تعلى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** الذاريات: ٥٦ .

فمن أبطل العمل بالتوحيد كشرط لصحته، فقد أبطل الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسُول إلاَّ نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** الأنبياء: ٢٥ . وقال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** النحل: ٣٦ .

فالآيات تفيد حصر غايات الرسل والرسالات في هذا الأصل العظيم ﴿**أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾، وكأن ليس لهم مهمة سوى تحقيق ذلك، كما قال الصحابي ربعي بن عامر لطاغوت فارس وملكها: لقد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وبالتالي فإننا نقول: من اكتفى بمجرد النطق بشهادة التوحيد من غير عمل بمضمونها ومتطلباتها، وهو في واقع حياته وعمله لم يعبد الله قط، ولم يقل يوماً ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين، ولم يجتنب الطواغيت وعبادتها وموالاتها، فهو كافر مشرك، ومناقض ومكذب لشهادة أن لا إله إلا الله التي يتلفظ بها.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: لاخلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختلف شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، **فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند** كفرعون وإبليس وأمثالهما ا-هـ.

١٠- شرط الموافاة عليها: فمن مات وهو على ضدها من الشرك، لم تنفعه شهادة أن لا إله إلا الله التي كان يتلفظ بها طيلة حياته، لقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه: "ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة".

مفهوم الحديث أن من قال لا إله إلا الله، لكنه لم يمت عليها ومات وهو على ضدها لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها. ولأن العبرة بالخواتيم وبما يختم به على المرء كما دلت على ذلك نصوص الشريعة، نسأل الله تعالى الثبات وحسن الختام.

قال تعالى: ﴿**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ البقرة: ٢١٧ .

وعليه فإننا نقول: **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبدُ من دون الله، وكان عالماً بشهادة التوحيد ومتطلباتها، وصادقاً مخلصاً بها، ومستيقناً غير شاك فيها، ومحباً لها ولأهلها، وعاملاً بها وبمقتضياتها، ثم بعد كل ذلك مات عليها، إلا أدخله الله الجنة، هذا ما يقتضيه التوفيق ومبدأ الأخذ بجميع النصوص ذات العلاقة بالمسألة.**

ولهذا لما قال تعالى: ﴿**وإلهكم إله واحد**﴾ قال بعده: ﴿**لا إله إلا هو الرحمنُ الرحيم**﴾ البقرة: ١٦٣ . فإنه قد يخطر ببال أحد خاطرٌ شيطاني: هب أن إلهنا واحدٌ، فلغيرنا إله غيرهُ، فقال تعالى: ﴿**لا إله إلا هو**﴾.

قولُه: "قديمٌ بلا ابتداءٍ، دائمٌ بلا انتهاءٍ".

ش: قال الله تعالى: ﴿**هو الأوَّل والآخر**﴾ الحديد: ٣. وقال ﷺ: "اللهم أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخِرُ فليس بَعدَك شيء"[١].

فقول الشيخ رحمه الله: قديمٌ بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، هو معنى اسمه الأول والآخر.

والعلم بثبوت هذين الوصفين مستقرٌ في الفطر، فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى واجبِ الوجود لذاته، قطعاً للتسلسلِ.

–اسم القديم ليس من أسماء الله الحُسنى–

أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى (**القديم**)، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن (**القديم**) في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا فيما لم يسبِقْهُ عدَمٌ.

فإن عرفت ذلك فلك أن تعجب من قول ذلك الرجل –الذي عُرف بقلة الأمانة العلمية وكثرة كذبه على أَهْل العلم– في مقدمته على كتاب (التحذير من فتنة التكفير!): (فإننا لا نعلم اليوم في دنيا النَّاس –من حيث الواقع– حاكماً منتسباً إلى الإسلام، ويدعي الحكم بالإسلام –وإن خالفه في كثير أو قليل– إلاَّ وهو يُطبق قدْراً ما؛ كالأركان الخمسة –والتي منها شهادة التوحيد –في الإذن بها، والإشادة بذكرها، وعدم المنع لها، وكأحكام النكاح والطلاق والمواريث، وغير ذلك من أحكام شرعيةٍ ..) ا–هـ.

فتأمل التضليل والكذب؛ فطواغيت الحكم –المنتسبين إلى الإسلام– كلهم يطبقون في حياتهم وحياة شعوبهم التوحيد، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة..!!.

[١] أخرجه مسلم.

قال تعالى: ﴿**حتى عادَ كالعرجونِ القديم**﴾ يس: ٣٩.والعرجون القديم: الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم وقال تعالى: ﴿**أفرءَيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدَمُون**﴾ الشعراء: ٧٥-٧٦. فالأقدم مبالغة في القديم.

والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلِّها[١]، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه (**الأوَّل**) وهو أحسن من القديم، لأنه يُشعر بأنَّ ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف (القديم)، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحَسَنَة.

قولُه: "لايَفْنَىَ ولا يَبيدُ".

ش: إقرار بدوام بقائه سبحانه وتعالى ، قال عَزَّ من قائل: ﴿**كل مَن عليها فان ويبقى وجهُ ربك ذُو الجلالِ والإِكرام**﴾ الرحمن: ٢٦-٢٧ . والفناء والبيدُ متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذِّكْرِ للتأكيد.

قولُه: "ولا يكونُ إلاَّ ما يُريدُ" .

ش: هذا ردٌّ لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم زعموا أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أرادَ الكفرَ[٢]، وقولُهم فاسدٌ مردود لمخالفته الكتاب والسُّنَّة، والمعقولَ الصحيح.

---

[١] أي لو أطلقت كلمة (التقدم أو القديم) فهي لا تعني ولا تستلزم التقدم على جميع الحوادث والمخلوقات، لذلك كره السَّلَف استخدامها كاسم من أسماء الله الحسنى. قال الشيخ ابن باز: قوله "قديم بلا ابتداء". هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح رحمه الله وغيره، وإنما ذكره كثير من علماء الكلام ليثبتوا به وجوده قبل كل شيء، وأسماء الله توقيفية لا يجوز إثبات شيء منها إلا بالنص من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة، ولا يجوز إثبات شيء منها بالرأي كما نص على ذلك أئمة السَّلَف الصالح ا-هـ.

[٢] أي أن الكافر -بزعمهم- أراد شيئاً لا يريده الله ولم يقدره عليه، فاستدلوا بقولهم الفاسد هذا على جحود القدر، وقالوا: إن الإنسان هو خالق فعله ! وهذا القول منهم يقتضي أن للإنسان سلطة خارجة عن سلطة الله وإرادته وعلمه، إذْ أنه يفعل ما لا يريده الله ولا يحيط به علماً من قبل، وهذا كفر لما فيه من وصف الله تعالى بالعجز والنقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وسمُّوا قدريَّةً لإنكارهم القدَرَ[1]، وكذلك تُسمى الجبرية[2]المحتجون بالقدر قدريةً أيضاً، والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

-عقيدةُ أهْلِ السنَّة في القدَر-

أما أهْلُ السُّنَّة فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدَراً[3]، فهو لا يُحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضُها، ويسخطُها، ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السَّلَف قاطبةً، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشَأْ لم يكن.

والمحققون من أهل السُّنَّة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادةٌ قدريَّةٌ كونية خلقيَّة[4]، وإرادة دينية أمريَّة شرعية[5].

---

[1] أي إنكارهم بأن أفعال العباد قد خلقها الله، وهي مكتوبة عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يُخلقوا، وأن ما كتبه الله وقدّره كائن لا محال.

[2] الذين يقولون: إن الإنسان مسلوب الإرادة، وأنه مجبور على كل ما قدّره الله، ولا مجال له للإختيار، وهذا أيضاً باطل.

[3] أي أن المعاصي هي من جملة ما كتبه الله وقدره وأراده أن يكون.

[4] هذه الإرادة القدرية لا تتخلف وهي واقعة شاء الإنسان أم أبى، كمولده، وصفاته الخلقية، وماذا يحصل له غداً، وساعة موته، وأين يموت .. فهذا النوع من القدر واقع لا محال وليس للإنسان إختيار في قبوله أو رده. وعلى العموم فإن كل أمر يجري على الإنسان لا إختيار له فيه فهو يعتبر من الإرادة القدرية الكونية التي لا تتخلف أبداً، وهذا الجانب لا يُحاسب عليه المرء، وهو المراد من قوله ﷺ: "وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك". أما ما يخضع للإرادة الكونية في جانب الهداية والضلال فإن الجزاء والحساب يجرى عليه.

[5] هذا النوع من الإرادة، قضت حكمة الله تعالى أن تتخلف أحياناً ولكن بإذنه وعلمه وإرادته، فالله تعالى يريد لعباده اليسر، والإيمان والهدى، ويريد منهم أن يجتنبوا المعاصي والمحرمات ويقوموا بالواجبات والطاعات، والإنسان مخيّر في ذلك وهو محاسب ومسؤول عن اختياره، سواء اختار الخير والإيمان أو اختار الشر والكفر. ولكن رغم أن الإنسان هومخير في هذا الجانب من القدر إلا أن خيرته تقع بإذن الله وعلمه وإرادته، وليس جبراً عن الله كما يقول القدرية والمعتزلة قاتلهم الله

-الإرادة الشرعيَّة والكونية-

الإرادة الشرعية: هي المتضمنةُ للمحبة والرضى.

والكونية: هي المشيئةُ الشامِلَةُ لجميع الحوادث، وهذا كقوله: **﴿فمن يُرد اللهُ أن يهدِيَه يشرح صدرَهُ للإِسلام ومن يرد أن يُضلَّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يَصَّعَّدُ في السماء﴾** الأنعام: ١٢٥ . وقوله تعالى عن نوح: **﴿ولا ينفعكم نُصحي إن أردتُّ أن أنصحَ لكم إن كان الله يريد أن يغويَكُم﴾** هود: ٣٤ . وقوله تعالى: **﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾** البقرة: ٢٥٣ .

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: **﴿يريدُ الله بكم اليسر ولا يريد بكم العُسْرَ﴾** البقرة: ١٨٥ . **﴿يريد الله ليبيِّن لكم ويهديكم سُنَنَ الذين من قبلكم ويتوبَ عليكم والله عليم حكيم﴾** النساء: ٢٦ . **﴿والله يريدُ أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً. يريدُ اللهُ أن يُخفِّفَ عنكم وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً﴾** النساء: ٢٧-٢٨ .

فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس بمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يأمر به. وأما الإرادة الكونية، فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكُنْ[1].

أنى يؤفكون. فلو شاء الله غير ما يشاء العباد، فلن يكون إلا ما شاء الله ﷻ، كما قال تعالى: **﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾**.

ومنه يُعلم أن الإنسان أحياناً يكون مسيراً، وأحياناً يكون مخيراً، وأن الجزاء والحساب يكون على الجانب الإختياري وليس الجانب الآخر، فإن اختار الخير فهذا ما يريده الله ويرضاه ويُحبه، وإن اختار الشر فيكون قد اختار ما يبغضه الله ومالا يحبه ويرضاه، وكلا الاختيارين يجب أن نسلم أنهما وقعا بإذن الله وعلمه وإرادته مع التفريق بين ما يحب الله وما لا يحب.

[1] وفي قوله تعالى: **﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾** البقرة: ١١٧ . وقوله: **﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾** يس: ٨٢ .

قولُه: " لاتَبْلُغُه الأوهامُ، ولا تُدرِكُه الأَفْهَامُ" .

ش: قال الله تعالى: **﴿ولا يُحيطون به علماً﴾** طه: ١١٠ . قال في (الصحاح): توهمت الشيء: ظننتُه، وفَهِمتُ الشيءَ: علمتَه. فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لا ينتهي إليه وهمٌ، ولا

أقول: لعقيدة القضاء والقدر غايتان عظيمتان لا ينبغي للمرء أن يسهو عنهما وهو في غمار الجدال مع الفرق الضالة، **أولهما** تتعلق بذات الله سبحانه وبصفاته العظيمة التي يستحقها من غير أن يشركه فيها أحد من خلقه، فعقيدة القضاء والقدر تعني أن ما من شيء في هذا الكون الفسيح –مهما دقَّ أو كبر– إلا بقدر، وتعني أن الله قادر على كل شيء وأنه تعالى قاهر لعباده على ما يريد ويشاء، وتعني أنه لايُسبق في شيء ولا يكون في سلطانه ومملكته إلا ما يريد وهذا من تمام وكمال ربوبيته وإلهيته وعظمته وجبروته.

فعقيدة القضاء والقدر من هذا الجانب إثبات لما يستحقه الله تعالى من صفات الكمال، وما يستحقه من التعظيم والتوقير والإجلال والتنزيه لجلال أسمائه وكمال صفاته ﷻ.

أما الغاية الثانية، فهي تتعلق بالعبد ذاته، إذ أن من ثمار عقيدة القضاء والقدر أن تهب المرء الأمن والإطمئنان، والرضى والقناعة والزهد بما في أيدي الناس، والتفسير الصحيح لكل ما يحدث له أو حوله من غير خوف أو جزع أو قلق أو انتحار ...

فعلام الخوف والجزع، والضرُّ كله بيد الله تعالى لا يصيبك – ياعبد الله– شيء منه ولو اجتمع على ذلك جميع الإنس والجن إلا ما شاء الله وأراد أن يصيبك به ..؟! فعلام القلق على العيش والإستشراف بما في أيدي الناس، والخير كله بيد الله تعالى لايصيبك منه شيء إلا بإذن الله وإرادته .. ؟!

ثم علام القنوط والأسى الشديد على نزول المصاب أو فقدان العزيز، وأنت تعلم أن خيرة الله لك هي خير من خيرتك لنفسك كما في الحديث: "ولو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع" .. ؟!

هذا كله يستلزم من العبد أن يزداد حباً وتعلقاً وانقياداً لخالقه، وأن لا يخشى إلا الله ولا يقصد إلا الله، ولا يرجو إلا الله، فلله وحده الأمر من قبل ومن بعد، بيده الخير والضر، والهدى والضلال، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويعزّ من يشاء ويذل من يشاء.

يُحيط به علم، والله تعالى لايعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى[١]، وإنما نعرفُه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحدٌ، صَمَدٌ لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كُفُواً أحد.

قولُه: "ولا يُشْبهُهُ الأنامُ" .

ش: هذا رد لقول المشبّهَةِ الذين يُشبهون الخالقَ بالمخلوقِ[٢]، سبحانه وتعالى، قال تعالى: **﴿ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير﴾** الشورى: ١١ ، وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع.

-أقوالُ أهلِ العلم في المشبِّهةِ، وفيمن يجحد الصفات بحجة عدم الوقوعِ في التشبيه-

فمن كلام أبي حنيفة رحمه الله في (الفقه الأكبر): لا يُشبه شيئاً من خلقه، ولا يُشبهه شيءٌ من خلقه، ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلُّها خلافَ صفات المخلوقين، يعلمُ لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا.

---

[١] وما دام المرء مهما حاول لا يحيط بماهية الله تعالى وكيفية صفاته علماً، فمن التهلكة وعدم السلامة أن يكلف نفسه عناء البحث والتأمل في هذا الجانب من الغيب، الذي لا يعلمه أحد إلا الله ﷻ. ومن يتأمل سبب هلاك وضلال المتفلسفة والمتكلمة يجد ذلك في انشغالهم في كيفية ذات الله وصفاته وبما هو ليس من خصوصياتهم، وفوق طاقتهم وإمكانياتهم.

[٢] وهو رد أيضاً على من يشبه المخلوق -أيّاً كانت صفته بشراً كان أم حجراً- بصفات وخصائص الخالق ﷻ، الذين يشركون مع الله في العبودية، حيث ينسبون للمخلوق ما يستحقه الله ﷻ من خصائص الإلهية، فيطيعون هذا المخلوق لذاته، ويجعلون أمره وحكمه فوق التعقيب أو المساءلة، وهم كذلك يعقدون الولاء والبراء عليه، فيوالون ويعادون فيه .. وغير ذلك من الخصائص التي تُعتبر من ضروب تشبيه المخلوق بالخالق ﷻ في أخص خصائصه، وهذا النوع من الشرك رغم استفحاله وانتشاره بين الناس قلَّ من ينتبه أو يشير إليه.

وقال نُعيم بن حمَّاد[1]: من شبَّه اللهَ بشيء من خلقه فقد كَفَر، ومن أنكر ما وصف اللهُ به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف اللهُ به نفسه ولا رسولُه تشبيهٌ.

وقال إسحاق بن راهَوَيه[2]: من وصفَ اللهَ، فشبه صفاته بصفات أحدٍ من خلق الله فهو كافرٌ بالله العظيم. وقال: علامة جهم وأصحابه: دعواهم على أهل السُّنَّة والجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مُشَبِّهة[3]، بل هم المعطِّلَةِ.

وكذلك قال خلق كثير من أئِمة السَّلَف: علامة الجهميَّة تسميتُهم أهلَ السُّنَّة مُشبهة، فإنه ما من أحد من نُفاة شيء من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبتَ لها مُشبِّهاً.

ولكن المشهورَ من استعمال هذا اللفظ عند علماءِ السُّنَّة المشهورين: أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبتَ الصفات، بل مُرادهم أنه لا يُشبه المخلوقَ في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة: أنه تعالى يعلمُ لا كعلمنا، ويقدِرُ لا كقُدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ . فنفى المِثْلَ وأثبتَ الوصفَ.

ونفيُ مشابهة شيءٍ من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبهه الأنامُ، والأنام: الناسُ، وقِيل: الخلق كلُّهم، وقيل:

---

[1] هو نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، أبو عبد الله، أول من جمع المسند في الحديث، كان من أعلم الناس بالفرائض، أقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، مات سنة ثمان وعشرين ومائتين. انظر (سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٩٥).

[2] هو إسحاق بن إبراهيم التميمي المروزي أبو يعقوب، عالم خراسان في عصره، قال فيه الخطيب البغدادي: اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد. روى عنه البخارى ومسلم والترمذي وغيرهم.

وقال الإمام أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يُخالف بعضهم بعضاً. انظر (سير أعلام النبلاء: ١١/٣٥٨-٣٨٣).

[3] ومن علامتهم أيضاً وصفهم لأهل السُّنَّة والتوحيد بأنهم في الإيمان والوعد والوعيد خوارج وغلاة.

كلَّ ذي روحٍ، وقيل الثقلان، وظاهرُ قوله تعالى: ﴿**والأرض وضعها للأنام**﴾ الرحمن: ١٠ . يشهد للأول أكثر من الباقي[١]. والله أعلم.

قولُه: "حِيٌّ لا يموتُ، قَيُّوْم لا ينامُ" .

ش: قال تعالى: ﴿ **اللـهُ لا إِلـه إِلا هـو الحيُّ القيُّـومُ لا تأخـذُهُ سِنَـةٌ ولا نـوم**﴾ البقرة: ٢٥٥ . فنفيُ السِّنَةِ[٢] والنوم دليل على كمال حياته وقيوميَّتِه، وقال تعالى: ﴿**الم. اللهُ لا إله إلا هو الحيُّ القيوم. نزَّل عليك الكتابَ بالحق**﴾ آل عمران: ١-٣.

وقال تعالى: ﴿**وعنت الوجوه للحيّ القيوم**﴾ طه: ١١١ . ﴿**وتوكل على الحيِّ الذي لايموت وسبح بحمده**﴾ الفرقان: ٥٨ . ﴿**هو الحي لا إله إلا هو**﴾ غافر: ٦٥ . وقال ﷺ: "إن الله لاينام، ولا ينبغي له أن ينام"[٣] .

لمَّا نفى الشيخُ رحمه الله التشبيه، أشارَ إلى ما تقعُ به التفرقةُ بينَهُ وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حيٌّ لا يموت، لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون ومنه أنه قيومٌ لا ينامُ، إذ هو مُختصٌّ بعدم النوم والسِّنَة دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه ليس المرادُ به نفي الصفات، بل هو سبحانه موصوفٌ بصفات الكمال، لكمال ذاته.

-هذان الاسمانِ من أعظمِ أسماء اللهِ الحسنى-

واعلم أَنَّ هذين الاسمين، أعني: الحيَّ القيومَ، هما من أعظم أسماءِ اللهِ الحسنى، حتى قيل: إنَّهما الاسمُ الأعظم[٤]، فإنهما يتضمَّنا إثباتَ صفاتِ الكمال أكمل تضمّنٍ وأصدَقَهُ،

---

(١) كونه يشهد للأول لايفهم منه ولا يستلزم أن يكون غير الأنام من الخلق يشبه الله تعالى في شيء من صفاته.

(٢) السنة: النعاس، وهو النوم الخفيف.

(٣) رواه مسلم، وابن ماجه، والدارمي.

(٤) عن أنس أنه كان مع رسولِ الله ﷺ جالساً، ورجلٌ يُصلي، ثم دعا: اللهمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلاّ أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، ياحي ياقيوم. فقال

ويدلُّ القيومُ على معنى الأزلية والأبدية مالا يَدُلُّ عليه لفظُ القديم، ويدُلُّ أيضاً على كونه موجوداً بنفسه وهو معنى كونه واجبَ الوجود، والقيومُ أبلغُ من (القيَّام)، لأنَّ الواو أقوى من الألف، ويُفيدُ قيامَه بنفسه وإقامته لغيره وقيامه عليه، وهو يُفيدُ دوامَ قيامه وكمالَ قيامه، بما فيه من المبالغة، فهو سبحانه لا يزولُ ولا يأفكُ؛ فإنَّ الآفِكَ قد زال قطعاً، أي: لايغيبُ، ولا يَنْقُصُ، ولا يفنى، ولا يَعْدَمُ، بل هو الدائِمُ الباقي الذي لم يزَلْ ولا يزالُ موصوفاً بصفات الكمال.

واقترانُه بالحيّ، يستلزمُ سائر صفاتِ الكمال، ويدلُّ على بقائها ودوامها، وانتفاءِ النقصِ والعدَم عنها أزلاً وأبداً، ولهذا كانَ قولُه: ﴿**اللهُ لا إلهَ إلاَّ هوَ الحيُّ القيومُ**﴾، أعظمَ آية في القرآنِ، كما ثبتَ ذلك في الصحيحِ عن النبيّ ﷺ[1].

النبي ﷺ "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى". صحيح سنن أبي داود: ١٣٢٦ .

وعن أسماء بنت يزيد: أن النبي ﷺ قال: "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿**وإلهكم إلهٌ واحدٌ لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم**﴾ وفاتحة آل عمران: ﴿**الم. اللهُ لا إلهَ إلاّ هو الحيُّ القيومُ**﴾". صحيح سنن أبي داود: ١٣٢٧ .

وكان النبيُّ ﷺ، إذا حزبه أمرٌ قال: " يا حيُّ ياقيُّومُ برحمتِكَ أستغيثُ". صحيح الكلم الطيب: ١٠١ .

[1] رواه مسلم وغيره، وتمام الحديث، أنَّ النبيَّ ﷺ سأل أُبي بن كعب، فقال: "يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتابِ اللهِ معكَ أعظمُ ؟" قال: قلت: ﴿**الله لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيومُ**﴾، قال: فضربَ في صدري وقال: "واللهِ ليَهْنِكَ العِلْمُ ياأبا المنذر". أي ليسهل لك طلب العلم وفهمه.

ومعنى قوله تعالى: ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾، أي لا معبود بحق في الوجود إلا الله تعالى، الذي من أسمائه وصفاته أنه الحي القيوم، وفي الآية دلالة أن المستحق للعبادة هو الذي تتوفر فيه صفات الكمال كلها التي تنفي كل ما يضادها من صفات الضعف والنقص، والتي لأجلها يجب أن يُعبد، أما من يعتريه النقص والضعف ولا يتصف بصفات الكمال -وهو شأن كل مخلوق- لا يجوز أن يدعي الإلهية أو شيئاً من خصائصها، كما لا يجوز أن يُخص بالعبادة ولو في وجه أو مجال

فعلى هذين الإسمين مدَارُ الأسماء الحُسنى كُلِّها، وإليهما يرجِعُ معانيها، فإنَّ الحياةَ مستلزِمةٌ لجميعِ صفاتِ الكمالِ، فلا يتخلَّفُ عنها صِفَةٌ منها إلاَّ لِضعفِ الحياةِ، فإذا كانت حياتُه تعالى أكملَ حياة وأتمَّها، استلزَمَ إثباتها إثباتَ كل كمالٍ يُضادُّ نفيُه كمالَ الحياة. وأمَّا القيّومُ، فهو متضمّنٌ كمالَ غناه وكمالَ قُدرته، فإنَّهُ القائِمُ بنفسهِ، فلا يحتاجُ إلى غيرِهِ بوجهٍ من الوجوهِ، المقيمُ لغيرِهِ، فلا قِيامَ لغيرِهِ إلاَّ بإقامته.

قولُه: "خالِقٌ بِلاَ حاجَةٍ، رازِقٌ بِلا مؤُونَة".

ش: قال تعالى: ﴿**وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون**[١]. **ما أُريدُ منهم من رزقٍ وما أُريد أن يُطعمون إن اللهَ هو الرزَّاقُ ذُو القوَّة المتين**﴾ الذاريات: ٥٦-٥٨ . ﴿**يا أيها**

من مجالاتها، وعجباً لأناس كيف يضلوا عن عبادة الخالق العظيم الذي له الأسماء الحسنى، ويهتدوا إلى عبادة العبد المخلوق الضعيف الذي يموت وينتابه النقص والعجز من كل وجه ؟!!

[١] معنى قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون**﴾، أي أن الغاية من خلق الخلق، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب هو إفراد الله تعالى وحده بالعبادة دون أحد سواه، والآية تتضمن النفي البات التام، واستثناء يتبعه إثبات كامل، وهذا في اللغة يعتبر من أقوى صور الحصر والقصر، "ومعناهما النفي البات من جهة، والحصر الكامل من الجهة الأخرى، نفي أي غاية للوجود البشري غير عبادة الله، وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة الله" (مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب).

والعبادة تعني: التذلل والخضوع، والطاعة، والدينونة، ومنه الطريق المعبد إذا كان مذللاً بكثرة الوطء.

وشرعاً تعني كما يقول أَهْل العلم: فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وقالوا: فهي تتضمن كمال الخضوع والطاعة والانقياد مع كمال الحب لله تعالى؛ فمن أتى بالطاعة والانقياد لظاهر الشريعة من غير حب لله تعالى فهو منافق مبغض، ومن زعم حب الله تعالى من غير طاعة ولا انقياد لظاهر الشريعة فهو زنديق كذاب، يجب اجتنابه والحذر منه، كما قال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ آل عمران: ٣١.

الناسُ أنتم الفقراءُ إِلى الله، والله هو الغني الحميد﴾ فاطر: ١٥ . **﴿قل أغيرَ الله أتخذُ وليّاً فاطر السماوات والأرض وهو يُطعِمُ ولا يُطعَمُ﴾** الأنعام: ١٤ . قال ﷺ في الحديث القدسي: "ياعبادي لو أنَّ أولَكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المِخْيَطُ[١]إذا أُدخِلَ البحرَ[٢]"[٣].

وقولُه: بِلا مؤونةٍ: بلا ثِقَلٍ و لا كُلْفَةٍ.

قولُه: " مُميتٌ بِلا مخافةٍ، باعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ " .

قال ابن كثير: هذه الآية حاكمة على من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ا- هـ.

وبالتالي فإنَّ العبد عندما يُطالَب بعبادة الله تعالى وحده، فهو يُراد منه هذا المعنى العام الشامل للعبادة: عبادته تعالى وحده في الركوع والسجود والخضوع، وعبادته وحده في الصوم والحج والنذر والنسك، وعبادته في الحب والكره والموالاة والمعاداة، وفي الجهاد والتضحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادته وحده في الخشية والتوكل، وغيرها من الأمور الواجبة والمستحبة شرعاً، والتي تتخلل جميع حياة الإنسان، كما قال تعالى: **﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾** الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

[١] تقديره: ينقص المخيط ماءَ البحر إذا أدخل فيه.

[٢] أقول: إله هذه هي قدرته وصفاته، وهذا هو ملكه واستغناؤه، لجديرٌ بأن يُعبد وحده، ولا يشرك به شيئاً.

[٣] رواه مسلم، وأحمد.

ش: الموتُ صفةٌ وجوديَّةٌ، قال تعالى: **﴿الذي خلقَ الموتَ والحياةَ ليبلوكم أيكم أحسنُ عملاً﴾** الملك: ٢. والعدم لا يُوصف بكونه مخلوقاً، وفي الحديث: " إنه يُؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كَبْشٍ أملحٍ، فيُذبح بين الجنة والنار"(١)، وهو وإن كان عرَضاً فالله تعالى يقلبه عيناً(٢).

قولُه: " ما زال بصفاته قديماً(٣) قبل خلقه ولم يزدَدْ بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صِفَته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أبدياً " .

ش: أي أن اللهَ سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات، وصفات الفعل، ولا يجوز أن يعتقد أن الله وُصِفَ بصفةٍ بعد أن لم يكن متصفاً بها. لأن صفاته سبحانه صفاتُ كمال، وفقدها صِفةُ نقصٍ، ولا يجوز أن يكون قد حصلَ له الكمال بعد أن كان متصفاً بضِدّه.

-مباشرة اللهِ عز وجل لفعل في وقتٍ دون وقت، لايستلزمُ بحال أن اللهَ لم يكنْ متصفاً بهذا الفعل قبل فعله-

هذه الأحوال: صفات الفعل، والصفات الإختياريّة، كالخلق، والتصوير، والإحياء، والإماتة، والقبضِ، والبسط، والإستواء، والإتيان، والمجيء، والنزول، والغضب، ونحو ذلك مما وصف به نفسُه ووصفه به رسولُه، وإن كانت تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث

---

(١) متفق عليه. والحديث فيه دلالة على الحياة الأبدية يوم القيامة، حيث حياة لا يتبعها موت، فهنيئاً لمن كانت حياته الأبدية في الجنان يتنعم بخيراتها، وخاب وخسر من آلت حياته الأبدية إلى جهنم تتلمظه حيَّاتها...

(٢) أي جسماً يُدرك بالحواس كصورة الكبش الحقيقي.

(٣) قد تقدم أن اسم "القديم" لايصح ولم يثبت بالدليل الشرعي أنه اسم من أسماء الله الحسنى، وأنه كذلك لا يفيد الكمال كاسم "الأول" الثابت في النصوص الشرعية، وهو من إطلاقات أهل الكلام ومصطلحاتهم.

الشفاعة: "إن ربي غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغضب قبلَهُ مثله، ولن يغضب بعده مثله"[١]. هذا الحدوث بهذا الإعتبار غير مُمتنع، ولا يُطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكُن، ألا ترى أن من تكلم اليومَ وكان مُتكلماً بالأمس لا يُقال: إنه حدث له الكلامُ، ولو كان غير متكلم -لآفةٍ كالصغر والخرس- ثم تكلم، يُقال: حدثَ له الكلامُ، فالساكتُ لغير آفةٍ يُسمَّى متكلماً بالقوة، بمعنى أنه يتكلمُ إذا شاءَ. وفي حال تكلمه يُسمى متكلماً بالفعل، وكذلك الكاتب في حال الكتابة هو كاتب بالفعلِ، ولا يخْرُجُ عن كونه كاتباً في حال عدم مباشرته للكتابة[٢].

-هل الصفةُ زائدةٌ على الذاتِ أم لا؟-

كان أئمةُ السُّنَّة رحمهم الله تعالى لا يُطلِقون على صفات الله وكلامه أنه غيره، ولا أنه ليس غيرُه، لأن إطلاقَ الإثبات[٣] قد يُشعِرُ أن ذلك مباينٌ له، وإطلاق النفي قد يُشعر بأنه هو هو[٤].

ولفظ (الغير) فيه إجمالٌ، فلا يُطلق إلا مع البيان والتفصيل، فإن أُريدَ به أن هناك ذاتاً مجردةً منفصلةً عن الصفات الزائدة عليها، فهذا حقٌّ، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذاتُ الموصوفةُ بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصلُ عنها.

وقد يقول بعضُهم: الصفة لا عينْ الموصوف ولا غيرُه. وهذا له معنى صحيح، وهو: أن الصفةَ ليست عينَ ذاتِ الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحدٌ غير مُتعدِّد.

-الفرق بين الصفاتُ غيرُ الذات وبين صفاتُ الله غيرُ الله-

---

[١] متفق عليه.

[٢] جاء في الحديث الصحيح أن الله تعالى أول ما خلق القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فكون القلم أول خلق خلقه الله تعالى لا يستلزم أن الله قبل خلقه للقلم لم يكن خالقاً، بل كان خالقاً يخلق ما يشاء لو شاء ولكن قضت حكمته وشاءت أن لا يخلق شيئاً قبل القلم.

[٣] أي إثبات أن الصفات غير الله تعالى.

[٤] أي أن الصفات هي نفسها ذات الله تعالى.

والتحقيق أن يُفرَّق بين قول القائل: الصفاتُ غيرُ الذات وبين قولِه: صفاتُ اللهِ غيرُ الله، فإن الثاني باطلٌ، لأن مسمَّى الله يَدخل فيه صفاتُه بخلاف مسمى الذات، فإنه لايدخل فيه الصفات. ولهذا قال الشيخ رحمه الله: "لا زال بصفات" ولم يقل لازال وصفاته[١]، لأن العطف يؤذنُ بالمغايرة[٢]. وكذلك قال الإمام أحمد في مناظرته الجهمية، لانقول: الله وعلمه، الله وقدرته، الله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد سبحانه وتعالى.

فإذا قلت: أعوذ بالله، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدس الثابتة التي لاتقبل الإنفصال بوجه من الوجوه.

وإذا قلتُ: أعوذُ بعزةِ الله فقد عذتُ بصفةٍ من صفاتِ الله تعالى، ولم أعُذْ بغيرِ الله.

-الصفاتُ لا يصحُّ تصوُّرُها منفصلةً عن الذات-

فعُلِمَ أن الذات لا يُتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه. وقد قال ﷺ: "أعوذُ بعزّةِ الله وقدرَتِه من شرِّ ما أجد وأُحاذِر"[٣]. وقال ﷺ: "أعوذ بكلمات اللهِ التامات من شرِّ ما خلَق"[٤]. ولا يعوذُ ﷺ بغير الله .

---

[١] لأن هذا التعبير يفيد الإنفصال والمواكبة، وأن الصفات شيء آخر غير الله ﷻ، وهذا لا يصح.

[٢] أي بالمخالفة، وأن الصفات شيء آخر غير الله تعالى.

[٣] رواه مسلم، وغيره. وتمام الحديث: عن عثمان بن أبي العاص الثقفي، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً في جسده منذ أسلم. فقال رسول الله ﷺ: "ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأُحاذر". وجاء في رواية الترمذي بلفظ: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد" دون لفظة (وأحاذر). ومعنى وأحاذر: أي احترز وألوذ بالله من شر ما أجد.

[٤] رواه مسلم، وأبو داود وغيره، وسنده صحيح. وتمام الحديث: عن خولة بن حكيم السلمية قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك".

– من صفاته تعالى، أنه يفعلُ ما يشاءُ وقت يشاء، وكلُّ ما سواه فهو مُحدَثٌ كائنٌ بعد أن لم يكُنْ –

والحوادِثُ يُمكن دوامها في الماضي[1] والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث، فإن الربَّ سبحانه وتعالى لم يَزل ولا يزالُ يفعل ما يشاء، ويتكلَّمُ إذا يشاء، قال تعالى: **﴿قال كذلكَ اللهُ يفعل ما يشاء﴾** آل عمران: ٤٠. **﴿ولكنَّ اللهَ يفعل ما يُريد﴾** البقرة: ٢٥٣. **﴿ذو العرش المجيد. فعالٌ لما يُريد﴾** البروج: ١٥-١٦. **﴿ولو أنما في الأرض من شجَرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمده من بعده سبعة أبحرٍ ما نفِدَت كلماتُ الله﴾** لقمان: ٢٨. **﴿قُل لو كان البحرُ مداداً لكلماتِ ربي لنفِدَ البحرُ قبل أن تنفدَ كلماتُ ربي ولو جئنا بمثله مَدداً﴾** الكهف: ١٠٩. وقال غير واحد من السَّلَف: الحيُّ الفعَّالُ. وقال عثمان بن سعيد[2]: كل حي فعال، ولم يكن ربُّنا تعالى قط في وقتٍ من الأوقات مُعطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل[3].

ولا شك أن جمهورَ العالَمِ من جميع الطوائف، يقولون: إن كُلَّ ما سوى الله تعالى مخلوقٌ، وكائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

– خلاصَةُ القولِ –

---

(١) جاء في الحديث الذي يرويه ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم، وأمره أن يكتب كل شيء يكون". السلسلة الصحيحة: (١٣٣). ففي الحديث دلالة صريحة أن للحوادث بداية، كما يقول الشارح.

(٢) وهو الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، صاحب المسند الكبير، توفي سنة (٢٨٠ هـ). مترجم له في (سير أعلام النبلاء: ١٣/٣١٩).

(٣) لا يستلزم كلامه أن الحوادث متسلسلة إلى ما لا نهاية، بل يفهم من كلامه إثبات صفات الكمال لله، ونفي التعطيل عنها أو النقص، فربنا ﷻ كما أنه يخلق ما يشاء وقت يشاء كذلك لا يخلق وقت يشاء، فالله تعالى لايُكرهه شيء على أن يخلق كما أنه لا يمنعه شيء من أن يخلق لو شاء، وهذا لا يستلزم التعطيل بل هو من كمال التنزيه والتوحيد.

والمقصودُ: أن الذي دل عليه الشرعُ والعقل، أن كلَّ ما سوى الله تعالى مُحدثٌ كائنٌ بعد أن لم يكن. أما كونُ الربِّ تعالى لم يَزلْ معطَّلا عن الفعل[1] ثم فعلَ، فليس في الشرعِ ولا في العقل ما يُثبته، بل كلا هما يدل على نقيضه.

قولُه: "ليس منذُ خلَقَ الخلْقَ استفادَ اسمَ الخالق، ولا بإحداثِهِ البريَّةَ استفادَ اسمَ الباري" .

ش: ظاهر كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه يَمنع تسلسُلَ الحوادث في الماضي[2]، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل، وهو قوله: "**والجنةُ والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان**"، وهذا مذهب الجمهور كما تقدم.

وقولُ من قال بجوازِ حوادث لا أولَ لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، أظهر في الصحة من قول من فرق بينهما[3]، فإنه سبحانه لم يزل حياً، فلم يزل فاعلاً لما يُريد كما وصف بذلك نفسه، حيث يقول: ﴿**ذو العرش المجيد، فعَّال لما يُريد**﴾ البروج: ١٥-١٦.

والقولُ بأن الحوادث لها أوَّلُ: يلزمُ منه التعطيل قبل ذلك، وأن اللهَ سبحانه وتعالى لم يزلْ غيرَ فاعلٍ، ثم صارَ فاعلاً[1]!!

---

(١) كون الرب ﷻ أول ما خلق القلم كما جاء في الحديث الصحيح، لا يستلزم منه أن قبل خلق القلم لم يكن خالقاً بل كان خالقاً يخلق ما يشاء لو شاء، ولكن قضت حكمته سبحانه أن لا يخلق قبل القلم شيئاً، فالله تعالى لا يُكره على شيء، ولا نقول يجب على الله أن يستمر في الخلق -تعالى الله- حتى لا تتعطل صفته (الخالق)، بل يكفينا أن نقف عند قول النبي ﷺ من دون تقديم أو تأخير.

(٢) هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، لحديث النبي ﷺ: "أول شيء خلقه الله تعالى القلم".

(٣) باعتبار أن الحوادث لها أول، بينما لا آخر لها، للنصوص الدالة على أن الجنة والنار لا تفنيان وهما باقيتان أبداً. ولا شك أن هذا القول هو الأصوب والأصح لدلالة النصوص عليه، وليس كما قال الشارح أن الصواب في عكسه مخالفاً في ذلك مذهب الجمهور وصاحب المتن كما هو مثبت أعلاه!

وقولُه: "له معنى الربوبيَّةِ ولا مربوبَ، ومعنى الخالِق ولا مخلوقَ"

ش: يعني أن اللهَ تعالى موصوفٌ بأنهُ **"الربُّ"** قبل أن يوجد مربوبٌ، وموصوفٌ بأنه **"خالقٌ"** قبل أن يوجد مخلوقٌ(٢).

قولُه: "وكما أنه مُحي الموتى بعدَ ما أحيا، استحقَّ هذا الاسم قبلَ إحيائِهم، كذلك استحق اسمَ الخالِق قبل إنشائِهم".

ش: يعني أنه سبحانه وتعالى موصوفٌ بأنه مُحيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يُوصفُ بأنه خالقٌ قبل خلقهم.

---

(١) ذكرنا من قبل أن الله تعالى إذا قضت حكمته أن لا يخلق في وقت من الأوقات لا يستلزم ذلك أن الله لم يعد خالقاً في هذا الوقت وأن صفته قد تعطلت! بل الله يخلق ما يشاء وقت يشاء، فإن شاء خلق وإن لم يشأ أن يخلق لا يخلق، فلا مُكره له على شيء ﷻ، وهو في كلا الحالتين خالق فعال لما يريد. ثم ليس من السلامة التكلف وأن نعمل العقل من غير دليل صحيح صريح فيما يخص صفات الله ﷻ، بدعوى التنزيه ونفي التعطيل، وإنما السلامة كل السلامة أن نثبت ما أثبتته السُّنَّة الصحيحة، وننفي ما نفته من دون تقديم أو تعقيب أو تكلُّف أو تكييف.

يقول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، في تعليقه على حديث "إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم": من فوائد الحديث: فيه رد على من يقول بحوادث لا أول لها، وأنه ما من مخلوق إلا ومسبوق بمخلوق قبله، وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يمكن أن يقال: هذا أول مخلوق. فالحديث يبطل هذا القول ويعين أن القلم هو أول مخلوق، فليس قبله قطعاً أي مخلوق. (السلسلة الصحيحة: ١/٢٠٨).

(٢) فدل أن عدم وجود المخلوق لا يستلزم أن لا يوصف الله تعالى بأنه خالق، بل إن الله تعالى خالق فعال لما يريد قبل أن يخلق وقبل أن يوجد مخلوق في الوجود. فانتفاء وجود المخلوق لا يستلزم انتفاء وتعطيل صفات الخالق ﷻ، كما يفترض الشارح ذلك بقوله: "والقول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك"!!.

قولُه: "ذلك بأنه على كُلِّ شيءٍ قدير، وكلُّ شيءٍ إليه فقيرٌ، وكلُّ أمرٍ عليه يسيرٌ، لا يحتاج إِلى شيءٍ، ليس كمثله شيءٌ، وهو السميعُ البصيرُ".

ش: لا يؤمن بأنه ربُّ كلُّ شيء إلا من آمن أنه قادرٌ على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالِها إلا من آمن بأنه على كلِّ شيءٍ قدير.

وقولُه: "**ليس كمثله شيءٌ**". ردٌّ على المشبهة[1]، وقوله: "**هُو السميع البصير**". ردٌّ على المعَطِّلة، فهو سبحانه وتعالى موصوفٌ بصفات الكمال وليس له فيها شبيهٌ، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب وبصره، إذْ صفات المخلوقِ كما يليقُ به، وصفاتُ الخالق كما يليقُ به.

-ما يلزمُ على العبدِ تجاهَ ربه-

لاتنفِ عن الله ما وصفَ به نفسه، وما وصفَهُ به أعرَفُ الخلقِ بربه ﷺ، وما يجبُ له وما يمتنعُ عليه، وأنصَحُهم لأمته وأفصحُهم وأقدَرُهم على البيان، فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك كنت كافراً[2] بما أُنزِل على محمد ﷺ.

---

[1] وهو كذلك رد على المشبهة من جهة تشبيه المخلوق بالخالق وخصائصه، وما أكثر هؤلاء في زماننا، فكل من شبه مخلوقاً بالخالق أو نسب إليه شيئاً من خصائص الإلهية التي تفرد الله بها دون سائر خلقه، فقد وقع في التشبيه والشرك واتخذ من ذلك المخلوق نداً وشريكاً لله تعالى في خصائصه سبحانه.

[2] التكفير هنا ليس على إطلاقه فإنه لا بد من التفريق بين نفي ونفي، فالنفي الذي يكون مؤداه إلى نسب الضعف والعجز أو النقص لله ﷻ، كنفي العلم والقدرة، والحياة، وأنه سميع بصير وغير ذلك، فهذا النفي كفر وصاحبه كافر خارج من الملة وإن ادعى أن نفيه ناتج عن تأويل!

أما من نفى صفة من صفات الله الفعلية وصرفها عن ظاهرها متأولاً، كالنزول والمجيء، والإتيان، والإستواء وغير ذلك مما لا يستفاد من نفيه نسب العجز أو النقص لله ﷻ، فهذا التأويل وإن كان خطأً لا يجوز الإقدام عليه، إلا أنه لا يبلغ بصاحبه إلى حد الكفر الأكبر المخرج

وإذا وصفتَه بما وصف به نفسه، فلا تُشَبِّهْهُ بخلقِه، فليس كمثله شيءٌ، فإذا شبهته بخلقه، كنت كافراً به[1]، قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: من شبه اللهَ بخلقه فقد كَفَر، ومن جحدَ ما وصف اللهُ به نفسَه فقد كَفَر، وليس ما وصف اللهُ به نفسه، ولا ما وصفه به رسولُه تشبيهاً.

-لله المَثَلُ الأعلَى-

وصف اللهُ تعالى نفسَه بأن له المَثَل الأعلى، فقال تعالى: ﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثَلُ السَّوءِ ولله المَثَلُ الأعلى**﴾ النحل: ٦٠ .﴿**وله المثَلُ الأعْلَى في السماواتِ والأرض وهو العزيزُ الحكيمُ**﴾ الروم: ٢٧ . فجَعَل سبحانه مثَلَ السَّوءِ -المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال- لأعدائه المشركين وأوثانِهم، فمن سلَبَ صفات الكمال عن الله تعالى، فقد جعل له مَثل السَّوْءِ، ونفى عنه ما وصفَ به من المثَلِ الأعلَى، وهو الكمالُ المطلق[2].

-تفسيرُ السَّلف وعباراتُهم في المثَلِ الأعلى-

من الملة، وتكفير من كانت هذه صفته يستلزم تكفير كثير من علماء الأمة المشهود لهم بالخير والفضل، الذين أخطأوا في هذا الأمر.

ثم أن الأشاعرة قد عُرفوا بتأويلهم ونفيهم لكثير من صفات الله الفعلية، ومع ذلك لا نعرف أحداً من أهل العلم قال بكفرهم، وإخراجهم من الملة.

[1] وكذلك إن شبهت خلقه به أو بشيء من خصائصه سبحانه تكون كافراً به، فقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، دليل على بطلان ورد التشبيهين.

[2] وكذلك من سلب عنه خصائص الإلهية -كما هو شأن العلمانيين ومن لف لفهم من الطغاة الآثمين- كأن يسلب عنه خاصية الحكم والتشريع، أو خاصية المطاع والمحبوب لذاته، أو خاصية أنه تعالى فوق المساءلة والتعقيب، وغير ذلك من خصائص الكمال التي تعبدنا الله بها .. فمن وقع في شيء من ذلك فقد وقع في الشرك والتعطيل، ونسب لله مثل السَّوء، وكان الأولى أن تُسلب هذه الخصائص عن المخلوق وعن كل من يدعي الندية لله تعالى في خصائصه من الطواغيت الذين لهم مثل السَّوء كل السَّوء.

فهي تدور على أربعة معاني وأقوال:

الأول: ثبوتُ الصفات العليا لله سبحانه وتعالى.

الثاني: عِلمُ العالَمين بها ووجودها في العِلْم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السَّلَف: إنه ما في قلوبِ عابديه وذاكريه، من معرفته، وذكره ومحبته، وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجائه، والتوكل عليه والإنابة إليه. وهذا الذي في قلوبهم من المثَلِ الأعلى لا يَشْرَكه فيه غيرُه.

الثالث: ذِكر صفاته، والخبر عنها وتنزيهها من العيوبِ والنقائص والتمثيل.

الرابع: محبةُ الموصوفِ بها وتوحيده، والإخلاصُ له والتوكلُ عليه، والإنابةُ إليه، وكلما كان الإيمانُ بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى[١].

قولُه: " خَلَق الخلْق بعلمهِ ".

ش: خَلَقَ: أي أوجد و أنشأَ وأبدَعَ وقدَّر، وقوله: "بعلمه" في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: **﴿ألا يعلمُ من خلَقَ وهو اللطيفُ الخبير﴾** الملك: ١٤ . **﴿وعندَه مفاتحُ الغيبِ[٢] لا يعلمُها إلا هو ويعلَمُ ما في البرِّ والبحر وما تسقطُ من ورقةٍ**

---

[١] إذ أن من طبائع القلوب النقية الخالية من الشرك، أن تزداد تعلقاً وحباً وخضوعاً وانقياد اً لمن له صفات الكمال الذي له المثل الأعلى في ذاته وصفاته وأفعاله سبحانه، المنزه عن النقص والعيوب. ومن جهة فهي تزدري عبادة -ولو في وجه أو مجال من مجالات العبادة- من له مثل السُّوء، ويتخلله وصفاته الضعف والنقص والعيوب والآفات.

﴿ءأرباب متفرقون﴾ ضعفاء متشرذمون، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، **﴿خيرٌ أم اللهُ الواحدُ القهار﴾** الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، لا يماثله شيء في صفاته وخصائصه، وهو القاهر فوق عباده، السميع البصير ؟! ﷻ عما يشركون.

[٢] روى البخارى بسنده، أن رسول الله ﷺ قال: "مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله: **﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير﴾**". وبالتالي فمن يدعي علم الغيب

إلا يعلَمُها ولا حبَّة في ظُلماتِ الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مُبين. وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلَمُ ما جرحتُم بالنهار﴾ الأنعام: ٥٩-٦٠ .

قولُه: " وقدَّرَ لهم أقداراً".

ش: قال تعالى: **﴿وخلق كلَّ شيء فقدَّره تقديراً﴾** (١) الفرقان: ٢. **﴿إنا كُلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدَر﴾**(٢) القمر: ٤٩ . **﴿الذي خلق فسوى والذي قدَّر فهدَى﴾** الأعلى: ٢-٣ .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ، أنه قال: "قدَّر اللهُ مقاديرَ الخلقِ قبل أن يَخلُق السماواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنةٍ، وكان عرشُهُ على الماء".

قولُه: "وضرَبَ لَهُم آجالاً" .

ش: يعني أن اللهَ سبحانه وتعالى قَدَّر آجالَ الخلائق، بحيثُ إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى: **﴿إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون﴾** النحل: ٦١ . **﴿وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجَّلاً﴾** آل عمران: ١٤٥ .
وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود، قال: قالت أمُّ حبيبةَ زوجُ النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسولِ الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: "قد

من دون الله أو بغير سلطان من الله -وهذا ليس لأحد بعد الأنبياء- كالسحرة، والعرافين، والمنجمين، وضاربي الفنجان وغيرهم من المشعوذين فهو يدعي خاصية من خصائص الله التي تفرد بها دون أحد من خلقه، وهو بذلك مشرك مرتد بلا خلاف، قال تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرضِ الغيبَ إلا الله﴾** النحل: ٦٥ .

(١) وقوله: **﴿فقدره تقديراً﴾**، قال البغوي: فسواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه ولا تفاوت، وقيل: قدر لكل شيء تقديراً من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق ا-هـ.

(٢) وقوله: **﴿بقدَر﴾**، قال البغوي: أي ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ ا-هـ.

سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبةٍ، وأيام معدودةٍ، وأرزاقٍ مقسومةٍ، لن يُعَجِّلَ شيئاً قبل حِلِّه[١]، ولن يُؤخر شيئاً عن حِله، ولو كُنتِ سألتِ اللهَ أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان خيراً وأفضل".

فالمقتول ميتٌ بأجله، فعلِمَ اللهُ تعالى وقدَّرَ وقضى أن هذا يموت بسبب المرضِ، وهذا بسبب القتل، وهذا بسبب الهدمِ، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلقَ سببَ الموتِ والحياة.

-تأثيرُ صلةِ الرحم في زيادة العُمُرِ ونقصانِه-

قال رسولُ الله ﷺ: "صِلَةُ الرحمِ تزيدُ في العمرِ"[٢]. أي: سببُ طولِ العمر، وقد قدَّر أن هذا يصِلُ رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى الغاية، ولولا ذلك السببُ لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه.

---

[١] أي قبل حينه وأوانه. وما دام الأمر كذلك، فإنه لحري بالمسلم أن لا يخشى إلا الله، وأن لايخاف المخلوق أياً كان، فإن خوف المخلوق مضيعة للوقت، وإرهاق للأعصاب، وهو بنفس الوقت لايقدم أجلاً ولا يؤخر، ولا يمنع من رزق مقدور. وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يمنعنَّ رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه، فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق".

[٢] صحيح. وفي حديث آخر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "من سره أن يُعظِم الله رزقه، وأن يمد في أجله، فليصل رحمه" متفق عليه.ومن حديث أنس، عن النبي ﷺ أنه قال: "من سره أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ في أثره، فليصل رحمه". صحيح سنن أبي داود: (١٤٨٥). فإنْ قيلَ: إذا كانت الأرزاق مقسومة والآجال مضروبة لا تتأخر ولا تتقدم، فكيف تكون صلة الرحم سبباً في زيادة الرزق وطول العمر؟ فالجواب: أن الله تعالى يعلم من عبده -قبل خلقه وقبل كتابة القلم- أنه سيصل رحمه، ويبر والديه وأقاربه من ذوي الحقوق عليه، وبناء على علمه المتقدم هذا يقدر له الزيادة في الرزق والعمر، وكون صلة الأرحام سبباً في زيادة الرزق والعمر لا يخرج ذلك عن كونه بقضاء وقدر من خالق عليم قدير.

-هل للدعاء أثرٌ في زيادةِ العمر ونقصانه ؟-

الجواب: أن الدعاء ليس له أثر في زيادة العمر ونقصانه، لقوله ﷺ لأم حبيبة رضي الله عنها: "قد سألتِ اللهَ لآجالٍ مضروبة"، كما تقدم. فعُلِمَ أن الأعمارَ مقدرةٌ، لم يُشرَعُ الدعاءُ بتغييرها[1]، أما إن كان الدعاءُ بتغيير العمر يتضمن النفع الأخروي، فهو مشروع،

---

[1] هذا الكلام لا يصح على إطلاقه، وبخاصة أن السُّنَّة دلت على خلافه، حيث أن النبي ﷺ دعا لأنس بن مالك بطول العمر، كما في الحديث عنه قال: دعا لي رسول الله فقال: "اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته"، فالله أكثر مالي حتى إن كرماً لي لتحمل في السنة مرتين، وولد لصلبي مئة وستة. وقد عمَّرَ ﷺ مئة وثلاث سنين، وقيل: مئة وسبع سنين .. وكذلك لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق، قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً، فأبقني لها. وكذلك دعوة سعد بن أبي وقاص على الرجل الذي قال في سعد: فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً، فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن. قال عبد الملك بن عمير: فأنا رأيته بعدُ يتعرض للإماء في السكك. فإذا سُئل كيف أنت؟ قال: كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. والقصة متفق على صحتها فقد رواها البخاري ومسلم. فدل أن الدعاء له تأثير في زيادة العمر ونقصانه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يرد القدر إلا الدعاء"، ولا شك أن الموت والحياة، والأعمار هي من القدر، كما قال تعالى: ﴿**وإن من شيء إلا بقدر**﴾ ، وما استدل به الشارح -رحمه الله- على منع تأثير الدعاء في الأعمار لاحجة فيه، حيث أن النبي ﷺ لم ينكر على أم حبيبة رضي الله عنها دعاءها بأن يمتعها الله بزوجها النبي ﷺ، وبأبيها وأخيها، وإنما بين لها أن ما سألته فهو مقدور وكائن لا محال، ثم بين لها الدعاء الأفضل، فقال لها: "ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان خيراً وأفضل". فمفهوم الحديث أن سؤالها بأن يمتعها الله تعالى بالنبي ﷺ، وبأبيها وبأخيها فضيل، ولكن الأفضل لو سألت الله أن يعيذها من عذاب في النار، وعذاب في القبر.

فإن قيل الآجال محدودة فيكف يكون الدعاء سبباً في إطالتها؟

كما قال ﷺ: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاةُ خيراً لي"[١]. وكان الإمام أحمد رحمه الله يكره أن يُدعى له بطول العمر، ويقول: هذا أمر قد فُرِغَ منه.

قولُه: "ولم يَخْفَ عليه شيءٌ قبل أن يخلُقَهُم وعَلِمَ ما هم عاملون قبل أن يَخلُقَهم".

ش: يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: **﴿ولو رُدُّوا لعادوا لِمَا نُهوا عنه﴾** الأنعام: ٢٨. **﴿ولو عَلِمَ اللهُ فيهم خيراً لأسمعَهم ولو أسمعهم لتولَّوا وهم مُعرضون﴾** الأنفال: ٢٣. وفي ذلك ردٌّ على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لايعلمُ الشيءَ قبل أن يخلُقَه ويوجِدَه[٢]!!

قولُه: "وأمرَهُم بطاعته[٣]، ونهاهم عن معصيته[١]".

فالجواب: يقال ما قيل في تأثير صلة الرحم على إطالة العمر، حيث أن الله تعالى يعلم أن هذا العبد سيُدعى له بطول العمر، وينال الدعاء عند الله تعالى القبول، فيطيل أجله وعمره بناء على علمه السابق في ذلك قبل خلقه.

[١] صحيح، رواه النسائي، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

[٢] وهذا كفر، لتضمنه الشتم ووصف الله تعالى بالعجز والضعف، وبما لا يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا. واعلم أن أي إطلاق أو تعبير بحق الله تعالى مفاده وصف الله تعالى بصفات تتضمن الضعف والنقص والعجز، فهو كفر يوقع صاحبه بالكفر والردة.

[٣] الطاعة منها ما يعتبر من لوازم الإيمان ومتطلباته؛ وهو العمل بالتوحيد قلباً وقالباً واجتناب الشرك، وكذلك إقامة الصلاة، فهذا جانب ينتفي الإيمان بانتفائه، وما دون ذلك من الطاعات تعتبر من مكملات الإيمان، يزداد الإيمان بإتيانها والقيام بها، وينقص بتركها، ولا ينتفي مطلقاً بانتفائها.

ش: ذكر الشيخ رحمه الله الأمرَ والنهي، بعد ذكره الخلقَ والقَدَر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلْقَ لعبادته[2]، كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ الذاريات: ٥٦. ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكُم أحسنُ عملاً**﴾ الملك: ٢ .

قولُه: "وكُلَّ شيءٍ يجري بتقديره ومشيئتِهِ، ومشيئتُه تنفذُ، لا مشيئةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأْ لم يكُنْ" .

ش: قال تعالى: ﴿**وما تشاءون إلا أن يشاءَ اللهُ إن اللهَ كان عليماً حكيماً**﴾ الدهر: ٣٠ . ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء اللهُ ربُّ العالمين**﴾ التكوير: ٢٩ . ﴿**ولو أننا نزَّلنا إليهم الملائِكةَ وكَّلمهم الموتى وحشرنا عليهم كُلَّ شيءٍ قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاءَ الله**﴾ الأنعام:١١١. ﴿**ولو شاء ربُّكَ لآمن من في الأرض كُلُّهم جميعاً**﴾ يونس: ٩٩ . وقال تعالى حكاية عن نوح إذ قال لقومه: ﴿**لا ينفعكم نُصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان اللهُ يريدُ أن يغويَكُم**﴾ هود: ٣٤ . إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء اللهُ كان

---

[1] من المعاصي ما تخرج صاحبها من الملة وتوقعه في الكفر والردة، وذلك عندما تصل إلى درجة الشرك أو الكفر بالله تعالى، كالتوجه بالعبادة أو بشيء من مجالاتها لغير الله تعالى فهو كفر يخرج صاحبه من الملة، وكذلك مظاهرة المشركين على المسلمين وغيرها من المعاصي والممارسات التي تعتبر من نواقض الإيمان.

وما سوى ذلك من المعاصي كارتكاب الكبائر وما دونها من الذنوب، فهي توجب على صاحبها الوعيد والعذاب، ولكن لا تنفي عنه مطلق الإيمان الذي ينفع صاحبه يوم القيامة. والمعصية تطلق في القرآن والسنة على الكفر، وعلى ما هو دون الكفر.

[2] اعلم أن غاية الغايات التي لأجلها خلق الإنس والجن عبادة الله ﷻ، فحيثما تتحقق سلامة العبادة -بمفهومها الشامل- وجب على المسلم أن يقيم ويشد إليه الرحال، وحيثما تنعدم سلامة العبادة والدين يتعين على المسلم الفرار بدينه من ذلك المكان إلى حيث تتحقق سلامة العبادة، والشح بالوطن والديار والأموال لا يبرر لصاحبه قط أن يتخلف عن عبادة الله كما أُمِر، والهجرة ما شرعت إلا لتحقيق هذا المطلب الهام.

وما لم يشَأْ لم يكن. وكيف يكون في ملكهِ ما لا يشاؤه! ومَن أضلُّ سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن اللهَ شاءَ الإيمان من الكافر، والكافرُ شاءَ الكفر، فغلبت مشيئةُ الكافر مشيئةَ الله ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

-شبهةٌ وردٌّ-

فإن قيل: يُشكِلُ على هذا قوله تعالى: **﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء اللهُ ما أشركنا ولا آباؤنا﴾** الأنعام: ١٤٨. وقوله: **﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾** النحل: ٣٥. وقوله: **﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون﴾** الزخرف: ٢٠ . فقد ذمهم اللهُ تعالى حيثُ جعلوا الشرك كائناً منهم بمشيئة الله ؟

فقد أجيب على هذا بأجوبة، منها:

أنه أنكر عليهم ذلك، لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته، وقالوا: لو كره ذلك وسَخِطَه، لما شاءه فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك. أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليلٌ على أمره. فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد[1]، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة، والجهال، إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر، وقد احتجَّ سارق على عمر بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد لذلك قوله تعالى: **﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾** الأنعام: ١٤٨ . فعلم أن مرادهم التكذيب.

- حديثُ احتجاجِ آدم على موسى -

---

[1] أي توحيد الله ﷻ في مشيئته النافذة في شؤون خلقه، القاهرة لجميع المشيئات والتي لاتعلوها ولا تشركها مشيئة مخلوق أياً كانت صفته ونوعه.

فإن قيل: فما تقولون في احتجاج آدم على موسى بالقدَر، إذْ قال له أتلومني على أمرٍ قد كتبه الله عليَّ قبل أن أُخلق بأربعين عاماً؟ وشهد النبي ﷺ أن آدم حجَّ موسى، أي: غلبه بالحُجَّة[١].

قيل: نتلقاه بالقبول والسمع والطاعة، لصحته عن رسول الله ﷺ، والصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحادُ بنيه من المؤمنين لايحتجُّ بالقدَر[٢]، فإنه باطل، وموسى كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدمَ على ذنبٍ قد تاب منه وتاب اللهُ عليه، وإنما وقع اللومُ على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يُحتج به عند المصائب[٣]، لا عند المعايب.

وأما قول إبليس: **﴿ربِّ بما أغويتني لأُزيننَّ لهم في الأرضِ ولأغوينَّهم أجمعين﴾** الحجر: ٣٩. إنما ذُمَّ على احتجاجه بالقدر[٤]، لا على اعترافه بالقدر وإثباته له، ألم تسمع قول نوح

---

(١) الحديث متفق عليه.

(٢) أي على المعصية، كما هو شأن الفساق والكفرة حيث تراهم يحتجون بالقدر على ارتكاب الذنوب والشرك، وهو قول أقرب ما يكون إلى مذهب الجبرية في القدر.

(٣) لأن الاستشهاد بالقدر عند المصائب من شأنه أن يخفف من وطأة المصيبة على المصاب المبتلى، ويكسيه ثوب الرضى بقضاء الله وقدره، ويرفع عنه الآسى الشديد الذي غالباً ما يؤدي بصاحبه إلى المرض أو الموت .. وحالات الانتحار التي نشهدها في العالم الغربي الكافر ما هي إلا بسبب فقدانهم لنعمة عقيدة القضاء والقدر كما بينها الإسلام.

فالإنسان عندما يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن خيرة الله لعبده خير له من خيرة العبد لنفسه، وأنه مأجور على ما أصابه من بلاء إن شكر وصبر، فإنه لا يحصل له شيء من القلق والجزع والخوف والأسى جراء نزول المصائب كما يحصل لمن لا يؤمن بالله تعالى ولا بقضائه وقدره. إذاً فالقضاء والقدر من ثماره أنه يهب المرء التفسير الصحيح لكل ما يجري حوله من أحداث وأمور –وبخاصة الغامضة منها– من غير مرض أو قلق أو جنون.

(٤) ذم على احتجاجه بالقدر على فعل الذنب والإغواء والتزيين.

 : ﴿ولا ينفعكم نُصحي إن أردت أن أنصحَ لكم إن كان اللهُ يريدُ أن يغويَكُم هو ربُّكم وإليه تُرجعون﴾ هود: ٣٤ .

وعن وهب بن مُنبِّه أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلَمَ الناسِ بالقدر أكفَّهُم عنه، وأجهلَ الناس بالقدر أنطقَهُم فيه[1].

قولُه: "يهدي من يشاء، ويَعصِمُ ويُعافي فضلاً، ويُضِلُّ من يشاءُ ويخذُلُ ويبتلي عدلاً" .

ش: قال تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾[2] القصص: ٥٦. ﴿**ولو شئنا لآتينا كل نفسٍ هداها**﴾ السجدة: ١٣. وقال: ﴿**يُضِلُّ اللهُ من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ المدثر: ٣١ .

قولُه: "وكُلُّهم يتقلبون في مشيئتهِ، بين فضلِه وعدله".

ش: قال تعالى: ﴿**هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمن**﴾ التغابن: ٢. فمن هداه إلى الإيمان، فبفضلِه وله الحمد، ومن أضلَّهُ فبعدلِه وله الحمد[3].

---

[1] صح عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا ذُكر القدر فأمسكوا". أي لا تسترسلوا في الحديث عن القدر، فتخوضوا فيما لا يعنيكم، فتضلوا، لأن الخوض فيما هو فوق المقدور وحدود المعقول، مآله غالباً إلى الهلاك والضلال، والسلامة تقتضي الإقتصار على المشروع والمعقول.

[2] الهداية المنفية عن نبينا ﷺ، هي هداية الإعانة والتوفيق أو المشيئة النافذة فيما شاء أو أحب، وهذه الهداية ليست لأحد سوى الله تعالى، أما الهداية بمعنى التبيين والنصح والإرشاد فهي المثبتة لنبينا ﷺ ومن كان على نهجه من العلماء الصالحين. وهذا من لوازمه تعلق القلب بخالقه، ونشدان الهداية ممن بيده القدرة على الهداية والاضلال دون أحد سواه.

[3] فبعدله، لأن الله تعالى منزه عن الظلم، فلا يصدر عنه إلا العدل المطلق، كما قال تعالى: ﴿**ولايظلم ربك أحداً**﴾، وهو يبغض الظلم من عباده، كما في الحديث القدسي الصحيح: "ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا"، ومن الأخطاء الشائعة

قولُه: "وهو مُتَعالٍ عن الأضدادِ والأندادِ" .

ش: الضد: المخالف، والند: المثل، فهو سبحانه لا معارض له[1]، ولا مثل، كما قال تعالى: ﴿**ولم يكن له كُفُواً أحد**﴾[2] الإخلاص: ٤. ويشير الشيخ بنفي الضد والند إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله[3].

الجارية على لسان عوام الناس، إذا ظُلِمَ أحدهم تراه يقول لظالمه: الله يظلمك مثل ما ظلمتني!! وهذا لا يجوز.

[1] من لوازم صحة التوحيد وشروطه الإنقياد والرضى، وأن يسلم العبد بأن الله تعالى لا معارض لقوله وحكمه، والتسليم بأن إرادة الشعب أو للأكثرية الحق في أن تعارض حكم الله، أو أن تعقب عليه، وأن حكمها هو الذي يجب أن ينفذ ويطبق وإن كان باطلاً شرعاً، كما تنص على ذلك الديمقراطية، لهو صريح الكفر والإرتداد عن الدين. ومع ذلك ما أكثر أولئك الذين يتشدقون بالديمقراطية ويطالبون بها، صدق الله: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾.

[2] فكما أن الله تعالى لا مثل له في ذاته وصفاته وأفعاله، فكذلك لا مثل له في شيء من خصائصه تعالى التي تفرد بها دون خلقه، والتي منها أنه المعبود بحق المستحق لكمال العبادة، وأنه تعالى له الحكم والتشريع وخاصية التحليل والتحريم، وأنه تعالى يحكم ما يريد من غير أن يعقب عليه أحد، وأنه تعالى فوق المساءلة لا يُسأل عما يفعل وما سواه من الخلق يسألون، ومنها أنه تعالى المحبوب لذاته وما سواه يُحب له سبحانه، وأنه كذلك المطاع لذاته وما سواه يطاع لأجله وفي الحق الذي يحبه تعالى، وأنه تعالى وحده الضار النافع بيده الخير والشر، يعلم ما كان وما سيكون .. فهذه خصائص تفرد بها الله وحده فمن ادعى شيئاً منها لنفسه فقد ادعى الإلهية وجعل من نفسه نداً لله تعالى، ومن أقر له بهذه الخصائص أو بشيء منها، فقد اتخذه معبوداً من دون الله وأقر له بالإلهية وخصائصها.

[3] لأن هذا القول من المعتزلة يستلزم منهم أن يجعلوا العبد المخلوق نداً لله ﷻ في خاصية الخلق، حيث أضافوا إليه صفة الخلق، فهو خالق لفعله كما أن الله تعالى خالق!! أقول: أيضاً في كلام الشيخ رحمه الله رد على من يدعي لنفسه حقوق وخصائص هي من خصائص الإلهية، كحق الحكم والتشريع، وسن القوانين، وحق الطاعة من دون الله، وغيرها من الخصائص التي تقدم

قولُه: "لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّب لحُكْمِه، ولا غالِبَ لأمرِه".

ش: أي لا يردُّ قضاءَ اللهِ رادٌّ[١]، ولايعقبُ، أي: لا يؤخِّر حكمَه مؤخرٌ[٢]، ولا يغلبُ أمره غالبٌ بل هو اللهُ الواحد القهار.

قولُه: "آمنا بذلك كُلِّه، وأيقَنَّا أنَّ كُلاًّ من عنده" .

ش: أما الإيمان، فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى، في موضعه.

وقوله كُلاًّ: أي كل كائن مُحدَثٍ من عند الله، بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه.

قولُه: "وإن محمداً عبدُه المصطفى، ونبيُّهُ المجتبى، ورسولُه المُرتَضى" .

ش: الإصطفاءُ والإجتباء والإرتضاء: متقاربُ المعنى.

ذكرها، فمن ادعى لنفسه شيئاً من هذا فقد ادعى الألوهية، وجعل من نفسه نداً لله ﷻ، ومن كانت هذه صفته ودعواه فمن الإرجاء أن يناقش كفره، ويحصل تردد في تكفيره.

[١] أي مهما اتخذ الإنسان من أسباب المنعة والحيطة، فإنه لا يستطيع أن يرد قضاء الله تعالى، فقضاؤه تعالى واقع لا محالة، ومنه يفهم قوله تعالى: **﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾** النساء: ٧٨. وقوله ﷺ: "إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه". وقوله ﷺ لابن عباس: "اعلم بأن الخلائق لو أرادوك بشيء لم يردك الله به لم يقدروا عليه". ولا شك أن هذه العقيدة -عقيدة القضاء والقدر- من ثمارها أنها تكسب المرء الرضى والفهم الصحيح لما يطرأ عليه من الأحداث، وكذلك تكسبه السكينة، والتوكل على الله وحده، وعدم الخوف من المخلوق أياً كان.

[٢] قال تعالى: **﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾** الرعد: ٤١. قال الشوكاني في التفسير:

المعقب:الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يقفيه بالرد والإبطال. قال الفراء: معناه لا راد لحكمه، والمعقب الذي يتبع الشيء فيستدركه، والمراد من الآية: أنه لا يتعقب أحدكم الله سبحانه بنقص ولا تغيير. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد: ليس أحد يتعقب حكمه فيرده كما يتعقب أهل الدنيا بعضهم حكم بعض فيرده. ا-هـ.

أقول: مما تقدم يعلم أن معنى كلمة "يعقب" لايصح أن تحمل على معنى التأخير، والله تعالى أعلم.

-كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى وحده-

اعلم أن كمالَ المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازدادَ العبدُ تحقيقاً للعبودية ازدادَ كمالُه، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجهٍ من الوجوه[١]، وأن الخروجَ عنها أكملُ، فهو من أجهل الخلق وأضلِّهم، قال تعالى: **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عبادٌ مكرمون﴾** الأنبياء: ٢٦. وذكر نبيه ﷺ باسم العبد في أشرف المقامات، قال تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾** الإسراء: ١. **﴿وأنه لما قام عبدُ الله يدعوه﴾** الجن: ١٩. **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** النجم: ١٠. وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول المسيح يوم القيامة إذ طلبوا منه الشفاعة: "اذهبوا إلى محمدٍ، عبدٌ غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"[٢] فحصلت له تلك المرتبةُ بتكميل عبوديته لله تعالى.

-صِدْقُ الأنبياء دليلٌ على صدقِ نبوَّتهم-

فإن النبوة إنما يدعيها أصدقُ الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائنُ أحوالهما تُعربُ عنهما وتُعرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة، فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟!

---

[١] الإنسان محتاج ضعيف فُطر على النقص، وبالتالي فهو مفطور على العبودية يسعى دائماً ليسد حاجته ونقصه في هذا المجال، فمن لم يعبد الله الغني الرزاق بحق، فهو لا شك يعبد عبداً ضعيفاً محتاجاً مثله، فهو عابدٌ على كل الأحوال فمن لم يكن عبداً لله فهو عبد لغيره، ومن لم يدعو ويرجو الله فهو يدعو غيره، ومن لم يعلق قلبه رجاءً واتكالاً على الله يعلق قلبه بغيره من خلقه، ومن لا يتحاكم إلى الله يتحاكم إلى غيره، ومن لا يطيع الله ويحبه، يطع غيره من خلقه، ومن لم يضح في سبيل الله سيضحي في سبيل الطاغوت، ومن فرَّ من العبودية لله تعالى فهو واقع في عبادة غيره لا محالة. وشتان شتان بين من يكون عبداً لله الواحد الأحد الفعال لما يريد الذي بيده كل الأمر، ومن يكون عبداً للطاغوت الذي لايملك نفعاً ولا ضراً بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى.

[٢] متفق عليه.

وما من أحدٍ ادعى النبوَّةَ من الكذابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذبِ والفجور واستحواذِ الشياطين عليه، إذ الصدق مستلزم للبِّر، والكذب مستلزم للفجور، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالصدقِ فإن الصدقَ يهدي إلى البرّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذبَ يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزالُ الرجلُ يكذب ويتحرى الكذب حتى يُكتبَ عند الله كذَّاباً".

ولهذا قال تعالى: **﴿هل أنبئكُم على من تنزَّلُ الشياطين. تنزَّلُ على كل أفَّاكٍ أثيم يُلقُونَ السمعَ وأكثرهم كاذبون. والشعراءُ يتَّبِعُهُم الغاوون. ألم تر أنَّهم في كلّ وادٍ يهيمون. وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون﴾** الشعراء: ٢٢١-٢٢٦.

فالكهّان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشيء من الغيبيات، ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملَكٍ وليسوا بأنبياء.

فمن عرف الرسولَ وصدقه ووفاءَهُ ومطابقة قوله لعمله، عَلِمَ علماً يقينياً أنه ليس بشاعرٍ ولا كاهن. والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسولُ بها، وهي أشرفُ العلومِ وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!

ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها تعلم من النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: " إني قد خشيت على نفسي"، فقالت: كلا والله لا يخزيك اللهُ أبداً، إنك لتَصلُ الرحم، وتصدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتَقرِي الضيفَ، وتكسبُ المعدومَ، وتُعينُ على نوائب الحقِّ[١].

وكذلك قال النجاشيُّ لما استخبرهم عما يُخبرُ به، واستقرأهم القرآن فقرؤوه عليه: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرجُ من مشكاةٍ واحدة[٢].

---

[١] صحيح أخرجه البخاري وغيره من حديث عائشة.

[٢] أخرجه ابن اسحق في السيرة، وسنده حسن.

وكذلك ورقة بن نوفل لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، فقال: هذا هو الناموس[١] الذي كان يأتي موسى[٢].

وكذلك هِرَقْلُ ملك الروم، فإن النبيَّ ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارةٍ إلى الشام، وسألَهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الإخبار، وكان مما سألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذباً. فقال: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب فيكذب على الله. قال: وسألتكم هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدِرُ[٣].

-يُعْلَمُ صدق الرسل من وجوهٍ متعددة-

منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم[٤].ومنها: ما أحدثه اللهُ لهم من نصرهِم، وإهلاكِ عدوهم، كغرق فرعون، وغرقِ قوم نوحٍ، وبقية أحوالهم ...

---

[١] المراد به جبريل عليه السلام.

[٢] أخرجه البخاري، وهو جزء من حديث عائشة الذي تقدم.

[٣] أخرجه البخاري.

[٤] أخرج مسلم في صحيحه من حديث حذيفة أنه قال: "قام فينا رسول الله ﷺمقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه".

وأخرج مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:"صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا".

وقد أخبر النبي ﷺ عن ظهور الخوارج، وعلامتهم أن فيهم رجلاً له عضد ليس له ذراع، على عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، وقد تحقق ذلك في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأنه لا يصدر إلا عن راحم بَرٍّ يَقصِدُ غايةَ الخير والمنفعة للخلق.

-إنكارُ رسالة النبيِّ ﷺ طعنٌ في الربِّ تبارك وتعالى-

إنكار رسالته ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظُّلم والسَّفَهِ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جَحدٌ للربِّ بالكلية وإنكارٌ.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ عندهم ليس بنبي صادق، بل ملِكٌ ظالم، فقد تهَيَّأ له أن يفتري على الله، ويتقول عليه، ويستمر حتى يُحلل ويحرم، ويَفرضَ الفرائض، ويُشَرِّع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به، ومحبته له، والربُّ تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الإفتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويُهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم.

فيلزَمُهم أن يقولوا: لا صانع للعالَم، ولا مدبِّر، ولو كان له مدبرٌ قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غيرُ ذلك، فكيف بملك الملوك وأحكم الحاكمين؟

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "هلك كسرى ثم لايكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمنَّ كنوزهما في سبيل الله". وقد تحقق ذلك بفضل الله تعالى ومنّه. والأخبار التي أخبر بها النبي ﷺ ثم تحققت هي أكثر من أن تحصر في هذا الموضع، ومن أراد أن يستزيد فعليه بمراجعة أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة من كتب السنن، فسيجد ما تقرُّ به العين، ويهدأ له بال كل مرتاب أو متشكك، على نبينا أفضل الصلاة والسلام.

قال تعالى: **﴿أم يقولون افترى على الله كَذِباً فإن يشَاءِ اللهُ يختِمْ على قلبك﴾** الشورى: ٢٤. وقال: **﴿وما قَدَروا اللهَ حق قَدْرِهِ إذْ قالوا ما أنزل الله على بشرٍ من شيء﴾**[١] الأنعام: ٩١. فأخبر سبحانه أن من نفى عنه الإرسال والكلام، لم يقدره حق قدره.

-الفرق بين النبي والرسول-

ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء وأن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيرَه، فهو نبي وليس برسول، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[٢].

قولُه: "وأنه خاتَمُ الأنبياءِ" .

ش: قال تعالى: **﴿ولكن رسولَ اللهِ وخاتمَ النبيين﴾** الأحزاب: ٤٠ . وقال ﷺ: "مَثَلِي ومثل الأنبياء كمثل قَصرٍ أُحْسِنَ بنيانه وتُرِكَ منه موضع لَبِنَةٍ، فطاف به النظار يتعجبون من

---

[١] قلت: فهم لم يقدروا الله حق قدره لأنهم لم يعرفوا الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والتي من لوازمها أن لا يبارك اللهُ الظالمَ على ظلمه، أو يظهره على أعدائه وهو مع ذلك يكذب على الله في ادعائه النبوة وغير ذلك، لذلك فهم عندما يكذبون بنبوة النبي ﷺ مع ما آتاه الله من الآيات الباهرات، يكونون في حقيقة أمرهم قد جحدوا أسماء الله الحسنى وصفاته العليا التي من لوازمها أن لا تبارك إلا الحق وأهل الحق.

[٢] قد تقدم أن بعض أهل العلم يرون الفارق بين النبي والرَّسُول: أن النبيَّ مرسَل يُوحى إليه، ويبلغ المؤمنين الذين آمنوا به وبالرسل من قبله، واستدلوا بقوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾**. فدلّ أن النبي مرسل، أما الرَّسُول فهو المرسل إلى المؤمنين به والكافرين، والمصدقين والمكذبين ليبلغهم أمر الله، فالرسول من هذا الجانب أعم وأشمل من النبي، وقال الشيخ ناصر في تعليقه على العقيدة الطحاوية: ولعل الأقرب أن الرَّسُول من بعث بشرع جديد، والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم أولى كما لا يخفى ا-هـ. والله تعالى أعلم.

حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيبون سواها فكنت أنا سَدَدْتُ موضع تلك اللبنة، خُتم بي البنيان، وخُتِمَ بي الرسل"[١]. وقال: "إن لي أسماءً: أنا محمدٌ، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفرَ، وانا الحاشِرُ، الذي يُحشَرُ الناس على قدميَّ، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي"[٢] وقال: "وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي"[٣]. وقال:" فُضِّلت على الأنبياء بستٍ، وأُعطيت جوامِعَ الكلم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسِلْتُ إلى الخلق كافةً، وخُتم بي النبيين[٤]"[٥].

قولُه: "وإمامُ الأتقياء" .

ش: الإمام الذي يُؤتَمُّ به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بُعث للإقتداء به، لقوله تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**[٦] آل عمران: ٣١ .وكُلُّ من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء.

---

[١] صحيح، أخرجاه الشيخان عن أبي هريرة نحوه.

[٢] متفق عليه.

[٣] أخرجه مسلم، وأبو داود، وأحمد.

[٤] من نعم الله تعالى وفضله علينا أن جعل نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وإلا للزم الأمة التبين من كل من يدعي النبوة من بعده أهو صادق أم كاذب، وهذا أمر لا تخفى مشقته على العباد.

[٥] أخرجه مسلم وغيره.

[٦] والآية فيها أن من علامات الحب وشروطه الاتباع والانقياد الظاهر والباطن لهدي النبي ﷺ. فعلى قدر الاتباع والانقياد يكون الحب في الباطن والعكس أيضاً، فكلٌّ منهما لازم للآخر، وإذا انتفى مطلق الاتباع فهو دليل على انتفاء مطلق الحب في القلب، ولا ينتفي الحب إلا من كافر منافق مبغض؛ لأن الحب شرط لصحة الإيمان. أما من يزعم الحب لله ولرسوله ﷺ ثم هو يتنكب هديه وطريقه، ولا يعمل بشيء مما أمر به، فهو زعم كاذب لا برهان له، والآية تشهد على كذبه ونفاقه.

قولُه: "وسيِّدُ المُرسلين".

قال ابن كثير في التفسير (٣٦٦/١): هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ا-هـ.

وإن كنت تعجب فتعجب من قومٍ تعشعش الإرجاء في قلوبهم وتربَّع يفترضون ثبوت الإيمان والحب في القلب مع انتفاء مطلق العمل الظاهر، وفي هؤلاء يقول حنبل: حدَّثنا الحميدي، قال: أُخبرت أن ناساً يقولون: مَن أقرَّ بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً!! قلت: **هذا الكفر الصراح**، وخلاف كتاب الله وسنة رسُوله وعلماء المسلمين، قال الله تعالى: **﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾** .

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: مَن قال هذا **فقد كفر بالله وردَّ على أمره** وعلى الرَّسُول ما جاء به عن الله ا-هـ. عن الفتاوى لابن تيمية: (٢٠٩/٧).

قال ابن تيمية في الفتاوى (١٤٢/٧): قال تعالى: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾**، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل، ففي القرآن والسنة من نفي الإيمان عمن لم يأتِ بالعمل مواضع كثيرة كما نفى فيها الإيمان عن المنافق ا-هـ.

وقولُه: "وكل من اتبعه واقتدى به فهو من الأتقياء"، قلت: والصواب أن يُقال: "فهو التقي" بدلاً "من الأتقياء" التي تفيد التبعيض، لأن التقوى محصورة في الإتباع والاقتداء وفي أهل الاتباع والاقتداء، والمرء كلما كمل اقتداؤه بالنبي ﷺ، كلما كمل تقواه لله ﷻ، ومن يخرج عن الاتباع والاقتداء لا يكون مؤمناً فضلاً عن أن يكون تقياً، ومنه يعلم فساد قول من يعتبر المجانين والمهابيل الداشرة في الأسواق الذين تعلو ثيابهم النجاسات والأوساخ أنهم أتقياء ومن أولياء الله تعالى المقربين!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

ش: قال ﷺ: "أنا سيدُ ولَدِ آدم يوم القيامة، وأولُ من ينشقَّ عنه القبرُ، وأولُ شافع وأول مُشَفَّعٍ"[١]. وفي حديث الشفاعة: "أنا سيدُ الناسِ يوم القيامة"[٢]. وقال: "أنا سيد ولد آدم ولا فخرَ"[٣].

-التوفيق بين هذه الأحاديث والأحاديث التي تنهى عن التفضيل بين الأنبياء-

فإن قيل: يُشكِلُ على هذا قوله ﷺ: "لاتفضلوني على موسى، فإن الناسَ يُصعَقُون يومَ القيامة، فأكون أوَّلَ من يفيق، فأجد موسىَ باطِشاً بساقِ العرش، فلا أدري هل أفاقَ قبلي، أو كان ممن استثنى الله ؟"[٤] وقولُه: "لاتفضِّلوا بينَ الأنبياء"[٥]. فكيف يُجمعُ بين هذا وبين قوله: "أنا سيدُ ولَدِ آدم ولا فخر".

---

[١] صحيح أخرجه مسلم وغيره.

[٢] متفق عليه.

[٣] صحيح أخرجه الترمذي، وابن ماجه وأحمد.

[٤] متفق عليه. وقوله: "ممن استثنى الله" أي ممن استثناه الله من الصعق.

[٥] متفق عليه. وتمام الحديث: عن عبد الرحمن الأعرج قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أُعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه، قال: لا والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فلطم وجهه، قال: تقول: والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا! قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: "لم لطمت وجهه ؟" قال: قال يارسول الله الذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر وأنت بين أظهرنا، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: "لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أُخرى فأكون أول من بُعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى عليه السلام آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي، ولا أقول: إنَّ أحداً أفضل من يونس بن متى عليه السلام. ومن حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: "لا تخيَّروا بين الأنبياء".

فالجواب: أن هذا كان له سببٌ، فإنه كان قد قال يهودي: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فلطمه مسلمٌ وقال: أتقولُ هذا ورسولُ الله ﷺ بين أظهرنا: فجاء اليهوديُّ فاشتكى من المسلم الذي لطمه، فقال النبي ﷺ هذا، لأن التفضيل إذا كان على وجه الحميَّة والعصبية وهوى النفس، كان مذموماً[١]، فإن الله حرم الفخر، كما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "أُوحي إِلي أن تواضَعوا، حتى لا يَفخرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ". فعُلِمَ أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر، أو على وجه الإنتقاص بالمفضول[٢]، وعلى هذا يُحمل أيضاً قوله ﷺ: "لاتفضِّلوا بين الأنبياء".

وقد أجاب بعضهم بجوابٍ آخر، وهو أن قولَه ﷺ: "لاتفضلوني على موسى"، وقولَه: "ولا تُفضلوا بين الأنبياء"، نهي عن التفضيل الخاص: أي: لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه، بخلاف قوله "أنا سيدُ ولد آدم ولا فخر"، فإنه تفضيل عام، فلا يُمنَعُ منه[٣].

---

[١] يستبعد أن يكون الصحابي لطم اليهودي عن عصبية وهوى النفس، بل الذي يليق بالصحابي -وهو الذي يفهم من النص- أنه لطم اليهودي لما رأى في مقولته من انتقاص لقدر نبينا ﷺ، والغضب للذود عن حرمات النبي ﷺ حقٌّ وواجب على كل مسلم، ولا يصح أن يعتبر ذلك من قبيل العصبية وهوى النفس، فقد جاء في السنن أن رجلاً أعمى قتل أم أولاده بسبب نيلها من جناب النبي ﷺ وشتمها له، وأن النبي ﷺ قد أهدر دمها. كذلك قتل خالد ابن الوليد ﷺ، لمن كان يقول مشيراً للنبي ﷺ: "هذا الرجل أو عند صاحبكم" من دون أن يضيف إليه نسبة النبوه، لما رأى في مقولته من انتقاص لقدر النبي ﷺ. ثم لو كان فعل الصحابي فيه عصبية وهوى للنفس لبين له النبي ﷺ ذلك ولنهاه عنه، لأن النبي ﷺ لا يجوز الإفتراض فيه أنه يسكت على منكر يراه أو يسمعه، فعلم أن غضب النبي ﷺ كان لمجرد المفاضلة بين الأنبياء بأعيانهم، والله تعالى أعلم.

[٢] إن مجرد إجراء المفاضلة بين الأنبياء بأعيانهم، سوف يحصل الشعور بانتقاص المفضول، لذا فالسلامة في اجتنابها.

[٣] لعل هذا الرأي هو الأقرب للصواب، لموافقته للسنة، فالسنة قد جاءت بالتفضيل العام، ونهت عن التفضيل الخاص المعين. ونحن نثبت ما أثبته النبي ﷺ، وننتهي عما نهى عنه ﷺ، من دون زيادة أو نقصان.

قولُه: "وحبيبُ ربِّ العالمين" .

ش: ثبت له ﷺ أعلى مراتب المحبة، وهي الخُلَّة[١]، كما صح عنه ﷺ أنه قال: " إنَّ الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"[٢]. وقال: "ولو كنتُ متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكن صاحِبَكُم خليلُ الرحمنِ"[٣].

-الخُلَّة خاصةٌ بإبراهيم ونبينا محمدٍ صلوات الله عليهما، أما المحبةُ فهي عامَّةٌ لجميع المؤمنين-

المحبَّةُ ثبتت لغيرِه ﷺ، قال تعالى: **﴿والله يحب المحسنين﴾** آل عمران: ١٣٤. **﴿فإن الله يحب المتقين﴾** آل عمران: ٧٦. **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** البقرة: ٢٢٢. فبطل قول من خص الخُلة بإبراهيم، والمحبةَ بمحمدٍ، بل الخلة خاصةٌ بهما، والمحبة عامة[٤].

---

[١] الخُلَّة: هي من المخاللة، دخول الشيء في الشيء، لذا فسرها الشارح بأنها: المحبة التي تخللت روح المحبِ وقلبه. والخلة هي الثابتة للنبي ﷺ. وهي أعلى درجة من المحبة، لذا كان يفضل أن يقول "وخليل رب العالمين" بدلاً من قوله "وحبيب رب العالمين" والله تعالى أعلم.

[٢] أخرجه مسلم، وتمام الحديث: عن جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك".

[٣] أخرجه مسلم وغيره.

[٤] الخلة من النبي ﷺ لمن دونه من الصحابة ممتنعة بالنص أما خلة الصحابة وغيرهم من المسلمين للنبي ﷺ غير ممتنعة ويجوز إطلاقها، لذا كان بعض الصحابة إذا أراد أحدهم أن يحدث عن النبي ﷺ، قال: قال خليلي أو حدثني خليلي، ومثل هذا كثير في السُنَّة. وكذلك قوله ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل". وأي خليل أفضل ديناً من نبينا ﷺ فدل أن الخلة من الأعلى إلى الأدنى غير واردة باستثناء خلة الله تعالى لمحمد وإبراهيم عليهما أفضل الصلاة والسلام، لورود النص، بينما الخلة من الأدنى إلى الأعلى فهي جائزة، بل واجبة والله تعالى أعلم.

-لايصح أن يُوصف العبد بالعِشقِ في محبته لربه-

العشِقُ: هو الحبُّ المُفرِط الذي يُخاف على صاحبه منه، ولكن لا يُوصَفُ به الربُّ تعالى، ولا العبدُ في محبة ربه، واختُلِفَ في سبب المنع، فقيل: عدمُ التوقيف[1]، وقيل غير ذلك، ولعلَّ امتناعَ اطلاقه أن العشقَ محبةٌ مع شهوةٍ.

قولُه: "وكلُّ دعوى النبوَّةِ بعدَهُ فغيٌّ وهوى[1]".

ولا يقال -كما سمعت مرة من واعظ يشرح الطحاوية!!- إن الخلة لاتجوز منا للنبي ﷺ، ولا بين المؤمنين بعضهم لبعض، لأن هذا يستلزم أن لا يبقى شيء من الحب لله تعالى لأن الخلة منتهى الحب وذروته، وعلى هذه الشبهة نرد من وجهين:

أولهما، وجود النصوص الشرعية الدالة على ثبوت هذا النوع من الخلة، كقوله تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضهم عدو إلا المتقين**﴾، ولقوله ﷺ: "فلينظر أحدكم من يخالل".

أما الثاني، أن هذه الخلة في حقيقتها هي معقودة في الله ولله وليس لذات الخليل وإلا لكانت شركاً والعياذ بالله، والدليل على ذلك أن المحبوب المتخَذ خليلاً لو تغير حاله من الاستقامة والتقوى إلى الفجور والكفر لسرعان ما تنقلب هذه الخلة إلى عداوة وبغضاء من الطرف الآخر، فدل أن هذا الحب هو من محبة الله وطاعته وليس لذات المحبوب، حيث لا يحب لذاته إلا الله ﷻ وما سواه يحب له ولأجله.

ومن الإطلاقات الخاطئة التي ينبغي التحذير منها، إطلاق بعض الوعاظ المتحمسين -في خطب الجمعة- ليستثيروا حماس الحضور: (يا أحباب محمد ﷺ!!) ويكون في الحضور الكافر والفاسق والمؤمن، ومن لا يصلي إلاَّ الجمعة، ومن يعتقد عقائد الكفر والضلال كالعلمانية وغيرها، والشاهد كيف يطلق على هؤلاء كلهم أنهم أحباب محمد ﷺ، وقد ثبت أن أحباب محمد ﷺ وأولياءه هم المؤمنون المتقون فقط مهما كانوا وأين كانوا.

[1] أي: لعدم ورود النص من الكتاب والسنة على مشروعية هذا الاطلاق أو المصطلح.

ش: لما ثبت أنه خاتمُ النبيين، عُلِمَ أن من ادعى بعده النبوة، فهو كاذب، والغيُّ: ضد الرشاد، والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس.

قولُه: "وهو المبعوثُ إِلى عامة الجِنِّ وكافَّة الورى، بالحقِّ والهدى، وبالنورِ والضياء" .

---

(١) قلت: حكم الغي والهوى لا يستفاد منه الحكم الصحيح الذي يستحقه مدعي النبوة بعد النبي ﷺ وهو الكفر والزندقة، لأن ليس كل غي وهوى يعتبر كفراً، بينما كل كفر هو غي وهوى، لذا فالأصح أن يقال: "وكل دعوى النبوة بعده فكفر وزندقة" والله تعالى أعلم.

قال الشيخ ناصر في تعليقه على الطحاوية: قد أخبر النبي ﷺ أمته نصحاً لهم وتحذيراً في أحاديث كثيرة أنه سيكون بعده دجالون كثيرون، وقال في بعضها: "كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي" رواه مسلم. ومن هؤلاء الدجالين (ميرزا غلام أحمد القادياني) الذي ادعى النبوة، وله أتباع منتشرون في الهند وألمانيا وإنكلترا وأميركا، لهم فيها مساجد يضلون بها المسلمين، وكان منهم في سورية أفراد، استأصل الله شأفتهم وقطع دابرهم، ولهم عقائد كثيرة غير اعتقادهم بقاء النبوة بعده ﷺ. وهم بلا شك ممن عناهم رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح عنه: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم وآباؤكم فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم" رواه مسلم.

وإن من أبرز علاماتهم أنهم حين يبدأون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسى عليه الصلاة والسلام، فإذا تمكنوا من ذلك بزعمهم انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام ويتظاهرون بالإيمان بها، ثم سرعان ما يتأولونها، ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته، بأن المقصود نزول مثيل عيسى! وأنه هو غلام أحمد القادياني! ولهم من مثل هذا التأويل الشيء الكثير والكثير جداً، مما جعلنا نقطع بأنهم طائفة من الباطنية الملحدة.

ومن ضلالات القاديانية إنكارهم للجن كخلق غير الإنس، ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق بما يعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون إنه إنسي شرير!! ا–هـ.

ش: أما كونه مبعوثاً إلى عامة الجنِّ، فقد قال تعالى حكاية عن قول الجن: **﴿ياقومَنا أجيبوا داعي الله﴾** سورة الأحقاف: ٣١. وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً، وقال تعالى: **﴿يامعشر الجن والإنس ألم يأتِكُم رُسلٌ منكم﴾** الأنعام: ١٣٠. والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيرُه من السَّلَف والخلف. وقال ابن عباس: الرسلُ من بني آدم، ومن الجن نذُرٌ، وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: **﴿إنا سمعنا كتاباً أُنزِلَ من بعد موسى﴾** الأحقاف: ٣٠. يدل على أن موسى مرسَلٌ إليهم أيضاً.

وأما كونه مبعوثاً إلى كافة الورى، فقد قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافَّةً للناس بشيراً ونذيراً﴾** سبأ: ٢٨. **﴿قل يأيها الناس إني رسولُ الله إليكم جميعاً﴾** الأعراف: ١٥٨. **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾** الفرقان: ١.

وقال ﷺ: "كان النبي يُبعَثُ إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناس كافةً"[١]. وقال ﷺ: "لايسمع بي رجلٌ من هذه الأمة، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار"[٢]. وكونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة[٣].

وقولُه: "بالحق والهدى، وبالنور والضياء" .

---

[١] متفق عليه.

[٢] أخرجه مسلم. قلت: والمراد بالحديث أن يَسمع بالنبي ﷺ وبدعوته على الوجه الصحيح، ولا يشترط في المسمِعِ أن يكون عالماً مجتهداً عارفاً كما يقول البعض، بل أي وسيلة تنقل هذه المعلومة بوجه صحيح تقوم بها الحجة على السامع المخالف، لأن الحجة في حقيقتها تكمن في المعلومة الشرعية الصحيحة التي تدفع الجهل وليست في الوسيلة، فتنبه لذلك.

[٣] مما تقدم يعلم بطلان قول بعض النصارى، والقوميين العرب، من أن النبي ﷺ قد أُرسل للعرب فقط وأن دعوته خاصة بهم!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا.

وكونه ﷺ مرسلاً إلى كافة الناس، فهذا يستلزم من جميع الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم -أن ينفروا لتعلم الدين وما يجب عليهم نحو ربهم ودينهم، ولا يعذر أحد منهم على التقصير مع توفر الاستطاعة لديه على معرفة الحق.

هذه أوصاف ما جاء به ﷺ من الدين والشرع، المؤيَّد بالبراهين الباهرة، من القرآن وسائر الأدلة.

قولُه: "وإنَّ القرآن كلامُ اللهِ، منه بدا بلا كيفيَّةٍ قولاً، وأنزلَهُ على رسُوله وحياً، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلامِ البريّةِ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذَمَّهُ اللهُ وعابه، وأوعدَهُ بسقَر حيثُ قال تعالى: ﴿سأُصليه سقر﴾ المدثر: ٢٦، فلما أوعدَ اللهُ بسقَر لِمَن قال: ﴿إنْ هذا إلا قولُ البشر﴾ المدثر: ٢٥، علمنا وأيقنا أنه قولُ خالِق البشر ولا يُشبه قولَ البشر".

ش: هذه قاعدة شريفة، وأصل كبير من أصول الدين، والذي حكاه الطحاوي -رحمه الله- هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، وشهدت به الفطرة السليمة، والمأثور عن أئمةِ الحديث والسنة.

قال تعالى: **﴿سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ﴾** يس: ٥٨. وقال: **﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاقَ لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم﴾** آل عمران: ٧٧. فأهانهم بترك تكليمهم والمراد: أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: **﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾** المؤمنون: ١٠٨. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين، لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلّمُهم فائدة أصلاً. وقال تعالى: **﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلامَ الله﴾** التوبة: ٦. وهو لا يسمَعُ كلامَ الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله.

وقال البخاري في صحيحه: بابُ كلامِ الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث. فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكارٌ لروح

الجنة، وأعلى نعيمها وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلا به وقالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: ولَشَأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلَّمَ اللهُ فيَّ بوحيٍ يُتلى[1].

لقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكلّم اللهَ موسى، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله !! فقال له أبو عمرو: هَبْ أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلَّمَهُ ربُّه**﴾ الأعراف: ١٤٣. فبُهِتَ المعتزلي.

وقال الإمام أبو حنيفة في (الفقه الأكبر): القرآن كلامُ الله في المصاحف مكتوبٌ، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروءٌ، وعلى النبي منزلٌ، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق، وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلامُ الله إخبارٌ عنهم، كلام الله غيرُ مخلوقٍ، وكلام موسى ، وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلامُ الله لا كلامهم، وسمِعَ موسى كلامَ الله تعالى، فلما كلَّمَ موسى، كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الأزل، وصفاتُه كلُّها خِلافُ صفات المخلوقين، يعلَمُ لا كعلمنا، ويَقدِرُ لا كقُدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا ا–هـ.

وبالجملة فأهل السُّنَّة كلُّهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السَّلَف والخلَف متفقون على أن القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ[2].

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم**﴾. والحديث متفق عليه.

[2] قلت: وكذلك فإن أكثر علماء السَّلَف متفقون على كفر من يقول بخلق القرآن لتضمنه وصف صفات الله تعالى بما يجري على المخلوق المحدث، قال الشيخ حافظ الحكمي في كتابه القيم "اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة": ومن قال القرآن أو شيء من القرآن مخلوق فهو كافر كفراً أكبر يخرجه من الإسلام بالكلية. لأن القرآن كلام الله تعالى، منه بدأ وإليه يعود، وكلامه صفته، ومن قال شيء من صفات الله مخلوق فهو كافر مرتد يعرض عليه الرجوع إلى الإسلام فإن رجع وإلا

-إضافةُ الأعيانِ إلى الله تعالى غير إضافة المعاني-

وقوله: "**كلام الله منه بدا بلا كيفية**". ردٌّ على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبدُ منه، وأنه مخلوق خلَقه الله منفصلاً عنه، قالوا: وإضافتُه إليه إضافةُ تشريف، كبيتِ الله، وناقة الله، يحرفون الكلِمَ عن مواضعه، وقولُهم باطلٌ، فإن المضافَ إلى الله تعالى معانٍ وأعيان، فإضافةُ الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعِلْمِ الله، وقدرَتِه، وعِزَّته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره، فإن هذا كُلَّه من صفاته، لا يمكن أن يكون شيءٌ من ذلك مخلوقاً.

-الوصف بالتكلُّم من أوصاف الكمال-

الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿**واتخذَ قومُ موسى من بعده من حُليّهم عِجلاً جسَداً له خوَار ألم يروا أنه لا يكلِّمُهم ولا يهديهم سبيلاً**﴾ الأعراف: ١٤٨. فكان عُبَّادُ العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربَّكَ لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى عن العجل أيضاً: ﴿**أفلا يرون ألاَّ يرجِعُ إليهم قولاً ولا يملكُ لهم ضَرّاً ولا نفعاً**﴾ طه: ٨٩. فعُلِمَ أن نفي رجع القول، ونفي التكلم، نقص يُستدل به على عدم ألوهية العجل.

-مناظرةٌ بين الإمام عبد العزيز المكي وبِشْر المريسي-

ألزم الإمام عبد العزيز المكي بِشْراً المريسي بين يدي المأمون بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرُجَ عن نصِّ التنزيل، وألزمه الحُجَّة، فقال بِشْرٌ: يا أمير المؤمنين، ليدَعْ مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره! فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة، وإلا فدمي حلال. قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟ فقال بِشْر: اسأل أنت، وطمع فيَّ[1]، فقلت له: يلزمك واحدةٌ من ثلاثٍ لابُدَّ منها: إما أن تقول: إن اللهَ خلق القرآن وهو عندي أنا كلامُه في

قتل كفراً ليس له شيء من أحكام المسلمين. ا-هـ. وانظر كتابه "معارج القبول" (١٨٨/١) وما بعدها فقد نقل أقوال كثير من علماء السَّلَف في المسألة.

[1] أي طمع في أن يقتنع منه فيستجيب له.

نفسه، أو خلَقَهُ كما خلقه قائماً بذاته ونفسه[١]، أو خلقه في غيره؟ قال: أقول: خلقه كما خَلقَ الأشياء كلها، وحاد عن الجواب. فقال المأمون: اشرحْ أنت هذه المسألة ودع بشراً، فقد انقطعَ، فقال عبد العزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا مُحال، لأن الله لا يكون محلاًّ للحوادث المخلوقة ولا يكون منه شيء مخلوقاً، وإن قال: خلقه في غيره، فهو كلامه، وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال، لا يكون الكلامُ إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يُعقَلُ كلامٌ قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، عُلِمَ أنه صفة لله.

–شبهة ورد–

فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿**إنه لقولُ رسولٍ كريم**﴾ الحاقة: ٤٠، وسورة التكوير: ١٩. وهذا يدل على أن الرسولَ أحدثه، إما جبريل أو محمد ﷺ.

قيل: ذِكْرُ الرسولِ معرِّف أنه مبلِّغٌ عن مُرسِله، لأنه لم يقل: إنه قول ملَكٍ أو نبي، فعُلِمَ أنه بلغه عمن أرسله به، لا أنه أنشأه من جهة نفسه. وأيضاً فالرسول في إحدى الآيتين جبريل[٢]، وفي الأخرى محمد[٣] ﷺ، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو

[١] أي أن الكلام قائم بذاته من دون أن يكون قائماً في محدث أو مخلوق آخر.

[٢] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إنه لقول رسول كريم. ذي قوةٍ عند ذي العرش مكين. مُطاعٍ ثَمَّ أمين**﴾ التكوير: ١٩–٢١.

[٣] قوله تعالى: ﴿**إنه لقول رسول كريم. وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون**﴾ الحاقة: ٤٠–٤١.

أحدثَه أحدُهما امتنع أن يُحدثه الآخر. وأيضاً: فقوله رسول أمين[1]، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أُرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أُرسل به، يبلغه عن مرسله.

وأيضاً: فإن الله قد كَفَّر من جعله قولَ البشَر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعله قولَ محمدٍ بمعنى أنه أنشأه، فقد كفَر ولا فرق بين أن يقول: إنه قولُ بشرٍ، أو جنّيٍّ، أو ملَكٍ، والكلامُ كلامُ من قاله مبتدئاً، لا من قاله مُبلغاً.

-كلامُ اللهِ صفةٌ من صفاته، نؤمن بها بلا كيفيةٍ ولا تشبيه-

قولُه: "**بلا كيفية**" أي: لا تُعرفُ كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز، "**وأنزله على رسُوله وحياً**" أي: أنزله إليه على لسان الملَك، فسمعه الملَك جبريل من الله، وسمعه الرَّسُول محمد ﷺ من الملك وقرأه على الناس، قال تعالى: **﴿نَزَلَ به الروحُ الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسانٍ عربيٍّ مبين﴾** الشعراء: ١٩٥.

وقوله: "**ولا يشبه قول البشر**". يعني: أنه أشرفُ وأفصح وأصدق، قال تعالى: **﴿ومن أصدقُ من الله حديثاً﴾** النساء: ٨٧. وقال: **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾** الإسراء: ٨٨. وقال: **﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾** يونس: ٣٨. فلما عجزوا -وهم فصحاءُ العرب[2]، مع شِدَّة العداوة- عن الإتيان بسورة

---

[1] قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: تعبير الشارح بقوله: "وأيضاً فقوله رسول أمين" فيه شيء من التساهل، لم يرد به حكاية التلاوة، وإنما أراد المعنى فقط. ولو قال: "وأيضاً فوصف الرَّسُول بأنه أمين .. "كان أدق وأجود.

[2] لا خلاف بين أهل العلم أن من ادعى أنه يستطيع أن يأتي بنظم كالقرآن، أو بفصاحته، أنه كافر مرتد، وإذا كان الأمر كذلك، فأيضاً من يدعي أن أحكام المخلوق وتشريعاته أفضل وأصلح للبشرية من تشريعات القرآن وأحكامه أو تماثلها، فهو كافر مرتد ولربما كفره أغلظ من كفر الأول. فالله أنزل القرآن، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، كما قال تعالى: **﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾**. فهذه هي الغاية الأساسية من نزول الكتاب. ومن جهالة القوم بالتوحيد أنهم لا يستسيغون السماع من أحد

مثلِه، تبين صِدقُ الرَّسُول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازُه من جهة نظمه ومعناه، وهذا مع أنه قرآنٌ عربي غيرُ ذي عِوَجٍ بلسانٍ عربيٍّ مبين. فنفى المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلماتُ والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السُّوَر(١).

-حكمُ مَنْ أنكرَ أن القرآن كلامُ الله-

وقولُه: "**ومن سَمِعَه، وقال: إنه كلامُ البشر، فقد كفر**"، لا شك في تكفير من أنكر أن القرآنَ كلامُ الله، بل قال: إنه كلامُ محمدٍ أو غيره من الخلق، ملَكاً كان أو بَشَراً(٢).

قولُه: "ومن وصف اللهَ بمعنى من معاني البشر، فقد كفَرَ(٣)، فَمن أبصرَ هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزَجَرَ، وعَلِمَ أن اللهَ بصفاته ليس كالبشر" .

ش: نفياً للتشبيه عَقِبَ الإثبات، يعني: أنه تعالى وإن وُصِفَ بأنه مُتكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلماً، فإن الله ليس كمثله شيءٌ، وهو السميعُ البصير.

وقولُه: "**فمن أبصر هذا اعتبر**". أي من نظر بعين بصيرته فيما قاله(١) من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيد المشبِّهة، اعتبر وانزجر عن مثل قولِ الكفار.

أن يزعم نظماً كنظم القرآن، بينما يقبلون منه ومن غيره أن يدعي التشريع المضاهي لشريعة القرآن، فالأول صعب على نفوسهم وعلى آذانهم أن تسمعه، بينما الآخر تستسهله نفوسهم وتقبله وتحسنه وتجادل عنه!!.

(١) مراده أن الغاية من الأحرف المقطعة في أوائل السور إظهار التحدي للعرب ولفصحائهم، فرغم أنها أحرف عربية ينطقون بها إلا أنهم يعجزون عن أن يشكلوا منها نظماً يوازي كلمات القرآن الكريم في النظم والمعنى والإعجاز، والله تعالى أعلم.

(٢) فهو كافر لما في قوله من تكذيب صريح لما جاء في القرآن الكريم، ودلت عليه السُّنَّة النبوية.

(٣) وكذلك من وصف البشر بشيء من خصائص الله تعالى فقد كفر، وما أكثر الواقعين في هذا النوع من الكفر والشرك في زماننا.

قولُه: " والرؤيةُ حقٌ لأهل الجنَّةِ، بغير إحاطةٍ ولا كيفيَّةٍ، كما نطق به كتابُ ربنا: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ إِلى ربِّها ناظرة﴾ القيامة: ٢٢-٢٣، وتَفسيره على ما أراد اللهُ تعالى وعَلِمَه، وكلُّ ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسولِ الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أرادَ، لا نَدْخُلُ في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ. ورَدَّ عِلْمَ ما اشتُبه عليه إلى عالِمِه".

ش: قوله تعالى: **﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة. إلى ربها ناظرة﴾**، من أظهر الأدلة، وهو صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الربِّ جلَّ جلالُه.

وأما من أبى إلا تحريفها بما يُسميه تأويلاً، فتأويلُ نصوص المعادِ والجنة والنار والحِساب، أسهلُ من تأويلها على أرباب التأويل، وهذا الذي أفسدَ الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهودُ والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذَّرنا الله أن نفعل مِثلَهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويلُ الفاسد[٢] على الدين وأهله من جناية[١].

---

[١] أي الإمام الطحاوي في متن العقيدة.

[٢] قال ابن تيمية في تعريف التأويل: يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره، وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، والثاني: يراد بلفظ التأويل "التفسير" وهو اصطلاح كثير من المفسرين، والثالث: أن يراد بلفظ التأويل صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف السَّلَف، وإنما سمى هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله، والكلام. الفتاوى: ٤/٦٩.

أقول: التأويل الفاسد: منه ما لا يعارض نصاً صريحاً أو ما هو معلوماً من الدين بالضرورة -ومع ذلك فصاحبه يكون على خطر وقد ركب موجة الإبتداع والإحداث- ومنه ما يعارض نصاً صريحاً أو ما هو معلوماً من الدين بالضرورة، فهذا غالباً ما يترتب على صاحبه حكم الزندقة والكفر والإرتداد، كتأويلات الباطنية وغيرهم من الغلاة.

-الأدلة على الرؤية وأقوال السَّلَف-

عن ابن عباس: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل. وقال عكرمة: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة**﴾، قال: من النعيم، ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ قال: تنظر إلى ربها نظراً. وهذا قول كل مفسر من أهل السُّنَّة والحديث. وقال تعالى: ﴿**لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد**﴾ ق: ٣٥. قال الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله عز وجل. وقال تعالى: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ يونس: ٢٦. فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظرُ إلى وجهه الكريم، فسَّرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما في صحيح مسلم، عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ قال: "إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ نادى منادٍ: يا أهلَ الجنة، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن يُنجِزَكُموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيِّضْ وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشِفُ الحجابَ، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة"[٢].

وكذلك فسرها الصحابة ، روى ابن جرير عن جماعة، منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس.

قال تعالى: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون**﴾ المطففين: ١٥. احتجَّ الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، عن الربيع بن سليمان، قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقولُ في قوله تعالى:﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون**﴾ فقال الشافعي: كما أن حُجِبَ هؤلاء في السُّخط، كان في هذا دليل على أن أولياءَه يرونه في الرضاء.

---

[١] من يتأمل الفتن التي وقعت بها الأمة من قبل، وحصول الفرق الضالة، وما تشعب عنها من عقائد باطلة، لوجد أن أكثرها حصلت بسبب التأويل الفاسد للدين.

[٢] صحيح، ورواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد نحوه.

وعن أبي هريرة، أن ناساً قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: "هل تُضارُّونَ[١] في رؤية القمر ليلة البدر؟" قالوا: لا يارسول الله، قال: "هل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟" قالوا: لا، قال: "فإنكم ترونَه كذلك"[٢].

وحديث أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: "جنتان من فضة، آنيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربَّهم تبارك وتعالى إلا رِداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عَدْنٍ"[٣].

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسولَ قالَها[٤].

وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيها لله بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو اللهِ على خلقه، وإلا فهل تُعقَلْ رؤيةٌ بلا مقابَلةٍ؟! ومن قال: يُرى لا في جِهَةٍ، فليراجع عقله فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو في عقله شيء.

-المراد من قوله تعالى : ﴿لا تُدرِكُهُ الأبصارُ﴾ الأنعام: ١٠٣-

المعنى: أنه يُرى ولا يُدرَك ولا يُحاط به، فقوله: **﴿ولا تدركه الأبصار﴾**، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كلِّ شيءٍ، وأنه لكمال عظمته لا يُدرك بحيث يُحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قَدْرٌ زائد على الرؤية، كما قال تعالى: **﴿فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا﴾** الشعراء: ٦١-٦٢. فلم ينفِ موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منها يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك،

---

[١] أي هل تتنازعون وتختلفون وتتجادلون في صحة رؤيته؟

[٢] متفق عليه.

[٣] متفق عليه.

[٤] كذلك يعلم بطلان مقولة الذين يقولون بعدم الرؤية، كالرافضة الإثنى عشرية، والخوارج، والمعتزلة.

كما يُعلم ولا يحاط به علماً، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

-لايَرى اللهَ تعالى أحدٌ في الدنيا بعينه-

اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة، والذي دلت عليه السُّنَّة أن النبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا بعينه، كما في حديث عائشة لمسروق حين سألها: هل رأى محمدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربَّه، فقد كذَب(١).

وعن أبي ذر قال: سألت رسولَ الله ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ فقال: "نورٌ أنى أراه"(٢) وفي رواية: "رأيت نوراً".

---

(١) أخرجه الشيخان، وأحمد. وتمام الحديث عند مسلم: عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشةَ ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية، قال: وقد كنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله تعالى: **﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾**؟ فقالت عائشة: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: "إنما هو جبريل عليه السلام لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض" فقالت: أولم تسمع أن الله يقول: **﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾**، أولم تسمع أن الله يقول: **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً﴾** إلى قوله: **﴿علي حكيم﴾**؟ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم الفرية، والله يقول: **﴿ياأيها الرَّسُول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾**. قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم الفرية، والله يقول: **﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾**.

(٢) أخرجه مسلم وغيره، قال الشيخ ناصر: ويشهد له حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: "يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عينٌ إلى الله ﷻ". رواه الدار قطني كما في "الدر" (٦/١٩١)، وله شاهد مرسل رواه أبو سعيد الدارمي.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: "إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه[1]، يُرفَع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور- وفي رواية: النار- لو كشفه، لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[2] فيكون معنى قوله لأبي ذر: "رأيت نوراً" أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: "نور أنَّى أراه" النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنَّى أراه؟! أي فكيف أراه والنورُ حجابٌ بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريحٌ في نفي الرؤية، والله أعلم. وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

-إثبات الرؤية القلبية لنبينا ﷺ-

عن عطاءٍ، عن ابن عباس رآه بقلبه[3].

---

(١) قال النووي في الشرح (١٣/٣)، قال القاضي عياض، قال الهروي، قال ابن قتيبة: القسط الميزان، وسمى قسطاً لأن القسط العدل، وبالميزان يقع العدل، قال: والمراد أن الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ا-هـ.

(٢) أخرجه مسلم وغيره. وقوله: "سبحات وجهه"، قال النووي في الشرح: قال جميع الشارحين للحديث من اللغويين والمحدثين معنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاؤه، والمراد "بما انتهى إليه بصره من خلقه"، جميع المخلوقات لأن بصره ﷻ محيط بجميع الكائنات. ولفظة "مِن" لبيان الجنس لا للتبعيض. والتقدير لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته والله أعلم ا-هـ.

(٣) صحيح، أخرجه مسلم. وعن عكرمة، وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "رأيت ربي ﷻ، ثم ذكر كلاماً". رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة: (٤٤٠)، قال الشيخ ناصر في التخريج: حديث صحيح، ورجاله ثقات رجال الصحيح.

وعن ابن عباس موقوفاً قال: "إن الله اصطفى إبراهيم بالخلَّة، واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً بالرؤية". رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة: (٤٣٦). قال الشيخ ناصر: إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري. وفي رواية، قال: "أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم

وقوله: "**بغير إحاطة ولا كيفية**" هذا لكمال عظمته وبهائه، سبحانه تعالى، لا تدركه الأبصار، ولا تُحيطُ به، كما يُعلَمُ ولا يُحاط به عِلماً، قال تعالى: **﴿لا تدركه الأبصار﴾** الأنعام: ١٠٣. **﴿ولا يُحيطون به علماً﴾** طه: ١١٠.

-كل تأويلٍ مخالف للسنة فهو فاسدٌ-

وقوله: "**وتفسيره على ما أراد الله وعَلِمَه**" إلى أن قال: "**لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا**" أي: كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسُّنة في الرؤية[١]، وذلك تحريفٌ لكلامِ اللهِ وكلام رسُوله عن مواضعه، فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنةُ، والفاسد المخالف له، فكلُّ تأويل بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينه تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبيِّنُ الهادي بكلامه، إذ لو قصده لحفَّ بالكلام قرائنُ تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لايوقع السامع في اللَّبسِ والخطأ، فإن الله أنزل كلامَهُ بياناً وهدى، فإن أراد به خلاف ظاهره ولم يَحُفَّ به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبارٌ بمراد المتكلم لا إنشاء[٢].

الطَيْكُلاِ، والكلام لموسى الطَيْكُلاِ، والرؤية لمحمد ﷺ". رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة: (٤٤٢). قال الشيخ ناصر: إسناده صحيح على شرط البخاري.

أقول: لا تعارض بين هذه الأحاديث، وحديث عائشة رضي الله عنها، فحديث عائشة ينفي الرؤية بالعين، بينما هذه الأحاديث تثبتها بالقلب، كما دل حديث ابن عباس في أصح ما روي عنه.

[١] وكذلك الرافضة والخوارج، فهم ينفون عن المؤمنين رؤية ربهم يوم القيامة.

[٢] قلت: وهذا يحمل على جميع الأحكام ما يتعلق منها في العقائد والأسماء والصفات، أو الأحكام على الأعيان من تكفير ونحوه، فمن أطلق عليه الشارع حكم الكفر يحمل عليه الحكم وتبعاته ما لم يوجد دليل شرعي آخر أو قرينة شرعية تقتضي صرف هذا الكفر عن ظاهره إلى الكفر دون الكفر أو الفسق غير المكفر، وفي حال انعدام وجود مثل هذه القرينة يتعين حمل الكفر على ظاهره المكفر

-لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح-

وقوله: "**فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّم لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وردَّ عِلْمَ ما اشتُبه عليه إلى عالمِه**" أي: سَلَّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة[١]، أو يقول: العقلُ يشهد بضد ما دل عليه النقل!! والعقل أصل

المخرج من الملة من غير أدنى تأويل، وبهذا الضابط يتميز الكفر الأكبر عن الكفر الأصغر، والمسألة قد أوفيناها بحثاً في كتابنا "قواعد في التكفير" عند الحديث عن قاعدة "الكفر العملي الأصغر لايقال به إلا بقرينة شرعية تدل عليه"، فلتراجع.

[١] قال تعالى: ﴿**فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليم**﴾ النور: ٦٣. قال الإمام أحمد رحمه الله: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرَّسُول ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعاً. ثم جعل يتلو: ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة**﴾، وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه.

وقيل له: إن قوماً يدَعون الحديث، ويذهبون إلى رأي سفيان! فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدَعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره! قال الله تعالى: ﴿**فليحذر الذين يُخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة**﴾ وتدري ما الفتنة؟ الكفر. قال الله تعالى: ﴿**والفتنة أكبر من القتل**﴾، فيدَعون الحديث عن رسولِ الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي؟! ا-هـ. عن الصارم المسلول لابن تيمية: ٥٦.

قلت: إذا كان هذا حال من يدَع قول النبي ﷺ إلى قول سفيان وغيره من علماء الأمة، فما يكون القول والحكم فيمن يدع قوله ﷺ إلى قول الطواغيت وأئمة الكفر والفجور .. ؟!

قال تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجَر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلموا تسليماً**﴾ النساء: ٦٥. قال ابن القيم: أقسم سبحانه بنفسه المقدَّسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسُوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح

النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!! وهذا لا يكون قطُّ، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك، فإن كان النقلُ صحيحاً، فذلك الذي يُدَّعى أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حُقِّق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقلُ غيرَ صحيح، فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقلٌ صحيحٌ أبداً.

-من لوازم الإيمان وشروطه التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره-

فالواجبُ كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقيادُ لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دونَ أن يعارضَه بخيالٍ باطلٍ يسميه معقولاً، أو يُحَمِّلَه شبهةً أو شكاً، أو يُقدِّمَ عليه آراءَ الرجال، وزبالَة أذهانهم، فيوحِّده بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان، كما وحَّد المرسِلَ بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل. فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيدُ المرسِل وتوحيدُ متابعةِ الرَّسُول، فلا يُحاكِم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يَقِفُ تنفيذُ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته

وتنفسح له كل الانفساح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض ا-هـ.

وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ الحجرات: ١-٢. قال ابن تيمية في تفسير الآية: أي حذَرَ أن تحبط أعمالكم، أو خشية أن تحبط أعمالكم، أو كراهة أن تحبط أعمالكم، ولا يحبط الأعمال غير الكفر، لأن من مات على الإيمان فإنه لابد أن يدخل الجنة ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها، ولا ينافي الأعمال مطلقاً إلاَّ الكفر ا-هـ.

قلت: إذا كان مجرد رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ مظنة لحبوط العمل وحصول الكفر، فما يكون القول فيمن يرفع حكمه على حكم الرَّسُول ﷺ، ويقدمه عليه، ويجعله النافذ دونه.. لاشك أنه أولى بالكفر والارتداد، وبأن تحبط أعماله.

ومن يُعظمه، فإن أذنوا له، نفذه وَقبِلَ خبرَه!! وإلا فوَّضَه إليهم[١] وأعرض عن أمره وخبره، وحَرَّفه عن مواضِعه وسمَّى تحريفه تأويلاً وحملاً! فقال: نُؤوِّله ونحمِلُه. فلأَن يلقى العبدُ ربه بكل ذنبٍ -ما خلا الإشراك بالله- خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال[٢].

بل إذا بَلَغَهُ الحديثُ الصحيح يعدُّنفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر قبولَه والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامِه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يُستَشكَلُ قولُه لمخالفته رأي فلان[٣]، بل تُستشكل الآراءُ لقوله، ولا يُعارَض نصُّه بقياس، بل تُهدر الأقيسة وتُلغى لنُصوصه، ولا يُحرَّف كلامُه عن حقيقته، لخيالٍ يسميه أصحابه معقولاً، ولا يوقَفُ قبولُ قوله على موافقته فلان دون فلان، كائناً من كان[٤].

---

[١] جاء في الأصل: "وإلا فإن طلَبَ السلامَةَ فوَّضه إليهم، وأعرض عن أمره.. " فالمعنى في هذه الحالة لايستقيم ولا يصح؛ لأنه لا يصح أن يقال لمن يعرض عن أمر النبي ﷺ إلى أمر غيره أنه طالب للسلامة، بل من كان هذا وصفه فهو طالب للكفر والغضب والعذاب.

[٢] لأن هذا النوع من التأويل غالباً ما يؤدي إلى إباحة المحظورات، وتعطيل الصفات وغيرها من الغيبيات المثبتة في الكتاب والسنة، وهو باب واسع يؤدي بصاحبه إلى الشرك والزندقة.

[٣] أي لا ينبغي أن يستشكل قول النبي ﷺ على الأذهان، لمعارضته لأقوال الغير، مهما سمت مرتبة هذا الغير العلمية والدينية والاجتماعية، لأن الأصل الذي يجب أن يتبع من دون التفات أو تردد هو قول النبي ﷺ، وما سواه إن جاء قوله مخالفاً لقول النبي ﷺ، فهو مردود ولا يُشتغل به. ومما يلاحظ على كثير من الأحزاب والجماعات المعاصرة -من باب التعصب للحزب أو الشيخ- فإن الحق لا يؤخذ به إلا إذا جاء عن طريق الحزب أو الشيخ، ولو جاء عن غير طريق الحزب وأشياخه فهو يقابل بالفتور والتردد، إذا لم يقابل بالرد والإعراض، والاستهانة والاستخفاف، وهذا من أشنع ما يؤخذ على كثير من الأحزاب والتجمعات المعاصرة.

[٤] المتأمل لواقع المسلمين في هذا الزمان، يجد أن كثيراً منهم يردون قول النبي ﷺ لقول المذهب الذي يتمذهبون به، أو لقول شيخ من مشايخ المذهب! كما وأنك تجد في قلوبهم رهبة لقول المذهب والشيخ أو الطريقة أكثر من قول الرَّسُول ﷺ!!

عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جده -عبد الله بن عمرو بن العاص-، قال: أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخَةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرّق بينهم، فجلسنا حَجْرَةً، إذ ذكروا آية من القرآن، فتمادوا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضَباً، قد أحمرَّ وجهه، يرميهم بالتراب ويقول:"مهلاً ياقوم، بهذا أُهلِكت الأمم من قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكُتُبَ بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضُه بعضاً، وإنما نزل يصدق بعضُه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتُم منه فردوه إلى عالِمِه"[١].

قولُه: "ولا تَثبتُ قدَمُ الإِسلام إلا على ظَهْرِ التسليم والاستسلام".

أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقادُ إليهما، ولا يعترض عليهما، ولا يُعارِضُها برأيه ومعقوله وقياسه[٢]. روى البخاري عن الإمام محمد شهاب الزهيري رحمه الله أنه قال: من اللهِ الرسالةُ، وعلى الرَّسُول البلاغُ، وعلينا التسليم. وهذا كلام جامعٌ نافع.

---

[١] صحيح، أخرجه أحمد، والبغوي في شرح السُّنَّة.

[٢] عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتك عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له الأمثال.

وقال عبادة بن الصامت ﷺ لمعاوية -وكان له إمرة عليه-: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرض لك علي فيها إمرة.

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد". فقال ابن له: إنا لنمنعهنَّ!! فقال: فغضب غضباً شديداً، وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول إنا لنمنعهن؟!!.

وكان ابن عباس ﷺ يقول: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون قال أبو بكر وعمر!!.

قلت: فكيف بمن يعارض قول النبي ﷺ -كما هو حال كثير من النَّاس في هذا الزمان -بقول أناسٍ هم أقل شأناً ومكانة وديناً من أبي بكر وعمر؟!

قولُه: "فمن رَامَ[1] عِلْمَ ما حُظِرَ عنه عِلمُهُ، ولم يقنع بالتسليم فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مُرامُه عن خالِص التوحيد، وصافي المَعرِفَة، وصحيحِ الإيمان".

ش: هذا تحذير أن يُتكلَّم في أصول الدين وغيرها بغير علم، قال تعالى: **﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم إن السمعَ والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** الإسراء: ٣٦. وقال تعالى: **﴿ومن النَّاس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير﴾** الحج: ٨. **﴿إن يتبعون إلا الظنَّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** النجم: ٢٣.

وعن أبي أُمامة الباهلي، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما ضلَّ قومٌ بعد هُدَىً كانوا عليه إلا أُتُوا الجدل" ثم تلا: **﴿ما ضرَبوه[2] لك إلا جدَلاً﴾**.

-على قَدْرِ التسليم للرسولِ ﷺ، يكونُ التوحيد-

ولا شك أن من لم يسلم للرسول، نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، أو يُقلِّد ذا رأي وهوى بغير هُدىً من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرَّسُول، فإنه قد اتخذ في ذلك إلهاً غير الله[3].

ومن نماذج الاقتداء والانقياد التي جعلت من جيل الصحابة جيلاً فريداً لا يوازيه جيل، ما أخرجه أبو داود في سننه، عن جابر قال: لما استوى رسُول الله ﷺ يوم الجمعة قال: "اجلسوا" فسمع ذلك ابن مسعود، فجلس على باب المسجد، فرآه رسُول الله ﷺ فقال: "تعال يا عبد الله بنَ مسعود" فتأمل أين نحن منهم..؟!

[1] أي تَطلَّع وطلَب.

[2] يعني هذا المثل، وهو قولهم: **﴿وقالوا ءآلهتنا خيرٌ أم هو، ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾** أي خصومة بالباطل، وحباً للجدل الذي لا يستهدف معرفة الحق.

[3] أقول: لاشك أن من اتخذ إلهاً ومعبوداً من دون الله فهو مشرك فاقد للتوحيد مطلقاً، ونقصان التوحيد يُطلَقُ على من يقع في ذنوب هي دون الشرك، أما الشرك فإنه يفقد الإيمان، ويحبط العمل مطلقاً، لاستحالة إجتماع الشيء وضده في آنٍ معاً. وصفة المشرك هنا تتمثل في طاعة ما عدا الله في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، وتقديم طاعتهم على طاعة الله ﷻ، كما قال تعالى:

قال تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواهُ﴾** الجاثية: ٢٣. أي: عبد ما تهواه نفسُه[1].

-أصلُ الفسادِ في العالَمِ من ثلاثِ فِرَقٍ-

قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبَ وقد يُورِثُ الذلَّ إدمانُها

وتَركُ الذنوبِ حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفس عِصيانُها

وهل أفسدَ الدينَ إلا المُلوكُ وأحبارُ سُوءٍ ورُهبانُها

﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ الأنعام: ١٢١، والشرك لا يكون إلا لنوع عبادة تصرف لغير الله تعالى.

[1] اعلم أن اتباع الهوى وطاعته، على نوعين: نوع يكون كفراً، وذلك حين يكون الهوى هو المعبود والمطاع من دون الله، حيث يؤدي بصاحبه إلى ممارسة الكفر وفعله، كما في قوله تعالى: **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾** وقوله: **﴿ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا﴾** وقوله: **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن﴾** وقوله: **﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾**، فالهوى الوارد في هذه الآيات يراد به الكفر الأكبر. ونوع يكون فسقاً ومعصية دون الكفر، وذلك حين يُطاع عن ضعف في معصية لا تخرج صاحبها من الملة، كارتكاب الزنى، وشرب الخمر وغير ذلك من المعاصي التي هي دون الكفر الأكبر، كما في قوله تعالى: **﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾** وقوله: **﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾**. أي: نهاها عن المحارم التي تشتهيها. ومنه يعلم أن صاحب الهوى ليس كافراً على الإطلاق، فأحياناً يكون كافراً، وأحياناً يكون فاسقاً عاصياً بحسب الهوى المتبع، وفيما قد اتبع.

قال ابن تيمية في صفة الهوى المكفر (الفتاوى: ٣٥٩/٨): فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، فهو لا يتأله من يستحق التأله، بل يتأله ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم، ومحبة عباد العجل له، وهذه محبة مع الله لا محبة لله، وهذه محبة أهل الشرك، والنفوس قد تدعي محبة الله، وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله ا-هـ. وهذا النوع من الشرك قلَّ من يسلم منه في هذا الزمان.

فالملوك الجائرة يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة، ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله[1]!!

وأحبار السُّوءِ، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، والمتضمنة تحليلَ ما حرم الله ورسوله، وتحريمَ ما أباحه، واعتبار ما ألغاهُ، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاقَ ما قيده، وتقييد ما أطلقه[2].

---

(١) أقول: بل الأمر لم يقف عند الملوك والحكام وحسب، بل تعداهم إلى خاصة المسلمين وعامتهم في هذا الزمان!! فيُرى أحدهم يمارس السياسة وهو لا يبالي لو وقع في مخالفات ومزالق شرعية وعقدية صريحة!! وإذا ما سئل عن سبب مخالفاته فسرعان ما يجيب: هذه السياسة ومتطلباتها، فالسياسة من الدين، والوقوع في المخالفات الشرعية من لوازم السياسة المعاصرة!!

فالسياسة عندهم غاية يبرر لأجلها الوسائل!! بل إن كلمة السياسة أصبحت مبرراً لممارسة الكفر عند كثير من خاصة المسلمين وعامتهم!! من ذلك تناديهم بالديمقراطية، وبحكم الشعب والأكثرية، وبالانتخابات، والدخول في المجالس التشريعية النيابية، وغير ذلك من إفرازات الديمقراطية دين الغرب الصليبي، الذي يفرض على الأمة فرضاً بالترهيب والترغيب، وإن قيل لهم: هذا يتناقض مع التوحيد الذي من لوازمه وشروطه التسليم بأن الحكم لله وحده، وأنه تعالى لا يُعَقَّبُ على حكمه أو يقدم بين يديه بقول أو فهم مغاير لحكمه تعالى ولو كان مصدره الشعب وجماهير الناس، تراهم يتعذرون بأعذار واهية عديدة، منها أن السياسة تقتضي ذلك، فأصبحت السياسة -في نظرهم- غاية يرخص في سبيلها التوحيد، أعظم ركن في الدين!!

(٢) وهم في هذا الصنيع القبيح، يجعلون من أنفسم أرباباً على الناس، يُعَبِّدُونَهم لشرائعهم وآرائهم وأهوائهم الباطلة! مدعين لأنفسهم حق الطاعة من دون الله! كما قال تعالى فيهم وفي أتباعهم: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**. وفي الحديث عن عدي بن حاتم ﷺ -وكان قد تنصر- قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي: "ياعدي اطرح هذا الوثن من عنقك"، فطرحته، فلما انتهيت إليه وهو يقرأ: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**، حتى فرغ منها، قلت: إنا لسنا نعبدهم، فقال: "أليس يحرمون ما أحل الله

والرهبان وهم جهالُ المتصوفة، والمعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطالَ دينه الذي شرَعَهُ على لسان نبيه ﷺ، والتعويض عن حقائق الإيمان بِخِدَعِ الشيطان، وحظوظِ النفس. وقالوا: إذا تعارض الذوق وظاهر الشرع، قدمنا الذوقَ والكشف!!

وكلُّ من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته -مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقولِ- فقد ضاه إبليس، حيث لم يُسَلِّم لأمر ربه، بل قال: **﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾** الأعراف: ١٣. وقال تعالى: **﴿مَنْ يُطع الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ ومن تولَّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾** [1] النساء: ٨٠. **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾** آل عمران: ٣١. **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**

فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه"؟ قال: قلت: بلى، قال: "فتلك عبادتهم". انظر تفسير البغوي وغيره.

قلت: وما أكثر هؤلاء الطواغيت في زماننا الذين يستشرفون خصائص الإلهية في التحليل والتحريم والتشريع، وما أكثر من يطيعهم في ذلك، وهم بذلك لاشك مشركون، كما قال تعالى: **﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾**.

[1] اعلم أن طاعة النبي ﷺ على ثلاثة أقسام: قسم يندب له وصاحبه يؤجر عليه، والمتخلف عنه لا يأثم لأن الشرع لم يؤثمه. وقسم طاعته فيه واجبة، والمتخلف عنه يؤثم ما لم يكن تخلفه عن استهانة، وكبر، وعناد، أو استحلال فحينها يرتفع الإثم إلى درجة الكفر الأكبر. وقسم طاعته فيه يعتبر شرطاً لصحة الإيمان، والمتخلف عنه يكفر على أي وجه كان تخلفه عنه، وهو طاعته ﷺ في التوحيد واجتناب الشرك بجميع صوره وأشكاله، وفيما يعتبر من شروط صحة التوحيد، فمن يتخلف عن طاعة النبي ﷺ ومتابعته في هذا المجال يكفر كفر ردة.

النساء: ٦٥. أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه، ويرضوا بحكمه، ويسلموا تسليماً[١].

قولُه: "فيتذبذَبُ بين الكُفرِ والإِيمان، والتصديق والتكذيب، والإِقرار والإِنكار، مُوَسْوَساً تائِهاً، شاكَّاً زائغاً، لا مؤمناً مصدِّقاً، ولا جاحداً مكذباً".

ش: يتذبذب: يضطرب ويتردَّدُ، وهذا حال كل من عدَلَ عن الكتاب والسنة إِلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينَه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص، ويرده إِلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمرُه إِلى الحيرة والضلال والشكِّ.

–شهادَةُ علماء الكلام في عِلمِ الكلام–

قال ابنُ رشد، وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم، في كتابه (تهافت التهافت)[٢]: (وَمَن الذي قال في الإلهيات شيئاً يُعتد به؟). وكذلك الغزالي رحمه الله، انتهى آخرُ أمرِهِ إِلى الوقفِ والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث الرَّسُول ﷺ، فمات وصحيح البخاري على صدره. وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللَّذات:

وأرواحُنا في وحشةٍ من جسُومِنَا وحاصِلُ دُنيانا أذَى ووبال

---

[١] قال ابن القيم في كتابه "التبيان في أقسام القرآن": أقسم سبحانه بنفسه المقدسة، قسماً مؤكداً بالنفي قبله عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسُوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد وسائر الصفات وغيرها، ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج، وهو ضيق الصدر، وتنشرح صدورهم لحكمه كل الإنشراح، وتنفسح له كل الإنفساح، وتقبله كل القبول، ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أصلاً حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والإعتراض. ا–هـ.

[٢] ص ٨٨. ونصه فيه: "مع أنه لم يقل أحد من الناس في العلوم الإلهية قولاً يعتد به". عن هامش نسخة مؤسسة الرسالة.

ولم نَسْتَفِدْ من بحثنا طولَ عُمْرِنا سِوى أن جمعنا فيه: قِيلَ وقالوا

ولقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقرب الطُّرِقِ طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ طه: ٥. ﴿**إليه يصعد الكَلِمُ الطيبُ**﴾[١] فاطر: ١٠. واقرأ في النفي: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ الشورى: ١١. ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾ طه: ١١٠. ثم قال ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[٢].

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: إنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحَيرة والندم، حيث قال: لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طَرْفِي بين تلكَ المعالِمِ فلم أرَ إلا واضِعاً كفَّ حائرٍ على ذَقَنٍ أو قارعاً سِنَّ نادِمٍ[٣]. وكذلك قال أبو المعالي الجوينيُّ: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عَرَفتُ أن الكلامَ يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به. وقال عند موته: لقد خضتُ البحرَ الخضمَّ، وخلَّيتُ أهل الإسلام

---

[١] يريد من استشهاده بالآية إثبات صفة العلو لله ﷻ.

[٢] أقول: لا داعي للمرء بأن يجرب ما جربه الشيخ ويخوض فيه، فيضيع عمره فيما لا طائل منه ولا فائد، ولا يقطف بعد ذلك سوى الحسرة والندامة على ما فات. ثم هو بعد ذلك لا يأمن المآل هل يختم له بخير أم لا، وهل سيسلم أم سيغرق في بحر القلق والشبهات والأهواء، فالطريق شاق ووعر، ولا ينفذ منه إلا من قدر الله له أن يهديه ويرحمه ويعفو عنه.

أما لكي يعرف المرء ما توصل إليه الشيخ بعد فناء عمره!! فإن طالب العلم المبتدئ على منهاج الكتاب والسنة وفهم السَّلَف يعرف ما توصل إليه، منذ الأيام الأولى من طلبه للعلم.

[٣] أقول: حتى لا يضيع العمرُ سداً، ولا يجني المرء على نفسه -بعد الجهد الطويل- إلا الخسارة والضياع والندم -ولات حين مندم- على المسلم منذ بدايته لطلب العلم أن يصرف عزمه وهمته لطلب العلم من منبعه الصافي الأصيل؛ الكتاب والسنة، ويحرص على أن لا يشغله عنهما شاغل، أو يصرفه عنهما صارف، وإنما والله لمصيبة عظيمة أن يجد المرء نفسه في نهاية عمره العلمي فارغاً من العلم الصحيح لا يحمل منه إلا اسمه ورسمه، والعاقل من يعتبر بغيره.

وعلومَهم، ودخلت في الذي نَهَوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدةِ أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابُور[1]!

وكذلك قال شمس الدين الخسروشاهي[2]، لبعض الفضلاء: ما تعتقدُ؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقال: وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقنٌ به؟ فقال: نعم، فقال: أُشكُرِ الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقدُ، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى أخضلَّت لحيتَهُ!.

وقال آخر[3]: أضطجِعُ على فراشي، وأضع الملحفَةَ على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلُعَ الفجرُ، ولم يترجَّح عندي منها شيء!!

-حكمُ أَهْلِ العلم في أَهْلِ الكلام-

ومن يَصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه اللهُ برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف رحمه الله: من طلب الدين بالكلام تزندق. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: حُكمي في أهل

---

(١) لأن عقائد العجائز والعامة من المسلمين لم تلوث بشبهات وأباطيل علم الكلام، وهم على بساطة علمهم، أسلم وأحكم إيماناً وعقيدة من علماء الكلام. وهذا يتطلب منا أن نشير إلى أمر، وهو أن كثيراً من الناس في هذا العصر يعرضون عن التفقه بالتوحيد ومتطلباته كما جاء في الكتاب والسنة متذرعين بمقولة: "أنهم على إيمان العجائز!! " مستدلين بما نقل عن هؤلاء المتكلمين، وهذا لا يجوز، ولا يصح أن يكون عذراً لجهل التوحيد، فأولئك عندما نشدوا إيمان العجائز نشدوه ليبينوا سوء علم الكلام وما أوصلهم إليه، وليس حتى يجتنب الناس التفقه بالتوحيد من مصادره الصحيحة، ويطلبوا إيمان العجائز والعوام!!.

(٢) هو عبد الحميد بن عيسى الخسر وشاهي، نسبة إلى خسر وشاه، قرية بمرو، قال السبكي في "الطبقات" ١٦١/٨ : كان فقيهاً أصولياً متكلماً محققاً بارعاً في المعقولات، قرأ على الإمام فخر الدين الرازي، وأكثر الأخذ عنه.

(٣) هو محمد بن سالم بن واصل الحموي، كما في درء تعارض العقل والنقل "١٦٥/١".

الكلام[1] أن يُضربوا بالجريد والنعال، ويُطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتابَ والسنةَ، وأقبل على الكلام. وقال: لقد اطلعتُ من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقولُه، ولأن يُبتلى العبد بكل ما نهى اللهُ عنه
–ما خلا الشركَ بالله –خير له من أن يُبتلى بالكلام. ا–هـ.

وتجدُ أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيكونون في نهاياتهم –إذا سَلِمُوا من العذاب– بمنزلة أتباع أهلِ العلم من الصبيان والنساءِ والأعراب[2].

والدواء النافعُ لمثل هذا المرض، يكمن في دعاء النبي ﷺ: "اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيل وإسرافيل، فاطِرَ السماوات والأرض عالِمَ الغيب والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلِف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم"[3].

---

[1] المراد بأهل الكلام: هم كل من تكلم في الإلهيات والغيبيات وما يتعلق بالله تعالى من خصائص وصفات، معتمدين على العقل، والمنطق، والفلسفة، بعيداً عن هدي الكتاب والسنة وفهم السَّلَف الصالح.

[2] فدل أن إيمان العجائز لا يصح أن يكون غاية ينشده الناس، أو أن يكون عذراً لجهل التوحيد.

[3] صحيح، أخرجه مسلم وغيره. قال الشيخ حافظ الحكمي في كتابه "اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة" يبين صفة الصراط المستقيم الذي أُمرنا بسلوكه من غير التفات إلى السبل الأخرى: الصراط المستقيم هو دين الإسلام الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، ولم يقبل من أحدٍ سواه، ولا ينجو إلا من سلكه، ومن سلك غيره تشعبت عليه الطرق، وتفرقت به السبل، قال الله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾.

وخط النبيُّ ﷺ خطاً ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيماً"، وخطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: "هذه السُبل ليس منه سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه"، ثم قرأ: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾.

وقال ﷺ: "ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم

قولُه: "ولا يصحُّ الإيمانُ بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها[1] منهم بوهمٍ، أو تأوَّلها بفَهمٍ، إذا كان تأويل كُلِّ معنى يُضافُ إِلى الربوبية، تَرْكَ التأويل[2]، ولزومَ التسليمِ، وعليه دينُ المسلمين[3]، ومَن لم يتوقَّ النفيَ والتشبيه، زَلَّ ولم يُصِبِ التنزيهَ".

ش: فيه ردٌّ على من يقول بنفي الرؤية، وعلى من يشَبِّه اللهَ بشيء من مخلوقاته.

جميعاً ولا تفرقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم". رواه أحمد، والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

ولا يتأتى سلوكه والسلامة من الإنحراف عنه إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، والسير بسيرهما والوقوف عند حدودهما، وبذلك يحصل تجريد التوحيد لله وتجريد المتابعة للرسول ﷺ: ﴿**من يطع الله والرَّسُول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**﴾. وهؤلاء المنعم عليهم المذكورون ههنا تفصيلاً هم الذين أضاف الصراط إليهم في فاتحة الكتاب بقوله تعالى: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾، ولا أعظم نعمة على العبد من هدايته إلى هذا الصراط المستقيم، وتجنبه السبل المضلة ا-هـ.

قلت: ومنه تعلم خطأ من يستبطئ طريق الإسلام وهدي الأنبياء، ويستعجل الطرق القصيرة الملتوية للوصول إلى الغاية؛ كطريق الديمقراطية وما تفرزه من سبل شركية باطلة التي راجت في البلاد وعلى العباد، والتي على رأس كل سبيل منها شياطين الإنس والجن مجتمعة يزينون للعباد الولوج منه..!!

(١) أي اعتبر الرؤية تشبيهاً بوهم منه.

(٢) أي التأويل الصحيح للرؤية وغيرها من المعاني التي تضاف إلى الرب ﷻ، يكون بترك التأويل الفاسد المخالف للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

(٣) أي التسليم المنافي للنفي والتشبيه، والذي به يدين المسلمون.

وقولُه: "**لمن اعتبرها منهم بوهم**"، أي توهم أن الله تعالى يُرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهاً، ثم بعد هذا التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف، فهو مشبه، وإن نفى الرؤيةَ من أصلها لأجل ذلك التوهم، فهو جاحد مُعطِّل، بل الواجبُ دفع ذلك الوهم وحده، وإثباتُ الحق.

وإلى هذا المعنى أشار الشيخُ رحمه الله تعالى بقوله: "**ومَن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زلَّ ولم يصب التنزيه**" فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي! فإن نفيَ الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم لا يُرى[1]، وإنما الكمالُ في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرَّائي له إدراك إحاطةٍ، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمالٍ، وإنما الكمال في إثبات العلم ونفي الإحاطة به علماً، فهو سبحانه لا يُحاطُ رؤيةً، كما لا يُحاط به علماً.

وقولُه: "**أو تأولها بفهم**" أي: أدعى أنه فهم لها تأويلاً يُخالف ظاهرها، وما يفهمه كلُّ عربيٍّ من معناها، فإنه قد صار اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صَرْفُ اللفظ عن ظاهِره، وبهذا تَسَلَّط المحرِّفون على النصوص، وقالوا: نحن نؤوِّلُ ما يخالف قولَنا، فسموا التحريفَ: تأويلاً، تزييناً له، وزخرفة ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زُخرُفَ القولِ غروراً﴾** الأنعام: ١١٢.

وقولُه: "**إذْ كان تأويلُ الرؤية، وتأويل كُلِّ معنى يُضافُ إلى الربوبية: تركَ التأويل، ولزومَ التسليم، وعليه دينُ المسلمين**"، مراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً، وهو تحريفٌ، وليس مرادُه ترك كل ما يُسمى تأويلاً، ولا ترك شيءٍ من الظواهر لبعض الناس لدليلٍ راجحٍ من الكتاب والسنة، وإنما مراده تركُ التأويلات الفاسدة المبتدعة، المخالفة لمذهب السَّلَف، التي يدل الكتاب والسنة على فسادها، وتركُ القول على الله بلا علم.

–معنى التأويل، ومذاهبُ الناس فيه–

١- **معنى التأويل في الكتاب والسنة وكلام السَّلَف**: فالتأويل في كتاب الله وسنة

---

[1] أي أن الذي لا يُرى هو المعدوم الذي يفتقد صفة الوجود.

رسُوله ﷺ: هو الحقيقةُ التي يؤولُ إليها الكلام، فتأويل الخبر: هو عين المخبر به، وتأويل الأمر: نفس المأمور به. وأما ما كان خبراً عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يُعلَمُ تأويله، الذي هو حقيقته، إذْ كانت لا تُعلَم بمجرد الإخبار، فإنَّ المخْبَرَ إن لم يكن قد تصور المخْبَرَ به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته[1]، التي هي تأويلُه بمجرد الإخبار. وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزَمُ من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصدَ المخاطِبُ إفهامَ المخاطَبِ إياه، فهذا معنى التأويل من الكتابِ والسنة وكلام السَّلَفِ، وسواءٌ كان هذا التأويل موافقاً للظاهِرِ أو مخالفاً له.

٢- **التأويل عند كثير من المفسرين:** كابن جرير ونحوه يريدون به التفسير وبيان معناه، سواءٌ وافق ظاهِرَهُ أو خالف، وهذا التأويل كالتفسير، يُحمَدُ حَقُّه، ويُرَدُّ باطِلُه.

٣- **التأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين:** هو صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح إلى الإحتمال المرجوح لدلالةٍ تُوجب ذلك. فالتأويل الصحيح منه: الذي

---

[1] مثال ذلك: جهنم وعذابها، فنحن نعلم معنى هذه الكلمة ومدلولاتها، ولكن لا نعلم حقيقة جهنم لأنه لم يسبق لنا رؤيتها ولا يوجد في دنيانا مثلها، لذا جاء في وصفها أن نار الدنيا جزء من سبعين جزء من نار جهنم، وأنَّى لنا أن ندرك حقيقة نارٍ تزيد سبعين ضعفاً عن مجموع نار الدنيا، وكذلك الجنة فإن فيها ما لا أذن سمعت، ولا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر، كما جاء ذلك في الحديث، وجنة هذا وصفها يعجز الإنسان عن معرفة حقيقتها وإن كان معنى الجنة ونعيمها الموصوف في القرآن الكريم معلوماً لدينا. وما يقال في المخلوق من هذا الوجه، فمن باب أولى أن يقال في الخالق ﷻ، فإن أسماء الله تعالى وصفاته معلومة لدينا معناها، لكن حقيقتها التي لها علاقة "بالكيف" فإننا نجهلها ولا يجوز الخوض أو حتى مجرد حديث النفس فيها، وإذا ثبت عجزنا وضعفنا عن معرفة حقيقة وكيفية المخلوق، فمن باب أولى أن نمسك عن الخوض في كيفية وحقيقة صفات الله تعالى، وهذا لا يمنع من إثبات المعنى الذي أراده الله تعالى من ذكر أسمائه وصفاته، فهناك فرق بين معرفة حقيقة الصفة وبين إثبات معنى الصفة، ولا يخلط بينهما إلا جاهل متشبه، أو متأول معطل.

يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة[١]، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد.

-ما يترتب على التأويل الفاسد من مزالق ومحاذير-

فيُقال لهم: هذا الباب الذي فتحتموه، فتحتم به عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، ولا تقدرون على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالته المفهومَةِ بغير دليلٍ شرعيٍ، فما الضابِطُ فيما يَسوغُ تأويلُه وما لا يَسوغُ؟! فإن قلتم: ما دلَّ القاطِعُ العقليُّ على استحالته تأولناه، وإلا أقررناه! قيل لكم: وبأي عقل نزنُ القاطِعَ العقلي؟! فإن القرمطي الباطني[٢] يزعم قيام القواطع على بطلانِ ظواهرِ الشرع! ويَزعُمُ الفيلسوفُ قيامَ القواطِعِ على بُطلان حشرِ الأجسادِ! ويَزْعمُ المعتزليُّ قيام القواطعِ على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام عِلمٍ أو كلامٍ أو رحمةٍ به تعالى!! وباب التأويلات التي يَدَّعي أصحابُها وجوبَها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام ويلزم حينئذ محذوران عظيمان:

أحدهما: أن لا نقر بشيء من معاني الكتاب والسنة حتى نبحث قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدَّعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤولُ الأمرُ إلى الحيرة.

---

[١] الكتاب والسنة يدلان دائماً على الإحتمال الراجح للفظ وليس المرجوح، لذا فهذا النوع من التأويل لا يوافق الكتاب والسنة في أي وجه من الوجوه، وإن كان صاحبه قد يكون له أجر لاجتهاده.

[٢] القرامطة: نسبة إلى حمدان القرمط أحد دعاتهم الأوائل، من أصولهم تحريف الدين وتأويل ظواهر الشرع وصرفها إلى رموز باطنية، غايتها إسقاط التكاليف عن العباد وإباحة المحرمات والمحظورات، وهدفهم من ذلك هدم أركان الدين، قال عنهم ابن تيمية في منهاج السُّنَّة (٢٥٨/٨): هم ملاحدة في الباطن، خارجون عن جميع الملل، أكفر من الغالية، ومذهبهم مركب من مذهب المجوس والصابئة والفلاسفة، مع إظهار التشيع، وجدهم رجل يهودي كان ربيباً لرجلٍ مجوسي، وقد كانت لهم دولة وأتباع ا-هـ. وانظر "فضائح الباطنية" لأبي حامد الغزالي، فستجد من فضائحهم ومخازيهم وأخبارهم العجب العجاب.

الثاني: أن القلوب تتخلى عن الجزم بشيء تعتقده مما أخبر به الرَّسُول، إذ لا يُوثَقُ بأن الظاهِر هو المراد والتأويلاتُ مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ اللهُ به العباد. ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد(١)، إن وافقت ما ادّعوا أن العقل دل عليه، وإن خالفته أوَّلوه(٢)! وهذا فتحُ باب الزندقة والإنحلال.

-مرض الشُّبهةِ أشدُّ خطراً من مرض الشهوة-

أمراضُ القلوب نوعان: مرضُ شُبهةٍ، ومرض شهوة، وكلاهما مذكور في القرآن، قال تعالى: ﴿**فلا تخضَعْنَ بالقول فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ**﴾ الأحزاب: ٣٢. فهذا مرض الشهوة، وقال تعالى: ﴿**في قلوبهم مرضٌ فزادهم اللهُ مَرضاً**﴾ البقرة: ١٠. ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرضٌ فزادتهم رِجساً إلى رجسهم**﴾ التوبة: ١٢٥. فهذا مرض الشُّبهةِ، وهو أردأ من مرض الشهوة، إذْ مرضُ الشهوة يُرجى له الشفاء بقضاء الشهوة(٣)، ومرض الشبهة لا شفاءَ له إن لم يتداركْه اللهُ برحمته(٤).

---

(١) أي أنهم يستشهدون بالكتاب والسنة استئناساً وانتصاراً لآرائهم وتأويلاتهم، وليس تحاكماً ونزولاً عند دلالات النصوص الشرعية، حيث ترى أحدهم يقول بالقول ثم يبحث له عن دليلٍ من الكتاب والسنة لينتصر به لقوله، وكأن الدليل الشرعي تبع لقوله وليس العكس!!.

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب "أولوها" لأن الضمير عائد إلى النصوص بصيغة الجمع.

(٣) هذا إذا قضى شهوته بالحلال، أما إذا قضاها بالحرام فهي تزيد مرضه مرضاً.

(٤) قلت: مرض الشبهة أردأ من مرض الشهوة من وجهين: أولهما من حيث ما يؤول إليه كل منهما، فمرض الشهوة مهما تعاظم وبلغ بصاحبه المبالغ فإنه لا يصل بمفرده إلى درجة الكفر المحبط لجميع العمل، بينما مرض الشبهة إذا استحكم بصاحبه فهو غالباً ما يؤول بصاحبه إلى الكفر بمفرده لتعلقه بالاعتقاد. ثانياً أن مرض الشهوة غالباً ما يحس به المريض فيبادر إلى علاجه، والإنابة والإستغفار، بينما مرض الشبهة فهو في الغالب لايحس به صاحبه، لأنه لا يعترف بمرضه،

-التشبيه نوعان-

فإن التشبيه نوعان: تشبيهُ الخالق بالمخلوق، وهذا الذي يتعبُ أهلُ الكلام في ردِّه وإبطاله، وأهلُه في الناس أقلُّ من النوع الثاني الذين هم أهلُ تشبيه المخلوق بالخالق[1]، كعُبَّادِ

ويحسب نفسه بشبهاته من الذين يحسنون صنعاً، والإحساس بالمرض أُولى الخطوات نحو العلاج، وأنَّى هذا لصاحب الشبهة.

روى محمد بن وضاح القرطبي في كتابه "البدع والنهي عنها"، عن أبي بكر بن عياش قال: كان عندنا فتى يقاتل ويشرب، وذكر أشياءً من الفسق، ثم أنه تقرَّأ فدخل في التشيع، فسمعت حبيب بن أبي ثابت وهو يقول: لأنت يوم كنت تقاتل وتفعل ما تفعل خير منك اليوم.

وعن أبي إدريس الخولاني أنه كان يقول: لأن أسمع بناحية المسجد بنارٍ تحترق أحب إليَّ من أن أسمع فيه ببدعة ليس لها مغير، وما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنة.

[1] وهو كما قال المصنف رحمه الله، فإن القوم ينشغلون إلى حد المبالغة بشرك تشبيه الخالق بالمخلوق مع انعدامه، ويتوسعون في ذلك إلى أن يقعوا في شر التعطيل المنافي لاثبات الصفات، بينما تراهم يغضون الطرف -رهبة أو رغبة- عن شرك تشبيه المخلوق بخصائص الخالق سبحانه، رغم وجوده، وسعة انتشاره، وتعدد الطواغيت التي تستشرف خصائص الإلهية وتُقر عليها من قبل جماهير الناس، وكأن هذا النوع من الشرك لا يعنيهم، ونصوص الشريعة لا تطاله ولا تشمله!

فكم من إلهٍ أصبحت ألوهيته مألوفة لدى جماهير الناس، والويل كل الويل لمن ينكر عليها أو يعاديها، فهي في نظر دعاتها ومروجيها ثوابت لا يمكن تجاوزها أو التعقيب عليها، فالوطن عندهم إله يُعبد من دون الله، وعلى أساس الانتماء إليه تقسم الحقوق والواجبات، ويعقد الولاء والبراء، والقوم والقومية إله، والعشيرة إله، والإنسانية إله، والإنسان إله، والشعب إله، والأكثرية في عرف الديمقراطية والديمقراطيين إله، والمجالس التشريعية النيابية إله، والدساتير الوضعية إله، والثورة إله، والأحزاب في بعض صورها إله، والطاغوت الحاكم إله، ومجلس الأمم إله، والجندي المجهول إله، والعَلَم إله... فهذه وغيرها كثير من الآلهة التي تُعبد من دون الله ولو في وجه أو مجال من مجالات العبادة، ومع ذلك فهي لا تلفت نظر القوم -الدعاة!!- وكأن الأمر لا يعنيهم ولا يخصهم وهم يتحركون نحو التغيير والبناء. علماً أن دعوة الأنبياء والرسل جميعهم اجتمعت على تحقيق إخلاص

المسيح، وعُزير، والشمس والقمر، والأصنام، والملائكة، والنار، والماء، والعِجْلِ، والقبورِ، والجن، وغير ذلك. وهؤلاء همُ الذين أُرسلت إليهم الرُّسلُ يدعونهم إلى عبادة الله وحدَه لا شريك له.

قولُه: "فإن ربَّنا جلَّ وعَلا موصُوف بصفاتِ الوحدانيَّةِ منعوتٌ بنعوت الفردانيَّةِ، ليس في معناهُ أحد في البريَّةِ"[1].

ش: فقولُه: **"موصوف بصفات الوحدانية"** مأخوذ من قوله تعالى: **﴿قل هو الله أحد﴾** وقوله: **"منعوت بنعوت الفردانية"** من قوله: **﴿الله الصمد لم يلد ولم يولد﴾**. وقوله: **"ليس في معناه أحد من البرية"** من قوله تعالى: **﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾**. والوصف والنعت مترادفان، وقيل: فالوصف للذات، والنعت للفعل، وكذلك الوحدانية والفردانية. وقيل الفرق بينهما: إن الوحدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو تعالى مُوحَّدٌ في ذاته، مُنفردٌ بصفاته. و**﴿ليس كمثله شيء﴾** الشورى: ١١. أكمل في التنزيه من قوله: ليس في معناه أحد من البرية[2].

العبادة لله تعالى، والكفر بكل طاغوت مألوه يدعي لنفسه شيئاً من خصائص الله تعالى، كما قال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** النحل: ٣٦. وقال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾** الأنبياء: ٢٥.

[1] أي أن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد، ليس كمثله شيء من خلقه في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وخصائصه سبحانه.

[2] النفي الوارد في قوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾**، هو أكمل في التنزيه لأنه يفيد نفي المماثلة لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وجميع خصائصه، وهذا لا يتحقق من نفي "المعنى" عن المخلوق، لأن معنى الشيء لا يدل على الشيء بجميع صفاته وخصائصه. ومن جهة ثانية فإن قوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾** هو تعبير القرآن وهو أكمل وأعلى من تعبير البشر المخلوق.

قولُه: " وتعالى عن الحدودِ والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهاتُ الستُّ كسائر المبتدعات"[١]

ش: للناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثَة أقوال: فطائفةٌ تنفيها، وطائفةٌ تثبتها، وطائفةٌ تفصل، وهم المتبعون للسلف، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمالٌ وإبهام، فليس كُلُّهم يستعمِلها في نفس المعنى اللغوي، ولهذا كان النُفاةُ ينفون بها حقاً وباطلاً، وبعض المثبتين لها يُدخِلُ فيها معنى باطلاً مخالفاً لقول السَّلَف.

---

[١] قال الشيخ ابن باز في تعليقه على متن الطحاوية: هذا الكلام فيه إجمال قد يستغله أهل التأويل والإلحاد في أسماء الله وصفاته وليس لهم بذلك حجة؛ لأن مراده رحمه الله تنزيه الباري سبحانه عن مشابهة المخلوقات لكنه أتى بعبارة مجملة تحتاج إلى تفصيل حتى يزول الاشتباه، فمراده **"بالحدود"** التي يعلمها البشر، فهو سبحانه لا يعلم حدوده إلا هو سبحانه لأن الخلق لا يحيطون به علماً، كما قال ﷻ في سورة طه: **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً﴾**، ومن قال من السَّلَف بإثبات الحد في الاستواء أو غيره فمراده حد يعلمه الله سبحانه، ولا يعلمه العباد. وأما **"الغايات والأركان والأعضاء والأدوات"**، فمراده رحمه الله تنزيهه عن مشابهة المخلوقات في حكمته وصفاته الذاتية من الوجه واليد والقدم ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بذلك لكن ليست صفاته مثل صفات الخلق، ولا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وأهل البدع يطلقون مثل هذه الألفاظ لينفوا بها الصفات بغير الألفاظ التي تكلم الله بها وأثبتها لنفسه حتى لا يفتضحوا وحتى لا يشنع عليهم أهل الحق. والمؤلف الطحاوي رحمه الله لم يقصد هذا المقصد؛ لكونه من أهل السُّنَّة المثبتين لصفات الله، وكلامه في هذه العقيدة يفسر بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، ويفسر مشتبهه بمحكمه، وهكذا قوله **"لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"** مراده الجهات الست المخلوقة، وليس مراده نفي علو الله واستواءه على عرشه؛ لأن ذلك ليس داخلاً في الجهات الست بل هو فوق العالم ومحيط به، وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوه سبحانه وأنه في جهة العلو، وأجمع أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان على ذلك، والأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة كلها تدل على أنه في العلو سبحانه ا–هـ.

-الإعتصام بالألفاظ الواردة في الكتاب والسنة-

ليس لنا أن نصِفَ اللهَ تعالى بما لم يصفْ به نفسَهُ، ولا وصفَه به رسولُه نفياً ولا إثباتاً، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون. **فما أثبته الله ورسولُه أثبتناه، وما نفاه اللهُ نفيناه**، والألفاظ التي ورد بها النصُّ يُعتصم بها في الإثبات والنفي. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها، فلا تُطلَقُ حتى يُنظرَ في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قُبِلَ، لكن ينبغي التعبيرُ عنه بألفاظ النصوص دونَ الألفاظِ المجملَةِ إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المرادَ والحاجَةَ.

والشيخُ رحمه الله أراد الرد بهذا الكلام على المشبِّهة، القائلين: إن اللهَ جسمٌ، وإنه جُثةٌ وأعضاء، وغير ذلك! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. فالمعنى الذي أراده الشيخ من النفي الذي ذكره هنا حق، ولكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقاً وباطلاً فيحتاج إلى بيان ذلك.

-الله تعالى لا تُحَدُّ صفاتُه بشيءٍ، وهو بائنٌ عن خلقه-

السلفُ متفقون على أن البشرَ لا يعلمون لله حداً، وأنَّهم لا يَحدِّون شيئاً من صفاته. قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان، وشعبة، وحمادُ بن يزيد، وحماد بن سلمه، وشريك، وأبو عوانه، لا يَحدِّون ولا يُشبِّهون ولا يمثلون، يروون الحديث، ولا يقولون: كيف، إذا سُئلوا قالوا بالأثر. فعُلِمَ أن مُراده[١]: أن الله يتعالى عن أن يُحيطَ أحدٌ بحده، لا أنه غير متميزٍ عن خلقه، منفصل عنهم، مباينٌ لهم. سُئل عبد الله بن المبارك: بما نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائنٌ من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد[٢]. ومن المعلوم أن الحدَّ يُقال على ما ينفصل

---

[١] أي مراد الإمام الطحاوي بقوله: "وتعالى عن الحدود والغايات".

[٢] يراد بالحد هنا، الفاصل الذي يفصل المخلوق عن خالقه، وهذا المعنى صحيح لأن الله تعالى بائن عن خلقه غير متحد أو حال به.

به الشيء ويتميز به غيره، والله تعالى غير حالٍّ في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو القيوم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى ليس وراء نفيه إلا نفي وجوب الرب، ونفي حقيقته[1].

وأما الحدُّ بمعنى العِلْمُ والقول، وهو أن يحدَّه العبادُ، فهذا منتفٍ بلا منازعة بين أهل السُّنَّة.

-لفظُ الأركان والأعضاء والأدوات-

أما لفظُ الأركانِ والأعضاء والأدوات، فيستدلُّ بها النُفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه قال أبو حنيفة في (الفقه الأكبر): له يدٌ ووجهٌ ونفسٌ، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يُقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة. ا-هـ.

وهذا الذي قاله الإمام ثابتٌ بالأدلة القاطعة. قال تعالى: **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي﴾** ص: ٧٥. **﴿والأرض جميعاً قبضَتُه يوم القيامة والسماواتُ مطوياتٌ بيمينه﴾** الزمر ٦٧. **﴿كُلُّ شيء هالك إلا وجهه﴾** القصص: ٨٨. **﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾** الرحمن: ٢٧. **﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾** المائدة ١١٦. **﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾** الأنعام: ٥٤. **﴿ويحذركم اللهُ نفْسَهُ﴾** آل عمران: ٢٨. وفي حديث الشفاعة لَـمَّا يأتي الناسُ آدم فيقولون له: "خلقك اللهُ بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماءَ كُلِّ شيء"[2]. ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد: القدرة فإنَّ قولَه: **﴿لما خلقت بيدَيَّ﴾** لا يَصِحُّ أن يكون معناه بقدرتِيَّ مع تثنية اليد.

ولكن لايقال لهذه الصفات: إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد، لا يتجزأ سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية[3]، تعالى عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: **﴿الذين جعلوا القرآن**

---

[1] ومن لوازمه أيضاً، القول: بوحدة الوجود، وهو أن الخالق والمخلوق شيء واحد، كما يقول ذلك غلاة الصوفية! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

[2] أخرجه البخاري وأحمد.

[3] التعضية: التقطيع، وجعل الشيء أعضاء.

عضين﴾[1] الحجر: ٩١. والجوارح فيها معنى الاكتسابُ والانتفاعُ، وكذلك الأدواتُ هي الآلاتُ التي يُنتفع بها في جلب المنفعة ودفع المضرة. وكل هذه المعاني منتفية عن الله تعالى، ولهذا لم يَرِدْ ذكرها في صفات الله تعالى. فالألفاظُ الشرعيةُ صحيحةُ المعاني سالمةٌ من الإحتمالات الفاسدة، فلذلك يجب أن لا يُعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً، لئلا يُثبتُ معنى فاسد، أو يُنفى معنى صحيحٌ.

وقولُ الشيخ رحمه الله تعالى: **"لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"** هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيء وفوقه. وهذا المعنى هو الذي أراده الشيخ لما يأتي في كلامه: **"أنه تعالى محيط بكل شيءٍ وفوقه"**.

لكن بقي في كلامه شيئان: أحدُهما: أن إطلاق مثل هذا اللفظ كان تركه أَولى، وإلا تُسلِّط عليه، وأُلزِمَ بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية ونفي جهة العلو، وإن أُجيب بما تقدم من أنه إنما نفى أن يحويه شيء من مخلوقاته، فالإعتصام بالألفاظ الشرعية أَولى.

الثاني: أن قوله: **"كسائر المبتدعات"** يُفهم منه أنه ما من مُبتدَعٍ إلا وهو محويٌّ وفي هذا نظر[2].

قولُه: "والمعراجُ حقٌّ، وقد أُسرِيَ بالنبي ﷺ وعُرِجَ بشخصه في اليقظة، إلى السماء، ثم إلى حيثُ شاء اللهُ من العُلاَ، وأكرمَهُ اللهُ بما يشاء، وأوحى إليه ما أوحى، ما كذَبَ الفؤادُ ما رأى. فصلى الله عليه في الآخرةِ والأولى".

ش: "المعراج" مفعال، من العروج، أي: الآلة التي يُعرج فيها، أي يصعد، لكن لا نعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته.

---

[1] قال البغوي: عضين: جزؤوه فجعلوه أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه.

[2] أي لا يصح على إطلاقه، لأنه يستلزم التسلسل إلى ما لا نهاية، بمعنى أن ما من مخلوق إلا وهو محاط بمخلوق آخر إلى ما لا نهاية! وهذا لا يجوز التسليم به.

-ثبوتُ الإسراء والمعراج لنبينا ﷺ، باليقظة بروحه وجسده، ومرة واحدة-

اختلف الناس في الإسراء، فقيل: كان الإسراء بروحه، ولمْ يُفْقَد جَسَدُه. وقيل: كان الإسراء مرتين، مرة يقظةً، ومرة مناماً. وقيل: مرة قبل الوحي ومرة بعده! ومنهم من قال: بل ثلاثَ مرات: مرةً قبل الوحي، ومرتين بعده!!

والذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة، قبل الهجرة بسنةٍ، وقيل: بسنةٍ وشهرين، ذكره ابن عبد البر. قال ابن القيم: ياعجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً! وكيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً، فيقول: "أمضيتُ فريضتي، وخففت عن عبادي"، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يَحطُّها إلى خمس؟![1] ا-هـ.

ومن حديث الإسراء: "أنه ﷺ أُسرِيَ بجسده في اليقظة على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً على البراق، صحبه جبريل ، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد. ثم عُرِجَ به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح له، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحي بن زكريا، وعيسى ابنَ مريم، فلقيهما فسلم عليهما فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عُرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج به إلى السماء السابعة،

---

[1] أقول: بل أكثر كلام الشارح عن الإسراء والمعراج، هو من كلام ابن القيم، وحتى حديث الإسراء فقد نقله الشارح عن ابن القيم من كتابه زاد المعاد (٣/٣٤-٤٢).

فلقي فيها إبراهيم فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم رُفع إلى سدرة المنتهى، ثم رُفِعَ له البيتُ المعمورُ، ثم عُرِج به إلى الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى[1]، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بما أُمرت؟ قال: بخمسين صلاة، فقال: إن أُمّتك لا تطيق ذلك، إرجع إلى ربِّك، فاسْأَله التخفيف لأمّتك، فالتفتَ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار أن: نعم، إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه -هذا لفظ البخاري في صحيحه، وفي بعض الطرق- فوضع عنه عشراً، ثم نزل حتى مَرَّ بموسى فأخبره، فقال: إرجع إلى ربك فاسألْه التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمساً، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحييت من ربي ولكن أرضَ وأسلم، فلما نَفَذَ، نادى منادٍ: قد أمضيتُ فريضتي وخَفَّفْتُ عن عبادِي"[2].

ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾** الإسراء: ١. والعبد عبارة عن مجموعة الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح.

-ترجيحُ رؤيةِ النبي ﷺ لربه بقلبه، دونَ عينه-

قد تقدم ذِكرُ اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربَّه عز وجل بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه، وقولُه: **﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** النجم: ١١. **﴿ولقد رءاه**

---

[1] قال الشيخ ناصر: إن الدنو المذكور في هذا السياق، هو من رواية شريك بن عبد الله ابن أبي نمر الذي غلَّطه الحفاظ في ألفاظ من حديث الإسراء كما ذكر المؤلف آنفاً، ومن ذلك هذا اللفظ كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسير (الإسراء). ومن قبله البيهقي في "الأسماء والصفات" (ص ٤٤٠-٤٤٢). ا-هـ.

[2] قال الشيخ ناصر: حديث الإسراء صحيح، وهو ملتقط من أحاديث متفرقة ا-هـ والشارح نقله عن كتاب "زاد المعاد: ٣/٣٤" لابن القيم رحمه الله.

نزلةً أُخرى﴾ النجم: ١٣. صح عن النبي ﷺ أن هذا المرئيَّ جبريل، رآه مرتين على صورته التي خُلق عليها، مرة في الأرض، ومرةً عند سدرة المنتهى.

قولُه: "والحوضُ – الذي أكرمه اللهُ تعالى به غِيَاثاً لأمته – حقٌّ" .

ش: لقوله ﷺ: "إن قَدْرَ حوضي كما بين أَيْلَةً إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريقِ كعدد نجوم السماء"[١]. وقوله: "ليَرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ، حتى إذا عرفتُهم اختُلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقولُ: لا تدري ما أحدَثوا بعدَك"[٢].

وعن أنس بن مالك، قال: أغفى رسولُ الله ﷺ إغفاءةً، فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنه نزلَت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها، ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "هو نهر أعطانيه ربي في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يُختلج العبدُ منهم، فأقول: يارب، إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك"[٣]. وقال ﷺ: "أنا فَرطُكم على الحوض"[٤] وقال: "إني فَرطُكم على الحوض، من مرَّ عليَّ، شَرِبَ ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردَنَّ عليَّ أقوامٌ، أعرِفُهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم"[٥]. والفَرط: الذي يسبق إلى الماء.

والراجح أن الحوض في العَرَصَات قبل الصراط، لأنه يُختلَجُ عنه، ويُمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

–صفات الحوض ملخصة من الأحاديث الواردة–

---

[١] متفق عليه. و"أيلة" مدينة على ساحل بحر القُلْزُم مِمَّا يلي الشام؛ وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان).

[٢] متفق عليه.

[٣] أخرجه أحمد، ومسلم.

[٤] متفق عليه.

[٥] متفق عليه.

يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: انه حوضٌ عظيم وموردٌ كريم، يُمَدُّ من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرَدُ من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيبُ ريحاً من المسك، وهو في غاية الإتساع، عَرْضُه وطولُه سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، فسبحان الخالق الذي لا يُعجزه شيء. وقد ورَدَ في أحاديث: "إن لكل نبيٍّ حوضاً وإن حوضَ نبينا ﷺ أعظمُها وأجلها وأكثرها وارداً"[1]. جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

قولُه: "والشفاعةُ التي ادَّخرها لهم حق، كما رُوي في الأخبار".

ش: عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامة، وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحدٍ، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُ الناس لبعضٍ: أبوكُم آدمُ، فيأتون آدَمَ، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقكَ اللهُ بيده، ونفخَ فيك من رُوحه، وأمر الملائكةَ فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلَغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مِثْلَهُ، ولن يغضب بعده مثلَهُ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُ، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوحٍ، فيأتون نوحاً، فيقولون: يانوح، أنت أولُ الرسُلِ إلى أهل الأرض، وسماك اللهُ عبداً شكوراً فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليومَ غضباً لم يغضب قبله مِثلَه، ولن يغضب بعده مِثلَه، وإنه كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليومَ غضباً لم يغضب قبله مثلَه، ولن يغضب

[1] حسن، أخرجه الترمذي، انظره في السلسلة الصحيحة: (١٥٨٩).

بعده مثله، وذكر كذباته[1]، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: ياموسى، أنت رسولُ الله، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليومَ غضباً لم يغضب قبله مثلَه ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه –قال: هكذا هو– وكلمتَ الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غَضباً لم يغضب قبلَه مِثلَه، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني، فيقولون: يامحمدُ، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بَلغنا؟ فأقومُ فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله علي، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يامحمد، ارفع رأسك، سل تُعطَه، اشفَعْ تُشفَّع، فأقول: يارب أمتي أمتي، يارب أمتي أمتي، يارب أمتي أمتي، فيقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب"[2].

وممن يشفع لهم النبي ﷺ يوم القيامة، شفاعَتُه في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النارَ، فيخرجون منها، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون[3].

---

(1) هي ثلاث كذبات: قوله: (إني سقيم)، وقوله: (فعله كبيرهم)، وقوله: لجبار من الجبابرة عن سارة أنها أخته.

(2) متفق عليه.

(3) الشفاعة هي ملك لله وحده، ولا تكون إلا بإذنه، ولمن يأذن لهم بالشفاعة ورضي لهم قولاً، والذي يعتقد في الشفيع أن له سلطة مستقلة تمكنه من مشاركة الله تعالى في الشفاعة، فيشفع

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[1].

من غير إذن ولمن يريد فهو كافر مشرك، وقد اعتقد عقيدة أهل الشرك في الصالحين والأنبياء، حيث ظنوا فيهم سلطة تقربهم إلى الله زلفا، وتمكنهم من الشفاعة لهم.

قال الشيخ حافظ الحكمي في كتابه أعلام السنة: قد أثبت الله ﷻ الشفاعة في كتابه في مواضع كثيرة بقيود ثقيلة وأخبرنا تعالى أنها ملك له، ليس لأحد فيها شيء فقال تعالى: ﴿**قل لله الشفاعة جميعاً**﴾، فأما متى تكون، فأخبرنا ﷻ أنها لا تكون إلا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾، ﴿**ما من شفيع إلا من بعد إذنه**﴾، ﴿**وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾، ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾. وأما ممن تكون فكما أخبرنا تعالى أنها لا تكون إلا من بعد إذنه، أخبرنا أيضاً أنه لا يأذن إلا لأوليائه المرتضين الأخيار كما قال تعالى: ﴿**لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا**﴾ وقال: ﴿**لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا**﴾ وأما لمن تكون فأخبرنا أنه لا يأذن أن يُشفع إلا لمن ارتضى، كما قال تعالى: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾، ﴿**يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً**﴾، وهو سبحانه لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص، وأما غيرهم فقال تعالى: ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع**﴾ وقال تعالى عنهم: ﴿**فما لنا من شافعين ولا صديق حميم**﴾، وقال تعالى فيهم: ﴿**فما تنفعهم شفاعة الشافعين**﴾. وقد أخبرنا النبي ﷺ أنه أوتي الشفاعة، ثم أخبرنا أنه يأتي فيسجد تحت العرش، ويحمد ربه بمحامد يعلمه إياها لا يبدأ بالشفاعة أولاً حتى يقال له: "ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفَّع" الحديث.

ثم أخبر أنه لا يشفع في جميع العصاة من أهل التوحيد دفعة واحدة بل قال: "فيُحد لي حداً فأدخلهم الجنة"، ثم يرجع فيسجد وكذلك فيحد له حداً إلى آخر حديث الشفاعة.

وقال له أبو هريرة ﷺ مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه". ا–هـ.

[1] صحيح، وله شواهد، "المشكاة" (٥٥٩٨–٥٥٩٩). أقول: يستثنى من أهل الكبائر اثنان فلا تناهما شفاعة الرسول ﷺ: الإمام الظلوم الغشوم، والغالي في الدين المارق منه، كما جاء ذلك في

ومن حديث أنس أيضاً: "فيُقال: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يُسمَع لك، واشفع تشفَّع، وسلْ تُعطَه، فأقول: يارب، أمتي أمتي، فيقال: إنطلق فأخرج من كان في قلبه مثقالُ شعيرةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيُقال: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، واشفع تشفع، وسلْ تُعطه، فأقول: يارب، أمتي أمتي، فيقال: إنطلق فأخرج من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ، أو خردَلةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل[1]، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقول: يامحمد، ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسلْ تُعطه، واشفع تشفع، فأقول يارب أمتي أمتي، فيقول: إنطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال: يامحمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تُعْطَه،

قوله ﷺ: "رجلان ما تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشومٌ وآخر غالٍ في الدين مارق منه". الحديث: رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج: (١٤١) ثم من كان من أهل الكبائر، يشترط فيه أن يكون من أهل التوحيد، وأن لا يكون قد ختم له بالكفر والشرك، فإن شفاعة نبينا ﷺ هي نائلة لأهل الكبائر من أهل التوحيد، كما في قوله ﷺ: "أُعطيت الشفاعة وهي نائلة من لا يشرك بالله شيئاً" وقوله: "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من نفسه". أما من مات على الشرك فهو لا تنفعه شفاعة الشافعين، وهو خالد في نار جهنم أبداً، كما قال تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** النساء: ٤٨.

[1] إنه رسول الله الذي عُرف في الدنيا بشدة قلقه وحرصه على سلامة أمته، وهداية الناس، وشدة همه وحزنه إذا ما أصاب المسلمين مكروه، وهو كذلك شأنه في الآخرة فلا يستريح حتى تستريح أمته، ولا يطيب له المقام في نعيم الجنة العظيم حتى تدخل جميع أمته الجنة! وها هو لا يهدأ له بال ما دام واحد من أمته في النار .. ويكفي نبينا صلوات ربي وسلامه عليه، وصف ربه له: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** التوبة: ١٢٨. اللهم صل على سيدنا وحبيبنا وأسوتنا وعبدك ورسولك محمد، عدد خلقك ورضى نفسك، وزِنَةَ عرشك، ومِداد كلماتك، وسلم تسليماً كثيراً.

واشفع تشفع، فأقول: يارب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقال: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأُخرِجَنَّ منها من قال: لا إله إلا الله[١]" رواه البخاري.

ومن حديث أبي سعيد مرفوعاً، قال: "فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفَعَ النبيُّون، وشَفَعَ المسلمون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطَّ[٢]"[٣].

-حكم التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله تعالى-

فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك؛ أو بحق فلان، يقسم على الله بأحدٍ من مخلوقاته، فهذا محذورٌ من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله. والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقّاً. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقَّهُ على نفسه، كقوله

---

[١] أي من قال: لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله، ولم يأت بشيء من نواقضها، هذا مفهوم الحديث، والذي دلت عليه مجموع النصوص. أما من كان يقول لا إله إلا الله وبنفس الوقت يأتي بضدها وبما يناقضها، فهو يأتي بالتوحيد وضده معاً، ومثله: كالذي يقول بالشيء وعدمه في آن واحد، ومن كان هذا وصفه لا يقبل منه التوحيد إلا بعد أن يقلع عن الشرك المناقض للتوحيد.

[٢] قوله: "لم يعملوا خيراً قط " يجب أن يحمل أنهم مع ذلك فهم لم يمارسوا نواقض الإيمان، ولم يختم لهم بالشرك، وهم كذلك من أهل الصلاة، كما جاء ذلك في حديث آخر ومن رواية مسلم: "حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، وأمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد أن يرحمهم، ممن يقول: لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود"، فهم كما هو ظاهر الحديث من أهل الصلاة، ومن أهل التوحيد المجانبين للشرك، ومنه يعلم أن قوله: "لم يعملوا خيراً قط" يراد به الخير الزائد عن شروط صحة الإيمان ومتطلباته، التي لا يدخل المرء الجنة إلا بها وبعد استيفائها، وليس المراد نفي مطلق الخير المتضمن للتوحيد والإيمان، هذا ما يقتضيه العمل بمجموع النصوص ذات العلاقة بالمسألة.

[٣] أخرجه مسلم، وأحمد.

تعالى: ﴿**وكان حقاً علينا نصرُ المؤمنين**﴾ الروم: ٤٧. وكذلك قوله ﷺ لمعاذ: "يامعاذ، أتدري ما حقُّ الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقَّه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقُّ العبادِ على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حَقَّهم عليه أن لا يعذِّبَهَم"[١]. فهذا حقٌّ وجب بكلماته التامة ووعده الصادق، لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق.

وإن كان مُرادُه الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضاً، لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال ﷺ: "من حلف بغير الله فقد أشرك"[٢]. ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه : يُكره[٣] أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، ونحو ذلك. وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة . والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

وتارة يقول: بجاه فلان عندك، أو يقول: نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده: لأن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا، وهذا أيضاً محذور، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا

---

[١] متفق عليه. قلت: حق الله على العباد أن يعبدوه العبادة بمعناها العام والشامل لجميع ما يحبه الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، والبراءة من كل ما ينافيها، والعبادة بهذا المعنى والشمولية قلَّ من يوفيها حقها وبخاصة في زمان تزاحم الآلهة المزعومة التي تستشرف خصائص الإلهية والربوبية.

[٢] صحيح، رواه أحمد، والحاكم وصححه. قلت: الحلف بغير الله تعالى نوعان: عادة، وعبادة، فما كان منه عادة كحلف المرء بأبيه، أو قوله وحياتك ونحو ذلك مما اعتاده الناس فهو شرك أصغر. وما كان منه يطلق على وجه العبادة والتعظيم للمحلوف به فهو شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة، وكلا النوعين قد دلت عليهما النصوص الشرعية.

[٣] الكراهة هنا تحمل على التحريم.

يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يُؤمِّنُون على دعائه[1]، كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ، قال عمر -لما خرجوا يستسقون-: "اللهم إنا كنا إذا أُجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيَنا، وإنا نتوسل إليك بعمِّ نبينا"[2] معناه بدعائه هو ربَّهُ وشفاعتِهِ وسؤاله، ليس المراد أن نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.

-التوسُّل المشروع-

وتارة يقول: باتباعي لرسولك ومحبتي له، وإيماني به وبسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والإستشفاع. كما في حديث الثلاثة الذين أَوَوْا إلى الغار، فإن الصخرة انطبقت عليهم فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرُج عنَّا ما نحن

---

[1] عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر، أتى النبيَّ ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خيرٌ لك". قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيَّ" وفي المسند للإمام أحمد زيادة: "وشفعني فيه"، قال: ففعل الرجل فبرأ، الحديث رواه الترمذي وغيره، وهو صحيح. وقوله: "فشفعني فيه" لهو دليل أن المراد بالشفاعة هو طلب الدعاء وليس التشفع بالذات، وإلا كيف يكون الرجل الضرير شفيعاً للنبي ﷺ؟! فعلم أن المراد هو الدعاء، أي: اللهم اقبل دعاء النبي ﷺ فيَّ، واقبل دعائي فيه. وهذا المعنى يدل عليه أول الحديث وهو قوله ﷺ: "إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ". وهذا الحديث رغم وضوح دلالاته ومعانيه إلا أنه استغل استغلالاً سيئاً من قبل أهل الأهواء والبدع، حيث اعتبروه دليلاً على صحة كثير من إطلاقاتهم وتعبيراتهم الشركية والبدعية!!.

[2] لو كان المراد بالتوسل بالذات، لما حاد الصحابة عن النبي ﷺ بعد مماته وتوسلوا بغيره، لأن ذات النبي ﷺ -حياً وميتاً- لا يفضلها ذات مخلوق، ومنه نعلم أن التوسل كان بالدعاء.

فيه، فانفرجت الصخرةُ فخرجوا يمشون[1]. فهؤلاء دعَوا اللهَ بصالح الأعمال، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به.

-الشفاعَةُ عند الله ليست كالشفاعة عند البشر-

فإن الشفيعَ عند البشر كما أنه شافِعٌ للطالب شفَعَهُ في الطلب، بمعنى أنه صار به شَفْعَاً فيه بعد أن كانَ وِتْراً، فهو أيضاً قد شَفَعَ المشفُوعَ إليه[2]، فبشفاعته بعد أن كان وِتْراً، فهو

---

[1] متفق عليه. وتمام الحديث كما في صحيح البخاري، عن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ قال: "خرجَ ثلاثةُ نفَرٍ يمشون فأصابهم المطرُ، فدخلوا في جبلٍ، فانحطَّتْ عليهم صخرةٌ، فقال بعضُهم لبعضٍ ادعو اللهَ بأفضلِ عملٍ عَمِلْتُمُوه. فقال أحدُهم: اللهمَّ إني كان لي أبوانِ شيخان كبيران، فكنت أخرجُ فأرعى، ثمَّ أجيئُ فأحلُبُ، فأجيءُ بالحِلابِ فآتي به أبوَيَّ فيشرَبان، ثمَّ أسقي الصبيَةَ وأهلي وامرأتي، فاحتبستُ ليلةً فجئتُ فإذا هما نائمان، فكرهتُ أن أُوقظَهُمَا والصبيةُ يتضاغَون عند رجلَيَّ، فلم يزل ذلك دأْبي ودأْبَهما حتى طَلَعَ الفجرُ. اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرُجْ عنا فُرجةً نرى منها السماء، قال ففُرِجَ عنهم. وقال الآخرُ: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني كنتُ أحب امرأة من بنات عمي كأشدِّ ما يحبُّ الرجلُ النساءَ، فقالت: لا تنالُ ذلك منها حتى تُعطيها مائةَ دينارٍ، فسعيت فيها حتى جمعتها، فلما قعدتُ بين رجليها قالت: اتقِ اللهَ ولا تفُضَّ الخاتمَ إلاَّ بحقّهِ فقُمتُ وتركتُها، فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرُجْ عنا فُرْجَةً، قال ففرَجَ عنهم الثلثين. وقال الآخر: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني استأجرتُ أجيراً بِفَرَقٍ من ذُرَةٍ، فأعطيتُه وأبى ذلك أن يأخذ، فعمدتُ إلى ذلك الفَرَقَ فزرعته حتى اشتريتُ منه بقراً وراعيَها، ثمَّ جاء فقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك. فقال: أتستهزئُ بي؟ قال فقلت: ما أستهزئُ بك ولكنها لك. اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافْرُج عنا، فكُشِفَ عنهم".

[2] أي شارك المشفوع إليه بالشفاعة -بعد أن كان فرداً- بنوع من السلطة أو الضغط، فجعله يشفع. ومثل هذا لا يصح أن ينسب إلى الله ﷻ، واعتبار الشفاعة عند الله من هذا القبيل، هو شرك أكبر كما تقدم.

أيضاً قد شَفَعَ الطالِبَ والمطلوبَ منه، والله تعالى وِتْرٌ، لا يشفَعُهُ أحدٌ[١]، فلا يشفَع عنده أحدٌ إلا بإذنه، فالأمر كله لله، كما قال تعالى: ﴿**قل إن الأمرَ كله لله**﴾ آل عمران: ١٥٤. ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ آل عمران: ١٢٨. ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ الأعراف: ٥٤.

وفي (الصحيح) عن النبي ﷺ قال: "يابني عبد المناف، لا أملك لكم من الله من شيء، ياصفية عمَّة رسول الله لا أملك لكِ من الله من شيءٍ، ياعباس عمَّ رسول الله، لا أملِكُ لك من الله شيء"[٢]. فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: "لا أملك لكم من الله من شيء" فما الظن بغيره[٣]؟!

قولُه: "والميثاقُ الذي أخذَهُ اللهُ تعالى من آدمَ وذرِّيَّتِهِ حَقٌّ".

ش: قال تعالى: ﴿**وإذ أخذ ربُّكَ من بني آدمَ من ظهورهم ذريَّتَهُم وأشهدَهُم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يومَ القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**﴾[٤].

---

[١] أي ليس له ند يشاركه في شيء من خصوصياته ﷻ، أو أن تكون له سلطة وصلاحيات خارجة عن إرادة الله وقدرته تمكنه من الشفاعة من غير إذن من الله تعالى.

[٢] متفق عليه.

[٣] في ذلك موعظة للصوفيين وغيرهم، الذي يتجهون إلى المخلوق من دون الله تعالى، ويطلبون منه المدد والعون، ويستغيثون به في الملمات!! قال تعالى: ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين، وإن يمسسك اللهُ بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم**﴾ يونس ١٠٦-١٠٧. وقوله تعالى: ﴿**فإنك إذاً من الظالمين**﴾ أي من المشركين، فالظلم يطلق أحياناً ويراد منه الشرك الأكبر كما هو في هذه الآية.

[٤] إلى قوله تعالى: ﴿**أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذريةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون**﴾ الأعراف: ١٧٢-١٧٣. وهاتان الآيتان دليل على أن الله أشهد بني آدم على توحيد الربوبية والألوهية، وليس على توحيد الربوبية فقط كما يشير البعض، وأن هذا الميثاق حجة عليهم

يخبر سبحانه أنه استخرج ذريَّةَ بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن اللهَ ربَّهم ومليكُهم، وأنه لا إله إلا هو.

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: "إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان –يعني عرفه– فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأَها، فنثرها بين يدَيه، ثم كلَّمَهُم قُبُلاً، قال: ﴿**ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا**﴾ إلى قوله: ﴿**المبطلون**﴾[١].

وعن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ، قال: "يُقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهونَ من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تُشرك بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشرك بي[٢]" متفق عليه.

يوم القيامة، يحسم أعذارهم، ولكن قضت حكمة الله تعالى ورحمته أن لا يعذب أحداً إلا بعد قيام حجة الأنبياء والرسل عليه.

[١] رواه النسائي، وأحمد، وابن جرير، والحاكم في المستدرك. قال الشيخ ناصر: صحيح، لطرقه وشواهده.

[٢] واضح أن هذا الميثاق حجة على بني آدم يوم القيامة، ممن قارَف منهم الشرك ولا عذر لهم بتقليد الآباء ومواكبة العادات السائدة في المجتمع، أو أنهم كانوا عن هذا الميثاق غافلين. فإن قيل كيف التوفيق بين هذا وبين كون المرء لا يعذب إلا بعد بلوغ نذارة الرسل؟ أقول: الميثاق حجة من حجج الله تعالى على عباده، كحجة الفطرة، وحجة الآيات التي أودعها الله تعالى في النفس البشرية وفي الكون، وهم يحاجون بها يوم القيامة ويُفاتشون، ولكن العذاب فإن حكمة الله ورحمته قضت أن لا يكون إلا بعد بلوغ نذارة الرسل وجحدها ومعاندتها والإعراض عنها، زيادة في قيام الحجة وتبكيتاً لأعذارهم. كما قال تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾.

وقوله تعالى لأهون أهل النار عذاباً: "قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تُشرك بي شيئاً ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك، فيؤمر به إلى النار". لايفهم منه أن أهون أهل النار عذاباً أمر به إلى النار لمجرد مخالفته لحجة الميثاق قبل أو من دون قيام حجة الرسل عليه، وبخاصة أن أهون أهل النار عذاباً هو "أبو طالب" كما في صحيح مسلم: "أهون أهل النار عذاباً

-التوحيد أمرٌ فطري، والشرك مكتسبٌ طارئ-

ولا شك أن الإقرارَ بالربوبية أمرٌ فطري، والشركَ حادثٌ طارئ، والأبناء تقلَّدوه عن الآباءِ[1]، فإذا احتجُّوا يومَ القيامة بأن الآباءَ أشركوا، ونحن جرينا على عادهم، كما يجري الناس على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يُقال لهم: أنتم كنتم مُعترفين بالصَّانع، مقرين بأن اللهَ ربُّكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم فلِمَ عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟! بل عدَلْتُم عن المعلومِ المتيقَّن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حُجَّة معه.

-اتباع الرسل في الدين دون الآباء-

إن كان الآباءُ مخالفين للرسل، كان عليه أن يَتبعَ الرسلَ، كما قال تعالى: **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً وإن جاهداك لتُشرِكَ بي ما ليس لك به علم فلا تُطعهما﴾** العنكبوت: ٨. فمن اتبع دين آبائِه بغير بصيرةٍ وعِلم، بل يعدل عن الحقِّ المعلوم إليه، فهذا

أبو طالب". وأبو طالب لاشك أنه قد بلغته نذارة الرسل، وأقام عليه الحجةَ شخصُ النبي ﷺ، فأبى إلا الشرك. فإذا كان هذا الذي هو أهون أهل النار عذاباً، قد بلغته نذارة الرسل، فمن باب أولى من كان أشد منه عذاباً، أن تكون نذارة الرسل قد بلغته فقابلها بالجحود والعناد. ولكن فهم إضافة إلى حجة الرسل -الذي يُعقد العذاب والحساب على أساسها- محجوجون بحجة الميثاق وغيره من الحجج، والمسألة قد أوفيناها بحثاً في كتابي: (العذر بالجهل وقيام الحجة) فليراجع.

[1] كما في قوله ﷺ: "ما من مولود إلا ويولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". وفي رواية: "كل مولود يولد على الملة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويشركانه". وفي الحديث القدسي: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..." وقوله: "حنفاء"، قال النووي في الشرح: أي مسلمين ا-هـ. بقي أن نشير إلى أمر، وهو أن الميثاق الذي أخذ الله تعالى من بني آدم شيء، والفطرة شيء آخر، فلا يصح اعتبارهما شيء واحد، وإن كانت الفطرة جاءت لتصديق الميثاق..

اتبعَ هواهُ، كما قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءَنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون**﴾ البقرة: ١٧٠.

وهذه حالُ كثيرٍ من الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتَّبعُ أحَدُهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأ ليس هو فيه على بصيرةٍ، بل هو من مُسلِمَةِ الدار، لا مسلمة الإختيار[١]، وهذا إذا قيل له في قبره: من ربك؟ قال: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلتُه.

فليتأمل اللبيبُ هذا المحَلَّ، ولينصَحْ نفسَهُ، وليَقُم لله، ولينظر من أي الفريقين هو، والله الموفق.

قولُه: "وقد عَلِمَ اللهُ تعالى فيما لم يزل عدد من يَدخلُ الجنة، وعدد من يَدخلُ النارَ، جملةً واحدة، فلا يُزادُ في ذلك العدد ولا يَنقصُ منه، وكذلك أفعالُهم فيما عَلِمَ منهم أن يفعلوه".

ش: قال تعالى: ﴿**إن الله بكل شيءٍ عليم**﴾ الأنفال: ٧٥. ﴿**وكان اللهُ بكل شيء عليما**﴾ الأحزاب: ٤٠. فالله تعالى موصوفٌ بأنه بكل شيءٍ عليم أزلاً وأبداً. وعن علي قال: كنا في جنازةٍ في بقيع الغرقد، فأتانا رسولُ الله ﷺ، فقعد وقعدنا حولَه، ومعه مَخْصَرَةٌ[٢] فنكَّس رأسَهُ، فجعل ينكُتُ بمخصرته، ثم قال: ما من نفْسٍ منفوسَةٍ إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كُتِبَت شقيَّةً أو سعيدةً، قال: فقال رجل: يارسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندَعُ العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصيرُ إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل

---

[١] أي هو حكم عليه بالإسلام لإنتمائه لدار الإسلام، وليس لكونه اختار الإسلام عن فهم وعلم واجتهاد واتباع.

[٢] المخصرة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو مِقْرَعَةٍ أو عُكازةٍ أو قضيبٍ، وقد يتكأ عليه. انظر (لسان العرب).

أهل الشقاوة" ثم قرأ: ﴿**فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحُسنى، فسنيسِّرُه لليُسرى، وأما من بَخِل واستغنى، وكذَّبَ بالحسنى، فسنيسره للعُسرى**﴾ الليل: ٥-١٠. خرجاه في الصحيحين.

قولُه: ﴿وكُلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له، والأعمالُ بالخواتيم، والسعيدُ من سَعِدَ بقضاءِ اللهِ، والشقيُّ من شقِيَ بقضاءِ الله﴾.

ش: تقدم قولُه ﷺ: "اعملوا فكل مُيسرٌ لِمَا خُلِقَ له[١]". وعن جابر بن عبد الله، قال: جاء سراقة بن مالك بن جُعْشُم، فقال: يارسول الله، بين لنا ديننا كأنَّا خُلِقنا الآن، فيمَ العمَلُ اليومَ؟ أفيما جفت به الأقلامُ[٢]، وجرت به المقاديرُ، أم فيما يُستَقْبَلُ؟ قال: "لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير" قال: ففيم العمل؟ فقال: "اعملوا فكل مُيَسَّرٌ"[٣].

وقال ﷺ: "إن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة[٤]"

---

[١] أي ميسر له العمل الذي قد قُدِّر له.

[٢] أي فيما قد كُتب في اللوح المحفوظ وقدر، أم فيما لم يكتب ولم يُقدَّر علينا بعد؟

[٣] رواه مسلم وغيره.

[٤] فيه نهي عن تزكية المرء لنفسه، كذلك تزكية الآخرين بأعيانهم، على أنهم أولياء الله، وأنهم من أهل جنته ورضوانه -كما يعتقد الصوفية وغيرهم في مشايخهم، فيدعونهم ويطلبون منهم المدد والعون من دون الله!! -وهم في علم الله ﷻ قد يكونون بخلاف ذلك، من أهل الشقاء وأصحاب النار، لما يعلمه الله من سوء نواياهم وما يخفونه عن أعين الناس، فالله تعالى يعلم ونحن لا نعلم. كما قال تعالى: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ وقال: ﴿**ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا**﴾.

وإذا كان المرء لا يستطيع أن يزكي نفسه على الله، وهو أدرى الخلق بها، فمن باب أولى أن لا يستطيع تزكية الآخرين بأعيانهم، لذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من كان منكم مادحاً أخاه ولا محالة، فليقل: أحسب فلاناً، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً، أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه". فإذا كان مدحه لأخيه في الدنيا -بما يعلم- يجب عليه أن يتوخى هذه

خرجاه في الصحيحين، وزاد البخاري: "وإنما الأعمال بالخواتيم[١]".

وقال ﷺ: "إن أحدَكُم يُجمعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً نُطفةً، ثم علقةً مثل ذلك، ثم يكن مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر باربع كلمات: يُكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيد، فوالذي لا إله غيرُه، إن أحدَكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبقُ عليه الكتاب[٢]، فيعملُ بعمل أهل النار فيدخُلُها، وإن أحدَكُم ليعملُ بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبقُ عليه الكتابَ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[٣].

قولُه: "وأصلُ القدرِ سرُّ الله تعالى في خلقهِ، لم يَطَّلِعْ على ذلك ملكٌ مقربٌ، ولا نبيٌّ مرسل، والتعمُّقُ والنظرُ في ذلك ذريعةُ الخِذْلان، وسُلَّم الحِرمان، ودرجَةُ الطغيان، فالحذَرَ كُلَّ الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووَسْوسَةً، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامِه، ونهاهم عن مَرامه، كما قال تعالى في

الدقة، وأن لا يزكيه على الله، فكيف به لو أراد أن يتألى على الله، ويحكم على الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، بأن صاحبه من أهل الجنة؟!

وهل يقال لفلان شهيد، أو يحكم لمعين بالجنة؟! فالراجح أنه لا يشهد لمعين بالجنة إلا لمن جاء فيه نص كالعشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، والمسألة قد استوفيناها بحثا واستدلالاً في كتابي "قواعد في التكفير" فاليراجع.

[١] أي بما يُختم به على المرء من عمل، فإن ختم له بعمل صالح فقد فاز، وإن ختم له بعمل طالح فقد هلك وخسر مهما تقدمه من عمل صالح. ومن فقه الحديث التوقف عن الخوض في مصير أحد بعينه يوم القيامة، قبل العلم بما ختم له من عمل، وعلى أي عمل أدركته المنية، لذا يحسن بالمرء، دائماً أن يسأل الله تعالى لنفسه ولإخوانه الثبات على الحق وحسن الختام، ولا يغرنه عمله الصالح، وتاريخه الحافل بالمواقف والجهاد، وفي قصة "بلعام" عبرة لمن أراد أن يعتبر.

[٢] أي يسبق المقدور المكتوب في الكتاب، الذي هو اللوح المحفوظ.

[٣] متفق عليه.

كتابه: ﴿لا يُسأَلُ عما يفعلُ وهم يُسألُون[1]﴾ الأنبياء: ٢٣. فمن سأَلَ: لِمَ فعلَ؟ فقد ردَّ حُكمَ الكتابِ، ومن رَدَّ حُكمَ الكتاب،كان من الكافرين"[2].

ش: أصل القدَر سرُّ الله في خلقهِ، وهو كونُه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضلَّ وهدى. قال علي : القدر سِرُّ الله، فلا تكشِفْهُ[3].

-عقيدةُ أهلِ السنَّةِ والجماعة في القدَر-

الذي عليه أهل السنَّةِ والجماعة: أن كلَّ شيء بقضاء الله وقدره، وأن اللهَ تعالى خالقُ أفعال العباد، قال تعالى: ﴿**إنا كُلَّ شيء خلقناه بقدَرٍ**﴾ القمر: ٤٩. وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاهُ ولا يحبهُ، فيشاؤه كوناً[4]، ولا يرضاه ديناً[1].

---

[1] قلت: من خصوصيات الله تعالى التي تفرد بها أنه فوق المساءلة، لا يُسأل عما يفعل، وكل ما سواه فإنه يُسأل، ومع ذلك نجد كثيراً من طواغيت هذا الزمان يزعمون -بكل وقاحة- هذه الخاصية والحصانة لأنفسهم من دون الله، وتراهم يقننون القوانين والدساتير التي تضمن لهم هذا الحق الإلهي على شعوبهم، فأي كفرٍ يعلو هذا الكفر، وأي طغيان يفوق هذا الطغيان، ومع ذلك فإنَّ أكثر النَّاس يتابعونهم على ذلك وهم يعلمون أو لا يعلمون!!

[2] أي المرتدين الخارجين من دائرة الإيمان، لما في ردِّ حكم الله ﷻ من انتقاص لِقَدْرِ الله، ووصفه بأوصاف تنافي كمال علمه وحكمته وقدرته، وكذلك لتضمنه التكذيب لما جاء به الرسل، والاعتراض والتعقيب على الله تعالى، وهذا يتنافى مع أصل الإيمان ووجوده.

وقد يكون بواعث الرد لحكم الله من جهة العناد أو الكبر أو الكره أو الإعراض أو الاستهانة، وهو أيضاً مكفر لصاحبه الكفر الأكبر المخرج عن الملة. وفي كلام الإمام الطحاوي رحمه الله ردٌّ على من يحصرون كفر الحاكم بغير ما أنزل الله في الاستحلال القلبي للحكم بغير ما أنزل الله وحسب!.

[3] أي لا تشتغل في البحث والكشف عما خفيت عنك حكمته، فتضل وتهلك.

[4] أي هو من جملة ما يشاؤه الله أن يكون في سلطانه وخلقه، وتقدم أن هذه المشيئة والإرادة لا تتخلف.

وخالف في ذلك القدرية المعتزلة، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافرَ شاء الكفرَ- فرُّوا إلى هذا، لئلاَّ يقولوا: شاء الكفرَ من الكافر، وعذبه عليه! فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شرٌّ منه، فإنه يلزمهم أن مشيئةَ الكافر غلبت مشيئةَ الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه -على قولهم- والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قولٌ لا دليلَ عليه[٢].

روى عمرُ بن الهيثم، قال: خرجنا في سفينةٍ، وصحبنا فيها قدريٌّ ومجوسيٌّ، فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوسي: حتى يريدَ الله، فقال القدريُّ: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسي: أراد الله، وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! فأنا مع أقواهما!!

ووقف أعرابي على حلقةٍ فيها عمرو بن عبيد[٣]، فقال: يا هؤلاء، إن ناقتي سُرقت، فادعوا اللهَ أن يردها عليَّ، فقال عمرو بن عُبيد: اللهمَّ إنك لم تُرِد أن تُسرق ناقتُه فسرقت، فاردُدْها عليه، فقال الأعرابيُّ: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولِمَ؟ قال: أخاف -كما أراد أن لا تُسرق فسرقت- أن يريد ردَّها فلا تُرَدُّ[٤]!!

فمنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبَّة والرضى.

-الدليلُ من الكتاب والسنة على الفَرْقِ بين المشيئة والمحبة-

أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد قال تعالى: **﴿ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هداها﴾** السجدة: ١٣. **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره**

---

[١] أي لا يرضى أن يُتعبَّدَ به، ويُتقرب به إلى الله، وتقدم أن هذا النوع من الإرادة، قضت حكمة الله أن يتخلف أحياناً، بإذنه وإرادته.

[٢] هذا القول مؤداه إلى الكفر البواح، لأن مفاده أنه حصل في سلطان الله ما لا يريد قهراً عنه، وجعل من إرادة العبد المخلوق نداً تعلو إرادة الله سبحانه وتعالى.

[٣] هو كبير المعتزلة، توفي سنة ١٤٤هـ. مترجم له في "سير أعلام النبلاء": ٦/١٠٤.

[٤] الأعرابي على بساطته ولسلامة فطرته، فهو أفقه وأعلم من كبير المعتزلة وفقيههم.

الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس: ٩٩. ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللهُ ربُّ العالمين﴾ التكوير: ٢٩. ﴿من يَشَأ اللهُ يُضلله ومن يَشأ يجعله على صراطٍ مستقيم﴾ الأنعام: ٣٩.

وأما نصوصُ المحبَّةِ والرضى، فقال تعالى: ﴿واللهُ لا يُحبُّ الفساد﴾ البقرة: ٢٠٥. ﴿ولا يرضى لعباده الكفرَ﴾ الزمر: ٧. وقال تعالى عَقِبَ ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكِبْرِ: ﴿كل ذلك كان سيِّئُهُ عند ربك مكروها﴾ الإسراء: ٣٨. وفي الصحيح، عن النبي ﷺ: "إن الله كَرِهَ لكم ثلاثاً: قيلَ وقال، وكَثرةَ السؤال، وإضاعَةَ المال" متفق عليه.

وفي (المسند): "إن الله يحبُّ أن يُؤخذَ بِرُخَصِهِ، كما يكرهُ أن تُؤتى معصيتُه"[١].

-شبهةٌ وردٌّ-

فإن قيل: كيف يريدُ اللهُ أمراً ولا يرضاه ولا يُحبهُ؟[٢] وكيف يشاؤه ويكونُه؟ وكيف يجتمعُ إرادتُه له وبُغضُه وكراهَتُه؟

فاعلم أن المرادَ نوعان: مُرادٌ لنفسه، ومرادٌ لغيره. فالمراد لنفسه مطلوب محبوبٌ لذاته وما فيه من الخير، فهو مرادٌ إرادةَ الغايات والمقاصد. والمرادُ لغيره، قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحةٌ له بالنظر إلى ذاته، إن كان وسيلة إلى مقصوده ومُراده فهو مكروه له من حيثُ نفسهِ وذاتهِ، مُرادٌ له من حيثُ إفضائهِ وإيصاله إلى مرادِه. فيجتمع فيه الأمران: بغضُه وإرادتُه. وهذا كالدواءِ الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءَهُ، وقَطْعِ العضوِ المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسدِهِ، وكقطعِ المسافة الشاقَّةِ إذا عَلِمَ أنها توصِلُ إلى مُراده ومحبوبهِ. فهو سبحانه يكره الشيءَ، ولا يُنافي ذلك إرادَتَهُ لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فَوْتِهِ.

من ذلك: أنه خلق إبليس، الذي هو مادةٌ لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سببٌ لشقاوة كثيرٍ من العباد، وعملهم بما يغضب الربَّ تبارك وتعالى، ومع هذا فهو وسيلةٌ إلى محابَّ كثيرةٍ للرب ترتبت على خلقه، ووجودُها أحبُّ إليه من عدَمها:

---

[١] صحيح، رواه أحمد وغيره بسند صحيح.

[٢] انظر مدارج السالكين لابن القيم: ١٩٣/٢ - ٢٠٤، ٢٥٣/١-٢٢٥.

منها: أنه تظهر للعبادِ قُدرةُ الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي أخبثُ الذوات وشرُّها، وهي سبب كل شرٍّ في مقابلة ذاتِ جبريل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرتُه في خلق الليلِ والنهار، والداء والدواء والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر. وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسُلطانه. فخلُوُّ الوجود عن بعضها بالكلية تعطيلٌ لحكمته، وكمالِ تصرُّفِهِ، وتدبير مملكته.

ومنها: ظهورُ آثار أسمائه القهرية، مثلُ: القهَّار، المنتقم، والعدل، والضَّارِ، والشديد العقاب، والسريعِ الحساب، وذي البطشِ الشديد، والخافض، والمذلِّ، فإن هذه الأسماء والأفعال كمالٌ، لا بد من وجودِ متعلَّقِهَا ولو كان الجنُّ والإنسُ على طبيعة الملائكة لم يظهرْ أثرُ هذه الأسماء.

ومنها: ظهورُ آثارِ أسمائِه المتَضَمِّنَةِ لِحِلْمِهِ وعَفوِهِ ومَغْفرَتهِ وسَتْرِه وتجاوزِه عَن حَقِّهِ وعَتْقِه لِمَنْ شاءَ مِنْ عبيدِه، فلولا خَلْقُ ما يكرهُهُ مِنَ الأسبابِ المُفضيَةِ إلى ظهورِ آثارِ هذه الأسماء، لتعطَّلتْ هذه الحِكَمُ والفوائِدُ، وقد أشارَ النبيُّ ﷺ إلى هذا بقولِه: "لَوْ لَمْ تُذنبوا، لَذَهبَ اللهُ بكم، ولَجَاءَ بقومٍ يُذنبونَ، ويستغفرونَ فيغفِرُ لَهُم" رواه مسلم.

ومنها: ظهورُ آثارِ أسماءِ الحكمةِ والخبرَةِ، فإنَّه الحكيمُ الخبير، الذي يضَعُ الأشياءَ مواضِعَها ويُنزِلُها منازِلَها اللائِقَةِ بها، فهو أعلم حيثُ يجعلْ رسالاتِه، وأعلَمُ بمن يَصلُحُ لِقبولِها ويشكرُهُ على انتهائها إليه، وأَعْلَمُ بمن لا يَصلُحُ لذلك. فلو قُدِّرَ عَدَمُ الأسبابِ المكروهَةِ، لتعطَّلَتْ حِكَمٌ كثيرَةٌ، ولَفاتَتْ مصالِحُ عديدَةٌ، ولو عُطِّلَتْ تلكَ الأسبابُ لِما فيها مِن الشَرّ، لتعطَّلَ الخيرُ الذي هو أعظمُ مِن الشَّرّ الذي في تلك الأسبابِ، وهذا كالشمسِ والمطرِ والرّياحِ، التي فيها مِن المصالحِ ما هو أضعافُ أضعافُ ما يحصلُ بها مِن الشرّ.

ومنها: حُصولُ العبودية المتنوعة التي لولا خَلْقُ إبليسَ لَمَا حصَلَتْ، فإنَّ عبوديَّةَ الجهاد مِن أحبِّ أنواعِ العبوديَّةِ إليه سبحانه، ولو كان الناسُ كُلُّهُم مؤمنين لتعطَّلَتْ هذه العبوديَّةُ وتوابِعُها من الموالاة لله والمعاداة فيه، وعبوديَّةُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكَرِ، وعبوديةُ

الصبرِ، ومخالَفَةِ الهوى، وإيثارِ محَابِّ اللهِ تعالى، وعبوديةُ التوبةِ والاستغفارِ، وعبوديةُ الاستعاذَةِ بالله أن يُجيرَهُ مِنْ عدوِّهِ، ويعصِمَهُ مِنْ كيدِهِ وأذاه. إلى غيرِ ذلك مِن الحِكَمِ التي تعجزُ العقولُ عن إدراكِها.

فإن قيل: فهَلْ كان يُمْكِنُ وجودَ تلكَ الحِكَم بدونِ هذه الأسباب؟

فهذا سؤالٌ فاسِدٌ! وهو فرضُ وجود الملزوم بدونِ لازمِهِ، كفرضِ وجودِ الابنِ بدونِ الأبِ، والحرَكَةِ بدونِ المتحرِّكِ، والتوبَةِ بدون التائب.

فإن قيلَ: كيفَ يرضى لعبدِهِ شيئاً ولا يُعِينُه عليه؟ قيل: لأنَّ إعانَتَهُ عليه قد تستلزِمُ فواتَ محبوبٍ له أعظمَ مِنْ حُصولِ تلكَ الطاعَةِ التي رضيها له، وقد يكونُ وقوعُ تلكَ الطاعةِ منه يتَضَمَّنُ مَفْسدَةً هي أكرَه إليه سبحانه مِنْ محبتهِ لتلكَ الطاعَةِ. وقد أشارَ تعالى إلى ذلك في قوله: **﴿ولو أرادُوا الخروجَ لأعَدُّوا له عُدَّةً ولكن كَرِهَ اللهُ انبعاثَهُم فثبَّطَهُم﴾** التوبة: ٤٦–٤٧. فأخبرَ سبحانه أنهُ كَرِهَ انبعاثَهُم إلى الغزوِ مع رسوله، وهو طاعة، فلما كَرِهَهُ منهم ثبَّطَهُمْ عنه، ثمَّ ذكرَ سبحانه بعضَ المفاسدِ التي كانت تترتبُ على خروجهم مع رسولِه، فقال: **﴿لو خرَجُوا فيكُم مازادُوكُم إلاّ خبالاً﴾** أي: فساداً وشرَّاً، **﴿ولأوْضَعُوا خِلالكُم﴾**، أي: سَعَوْا بينَكم بالفسادِ والشرِّ، **﴿يبغونَكُمُ الفتنةَ وفيكُمْ سَمَّاعُونَ لهُم﴾**، أي: قابلونَ منهم مستجيبونَ لهم، فيتولَّدُ مِنْ سَعْي هؤلاءِ وقبولِ هؤلاء مِنَ الشَرّ ما هو أعظَمُ مِنْ مصلحةِ خروجهم، فاقتضَت الحِكمةُ والرَّحمةُ أنْ أقعدَهم عنه. فاجعلْ هذا المثالَ أصلاً، وقِسْ عليه[١].

---

[١] اعلم أن خيرة الله لعبده كلها خير، سواء علم العبد بذلك أم لم يعلم، كما حصل ذلك مع الخضر عليه السلام لما خرق السفينة وأعابها حتى يمنع الملك الظالم مِنْ أخذها كلياً حيث كان يتتبع السفن السليمة مِن الأعطاب والعيوب ليأخذها، وهذه حكمة لم يكن يعلمها موسى ولا غيره ممن كانوا في السفينة، وكذلك لما قتل الغلام حفاظاً على دين وإيمان أبويه المؤمنين، وحتى لا يفتنهما عند الكبر عن دينهما، والشاهد أن الله تعالى ينزل بالعبد ضراً ليدفع عنه ضراً أكبر وأشد علم بذلك أم لم يعلم، وقد جاء في الحديث: "لو اطلعتم على الغيب لرضيتم بالواقع".

فإنْ قيلَ: إذا كانَ الكُفْرُ بقضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ[١]، ونحنُ مأمورونَ أنْ نرضى بقضاءِ اللهِ، فكيفَ نُنكِرُهُ ونكرَهُه[٢]؟!

فالجوابُ: أن يُقالَ أوَّلاً: نحنُ غَيْرُ مأمورين بالرِّضى بكُلِّ مايقضيه اللهُ ويُقدِّرُهُ، ولم يَرِدْ بذلك كتابٌ ولاسُنَّةٌ، بل مِن المقضيّ ما يُرضَى به، ومنه ما يُسْخَطُ ويُمْقَتُ[٣].

وأحياناً ينزل البلاء لتظهر أنواع مِن العبادات لارتباطها بها كالصبر، والشكر، والبذل، والجهاد كما في قوله تعالى: **﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ولنبلو أخباركم﴾** وقال تعالى: **﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾**. وقال تعالى: **﴿ولنبلونكم بشيء مِنَ الخوف والجوع ونقصٍ مِن الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾**.

وأحياناً ينزل البلاء ليطهر صاحبه مِن الذنوب والخطايا، كما في الحديث:" فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي في الأرض وما عليه خطيئة" وقال ﷺ: "وما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة".

وأحياناً ينزل البلاء لرفع المقامات والدرجات في الجنان يوم القيامة، كما في الحديث: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإنْ كان في دينه صُلباً اشتدَّ بلاؤه؛ وإن كان في دينه رقةٌ ابتلي على قدر دينه". وقال ﷺ: "يقول الله ﷻ: مَنْ أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثواباً دون الجنة". وقال ﷺ: "يَودُّ أهلُ العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاءِ الثوابَ لو أن جلودهم كانت قُرِضت في الدنيا بالمقاريض". وهذه الأحاديث كلها صحيحة ولله الحمد.

[١] أي أن الكفر يكون بقضاء مِن الله وقدره ..

[٢] القاريء المؤمن بغنى عن ذكر هذه التساؤلات والشبهات، ولكن لما كان أعداء الإيمان ومن في قلوبهم مرض وزيغ يتعرضون أهل الإيمان بهذه الأسئلة، رأينا إثباتها وإثبات الجواب عليها...

[٣] كل ما يدخل في معنى المعاصي مِنْ كفر وظلم وفسق وغير ذلك مِن الذنوب التي تُغضِب الله تعالى هو مِن القضاء الذي يجب أن يُسخط ويُمقت، وكل ما يرضي الله فهو مِن القضاء الذي يجب أن يرضى به العباد ويحبوه.

ويُقالُ ثانياً: هنا أمرانِ: قضاءُ اللهِ وهو فعلٌ قائِمٌ بذات اللهِ تعالى، ومقضيٌّ: وهو المفعولُ المنفصِلُ عنه، فالقضاءُ كله خيرٌ وعَدْلٌ وحِكمةٌ، فيُرضى به كُلِّه، والمقضيُّ قسمان: منهُ مايُرضَى بهِ، ومنه ما لا يُرضى به.

ويُقالُ ثالثاً: القضاءُ له وجهان: أحدُهما تعَلُّقُهُ بالرَّبِّ تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يُرضَى به. والوجه الثاني: تعَلُّقهُ بالعبدِ ونسبته إليهِ، فمن هذا الوجه ينقسِمُ إلى ما يُرْضَى بهِ، وإلى ما لا يُرْضَى به. مثالُ ذلك: قَتْلُ النفسِ، له اعتباران: فمن حيث قدَّرَهُ اللهُ وقضاهُ وكَتَبَهُ وشاءَهُ، وجَعَلَهُ أجلاً للمقتولِ ونهاية لعمرِه، نرضى بهِ، ومِن حيثُ صَدَرَ مِن القاتِلِ وباشرَهُ وكسَبَهُ، وأقدَمَ عليه باختيارِه، وعصى اللهَ بفعلِهِ، نسخَطُه ولا نرضى به.

-المبالَغةُ في الكلام في القضاء والقدر وسيلَةٌ إلى الخِذلانِ-

وقولُه: "والتعَمُّقُ والنَّظَرُ في ذلكَ ذريعَةُ الخِذْلانِ".

المعنى: أنَّ المبالغة في طلبِ القَدَرِ والغوصِ في الكلامِ فيه، ذريعَةُ الخذلان[1]. الذريعةُ: الوسيلة، والذريعةُ والدرَجةُ والسُّلَّمُ، متقارب المعنى.

---

[1] ليست الغاية مِنْ دراسة عقيدة القضاء والقدر، المعرفة النظرية المجرَّدة، لمواجهة شبهات وتساؤلات جاحدي القضاء والقدر -فهذا يحصل مِنْ دون أن يكون هو المقصود- وإنما الغاية مِنْ دراسة عقيدة القضاء والقدر، تكمن في أمرين:

أولهما: يتعلق بمعرفة العبد لصفات الربِّ ﷻ، وهو أن عقيدة القضاء والقدر تُعرِّف المسلم على عظمة الخالق سبحانه، وكمال قدرته وعلمه، فهو عندما يعلم أنَّ الله تعالى قدَّرَ الأشياءَ قبل خلقها، وأحاط بها علماً، وأنه لا يحصل في سلطانه شيء -مهما عظم أو صغر- إلا بإذنه وإرادته ومشيئته، وأنه لا يكون إلا ما يريد، يُدرك بالمقابل أن الإله الذي يستحق أن تتوجه إليه العباد بالعبادة بمعناها العام الشامل، هو الله وحده ﷻ، ثم أن هذه العقيدة تورث المرء كمال التنزيه للرب ﷻ، وهذا مطلب مِنْ مطالب الشريعة.

وقولُه: "فالحذَرَ كُلَّ الحذَرِ مِنْ ذلك نَظَراً وفِكْراً ووسْوَسَةً".

عن أبي هريرة، قال: جاءَ ناسٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ ﷺ إلى رسولِ الله ﷺ، فسألوه: إنا نَجِدُ في أنفسنا ما يتعاظَمُ أحدُنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتُمُوه؟" قالُوا: نعَمْ، قال: "ذاكَ صريحُ الإيمان". رواه مسلم.

الإشارَةُ بقوله: "ذاك صريحُ الإيمان" إلى تعاظمهم أن يتكلّموا به. فمدافعَةُ الوَسْوسَةِ الشيطانيةِ، واستعظامُها صريحُ الإيمانِ، ومحضُ الإيمان.

هذه طريقةُ الصحابة ، والتابعين لهم بإحسانٍ، ثمَّ خلَفَ مِنْ بَعْدِهم خَلْفٌ، سَوَّدُوا الأوراقَ بتلكَ الوساوس، التي هي شكوكٌ وشُبَهٌ، بل وسَوَّدُوا القلوبَ، وجادَلُوا بالباطِلِ ليُدحِضُوا به الحقَّ.

–اتباع سنن اليهود والنصارى، والخوض بما خاضوا!–

الثاني: وهو ما يتعلق بجانب العبد، فإنَّ عقيدة القضاء والقدر تورثه الشجاعة، وعدم الخوف مِن المخلوق أو فوات الرزق، وهو كذلك يعلق قلبه بالله وحده ولا يرجو إلا الله، وكيف لا ما دام كل شيء بقدر، والضر والنفع كله بيد الله، ولا يكون إلا ما شاء الله له أن يكون، وهي كذلك تورثه الإطمئنان وراحة النفس والفهم الصحيح لما يجري حوله ويطرأ عليه، وتعينه على الصبر واحتساب الأجر عند الله إذا ما حلَّ به بلاء.. وهذا أيضاً مطلب مِنْ مطالب الشريعة.

وإلى جانب ما تقدم فإنَّ الغاية مِنْ دراسة عقيدة القضاء والقدر تحقيق الإيمان به إذ يعتبر مِنْ أهم أركان الإيمان، حيث لا يصح إيمان ولا يكتمل إلا بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، كما جاء في الحديث: "ولو كان لرجل أُحد أو مثل أُحد ذهباً ينفقه في سبيل الله، لا يقبله الله ﷻ منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإنك إن مت على غير هذا أدخلت النار". وقال: "إن العبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه". رواه ابن أبي عاصم في السنة وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جَدِّهِ، قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ والنَّاس يتكلمونَ في القدَرِ، قال: فكأنَّما تَفَقَّأَ في وَجهِهِ حَبُّ الرُّمان مِن الغضبِ، قال: فقال: "ما لَكُمْ تضرِبونَ كِتابَ اللهِ بَعْضَهُ ببعضٍ؟! بهذا هلَكَ مَنْ كانَ قبلَكم"[1].

وقال تعالى: ﴿**فاستمتعتم بخلاقِكُم كما استمتَعَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بخلاقِهِم وخُضْتُم كالَّذِي خاضُوا**﴾التوبة: ٦٩. الخلاقُ: النَّصيبُ، أي استمتَعْتُمْ بنصيبكم مِنَ الدنيا، كما استمتعَ الذينَ مِنْ قبلِكُم بنصيبهم، وخُضْتُمْ كالذي خاضُوا. وجَمعَ سبحانَهُ بين الاستمتاعِ بالخلاقِ وبين الخَوْضِ، لأنَّ فسادَ الدين: إمَّا في العمل، وإمَّا في الاعتقاد، فالأوَّل مِنْ جهة الشَّهواتِ، والثاني مِنْ جهةِ الشبهات[2].

وعن أبي هريرَة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: "لَتَأخُذَنَّ أُمَّتي مآخذَ القرُونِ قبلَها شِبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ" قالوا: فارس والرُّومُ؟ قال: فَمَنِ الناسُ إلاَّ أولئِكَ"[3].

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "ليأتيَنَّ على أُمَّتي ما أَتَى على بَني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ، حتى إنْ كانَ مِنْهُمْ مَنْ أتى أُمَّهُ علانيَّةً، كان في أُمَّتي مَنْ يصنعُ

---

[1] صحيح. رواه أحمد وغيره بسندٍ جيد. وقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا ذُكِرَ القدر فأمسكوا" صحيح الجامع: "٥٤٥"، لأن الاسترسال في القدر غالباً ما يؤدي إلى المحظور والمكروه.

[2] وهي أعظم وأشد أثراً على صاحبها، حيث يحسب نفسه على خير وممن يحسنون صنعاً، وهو في حقيقته يكون في شر كبير ومن الأخسرين أعمالاً.

[3] أخرجه البخاري وغيره. وفي رواية عند مسلم: "لتتبعن سنن الذين مِنْ قبلكم شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لاتبعتموهم" قلنا: يارسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن". أي: مَنْ يكون غيرهم؟.وقد صدق النبي ﷺ، فمن يتأمل واقع الأمّة يجدُ أن الناس -حكاماً ومحكومين- قد تابعوا اليهود والنصارى في جميع شؤون الحياة ومجالاتها، فما مِنْ صوت يُرفع في الغرب الصليبي إلاَّ ويوجد صداه في أخلاق وسلوك وعقائد الأمة..

ذلك، وإنَّ بني إسرائيلَ تفرَّقُوا على اثنتينِ وسبعينَ مِلَّةً، وتَفترِق أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ في النارِ إلاَّ مِلَّةً واحِدَةً" قالوا: مَنْ هي يارسُولَ اللهِ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي"(١).

وعن أبي هُريرة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "تَفَرَّقَتِ اليهودُ على إحْدَى وسبعينَ فِرْقَةً أو اثنتَيْن وسبعينَ فِرْقَةً، والنصَارَى مِثْلَ ذلك، وتفترقُ أُمَّتِي على ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً"(٢).

وعن معاوية بن أبي سفيان، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ أَهْلَ الكتابَيْنِ افترَقُوا في دينِهِمْ على ثِنَتَيْنِ وسبعينَ مِلَّةً، وإنَّ هذه الأُمَّةَ ستفترِقُ على ثلاثٍ وسبعين مِلَّةً -يعني الأهواءَ- كُلُّها في النَّارِ إلاَّ واحِدَةً، وهي الجماعَةُ"(٣).

---

(١) قال الشيخ ناصر: ضعيف بهذا السياق، وقد حسنه الترمذي في بعض النسخ، وهو ممكن باعتبار شواهده، ولذلك أوردته في "صحيح الجامع" (٥٢١٩)، "الصحيحة" (١٣٤٨).

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. قال الشيخ ناصر: صحيح، وهو مخرج في "الصحيحة" (٢٠٣).

(٣)رواه أحمد، وأبو داود، وهو صحيح. في الحديث والذي قبله أنَّ الفرقة الناجية الْمَرْضِية، هي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام، فالدين الأمجد دينهم، وما سواه ليس بدين. ومنه يُعلم فساد القول القائل: بأنَّ الخلف أحكم من السَّلف!!! ساء ما يقولون. وفيه كذلك أن الجماعة هي التي تكون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وإن قل عددها، فالجماعة تعرف بالاتباع والاقتداء لا بالكم الهائل الشارد عن الحق والمتابعة لهدي النبوة.

وهنا تُثار مسألة -كثر كلام الناس حولها- هل الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة الظاهرة الوارد ذكرها في الأحاديث، أم أنه يوجد فارق بينهما من بعض الوجوه؟

والجواب على هذه المسألة: أن الفرقة الناجية تشتمل على الطائفة المنصورة الظاهرة، فكل فرد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية ولا يستلزم ذلك العكس، والذي حدد هذا الفارق بين الفرقة والطائفة هي النصوص الشرعية، وصفة كل من الفرقة والطائفة كما بينتها الأدلة الشرعية.

١- دلالة النصوص الشرعية على الفارق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

قال تعالى: **﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** آل عمران: ١٠٤.

فهذا خطاب موجه لمجموع الأمة المتمثلة في "الفرقة الناجية" بأن تنفر منهم طائفةٌ -وهو المراد بالأمة- تتخصص وتتفرغ للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالنص فرَّق بين "الفرقة الناجية" وهي المعنية من الخطاب، وبين الطائفة المنصورة وهم النفر الذين يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن كثير في التفسير (١/٣٩٨): يقول تعالى: ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون. قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء، والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ا-هـ.

قلت: واضح أن الطائفة المنصورة هم صفوة الفرقة الناجية، إذ يستحيل أن يكون كل فردٍ من الفرقة الناجية عالماً ومجاهداً.

وكذلك قوله تعالى: **﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾** آل عمران: ١٤٦.

فالربيون هنا هم الطائفة المنصورة الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخشون في الله لومة لائم، ومن قال أن الربيين الوارد ذكرهم في الآية يراد بهم الفرقة الناجية بما فيهم العوام من الشيَّب والنساء فقد أخطأ وأبعد.

وكذلك قوله تعالى: **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضررِ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكُلاً وعدَ الله الحسنى وفضل اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾** النساء: ٩٥.

ففرق الله تعالى بين القاعدين الذين يدخلون في الفرقة الناجية، وبين المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الذين يدخلون في الطائفة المنصورة الظاهرة، فهما لا يستويان صفة ومهمة ولا من حيث الأجر والدرجات يوم القيامة، وإن كانا يشتركان بصفة النجاة من العذاب بدليل قوله تعالى: **﴿وكُلاً وعدَ اللهُ الحسنى﴾** ولكن **﴿فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾**.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم مَنْ خذلَهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" وقال: "لن يزال قوم مِنْ أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" وقال: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة" وقال: "لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة". وهذه أحاديث كلها صحيحة ولله الحمد بعضها مخرج في الصحيحين، والشاهد منها قوله ﷺ: "لا تزال طائفة مِنْ أمتي .. لا يزال قوم مِنْ أمتي .. عصابة من المسلمين" حيث أن مِنْ هنا تفيد التبعيض، فالمسلمون من أمة محمد ﷺ هم الفرقة الناجية، والطائفة أو العصابة منهم الوارد ذكرها في الأحاديث أعلاه هم الطائفة المنصورة خواص الفرقة الناجية، هذا من حيث دلالة النصوص الشرعية.

٢- أما من حيث دلالة الصفات، فقد ميزت النصوص الشرعية بين صفات الفرقة وصفات الطائفة المنصورة، فالفرقة الناجية تتصف بسلامة الاعتقاد وحسن الإتباع، لذلك عندما سُئل النبي ﷺ عنها فأجاب بأنها هي التي تكون على "ما أنا عليه وأصحابي".

بينما الطائفة المنصورة -بدلالة النصوص المتقدم ذكرها- فهي إضافة إلى صفة سلامة الاعتقاد وحسن الاتباع، فهي تجاهد في سبيل الله، وهي ظاهرة على عدوها بحجة السنان والبيان لا تخشى في الله لومة لائم، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر..

قال النووي عنهم في شرحه لصحيح مسلم (٦٧/١٣): يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون، ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ا-هـ. وهذه صفات مستحيل أن تتوفر في كل فرد من أفراد الفرقة الناجية، حيث أن الفرقة الناجية تضم هؤلاء وغيرهم من العجزة والشيوخ والنساء وغيرهم من العوام الذين يتوفر فيهم سلامة الاعتقاد والاتباع.

ومما تقدم نستخلص النقاط التالية:

ا- أن كل فرد من الطائفة المنصورة هو من الفرقة الناجية وليس العكس..

ب- أن صفات الطائفة المنصورة الظاهرة المجاهدة يستحيل أن تتوفر في كل فرد من أفراد الفرقة الناجية، فلزم التفريق بينها وبين الفرقة الناجية..

-مَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ من غير شُبهةٍ أو تأويلٍ، فقد كفَرَ-

وقولُه: "فمن سألَ: لِمَ فَعَل؟ فقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ، ومَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ، كانَ مِنَ الكافرين".

اعلم أنَّ مبنى العبوديَّةِ والإيمان باللهِ وكُتُبِهِ ورُسلِهِ، على التسليمِ وعدَمِ الأسئلةِ عن تفاصيلِ الحكمةِ في الأوامرِ والنَّواهي والشَّرائعِ، ولهذا كانَ سلفُ هذهِ الأمَّةِ، التي هي أكملُ الأُمَمِ عقولاً ومعارِفَ وعلوماً، لا تَسأَلُ نبيَّها: لِمَ أمرَ اللهُ بكذا؟ ولِمَ نهى عن كذا؟ ولِمَ قَدَّرَ كذا؟ ولِمَ

ج- الطائفة المنصورة بالنسبة للفرقة الناجية تعتبر الطليعة أو الصفوة التي توكل إليها المهام العظام، والتي تقود الأمة إلى الخير والفلاح والجهاد..

د- الفرقة الناجية والطائفة المنصورة يشتركان في صفة سلامة الاعتقاد وحسن المتابعة والاقتداء، ويفترقان في بقية الصفات..

هذا -باختصار- أبرز ما يميز الطائفة المنصورة عن الفرقة الناجية، ولصفات الطائفة المنصورة أفردنا مصنفاً مستقلاً أسميناه "صفة الطائفة المنصورة التي يجب أن تكثر سوادها" فليراجعه من أراد أن يستزيد.

- الفائدة من هذا التفريق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة:

توجد فوائد عديدة من هذا التفريق، منها: إنزال الناس منازلهم، ومعرفة كل امرءٍ قدره وأين هو من دين الله، وقد وجدنا أناساً ممن يتشبعون بما لم يُعطوا، ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، يزكون أنفسهم على الله ويدعون أنهم هم الطائفة المنصورة!، وفي حقيقتهم لا يتعدون أن يكونوا من الفرقة الناجية، ولقد وجدنا بعضهم يعادي بغير علم هذا التفريق -الذي دلّت عليه نصوص الشريعة- بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وذلك لما رأوا بُعد الشقة بينهم وبين صفات وخصال الطائفة المنصورة الظاهرة بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحتى لا يخرجوا من دائرة الطائفة المنصورة قالوا: الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة ولا فرق بينهما، فأدخلوا العجايز مع العلماء العاملين المجاهدين، وسووا بينهما!!.

فعَلَ كذا؟ لعلمهم أنَّ ذلكَ مُضادٌ للإيمانِ والاستسلامِ، وأنَّ قدَمَ الإسلامِ لا تَثْبُتُ إلاَّ على درَجَةِ التسليم(١).

فأوَّلُ مراتبِ تعظيمِ الأمرِ: التصديقُ بهِ، ثمَّ العَزْمُ الجازمُ على امتثالِه، ثمَّ المسارَعةُ إليه والمبادَرَةُ به القواطعَ الموانعَ، ثمَّ بذلُ الجهدِ والنصحِ في الإتيانِ به على أكملِ الوجوهِ، ثمَّ فِعْلُه لِكونِهِ مأموراً به، بحيث لا يتوقَّفُ الإتيانُ به على معرفة حِكمتهِ، فإنْ ظهرتْ له، فَعَلَهُ وإلاَّ عطَّلَهُ، فإنَّ هذا يُنافي الانقيادَ، ويقدَحُ في الإمتثالِ.

ولا شَكَّ في تكفيرِ مَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتابِ(٢)، ولكِنْ مَنْ تأوَّلَ حُكمَ الكتابِ لِشُبهةٍ عَرَضَتْ له، يُبيِّن له الصوابُ ليرجعَ إليه(٣).

---

(١) التسليم الذي يلازمه الرضى وانتفاء الحرج في النفس، أمَّا التعقيب على حكم الله وعرضه للتصويت والإختيار، فما تختاره الأكثرية هو المختار وإن ضاد حكم الله -كما هو شأن الديمقراطية ودعاتها- فإنَّ ذلك من أوضح ما يُنقض به الإيمان. ومما يشتد له العجب أن أولئك الذين استهوتهم عقولهم وغرَّتهم الديمقراطية، الذين لا يرون حرجاً في التعقيب على حكم الله، هم أنفسهم يُسلمون للقوانين الوضعية والدساتير الطاغوتية من دون تعقيب أو اعتراض -فالتسليم لحكم الله عبودية وتخلّف، والتسليم لحكم الطاغوت ديمقراطية وحرية!!- ويحتكمون إليها على أنها "فوق الجميع" وغير قابلة للرد، علماً أنَّ أكثر هذه الدساتير تضمن لواضعها "أنّه لا يُسأل عمَّا يفعل أو أنَّه فوق المساءلة!! ". **﴿فما كان لشركائهم فلا يصلُ إلى الله وما كان لله فهو يصلُ إلى شركائهم ساءَ ما يحكمون﴾** الأنعام: ١٣٦.

(٢) من ردَّ حكم الكتاب والسنة جحوداً، أو تكذيباً، أو عناداً وكبراً، أو بغضاً وكرهاً، أو استهانة بقدره ظناً منه أنه يمكنه الخروج عن حكم الله إلى أي حكم شاء فهو كافر مرتد، ومن شكَّ في كفره فهو كافر لجعله الكفر إيماناً وإسلاماً.

(٣) ولكن من ردَّ حكم الكتاب والسنة تأويلاً لشبهةٍ معتبرة، فمثل هذا لا يحكم بكفره، إلاَّ بعد قيام الحجة الشرعية عليه التي تدفع عنصر الجهل عنده، فإنْ رَدَّها وأصرَّ على قوله الكفري، حينها يُكَفَّرُ بعينه. ومسائل التكفير قد استوفيتها بحثاً في كتابي "قواعد في التكفير"، فليراجع.

قولُه: "فهذا جُمْلَةُ ما يحتاجُ إليهِ مَن هو مُنَوَّرٌ قلبُهُ مِن أولياءِ الله تعالى، وهي درَجَةُ الرَّاسخينَ في العِلْمِ، لأنَّ العِلْمَ عِلْمانِ: عِلْمٌ في الخَلْقِ موجودٌ، وعِلْمٌ في الخَلْقِ مفقودٌ، فإنكارُ العِلْمِ الموجودِ كُفرٌ، وادعاءُ العِلْمِ المفقودِ كُفْرٌ، ولا يثبُتُ[1] الإيمانُ إلاَّ بقبولِ العلمِ الموجودِ، وترْكِ طَلَبِ العِلْمِ المفقودِ".

ش: الإشارَةُ بقولِه: "فهذا" إلى ما تقدَّمَ ذِكْرُه، مِمَّا يجبُ اعتقادُهُ والعملُ به، مما جاءَت به الشريعَةُ. ويعني بالعلمِ المفقودِ: عِلْمَ القدَرِ الذي طواهُ اللهُ عن أنامهِ[2]، ونهاهم عن مرامهِ[3]، ويعني بالعلمِ الموجودِ: عِلْمَ الشريعَةِ، أُصولَها وفروعَها، **فمن أنكرَ شيئاً مِمَّا جاءَ به الرَّسولُ كان مِنَ الكافرينَ**[4]، ومن ادَّعى عِلْمَ الغيبِ كان من الكافرينَ، قال تعالى: **﴿عالِمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيبِهِ أحَداً إلاَّ مَنِ ارتضَى مِن رسولٍ﴾** الجن: ٢٦-٢٧. **﴿إنَّ الله عندهُ**

---

[1] أي لايصح ولا يُقبل ..

[2] أي خلقه.

[3] أي نهاهم عن التطلع إليه والبحث عنه.

[4] كان من الكافرين، هذا على اعتبار أن إنكاره كان بعد قيام الحجة وبلوغه الخطاب الشرعي -قال الله، قال رسول الله- أما إن كان إنكاره بسبب عدم بلوغه النص الشرعي، أو لجهلٍ يعذر -وليس كل جهلٍ يعذر-، أو لتأويلٍ مُعتبر شرعاً -وليس كل تأويلٍ معتبر وإلاَّ لكان تأويل الزنادقة والغلاة عذراً لهم يمنع من تكفيرهم!- أو لشبهةٍ أشكلت عليه فهم المراد من الخطاب.. فمثل هذا وإنْ كان قولُه وإنكاره كفراً، فإنه يتوقف عن تكفيره بعينه إلى أن تقوم عليه الحجة الشرعية التي تدفع عنه سبب وقوعه في الكفر.. كما يجب عند التكفير، التفريق بين إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وبين إنكار أمورٍ هي من الدين لكنها خفية لا يعلمها إلاَّ الخاصة من المسلمين، فالأول مكفر والثاني لا يكفر لاحتمال أن الإنكار كان بسبب خفاء النص ودلالاته عليه، ولكن أي إنكارٍ لأي أمر من الدين إذا كان عن علمٍ وعناد وكِبرٍ، أو كرهٍ وبغضٍ، أوجحود وتكذيب، أو لحسد، أو لدنيا يصيبها فهو مكفِّرٌ بلا خلاف، وهذا كلام عام مجمل، تفصيله يجده القارىء في كتابينا "العذر بالجهل" و "قواعد في التكفير".

عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغيثَ ويَعْلَمُ ما في الأرحامِ وما تدري نفسٌ ماذا تَكْسِبُ غداً وما تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إنَّ اللهَ عليمٌ خبير﴾ لقمان: ٣٤. ولا يَلْزَمُ مِن خَفَاءِ حِكمَةِ الله تعالى علينا عَدَمُها، لأنَّ عدَمَ العِلْمِ لا يكونُ عِلْماً بالمعدومِ[1].

قولُه: "ونُؤمِنُ باللَّوْحِ والقَلَمِ، وبجميعِ ما فيه قَدْ رُقِمَ".

ش: قال تعالى: **﴿بَلْ هو قُرءانٌ مجيدٌ. في لوحٍ محفوظٍ﴾** البروج: ٢١-٢٢. اللوحُ المذكورُ هو الذي كتبَ اللهُ مقادير الخلائِقِ فيه[2]، والقلم المذكور هو الذي خلقَهُ اللهُ وكتبَ به في اللوحِ المذكورِ المقاديرَ، كما في سنن أبي داود عن عُبادَةَ بنِ الصامت، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: "أوَّلُ ما خلَقَ اللهُ تعالى القلَمَ، **فقال له**: اكتُبْ، قالَ: يارَبِّ، وما أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كُلِّ شيءٍ حَتَّى تقومَ السَّاعَةَ"[3].

---

[1] أي عدم العلم بالشيء، لا يكون علماً بهذا الشيء، وبالتالي لا يصح أن يكون الجهل بالشيء شاهداً أو حاكماً على انتفاء هذا الشيء، والإيمان يقتضي التسليم أن الله تعالى لا يصدر عنه إلاَّ الخير المطلق والعدل المطلق، علم الخلق بذلك أم جهلوا، وفي الحديث: "لو اطلعتم على الغيب" بما فيه من حِكَم وعدل وخير "لرضيتم بالواقع" الذي ظاهره يدل على الحرمان وأصناف البلاء **﴿والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون﴾** البقرة: ٢١٦. وكم من أمرٍ يلقى عند ابن آدم السخط ثم بعد فترة من الزمن يتبين له أن في ذلك الأمر المسخوط كل الخير والنفع.

[2] عن ابن عباس موقوفاً، قال: لوددت أن عندي رجلاً من أهل القدر فوجأت رأسه، قالوا وبم ذاك؟ قال: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درَّةٍ بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كلَّ يومٍ ستين وثلاث مئة نظرة، يخلق بكل نظرة ويحي ويميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، ١٩١/٧: رواه الطبراني من طريقين، ورجال هذه ثقات. وقال الشيخ ناصر: إسناده يحتمل التحسين اهـ.

[3] قال الشيخ ناصر: صحيح، غير أنني متوقف في صحة الحرف الذي استدل به المؤلف وهو "فقال"، فقد جاء في بعض الرويات بلفظ: "ثمَّ قال"...

-أَيُّهما خُلِقَ أَوَّلاً القلَمُ أَمِ العَرْش؟-

اختلفَ العلماءُ: هَلِ القلَمُ أَوَّلُ المخلوقاتِ أو العرش؟ على قولين أصحُّهُما: أنَّ العَرْشَ قبلَ القلَمِ(١)، مِمَّا ثبتَ في (الصحيح) من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قالَ رسولُ الله

عن أيوب بن زياد قال: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي به، لكنه قال: "ثمَّ قال: اكتب.." وهذا أخرجه أحمد (٣١٧/٥) وسنده حسن...

ويشهد له حديث أبي هريرة بلفظ: "إنَّ أول شيء خلق الله ﷻ القلم، ثم خلق النون وهي الدواة، ثمَّ قال: اكتب.." الحديث..

وبالجملة، فالروايات في هذا الحرف مختلفة، ولذلك فإنَّهُ لا يتم للمصنف الاستدلال بالرواية الأولى على تقدم خلق العرش على القلم، حتى يثبت أرجحيتها على الأخرى: "ثم قال.. " وإذا كان لابد من الترجيح بينهما، فالأخرى أرجح من الأولى لاتفاق أكثر الرواة عليها، ولأن لها شاهداً عن أبي هريرة كما تقدم، ولأنها تتضمن زيادة في المعنى، وعليه فلا تعارض بين الحديث على هذه الرواية وبين حديث عبد الله بن عمرو، لأنَّ حديثه صريح في أن الكتابة تأخرت عن خلق العرش، والحديث على الرواية الرَّاجحة صريح في أن القلم أول مخلوق، ثم أمر بأن يكتب كلَّ شيء يكون، **ومنه العرش،** فالأرجح عندي أنَّ القلم متقدم على العرش. والله أعلم. ا-هـ. نقلت هذا الكلام مختصراً، وللشيخ كلام آخر مفيد، فليراجع.

أقول: خلق العرش كان قبل تقدير مقادير الخلق والكتابة لحديث عبد الله بن عمرو، والتوفيق بين النصوص يستلزم منا أن نقول: أن أوَّل شيء خلقه الله تعالى القلم، ثم خلق العرش، ثمَّ قدَّر المقادير وأمر القلم بأن يكتب كل شيء يكون، وعلى هذا الإعتبار يكون العرش مستثنى مِمَّا كتبه القلم، لحصول خلقه قبل حصول الكتابة، والله أعلم. والأحاديث التي استشهد بها الشيخ ناصر، تدل على أن القلم كان أوَّل مخلوق، وليس على أنَّ الكتابة حصلت قبل خلق العرش، وبخاصة أن "ثمَّ" -التي بسببها حصل الإشكال والخلاف- تفيد أنَّ الكتابة حصلت بعد زمن- الله يعلمه- من خلق القلم..

(١) بل الذي دلَّت عليه السنة أن أول المخلوقات كان القلم، لقوله ﷺ: "إنَّ أوَّلَ شيء خلقه الله تعالى القلمُ، وأمره أن يكتب كل شيء يكون". (السلسلة الصحيحة: (١٣٣)). وما استدل به

ﷺ: "قَدَّرَ اللهُ مقادِيرَ الخلْقِ قبل أنْ يخلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسين ألفَ سَنَة. وعرْشُهُ على الماءِ"(١). فهذا صريحٌ أنَّ التقديرَ وقعَ بَعْدَ خَلْقِ العرشِ، والتقديرُ وقع عند أوَّلِ خَلْقِ القلم(٢)، بحديث عبادَة هذا.

-وجودُ أقلامٍ غيرَ القلَمِ الذي كُتِبَ به اللوح المحفوظ-

فهذا القلم -الذي خُطَّ به اللوح المحفوظ- أوَّل الأَقْلامِ وأفضَلُها وأجَلُّها، وقالَ غيرُ واحدٍ من أهل التفسير: إنَّهُ القلَمُ الذي أقسمَ اللهُ به في قولِه تعالى: **﴿ن. والقلَمِ وما يَسطُرُونَ﴾** القلم: ١-٢.

والقلم الثاني: قلَمُ الوحي وهو الذي يُكتبُ به وحيُّ اللهِ إلى أنبيائِه ورُسُلِه، وقد رُفعَ النبيُّ ﷺ ليلَةَ أُسريَ به إلى مستوىً يَسْمَعُ منه صَريفَ الأقلامِ، فهذه الأقلامُ هي التي تَكتُبُ ما يوحيه الله تباركَ وتعالى من الأمورِ التي يُدَبِّرُ بها أمرَ العالَمِ العُلوي والسُّفلي.

قولُه: "فَلَوِ اجتَمعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ على شيءٍ كتَبَهُ اللهُ تعالى أَنَّهُ كائِنٌ، ليَجْعَلُوهُ غيرَ كائِنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عليه، ولو اجتمَعُوا كُلُّهُم على شيءٍ كَتبَهُ اللهُ تعالى فيهِ أنَّهُ

الشارح ليس فيه دليلٌ على أسبقية العرش للقلم، وإنما فيه أن خلق العرش متقدم على كتابة المقادير، وهناك فرق بين خلق القلم وكتابة المقادير كما تقدم بيان ذلك.

وفي قول الشَّارح : هل القلم أول المخلوقات أو العرش..؟ تسليم منه بأنَّ المحدَث له بداية وله أوَّل، وأوله العرش -على قوله- وهذا مغاير لما قاله من قبل: أنَّ الحوادث متسلسلة إلى ما لا بداية، وليس لها أول، وأنَّ ما من مخلوق إلاَّ وقبله مخلوق إلى ما لا نهاية!! فتأمل.

(١) صحيح وتقدم تخريجه.

(٢) هذا على إفتراض صحة الكلمة: "فقال" أمَّا أنها لا تصح كما تقدم، لا يصح بالمقابل أن تكون دليلاً يُردُّ به الصحيح الثابت وهو: "ثم قال".

غيرُ كائنٍ ليجعَلُوهُ كائِناً، لم يَقْدِرُوا عليهِ. جفَّ القَلَمُ بما هو كائِنٌ إِلى يومِ القِيامَةِ".

ش: تَقدَّمَ حديثُ جابرٍ عن رسولِ الله ﷺ، قال: جاء سُرَاقَةُ بنُ مالكِ بن جُعْشُمْ، فقال: يارسولَ اللهِ بَيِّن لنا ديننا كأنَّا خُلِقْنا الآنَ، فيمَ العملُ اليومَ؟ أفيما جَفَّتْ به الأقلامُ، وجَرَتْ به المقاديرُ؟ أَمْ فيما يُستَقْبَلُ؟ قال: "لا، بل فيما جَفَّتْ به الأقلامُ، وجَرَتْ به المقاديرُ"[(١)]

وعن ابن عباس، قال: كنتُ خَلْفَ النبيِّ ﷺ يوماً، فقال لي: "ياغُلامُ أَلا أُعلِّمُكَ كلماتٍ: احْفظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فَاسألِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاستَعِنْ باللهِ، واعلَمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعَت على أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لَمْ ينفعُوكَ إلاَّ بشيءٍ قَدْ كتبَهُ اللهُ لكَ، وإن اجتمعوا على أَنْ يَضرُّوكَ بشيءٍ لم يضرُّوكَ إلاَّ بشيءٍ قد كَتَبَهُ الله عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ". رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[(٢)].

[(١)] أي أن العمل يكون فيما قد كُتب وقدر، فالمرء يعمل ويتحرك في المكتوب والمقدور عليه لا يستطيع أن يتخلف عن شيء منه، كما صح عن النبي ﷺ: "اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له".

[(٢)] قال الشيخ ناصر: صحيح لغيره، وقد خرَّجته في "السنة" لابن أبي عاصم (٣١٦-٣١٨) ا-هـ.

وقوله ﷺ لابن عباس: "ياغلام"، فيه دلالة طيبة ينبغي الإنتباه إليها، وهي: أنَّ على المسلمين أن يربوا أبناءهم على التوحيد الخالص من شوائب الشرك، قبل بلوغهم سنَّ الاحتلام، ولا يصدنَّهم عن ذلك ما هو شائعٌ بين جهلة الناس، من أنَّ العقيدة صعب فهمها وتفهيمها لصغار السن!! فإنْ كان يوجد شيء من هذا فيعود لتلقيهم العقيدة من غير الكتاب والسنة، وانشغالهم بكتب يغلب عليها طابع الفلسفة وعلم الكلام، لاتمت إلى الحق بصلة..

لذا نقول: كما يجب تلقين الأبناء العقيدة والتوحيد، يجب اعتماد الكتاب والسنة في هذا التلقين. فجريمة أيما جريمة أن يبلغ المرء سنَّ الحلم وهو يعرف الصلاة، لكنه لا يعرف لِمن يُصلي!! وما هي صفات وخصوصيات من يصلي له.

وفي رواية غير الترمذي: "احفظِ اللهَ تجدْهُ أمَامَكَ، تعَرَّف إلى اللهِ في الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، واعلَمْ أنَّ ما أخطَأَكَ لم يكن ليُصِيبَكَ، وما أصابكَ لم يَكُن ليُخطِئَكَ، واعلَمْ أنَّ النَّصْرَ معَ الصبرِ، وأنَّ الفَرَجَ معَ الكرْبِ، وأنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً".

-الأقلامُ أربَعَةٌ-

الذي دَلَّت عليه السُّنَّة أنَّ الأقلامَ أربعةٌ:

القلَمُ الأوَّل: العَامُّ الشَّامِلُ لجميعِ المخلوقاتِ، وهو الذي تقدَّم ذِكْرُهُ معَ اللوحِ.

القلم الثاني: حينَ خُلِقَ آدَمُ عليه السلام، وهو قلمٌ عامٌ أيضاً، لكن لبني آدم، ورَدَ في هذا آياتٌ تدُلُّ على أنَّ اللهَ قَدَّرَ أعمال بني آدَمَ وأرزاقَهُم وآجالَهُم وسعادَتَهم عقيبَ خَلْقِ أبيهم.

القلمُ الثالث: حين يُرْسَلُ الملَكُ إلى الجنينِ في بطنِ أُمِّهِ، فَيَنْفُخُ فيهِ الرُّوحَ، ويُؤمَرُ بأربع كلماتٍ: يَكتبُ رزقَهُ، وأَجَلَه، وعملَهُ، وشَقيٌّ أو سعيد(١).

وكان السَّلف يتعلمون أولاً الإيمان والتوحيد ثم ينصرفون إلى غيره من العلوم الشرعية بحسب الحاجة والأهمية، كما في الحديث الذي يرويه جندب بن عبد الله، قال: كنا مع النبيِّ ﷺ ونحن فتيان فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلمَ القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازدَدْنا به إيماناً. صحيح سنن ابن ماجه: "٥٢".

وقوله: "احفظ الله" وهذا يكون بحفظ حدود الله وأحكامه، فتأتي بما أمر وتنتهي عما نهى وزجر.

(١) كما في الحديث المتفق عليه، قال النبي ﷺ: "إنّ أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفةً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها".

القلمُ الرَّابعُ: الموضوع على العبدِ عندَ بلوغهِ، الذي بأيدي الكرامِ الكاتبينَ، الذين يكتبونَ ما يفعَلُه بنو آدَمَ[١].

-إذا كانَ الخيرُ والشَّرُّ بيدِ اللهِ ، وأَنَّهُ لا يكونُ إلاَّ ما يُريدُ، فالواجبُ إِفْرادُهُ سبحانه بالخَشْيَةِ والتقوى-

إذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فالواجِبُ إفْرادُهُ سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: **﴿فلا تخشَوا الناسَ واخشَونِ﴾** المائدة: ٤٤. **﴿وإيّايَ فارهَبُونِ﴾** البقرة: ٤٠. **﴿وإيّايَ فاتّقُونِ﴾** البقرة: ٤١. **﴿ومَنْ يُطِعِ اللهَ ورسُوله ويَخْشَى الله وَيتَّقِهِ فأولئِكَ هم الفائزون﴾** النور: ٥٢.

فلابُدَّ لكلِّ إنسانٍ أن يتقيَ، فإنْ لَم يتَّقِ اللهَ، اتَّقى المخلوقَ[٢]، والخَلْقُ لا يتَّفق حُبُّهم كُلُّهم وبُغضُهم، بَلِ الذي يُريدهُ هذا يُبغضُهُ هذا، فلا يُمكنُ إرضاؤهم كُلُّهُم، كما قالَ الشافعي

وقوله: "فيسبق عليه الكتاب" أي فيسبق عليه المكتوب في الكتاب، نسأل الله تعالى الثبات والعافية وحسن الختام.

[١] كما في قوله تعالى: **﴿وإنَّ عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون﴾**. وقال ﷺ: "رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يحتلم".

[٢] أي أن الإنسان فُطر على العبادة، فلابد له من معبود، فإن استنكف عن عبادة الخالق ﷻ، فسوف يعبد المخلوق لا محالة ولو في صور من صور العبادة، وإننا لنرى كثيراً من الناس يستصعبون على أنفسهم عبادة الله تعالى، بينما يستسهلون عبادة الطاغوت من جهة الطاعة والانقياد، أو من جهة التحاكم والحب والكره، أو الرجاء والخوف وغير ذلك مِمَّا يندرج في معنى العبادة لغة وشرعاً. وهؤلاء أنفسهم تراهم يسعون للتحرر من البقاء أو الدخول في دين الله القيِّم، ليدخلوا في أديان الطواغيت التي تلقي على كاهلهم العبودية المطلقة والتبعات الجسام وبطريقة أسوأ بكثير من عبادة الإنسان للصنم أو الحجر، ففروا -بزعم التحرر من عقدة الأديان- من الدين الحق إلى الدين الباطل، ومن العبودية الحقة التي توافق الفطرة البشرية إلى العبودية الباطلة الدخيلة..

رضي الله عنه: رِضَى النَّاسِ غايَةٌ لا تُدْرَكُ، فعليكَ بالأمرِ الذي يُصلِحُكَ[١] فالْزَمْهُ، ودَعْ ما سواهُ، فلا تُعَانِهِ، فإرضاءُ الخَلْقِ لا مَقدُورٌ ولا مَأمورٌ[٢]، وإرضاءُ الخالِقِ مَقْدورٌ ومأمورٌ[٣].

-ثِمارُ تقْوَى الله-

فإذا اتَّقى العبدُ ربَّهُ، كفاهُ مَؤُونَةَ النَّاسِ، كما كتبت عائشةُ إلى معاوية، روي عنها مرفوعاً وموقوفاً: "مَنْ أرضَى اللهَ بِسُخْطِ النَّاسِ، رضيَ اللهُ عَنهُ وأرضَى عنه النَّاسَ. ومَنْ أرضَى النَّاسَ بِسُخْطِ اللهِ، عادَ حامِدُهُ مِنَ الناسِ ذاماً"[٤]. فَمَنْ أرضى اللهَ، كَفاهُ مؤْنةَ النَّاسِ ورضيَ عنه، ثمَّ فيما بعد يَرضَوْنَ، إذ العاقِبَةُ للتقوى، ويُحِبُّهُ اللهُ، فيُحِبُّهُ الناسُ، كما في (الصحيحين) عن النبي ﷺ، أَنَّهُ قالَ: "إذا أَحَبَّ اللهُ العبدَ، نادَى: ياجبريل، إني أُحِبُّ فلاناً فَأَحِبَّهُ، فيُحِبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينادي جبريل في السماءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاناً فَأحِبُّوه، فيُحِبُّهُ أهلُ السَّماءِ ثمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرضِ"، وقالَ في البغض مثل ذلك.

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ما احتاجَ تقيٌّ قَطُّ، لقولِه تعالى: **﴿ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لهُ مَخْرَجاً. ويَرزُقْهُ مِن حيثُ لا يَحْتَسِبُ﴾** الطلاق: ٢-٣. فقد ضَمِنَ اللهُ للمتقين أنْ يجعلَ لهم مخرجاً مِمَّا يضيقُ على الناسِ، وأن يَرْزُقَهم مِن حيثُ لا يحتسِبُونَ، فإذا لم يَحْصُلْ ذلك، دَلَّ على أنَّ في التقوى خَلَلاً، فليستغفر الله وليَتُبْ إليه، ثمَّ قال تعالى: **﴿ومَن يَتَوَكَّلْ على اللهِ فهو حَسْبُهُ﴾** الطلاق: ٣. أي: فهو كافيه، لا يُحْوِجُه إلى غيره[٥].

---

[١] وهو كل أمرٍ فعله أو تركه يرضي الله تعالى.

[٢] أي: غير مُستطاع، ولم يأمر به الشرع.

[٣] أي: مُستطاع، والشرع قد أَمَرَ به.

[٤] صحيحٌ، رواه الترمذي وغيره. وفي رواية حسنة الإسناد: "من التمسَ رِضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس".

[٥] كان السَّلف رضوان الله عليهم أخوف ما يخافونه على أنفسهم، معاصيهم، لما يعلمون ما للمعاصي من آثار سيئة تجلب الذل والدمار على الأنفس والأهل والديار، وروي عن بعضهم

قوله: إني لأرى أثر معصيتي في خلقِ دابتي وامرأتي، فتأمَّل حتى الدواب فهي لا تسلم من آثار معاصي بني آدم. لذا نقول: لا شيء أفضل لرفع المصائب والكروب، من تقوى الله والإستغفار، ويتأمل معاصيه التي بسببها وقع الكرب والضيق، فيقلع عنها ويتوب إلى الله.. ثم ينظر كيف تنجلي عنه همومه ومصائبه، وكيف يفتح الله عليه بركات السماء والأرض، كما قال تعالى: **﴿ولو أنَّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾**. أي أخذناهم بالعذاب بما كذَّبوا وكانوا يكسبون من الذنوب والمعاصي.

وفي الحديث القدسي: "وعزَّتي وعظمتي، لا يعتصم بِيَ عبدٌ من عبادي دونَ خلقي، أعرف ذلك من نيتهِ، فتكيده السماوات السبعِ ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلاَّ جعلتُ له من بينهنَّ مخرجاً..".

وعن البراء بن عازب، مرفوعاً: "ما اختلَجَ عِرْقٌ ولا عَينٌ، إلاَّ بذنبٍ، وما يدفعُ الله عنه أكثر". السلسلة الصحيحة: "٢٢١٥".

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة، المضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلاَّ الله، فمنها: حرمان العلم، فإنَّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور. ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا توازنها ولا تقارنها لذة أصلاً. ومنها: تعسير أموره عليه، فلا يتوجه لأمر إلاَّ يجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه. ومنها: ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحسُّ بها كما يحس بظلمة الليل البهيم، فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره. ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن. ومنها: حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنب عقوبة إلاَّ أن يصد عن طاعة تكون بدله وتقطع طريق طاعة أخرى كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها. ومنها: أن المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته ولابد. ومنها: أن المعاصي تزرع أمثالها، حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها. ومنها: وهو من أخوفها على العبد. أنها تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئاً فشيئاً إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية. ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحها، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه. ومنها: أن المعصية سبب لهوان العبد على ربه

-تعاطي الأسبابَ والإكتسابَ لا يُنافي التوكل-

ظنَّ بَعْضُ الناس أنَّ التوكل يُنافي الإكتسابَ، وتعاطي الأسباب[1]، وأنَّ الأمورَ إذا كانت مُقدَّرةً، فلا حاجَةَ إلى الأسباب! وهذا فاسِدٌ، فإنَّ الإكتسابَ: منه فَرْضٌ، ومنه مُسْتحَبٌّ، ومنه مُباحٌ، ومنه مكروه، ومنه حرام[2]. وقد كانَ النبيُّ ﷺ أفضَلَ المتوكلين، يَلْبَسُ لأْمَةَ

وسقوطه من عينه. ومنها: أن غيره من الناس والدَّواب يعود عليه شؤم ذنبه، فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم. ومنها: أن المعصية تورث الذل ولابد، فإنَّ العز كل العز في طاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿من كان يريد العزةَ فلله العزةُ جميعاً﴾ أي فليطلبها بطاعة الله، فإنه لا يجدها إلاَّ في طاعة الله. وكان من دعاء السَّلف: اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك. وقال الحسن البصري: إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين إن ذلَّ المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلاَّ أن يُذلَّ من عصاه. انتهى كلام ابن القيم مختصراً من كتابه القيم "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي". وللذنوب آثار سلبية أخرى على صاحبها فليراجعها من يشاء في الكتاب المذكور.

[1] ولكن الذي يمكن قوله: أنَّ التوكل يُنافي تعلق القلب بالأسباب ونسيان خالق وميسر هذه الأسباب، كما يُنافي القلق على العيش، والإستشراف لما في أيدي الناس..

قال رسول الله ﷺ: "لو أنَّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت". السلسلة الصحيحة.

وقال: "إنَّ الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله". رواه ابن أبي عاصم في السنة، وحسنه الشيخ ناصر في التخريج. وقال ﷺ: "من تكفل لي أن لايسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة". صحيح الترغيب والترهيب: "٨٠٧".

أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ، فقال: يارسول الله أوصني وأوجِزْ! فقال النبي ﷺ: "عليك بالإياس ممَّا في أيدي النَّاس، وإياكَ وما يُعتذر منه". صحيح الترغيب : "٨٥٢".

[2] وذلك عندما يكون المرء في غنى، فيسعى مكاثراً لماله، مُنشغلاً به عن فرائض الإسلام : كالجهاد، والصلاة، والحج..

الحَرْبِ[1]، ويمشي في الأسواقِ للاكتسابِ، حتى قال الكافرون: ﴿**مالِ هذا الرَّسُولِ يأكُلُ الطعامَ ويَمشِي في الأسواقِ**﴾ الفرقان: ٧.

قولُه: "ومَا أخطأَ العَبْدَ لَمْ يَكُنْ ليُصيبهُ، ومَا أَصابَهُ لَمْ يَكُنْ ليُخطِئَهُ".

ش: هذا بِناءٌ على ما تَقَدَّمَ مِنْ أنَّ المقْدُورَ كائِنٌ لا مَحَالَةَ[2].

قولُه: "وعلى العَبْدِ أَنْ يعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ في كُلِّ كائنٍ مِنْ خَلْقِه، فقَدَّرَ ذلك تَقْديراً مُحكَماً مُبْرَماً، ليسَ فيهِ ناقِضٌ[3]، ولا مُعقِّبٌ[1]، ولا مُزيلٌ ولا مُغيِّرٌ، ولا مُحَوِّلٌ ولا ناقِصٌ، ولا زَائِدٌ مِنْ خلْقِهِ في سَماواتِهِ وأرْضِهِ[2]".

قال رسول الله ﷺ: "وما سبيلُ اللهِ إلاَّ مَن قُتِلَ؟! مَن سعى على والديه ففي سبيل الله، ومَن سعى على عياله ففي سبيلِ اللهِ، ومَن سعى على نفسه ليَعِفَّها فهو في سبيل الله، ومَن سعى مُكاثِراً ففي سبيل الطاغوت، وفي رواية: سبيل الشيطان". السلسلة الصحيحة: "٢٢٣٢".

وقال ﷺ: "إنَّ الله قال: إنَّا أنزلنا المالَ لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. ولو كان لابن آدم وادٍ لأحبَّ أن يكون له ثانٍ، ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون لهما ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب، ثم يتوبُ الله على من تاب" صحيح الجامع: "١٧٨١".

[1] كان النبي ﷺ، يُرزق بالجهاد في سبيل الله -أنعم بها من حرفة- كما جاء ذلك في الحديث، قال رسول الله ﷺ: "بُعثتُ بالسيفِ حتى يُعبَدَ اللهُ لا شريكَ له، وجُعِلَ رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم". رواه أحمد وغيره. قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح: "٥١١٤".

[2] صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إنَّ العبدَ لا يبلغُ حقيقةَ الإيمان حتى يعلم أنَّ ما أصابَه لم يكن ليُخطئه، وما أخطَأَهُ لم يكن ليصيبَه". رواه ابن أبي عاصم في "السنة"، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

[3] أي باطلٌ يُبطلُ ما قَدَّرَه اللهُ في خَلْقِه وأراده، فالله تعالى أعلى وأجل من أن يكون له ندٌّ في خَلْقِه له أدنى تصرف فيه.

ش: هذا بناءٌ على ما تَقَدَّمَ، مِن أنَّ اللهَ تعالى قَدْ سَبَقَ علمُهُ بالكائناتِ، وأنَّه قَدَّرَ مَقاديرَها قبلَ خَلْقِها، كما قالَ ﷺ: "قَدَّرَ اللهُ مَقادِيرَ الخَلْقِ قبلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سَنَةٍ، وعَرْشُهُ على الماءِ". فإنَّ حصولَ المخلوقاتِ على ما فيها مِن غرائبِ الحِكَمِ، لا يُتَصَوَّرُ إيجادُها إلاَّ مِن عالمٍ قَدْ سَبَقَ علمُه على إيجادِها، قالَ تعالى: ﴿**ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهو اللطِيفُ الخبيرُ**﴾[3] الملك: ١٤.

---

[1] كما أنَّ اللهَ لا مُعقِّبَ لحكمِهِ وتشريعه، كذلك لا مُعقِّبَ لقضائه وقدره، وإسلام المرء لا يتحقق إلاَّ بعد الإستسلام الكامل لتشريعه، ولِقضائه وقدَره، فالله تعالى أعلى وأجل من أن يُسأل عما يفعل ويُقَدِّر، كما قال تعالى: ﴿**لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون**﴾ وهذا من أخص خصائصه وصفاته.

[2] انتفاء المعارض والمعقب من خلقه، لدليل على وحدانيته، وعظمته وكمال قدرته وعلمه، سبحانه وتعالى.

[3] وبالتالي: فالخالق العالم الخبير بأحوال خلقه، هو الأوْلى في التشريع لخلقه، لأنه سبحانه هو الأعلم بما ينفعهم وما يضرهم، وليس كما يقول العلمانيون والديمقراطيون أَنَّ التشريع من خصوصيات الشعب والإنسان، وليس لله دخل في ذلك، مكرسين بذلك مفهوم: فصل الدين عن الدولة والحكم..!! ساءَ مايحكمون.

ثمَّ أنَّ الإنسان إذا ما تخلَّت عنه رحمة الله تعالى وعنايته، فهو أَضل من الأنعام والبهائم الرتَّع، فكيف بمن هذا وصفه تُوكل إليه مهمة التشريع وسن القوانين للبشرية!! ومَن يتأَمَّل -في زماننا- الدمار والخراب والفساد الذي عمَّ على البشرية، يدركُ أَن سبب ذلك كله يكمن في اعتداء الإنسان الكافر على أخص خصوصيات الله تعالى، في الحكم والتشريع.

قولُه: "وذلِكَ مِنْ عَقْدِ الإيمانِ[1] وأُصُولِ المَعْرِفَةِ، والاعترافِ بِتَوْحِيدِ اللهِ تعالى وَرُبُوبيَّتِهِ، كما قال تعالى في كتابِهِ: ﴿وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فقَدَّرَهُ تَقديراً﴾ الفرقان: ٢. وقال تعالى: ﴿وكانَ أمرُ اللهِ قدَراً مقدورا﴾ الأحزاب: ٣٨".

ش: الإشارَةُ إلى ما تقَدَّمَ مِنَ الإيمان بالقَدَرِ، وسبقِ علمه بالكائناتِ قبلَ خَلْقِها، قال ﷺ في جوابِ السائلِ عنِ الإيمانِ: "أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وملائِكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ". وقالَ ﷺ في آخرِ الحديثِ: "يا عُمَرُ أَتَدْري مَنِ السَّائِلُ؟" قال: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ، قال: "فإنَّه جبريلُ، أتاكُم يُعَلِّمُكم دينَكُم"[2].

وقولُه: **"والاعترافُ بتوحيدِ اللهِ ورُبُوبيَّتِهِ"** أي: لايتِمُّ التوحيدُ والاعترافُ بالرُّبوبيةِ إلاَّ بالإيمانِ بصفاتِهِ تعالى، فإنَّ مَنْ زَعَمَ خالِقاً غَيْرَ اللهِ، فَقَد أشركَ، فكيفَ بِمَن يَزْعُمُ أنَّ كُلَّ أحَدٍ يَخْلُقُ فِعْلَهُ[3]؟! ولهذا كانت القَدَريَّةُ مجوس هذهِ الأمَّةِ.

روى أبو داود عن ابن عمَرَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: "القَدَرِيَّةُ مجوسُ هذهِ الأُمَّةِ، إنْ مَرِضُوا، فلا تَعودُوهُم، وإنْ ماتُوا فلا تَشْهَدُوهُم"[4].

---

[1] أي أنَّ من لوازم الإيمان ومتطلباته، والتصديق بربوبية الله ﷻ، الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشرَّه، كما جاء ذلك في الحديث عن النبيِّ ﷺ قال: " لا يُؤمِنُ عبدٌ حتى يؤمِنَ بالقدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ، حتى يَعْلَمَ أنَّ ما أصابَهُ لم يكن ليخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه". السلسلة الصحيحة: "٢٤٣٩".

[2] رواه مسلم وغيره. وقوله: "أتاكم يُعلمكم دينكم"، فيه: أن من لا يؤمن بالقدَرِ خيره وشره، فدينه ناقص، وأن الدين لا يكتمل إلاَّ بعد الإيمان بالقدر خيره وشره.

[3] رداً على المعتزلة الذين يجحدون القدر، ويقولون الإنسان هو خالق فعله!.

[4] قال الشيخ ناصر: إسناده ضعيف لكن له طرق يتقوى بها. ا-هـ. وفي رواية: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ لكل أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تُصلوا على جنائزهم إذا ماتوا". رواه ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج: "٣٤٢".

قولُه: "فَوَيْلٌ لِمَنْ صارَ للهِ تعالى في القدَرِ خَصيماً، وأحضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْباً سقيماً، لَقَدِ التَمسَ بوَهمِهِ في فَحْصِ الغيبِ سِرَّاً كتيماً، وعَادَ بِمَا قالَ فيهِ أَفَّاكاً أَثِيْمَاً".

ش: اعلَمْ أنَّ القَلْبَ له حياةٌ وموتٌ، ومرضٌ وشِفَاءٌ، وذلكَ أَعْظَمُ مِمَّا للبدَنِ، قال تعالى: **﴿أَوَ مَنْ كانَ ميتاً فأحييناهُ وجعلنا لَهُ نوراً يمشي بهِ في النَّاسِ كمن مَثَلُه في الظُّلُماتِ ليسَ بخارجٍ منها﴾** الأنعام: ١٢٢. أي: كانَ ميتاً بالكفرِ، فأحييناهُ بالإيمانِ، فالقلبُ الصحيحُ الحَيُّ إذا عُرِضَ عليه الباطِلُ والقبائِحُ، نفَرَ منها بطَبْعِهِ وأبغضَها، بخلافِ القَلْبِ الميتِ، فإنَّهُ لا يُفَرِّقُ بين الحسنِ والقُبْحِ، كما قال عبد الله بن مسعود: هلك مَنْ لَمْ يَكُن لهُ قَلْبٌ يَعْرِفُ بهِ المعروفَ والمنكَرَ[1].

وقوله: "القدرية مجوس هذه الأمة"، قال ابن الأثير في "النهاية" ٤/٢٩٩: قيلَ إنَّما جعلهم مجوساً، لـمُضاهاة مذهبهم مذهب المجوس، في قولهم بالأصلين، وهما النور والظُّلمة، يزعمون أنَّ الخيرَ من فعل النور، والشرَّ من فعل الظلمة. وكذا القدرية يُضيفون الخيرَ إلى اللهِ، والشرَّ إلى الإنسان والشيطان. والله تعالى خالقهما معاً، لا يكون شيئاً منهما إلاَّ بمشيئته، فهما مُضافان إليه، خَلْقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما، عملاً واكتساباً ا–هـ.

[1] عن طارق بن شهاب، قال جاء عتريس بن عرقوب الشيباني إلى عبد الله، فقال: هلك من لم يأمر بالمعروفِ وينه عن المنكر، فقال: بل هلك من لم يعرف قلبه المعروف وينكر المنكر. قال الهيثمي في "المجمع" ٧/٢٧٥: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وعنه قال: إذا رأيتَ الفاجر فلم تستطع أن تغير عليه، فاكفهر في وجهه. قال الهيثمي في "المجمع" ٧/٢٧٦: رواه الطبراني باسنادين في أحدهما شريك وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح. ومن علامات إيمان المرء أن تسره حسنته، وتسيئه سيئته، كما جاء في الحديث: "مَنْ سَرَّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن". لذا كان من نواقض الإيمان، عدم إنكار القلب للمنكر؛ لأنه ليس بعد إنكار القلب سوى الرضى، والرضى بالكفر كفر، كما هو منصوص عليه.

-مَرَضُ القَلْبِ نوعانِ-

ومرَضُ القلبِ نوعانِ: مرَضُ شَهْوَةٍ، ومرَضُ شُبْهَةٍ، وأَرْدَؤُهما مرضُ الشُّبهَةِ[1]، وأَردأُ الشُّبَهِ ما كانَ مِنْ أمرِ القَدَرِ. وقَدْ يمْرَضُ القلْبُ، ويشتدُّ مرضُهُ، ولا يَعْرِفُ به صاحِبُه، لاشتغالِهِ وانصرافِهِ عَن مَعْرِفَةِ صحَّتِه وأسبابِها، بَلْ قد يموتُ وصاحِبُهُ لا يشعرُ بموتِهِ، وعلامَةُ ذلك أَنَّهُ لا تؤلِمُهُ جِراحاتُ القبائحِ، ولا يُوجِعُهُ جَهْلُهُ بالحَقِّ وعقائِدُهُ الباطِلَةِ. فإنَّ القلبَ إذا كان فيه حياةٌ، تألَّمَ بورودِ القبيحِ عليه، وتألَّمَ بجَهْلِهِ بالحقِّ بحَسْبِ حياتِهِ.

قال تعالى: **﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾**. فهو مثلهم لأنَّ جلوسه معهم من غيرِ إكراهٍ أو إنكارٍ، قرينة دالة على الرضى بحالهم وكفرهم، ولو كان صادقاً أنه غير راضٍ بصنيعهم لخرج من عندهم وما جلس معهم.

وقال ﷺ عن تغيير المنكر: "فإنْ لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان". وقال: "وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردَل". لأنه ليس وراء ذلك سوى الإقرار والرضى.

وقيل لابن مسعود من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لايعرف معروفاً ولا يُنكِرُ منكراً.

قال ابن تيمية في "الفتاوى" ٤١/٧: فإنْ لم يكن مبغضاً لشيءٍ من المحرمات أصلاً، لم يكن معه إيمان أصلاً ا-هـ.

وقد دلَّت السنَّةُ أنَّ الراضي بالمنكر كان كفاعله وإن لم يشهده، قال رسول الله ﷺ: "إذا عُملت الخطيئة في الأرض، كان مَن شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومَن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها". صحيح الجامع الصغير: "٦٨٩".

لذا من الممكن القول: أنَّ من فعل المنكر عن ضعفٍ وهو كاره، غير مستحل له، أخفُّ جرماً وأهون بكثير ممن يرضى بالمنكر وإن لم يأته، والرضى غالباً ما يكون له قرائن عملية ظاهرة تدلُّ عليه، والمسألة قد استوفيتها بحثاً في كتابي "قواعد في التكفير" فليراجع.

[1] هو أردؤهما لأن صاحبه في الغالب لا يحس بمرضه، وبالتالي فلا ينهض لمعالجته بالدواء النافع، وهو من الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

وقد يشعرُ بمرضِهِ، ولكن يشتَدُّ عليه تحَمُّلُ مرارَةِ الدواءِ والصَبْرِ عليها، فيُؤثِرُ بقاءَ أَلَمِهِ على مَشَقَّةِ الدَّواء، فإنَّ دواءَهُ في مخالفةِ الهوى[1]، وذلك أصْعَبُ شيءٍ على النَّفسِ، وليس لهُ أنفَعُ منه.

-علامَةُ مرضِ القَلْبِ عُدُولُه عنِ الأغْذِيَةِ النَّافِعَةِ إلى الأغذيةِ الضَّارَّةِ-

وعلامَةُ مَرضِ القلبِ عُدُولُه عنِ الأغذيَةِ النَّافِعَةِ الموافِقَةِ له إلى الأغذيَةِ الضَّارَّةِ، وعُدولُه عن دوائِهِ النَّافعِ[1]إلى دوائِهِ الضَّار. فالقلبُ الصحيحُ يؤثِرُ النَّافِعَ الشَّافي على الضَّارِّ المُؤْذي، والقلبُ المريضُ بِضدِّ ذلك.

---

[1] اعلم أن من الهوى ما يكون طاغوتاً ومعبوداً من دون الله تعالى، وذلك عندما يُطاع ويُتَّبع في معصية الله تعالى، بحيث يجعل مصدراً للحكم على الأشياء من غير سلطان من الله، فما يراه هواه حقاً فهو الحق عنده. وما يراه باطلاً فهو الباطل عنده وإن جاء حكمه مخالفاً لشرع الله تعالى.

ومن صور طغيان الهوى والعبودية له أن تعقد الموالاة والمعاداة فيه وعليه، وليس على أساس هدي الله ووحيه، فهو يوالي ما يهواه لا ما يجب عليه أن يواليه، ويعادي من يهوى معاداته وإن كان الواجب الشرعي يقضي بموالاته ونصرته. فالهوى في هذه الصورة يكون إلهاً معبوداً من دون الله، وصاحبه في حقيقة أمره يتأله ما يهواه لا ما يجب عليه أن يتألهه ويعبده، وقد جعل من هواه طاغوتاً ونداً لله تعالى في كثير من خصائصه، كما قال تعالى: **﴿ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبَه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾**، وقال: **﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلَّه اللهُ على علم﴾**. وقال: **﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا﴾**.

قال ابن تيمية في الفتاوى "٣٥٩/٨": فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه، فما هويه إلهه فهو لا يتألَّه من يستحق التأليه، بل يتأله ما يهواه، وهذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم، ومحبة عباد العجل له، وهذه محبة مع الله لا محبة لله، وهذه محبة أهل الشرك. والنفوس قد تدَّعي محبة الله، وتكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله ا-هـ. نعوذ بالله من الشرك واتباع الهوى، أو نضل بعد إذ هدانا الله.

-أَنْفَعُ الأَغذِيَةِ والأَدْوِيَةِ الإيمانُ والقرآنُ-

أنفَعُ الأغذيَةِ غِذاءُ الإيمانِ، وأنفعُ الأدويةِ دواءُ القرآنِ، وكلٌّ منهما فيه الغِذاءُ والدَّواءُ.

قال تعالى: **﴿قل هو للذين آمنُوا هُدىً وشِفَاءً﴾** فصلت: ٤٤. **﴿ونُنَزِّلُ مِنَ القرآنِ ما هو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمنينَ ولا يزيدُ الظَّالمينَ إلاَّ خَسَاراً﴾** الإسراء: ٨٣. **﴿يأيُّها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ موعِظَةٌ مِنْ رَّبِّكم وشِفَاءٌ لِما في الصُّدُورِ وهُدَىً ورَحْمَةٌ للمؤمنينَ﴾** يونس: ٥٧.

فالقرآنُ هو الشِّفاء التَّامُّ من جميعِ الأدواءِ القلبيَّةِ والبدنيَّةِ، وأدواءِ الدنيا والآخرةِ. وإذا أحسَنَ العليلُ التَّداوي به، ووضعهُ على دائهِ بِصِدْقٍ وإيمانٍ، وقبولٍ تامٍّ، واعتقادٍ جازمٍ، واستيفاءِ شُروطهِ، لَمْ يُقاوِمِ الدَّاءُ أبَداً، وكيفَ تُقاوِمُ الأدواءُ كلامُ ربِّ الأرضِ والسماءِ الذي لو نَزَلَ على الجبالِ لصَدَّعها[٢].

-صِفَةُ جماعَةِ الحَقُّ التي يجب أن تُتَّبَع-

قالَ عبدُ الرحمن بنُ إسماعيل المعروف بأبي شَامَة في كتابِ (الحوادث والبدع): ''حيث جاء الأمر بلزومِ الجماعةِ، فالمُرادُ لُزُومُ الحَقِّ واتباعُهُ، وإنْ كان المتمَسِّكُ به قليلاً، والـمُخالِفُ

---

[١] من الأغذية النافعة لصاحب القلب المريض بالشبهات -والتي ننصح بها- ملازمة الصاحب الصالح الذي يسدده وينصحه إذا ما أخطأ، ويذكره بالله إذا ما نسي، وهذا يستلزم منه الابتعاد عن رفقاء السوء والضلال، فإن الصاحب ساحب، وفي المثل: قل لي مع من تمشي أقل لك من أنت.

وكذلك ننصح بمطالعة الكتب النافعة التي تعتمد في منهجها الكتاب والسنة وفهم السَّلف الصالح، والابتعاد عن كتب أهل البدع والأهواء، المحشوة بالأهواء والطلاسم وعلوم الكلام، فإن الكتاب المليء بالأهواء والشرك وثن منصوب ينتظر من يقع في شباكه وشره.

[٢] قال تعالى: **﴿لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾** الحشر: ٢١.

له كثيراً، لأنَّ الحَقَّ هو الذي كانت عليه الجماعةُ الأولى من عهدِ النبيِّ ﷺ وأصحابهِ ولا نَظَرَ إلى كثرَةِ أهلِ الباطِلِ بعدَهم[١]".

وعن الحسن البصري رحمه الله أنَّه قال: "والسُّنَّةُ -والذي لا إله إلاَّ هو- بينَ الغالي والجافِي، فاصبِروا عليها رَحِمَكُمُ الله، فإنَّ أهلَ السُّنَّة كانوا أقَلَّ النَّاسِ فيما مضى وهم أقل الناس فيما بَقيَ[٢]، الذين لم يذهبوا مع أَهْلِ الإترافِ في إترافِهم، ولا معَ أَهْلِ البدَعِ في بدَعِهِمْ، وصبَرُوا على سُنَّتِهِمْ حتى لَقُوا رَبَّهُم، فكونوا كذلك"[٣].

---

[١] قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لعمرو بن ميمون: جمهور الجماعة هم الذين فارَقُوا الجماعَة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أَنت الجماعَةَ حينئذٍ.

قال ابن القيم في (أعلام الموقعين): اعلم أَنَّ الإجماعَ والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض ا-هـ.

أقول: مِمَّا تقدَّم يُعلم بطلان مذهب الديمقراطيين، حيث يعتبرون الحق الذي يجب اتباعه يكون دائماً مع الأكثرية، ولو اجتمعوا على الباطل!! ولا شك أن الأكثرية بهذا الاعتبار طاغوت يُعبَدُ من دون الله.

[٢] يصدق ذلك قوله ﷺ في (صحيح مسلم): "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء". وفي رواية: "طوبى للغرباء"، قيلَ: ومَن الغرباء يارسول الله؟ قال: "ناسٌ صالحون قليل في ناسِ سوءٍ كثير، ومَن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم". وفي رواية: "طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يُترَك، ويعملون بالسنة حين تُطفأ".

[٣] قال ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم كلَّ ضلالة. وقال: عليكم بالعلم، وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق. وعن ابن عباس قال: عليكم بالإستقامَةِ والأثر وإياكم والتبدّع. وعن عبد الله بن المبارك، قال: أَعلم أَنَّ الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السُّنَّة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا وذَهاب الإخوان، وقِلّة الأعوان، وظهورِ البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلَّ بهذه الأمة مِن ذهاب العلماء وأهل السُّنَّة، وظهور البدع.

وقولُه: **"لقد التمسَ بوهمِهِ في فَحْصِ الغيبِ سِرَّاً كتيماً"** أي طلبَ بوهمه في البحث عن الغيبِ سِراً مكتوماً، إذِ القَدَرُ سِرُّ اللهِ في خَلْقِهِ. فهو يَرومُ ببحثهِ الاطلاعَ على الغيبِ، وقَدْ قال تعالى: **﴿عالِمُ الغيبِ فلا يُظهِرُ على غيبِهِ أحداً﴾** الجن: ٢٦.

وقولُه: "وعادَ بما قالَ فيهِ" أي: في القدَرِ، "أفَّاكاً" كذَّاباً، "أثيماً" أي مَأثوماً.

قَوْلُه: "والعَرْشُ والكُرْسِيُّ حَقٌّ".

أقول: إذا كان هذا حال أهل السُّنَّة في زمان ابن المبارك رحمه الله، فكيف بحال أَهْل السُّنَّة في زماننا؟!

وعن عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن حبان بن أبي جبلة، عن أبي الدرداء قال: لو خرج رسولُ الله ﷺ إليكم اليوم ما عَرَفَ شيئاً ممَّا كان عليه هو وأصحابه إلاَّ الصلاة. قال الأوزاعي: فكيف لو كان اليوم؟ قال عيسى: فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزَّمان؟

أقول: كيف لو أدرك سلفنا الصالح زماننا، هذا الزمان الذي فُقِدَ فيه كل الدين، كما قال ﷺ: "أَول ما يُفقدُ من الدين الحكم، وآخره الصلاة". وفي رواية: "أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخره الصلاة". نسأل الله السلامة وحسن الختام.

وعن عبد الله بن الديلمي، قال: تذهب السُّنَّةُ سُنَّةً سنة كما يذهب الحبل قوة قوة، وآخر الدين الصلاة، وليصلينَّ قومٌ ولا خلاق لهم.

وعن ميمون بن مهران، قال: لو أنَّ رجلاً أُنشر فيكم مِنَ السَّلف، ما عَرَف فيكم غير هذه القبلة!!

وعن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ قال: "إنَّ من بعدكم أيَّاماً الصابرُ فيها، المتمسك بمثل ما أنتم عليه اليوم له أجر خمسين" قيلَ يارسول الله منهم؟ قال: "بل منكم".

وقال ﷺ: سينقض الإسلام، المتمسك يومئذٍ بدينه، كالقابض على الجمر أو خَبْطِ الشوك".

وقال ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء حين يفسد النَّاس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد النَّاس". هذه الأحاديث والآثار ذكرها محمد بن وضاح القرطبي مسندة في كتابه: (البدع والنهي عنها).

ش: قال تعالى: ﴿ذُو العَرْشِ المَجيدُ﴾ البروج: ١٥. ﴿الرحمن على العرشِ استوى﴾ طه: ٥. ﴿ثمَّ استوى على العرشِ﴾ الأعراف: ٥٤. ﴿اللهُ لا إله إلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ العظيم﴾ النمل: ٢٦. ﴿ويحملُ عَرْشَ رَبّك فوقَهُم يومئذٍ ثمانية﴾ الحاقة: ١٧.

وفي دُعاءِ الكربِ: "لا إله إلاَّ اللهُ العظيمُ الحليم، لا إلهَ إلاَّ اللهُ رَبُّ العرشِ العظيمُ، لا إله إلاَّ اللهُ رَبُّ السَّماواتِ ورَبُّ الأرضِ رَبُّ العَرْشِ الكريمُ"[١].

وقال رسولُ الله ﷺ: "إذا سألتُمُ اللهَ الجنَّةَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ فإنَّه أعلى الجَنَّةِ، وأوسَطُ الجَنَّةِ، وفوقَه عَرشُ الرَّحمنِ"[٢].

وقالَ ﷺ: "أُذِنَ لي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ من ملائكةِ الله مِن حَمَلَةِ العَرْشِ: إنَّ ما بين شحمةِ أُذُنِه إلى عاتقه مَسيرَةُ سَبعِ مئةِ عامٍ[٣]" صحيح، رواه أبو داود وغيره. ورواه ابن أبي حاتم، ولفظهُ: "مَخْفِق الطيرِ سبع مئةِ عامٍ".

والعرشُ في اللغةِ: عبارةٌ عن السرير الذي لِلمَلِك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿ولها عرْشٌ عظيمٌ﴾ النمل: ٢٣. وليسَ هو فَلَكاً، أو عبارَةً عن المُلْكِ[٤].

وأمَّا الكرسيُّ، فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ البقرة: ٢٥٥. والكرسي غيرَ العرش، كما قال ابن عبَّاس: الكرسيُّ موضِعُ القدَمين، والعرشُ لا يَقْدُرُ قَدْرَهُ إلاَّ الله تعالى[١].

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه البخاري وغيره. في هذه الأحاديث والنصوص المتقدم ذكرها دليل على ثبوت صفة علو الله تعالى على العرش، فالله تعالى يعلو ولا يُعلى عليه.

[٣] والله أكبر وأعظم وأجل، فإنَّ عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق وقدرته سبحانه وتعالى. ثم إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يحيط علماً بما بين شحمة أذن هذا الملك إلى عاتقه وهو مخلوق، فكيف يروم أن يحيط علماً بالخالق العزيز الجبار؟!

[٤] كما يدعي أهل التحريف والتأويل الفاسد، ومثل هذا التاويل -كما هو ظاهر- لا ينسجم مع النصوص والأحاديث الآنفة الذكر التي تثبت لله ﷻ صفة العلو على العرش.

وفي الحديث: "ما الكرسي في العرشِ إلاَّ كَحَلْقَةٍ مِن حَديدٍ أُلقِيَتْ بينَ ظَهْرَي فلاةٍ من الأرض"[٢].

وقال غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ: الكرسيُّ بين يديّ العرشِ كالمِرْقاةِ[٣] إليه.

قولُه: "وهو مُسْتَغْنٍ عِنِ العَرْشِ وما دُونَه، مُحِيطٌ بكُلِّ شيءٍ وفَوْقَهُ، وقَدْ أَعْجَزَ عنِ الإحاطَةِ خَلْقَهُ".

ش: قال تعالى: **﴿فإنَّ اللهَ غنيٌّ عَنِ العالمين﴾** آل عمران: ٩٧. **﴿واللهُ هو الغَنيُّ الحميدُ﴾** فاطر: ١٥. لـمَّا ذكَرَ الشيخ -رحمه الله- العرشَ والكُرسيَّ، ذكَرَ بعد ذلك غِناهُ سبحانهُ عنِ العرشِ وما دُونَ العرشِ، ليبيِّنَ أنَّ خَلْقَهُ للعرشِ واستواءَهُ عليهِ ليسَ لِحاجَتهِ إليه، بَلْ له في ذلك حكمةٌ اقتَضَتْهُ، وكون العالي فوقَ السَّافِلِ لا يلزمُ أن يكونَ السَّافِلُ حاوياً للعالي، مُحيطاً بهِ، حاملاً له ولا أن يكونَ الأعلى مُفتَقِراً إليه. فانظر إلى السماءِ كيفَ هي فوقَ الأرضِ وليست مفتقرَةً إليها؟ فالرَّبُّ تعالى أعظمُ شأناً، وأجَلُّ مِن أن يلزمَ من عُلُوِّهِ ذلك.

---

[١] صحيح موقوفاً، وأمَّا المرفوع فضعيف.

[٢] صحيح، رواه ابن جرير. وفي رواية: "ما السماوات السبع في الكرسي إلاَّ كحلقةٍ ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة". قال الشيخ ناصر في السلسلة الصحيحة ١/١٧٦: اعلم أنه لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش. ا-هـ.

قلتُ إذا كان الكرسي الذي وسع السماوات والأرض بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، وأنَّ العرشَ بهذا القدر العظيم، فهو دليل على عظمة خالق العرش سبحانه وتعالى، فعظمة المخلوق من عظمة خالقه. ثم أن هذه النصوص التي لها علاقة بصفات الله تعالى من الخطأ حصرها في الاثبات المجرد للصفات والرد على المخالفين من دون الالتفات إلى ما توحيه من دلالات تشير إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وإلى كمال أسمائه وصفاته التي ليس كمثلها شيء.

[٣] المرقاة: هو ما يُرقى عليه.

قولُه: "محيطٌ بكُلِّ شيءٍ وفوقَهُ".

ومعناها: أَنَّهُ تعالى محيطٌ بكُلِّ شيءٍ وفوقَ كُلِّ شيء. أمَّا كونه مُحيطاً بكلِّ شيءٍ، فقال تعالى: ﴿**واللهُ مِن ورائهم مُحيطٌ**﴾ البروج: ٢٠. ﴿**ألا إنَّهُ بكلِّ شيءٍ محيطٌ**﴾ فصلت: ٥٤. ﴿**ولله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وكان اللهُ بكلِّ شيءٍ محيطاً**﴾ النساء: ١٢٦.

وليس المُرادُ مِن إحاطتِهِ بخلقه أنَّه كالفلك، وأنَّ المخلوقاتِ داخِلُ ذاتِهِ المُقدَّسةِ، تعالى الله عن ذلك عُلُوَّاً كبيراً، وإنَّما المرادُ: إحاطةُ عظَمَةٍ وسَعَةٍ وعِلْمٍ وقُدْرَةٍ[١]، وأنها بالنسبة إلى

---

[١] مثل هذا النوع من التأويل صحيح، ومطلوب حتى لانقع في المحظور ونرد المحكم بالمتشابه، والمحكم هنا: أنَّ الله بائن عن خلقه غير حالٍ فيه أو العكس، وكل لفظ أو عبارة مغايرة لهذا المعنى -ظاهراً- فهو متشابه لا بُدَّ من رَدِّه إلى المحكم. وهو كقوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ فالمعية هنا معية علم وقدرة وإرادة كما يقول ابن عباس وغيره من السَّلف، وهذا التأويل لا بد منه لأن المحكم الذي دلت عليه النصوص الشرعية أن الله تعالى في السماء بائن عن خلقه، ومستوٍ على عرشه استواءً يليق بكمال جلاله وصفاته. والشاهد أنه عندما تأتي ألفاظ المتشابه متعارضة في وجه من الوجوه مع المحكم فلا بد من تقديم المحكم وجعله حكماً على المتشابه، وهذا لا يعتبر من التأويل الذي يفضي إلى التعطيل والجحود، كما لو قدم المتشابه على المحكم فإنه يؤدي إلى التعطيل والجحود، كما قال تعالى: ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمُّ الكتاب وأخَرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله**﴾ آل عمران: ٧.

قال ابن كثير في التفسير: يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من النَّاس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحَكَّمَ محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ﴿**وأُخر متشابهات**﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد، وقوله: ﴿**ابتغاء الفتنة**﴾ أي الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم، وقوله تعالى: ﴿**وابتغاء تأويله**﴾ أي تحريفه على ما يريدون ا-هـ.

عظمته كالخردلةِ، كما رُوي عن ابن عباس أنه قال: ما السَّماواتُ السَّبعُ، والأرضونَ السَّبعُ وما فيهنَّ وما بينَهُنَّ في يَدِ الرحمنِ، إلاَّ كَخَرْدَلَةٍ في يَدِ أحدكم(١).

-إثباتُ صِفَةِ العلُوّ والفَوْقِيَّةِ لله -

وأمَّا كونهُ فوقَ المخلوقات، فقال تعالى: ﴿**وهو القاهِرُ فوقَ عبادِهِ**﴾ الأنعام: ١٨ و ٦١. ﴿**يخافونَ رَبَّهُمْ مِنْ فوقِهِمْ**﴾ النحل: ٥٠.

وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: "لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كتابٍ فهو عندهُ فوقَ العَرْشِ: إنَّ رحمتي سبقت غَضَبي" متفق عليه.

ورَوى مسلم عن النبيِّ ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿**هو الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ**﴾ الحديد: ٣. بقوله: "أنتَ الأوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بَعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهِرُ فليسَ فوقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ فليسَ دُونَكَ شَيءٌ". والمرادُ بالظُّهور هنا: العُلُو، ومنه قَوْلُه تعالى: ﴿**فما اسْطَاعُوا أنْ يَظْهَرُوهُ**﴾ الكهف: ٩٧. أي: يَعْلُوه.

ورَوى البخاريُّ عن زينب رضي الله عنها: أَنَّها كانَت تَفْخَرُ على أزواج النبيِّ ﷺ، وتقولُ: زَوَّجَكُنَّ أهاليكُنَّ، وزَوجَّني اللهُ مِنْ فوقِ سَبْعِ سَماواتٍ. ومَنْ سَمِعَ أحاديثَ الرَّسولِ ﷺ وكلامَ السَّلَفِ، وجَدَ منه في إثباتِ الفوقيَّةِ ما لا ينحصر(١).

ومن صور التحريف الباطل المحدث في هذا الزمان، تسمية دعاة الضلالة تحريفاتهم الباطلة، وتأويلاتهم الفاسدة بالتجديد، أو فقه التجديد، أو تطوير الفقه والدين لمواكبة حاجيات العصر.. وغير ذلك من الألقاب البراقة المزخرفة الخداعة، وذلك لتمرير باطلهم وضلالهم على الأمة!!.

(١)إله ورب هذه صفاته وعظمته وقدرته لجدير بأن يُعبد وأن يُفرد بالعبادة، وأي ضلال وتيهٍ يعلو ضلال وشرود من يضل عن عبادة هذا الخالق العظيم القدير الظاهر بأسمائه وصفاته، ليهتدي إلى عبادة المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، تعالى الله عن الأنداد والشركاء علواً كبيراً، اللهم ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ لا شريك لك.

-كلامُ الإمام أبي حنيفة فيمن أنكرَ صِفَةَ العُلُوّ-

روى شيخُ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه (الفاروق) بسنده إلى أبي مطيعٍ البلخي، أنَّهُ سأَلَ أبا حنيفة عَمَّن قال: لا أَعْرِفُ رَبِّي في السَّماءِ أم في الأرضِ؟ فقال: **قد كَفَرَ**، لأنَّ اللهَ يقول: **﴿الرحمنُ على العَرْشِ استوى﴾**.[٢] وعرشُهُ فوقَ سبعِ سماواتٍ، قلتُ: فإنْ قالَ: إنَّهُ على العرشِ، ولكن يقول: لا أدري العرشُ في السَّماءِ أَم في الأرضِ؟ قال: **هو كافِرٌ**، لأنه أنكرَ أنَّهُ في السَّماءِ، فَمَن أَنكَرَ أَنَّه في السَّماءِ، **فقد كَفَر**. وزادَ غَيْرُه: لأنَّ اللهَ في أعلى عليين، وهو يُدْعى مِن أَعْلَى، لا مِنْ أسْفَل[٣].

-إثباتُ صِفَةِ العُلُوِّ بالفطرةِ-

وأمَّا ثبوتُه بالفطرة، فإنَّ الخَلْقَ جميعاً بطباعِهم وقلوبِهم السَّليمَةِ يرفعونَ أَيْدِيَهم عندَ الدُّعاءِ، ويَقْصِدُونَ جِهَةَ العُلُوِّ بقلوبهم عندَ التضرُّعِ إلى اللهِ تعالى، وذكرَ محمد بن طاهر المقدسي، أنَّ الشيخَ أبا جعفر الهمذَاني حضرَ مجلسَ الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين[٤]،

---

[١] من أراد أن يتثبت من أقوال السَّلف والأئمة الأعلام في إثبات صفة العلو والفوقية لله ﷻ، فليراجع كتاب "العلو للعليّ الغفار" تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي، وقد اختصره وحققه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، فالكتاب جامع لأقوال السلف في هذه المسألة.

[٢] قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في مقدمة التفسير في معنى الاستواء: لفظ"استوى" في القرآن على ثلاثة أوجه: إن عُدِّيَ بـ"على" كان معناه العلو والإرتفاع كقوله تعالى: **﴿ثمَّ استوى على العرش﴾**. وإن عُدِّيَ بـ"إلى" فمعناه قصد، كقوله: **﴿ثمَّ استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات﴾**. وإن لم يُعَدَّ بشيءٍ، فمعناه "كمل"، كقوله تعالى: **﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾** ا-هـ.

[٣] أين أحناف هذا الزمان من عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمه الله في الصفات، تراهم يتعصبون لذكره ومذهبه في العبادات والمعاملات، بينما في (الاعتقاد) الفقه الأكبر، فهم يُحايدونه ويتبعون غيره؟!!

[٤] هو صاحب كتاب (غياث الأمم في التياث الظُّلَم).

وهو يتكلمُ في نفي صِفَةِ العُلُوِّ، ويقول: كانَ اللهُ ولا عَرْشَ وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أَخْبِرْنَا ياأُستاذُ عن هذه الضرورة التي نجِدُها في قلوبنا؟ فإنَّهُ ما قال عارفٌ قَطُّ: يا الله، إلاَّ وجدَ في قلبهِ ضرورةً تطلُبُ العُلُوَّ[1]، لا يَلْتفتُ يَمْنَةً ولا يَسْرَةً، فكيفَ ندفَعُ هذهِ الضرورةَ عَن أنْفُسِنا؟ قال: فلَطَمَ أبو المعالي على رأسهِ ونزَلَ! وأَظُنُّهُ قال: وبكى، وقال: حَيَّرَنِي الهَمَذانيُّ حَيَّرَني الهمذاني!

قولُه: "ونقولُ: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبراهيمَ خليلاً، وكَلَّمَ موسى تكليماً، إيماناً وتَصديقاً وتَسليماً[2]".

---

[1] من العادات الحسنة التي لفتت نظري في اليمن أن عوام النَّاس عندما يأتيهم سائل يسألهم حاجته، تراهم يرفعون إصبعهم إلى السماء؛ تعبيراً على أن الرازق هو الله الذي في السماء.

[2] هذا التفصيل في بيان العقائد هو حق يجب التصديق به، وربما كان له مبرره القوي، وهو وجود طائفة من أهل البدع والأهواء في ذلك الزمان على رأسهم جعد بن درهم، وجهم بن صفوان، حيث كانوا ينفون هذه الصفات وينكرون أن الله قد كلم موسى تكليماً، وقد عمت بهم البلوى وفتنوا العباد في دينهم، فكان لضرورة تمايز أهل السُّنَّة عن أهل البدع والأهواء، ولإظهار الحق فيما قد اختلف فيه لابد من ذكر هذه المسائل مفصلة. ومن يتأمل التاريخ الإسلامي يجد أن لكل فتنة تطل برأسها على الأمة كان لها رجالها الذين يتصدون لاستئصالها.

وهذا يستدعي منا الانتباه إلى أمرين: **أولهما**، لابد لفقه عبارات السَّلَف وإدراك مدلولاتها ومراميها من الإحاطة بالزمن والأحداث أو الأعيان التي قيلت فيهم هذه العبارات، ومن دون ذلك نخطئ في فهم المراد من عبارات السَّلَف، وبالتالي ننزل عباراتهم على حالات وأشخاص وصفات لا تحتمل تلك العبارات والإطلاقات، كما يفعل بعض المعاصرين عندما حملوا مقولة ابن عباس ﭬ "كفر دون كفر" والتي قالها في حكام معاصرين له من بني أمية، على طواغيت اجتمعت فيهم جميع قرائن الكفر والنفاق، وإذا ما سئلوا عن زلتهم الشنيعة هذه قالوا: دليلنا قول ابن عباس كفر دون كفر!!. وغيرها كثير من عبارات السَّلَف فقد استغلَّت من نفرٍ من المعاصرين استغلالاً سيئاً وفسرت تفسيراً خاطئاً بسبب هذا الإهمال.

ش: قال تعالى: ﴿**واتَّخَذَ اللهُ إبراهيمَ خَليلاً**﴾ النساء: ١٢٥. وقال تعالى: ﴿**وكَلَّمَ اللهُ موسَى تكليماً**﴾ النساء: ١٦٤. الخُلَّةُ: كمالُ المحبَّة. وأنكرت الجَهميَّةُ حقيقَةَ المحبَّة مِنَ الجانبين، وكذلك أنكَروا حقيقةَ التكليم، وكانَ أوَّلُ مَن ابتدَعَ هذا في الإسلام هو الجَعْدُ بنُ دِرهَم، في أوائلِ المئةِ الثانيةِ، فَضَحَّى به خالِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ القَسْرِي أميرُ العراقِ والمشرق بواسط، خطبَ النَّاسَ يومَ الأضحى فقالَ: أَيُّها النَّاسُ ضَحُّوا، تَقَبَّلَ اللهُ ضَحاياكُم، فإنِّي مُضَحٍّ بالجعد بنِ دِرْهَم، إنَّه زعَمَ أنَّ اللهَ لم يتخِذْ إبراهيمَ خليلاً، ولم يُكَلِّم موسَى تكليماً، ثمَّ نزَلَ فذبحَهُ. وكان ذلك بفَتْوَى أَهل زَمانهِ مِنْ عُلماءِ التَّابعين ، فجزاهُ اللهُ عنِ الدينِ وأهله خيراً[1].

ثانياً، الانتباه والاهتمام بالمسائل العقدية المعاصرة التي يستحدثها الكفار والمنافقون في هذا الزمان والرد عليها بحسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية. فليس من الأمانة العلمية والرجولة تناول فتن قديمة اندثرت –ليس لها أثر يُذكر على الأمة في هذا الزمان– وكان لها رجالها الذين تصدوا لها وتحملوا تبعات استئصالها بكل رجولة وأمانة، وغض الطرف –رهبة أو رغبة– عن فتن معاصرة أوقعت كثيراً من النَّاس في الشرك البواح، وخلاصة القول: أن دعاة التوحيد لابد لهم من مواكبة كل شرك مستحدث لاستئصاله وحماية الأمة منه، ولو كلفهم ذلك الغالي والنفيس، فلا توجد مصلحة ترجح مصلحة التوحيد، ولا توجد مفسدة تعلو مفسدة الشرك.

[1] تأمَّل كيف أنَّ الجعد بن درهم قُتِل، لقوله: أن اللهَ لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، وكان ذلك بفتوى من عُلماء التابعين. فكيفَ بمن يقول: أنَّ شريعة الإسلام لا تصلح لكل زمان، وهي متخلفة عن متطلبات العصر! أو بفصل الدين عن الدولة والحياة، ويستحل الحكم بغير ما أنزلَ الله، أو بمن يشتم الله والدين، وغير ذلك من العبارات الكفرية –التي توقع صاحبها في الكفر البواح– التي تكاد أن تكون مألوفة على الأسماع في مجتمعاتنا المعاصرة، التي تُسمى إسلامية!! وما من منكر، بل كل الإنكار يكون على مَن ينكر هذا الكفر والمجون، تحت ذريعة التطاول على الحريات الشخصية التي تضمن للمرء ممارسة الكفر من أوسع أبوابه!!

وأخذَ هذا المذهب عن الجعد الجَهْمُ بن صَفْوان(١)، فأظهره وناظرَ عليه، وإليهِ أُضيفَ قوْلُ: (الجهمية). فقتَلَهُ مسلمُ بنُ أحوز أميرُ خُراسان بها، ثمَّ انتقلَ ذلك إلى المعتزلَةِ أتباع عمرو بنِ عُبيد، وظَهرَ قَولُهم في أثناءِ خلافَةِ المأمونِ، حتى امتُحِنَ أَئمَّةُ الإسلامِ، ودَعَوْهُم إلى الموافَقَةِ لهم على ذلك.

قولُه: "ونُؤْمِنُ بالملائكَةِ والنَّبيينَ، والكُتُبِ المُنْزَلَةِ على المُرسَلينَ، ونَشْهَدُ أَنَّهُم كانُوا على الحَقِّ المُبينِ".

ش: هذه الأمور مِن أركانِ الإيمان، قال تعالى: **﴿آمنَ الرَّسولُ بما أُنْزِلَ إليهِ مِنْ رَّبِّهِ والمؤمنونَ كُلٌّ آمَنَ باللهِ وملائكتهِ وكُتُبهِ ورُسُلِهِ﴾** البقرة: ٢٨٥. **﴿ليسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وجوهَكُم قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ولكن البِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الآخِرِ والمَلائِكةِ والكتابِ والنبيينَ﴾** البقرة: ١٧٧. فجعلَ اللهُ الإيمانَ هو الإيمانُ بهذه الجُمْلَةِ، وسَمَّى مَنْ آمَنَ بهذهِ الجملةِ مؤمنين(٢)، كما جعلَ الكافرين مَنْ كفرَ بهذه الجملةِ(١)، بقوله: **﴿ومَنْ يكفُرْ باللهِ وملائكتهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ فقَدْ ضَلَّ ضلالاً بعيدَاً﴾** النساء: ١٣٦.

---

(١) قال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال ٤٢٦/١: الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً ا-هـ.

وله كلام في الإيمان غريب عجيب، مفاده أن الإيمان هو تصديق القلب ومعرفته وإن جاء مجرَّداً عن النطق والعمل، وهذا لزمه أن يحصر الكفر في التكذيب القلبي المضاد للتصديق القلبي، ورغم بطلان هذا المذهب وتكفير السَّلَف للقائلين به، فإنه يوجد كثير ممن يتصدرون مجالس الدعوة والافتاء في زماننا المعاصر الذين يقولون بهذا القول، وإن لم يُسَمُّوا أنفسهم جهميين، فالعبرة بالتحلي وليس بالتسمي.

(٢) حصر الإيمان النافع الذي يُدخِلُ صاحبه الجنة بهذه الجملة فيه نظر وإشكال وذلك من وجهين:

أولهما، من حيث دلالة النص، فإنَّ النص الوارد لم يصف المؤمنين بالإيمان لمجرد تصديقهم بهذه الجملة من دون أن يضموا إليها الطاعة والانقياد لله ولرسوله، ولنُعِد قراءة النص كاملاً، قال تعالى: **﴿آمن الرسولُ بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين**

وفي الحديثِ المتَّفقِ على صِحتهِ، حديثُ جبريل وسؤالهِ للنبيّ ﷺ عن الإيمانِ، فقال: "أَنْ تُؤمِن باللهِ وملائكتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ". فهذه الأصولُ التي اتَّفَقَت عليها الأنبياءُ والرُّسُلُ صلواتُ اللهِ عليهم وسلامُه، ولم يُؤمِنْ بها حقيقَةَ الإيمان إلاَّ أتباعُ الرُّسُلِ.

أحدٍ من رسُله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾. إذاً فهم إضافة إلى إيمانهم بتلك الجملة العظيمة فقد أتوا بالسمع والطاعة والانقياد ولولا ذلك لما سموا مؤمنين.

وكذلك قوله تعالى في الآية الثانية، لو أوردناها كاملة لوجدناها تدل على هذا المعنى، قال تعالى: **﴿ليس البِرَّ أن تولُّوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذي صدقوا وأولئك هم المتقون﴾**. فتأمل فهم إضافة إلى تصديقهم بتلك الجملة العظيمة فقد أتوا بالعمل، ولولا ذلك لما استحقوا أن يكونوا من أهل البر والإيمان الصادقين.

ثانيا، أن الإيمان النافع بدلالة النصوص وأقوال السَّلَف: هو اعتقاد وقول وعمل، والعمل منه ما يكون شرطاً لصحة الإيمان، ومنه ما يكون مكملاً، وانتفاء المتابعة الظاهرة أو العمل مطلقاً دليل على انتفاء الإيمان مطلقاً، فمن لا يأتي بجنس العمل لا يسمى مؤمناً، وبسط ذلك سيأتي –إن شاء الله– في موضعه عند الحديث عن الإيمان.

ثمَّ أمر آخر لابد من لفت النظر إليه، وهو أننا عندما نتكلم عن الإيمان النافع لابد من أخذ جميع النصوص الشرعية ذات العلاقة بالمسألة، ومراعاة التوفيق فيما بينها، وإلا سنقع في الخطأ لا محالة؛ إما إفراط وإما تفريط.

(١) قوله "كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة"، يُخشى أن يُفهم منه حصر الكفر فيمن يكفر بهذه الجملة فقط، وإن فهم منه ذلك فهو خطأ ظاهر، وقول باطل لا يُسلَّم به؛ لأن الكفر كما يأتي من جهة جحود هذه الجملة أو بعضها، كذلك يأتي من جهات عقدية، وعملية، وقولية أخرى سنأتي –إن شاء الله– إلى ذكرها في موضعها.

-أَصْلُ الدينِ الإيمانُ بِمَا جاءَ بِهِ الرَّسُولُ-

أصلُ الدينِ الإيمانُ بِمَا جاء بِهِ الرَّسولُ، ولهذا كانَتِ الآياتانِ من آخرِ سورةِ البقرةِ -لما تَضمَّنتا هذا الأَصْلِ- لَهُما شأْنٌ عظيمٌ ليسَ لِغَيْرِهما، كما في (الصحيحين) قال رسولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ قَرأَ الآيتينِ مِنْ آخِرِ سُورةِ البقرَةِ في لَيْلَةٍ كَفَتاهُ[1]".

-أصنافُ الملائِكَةِ وما وُكِّلُوا بهِ مِن أعمالٍ ومَهَام-

قَدْ دَلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ على أصنافِ الملائكةِ، وأنها مُوَكَّلَةٌ بأصنافِ المخلوقاتِ، وأنَّهُ سُبحانه وَكَّلَ بالجبالِ ملائكةً ووكل بالسحاب والمطر ملائكةً، ووكل بالرحم ملائكةً تُدَبِّرُ أمرَ النطفَةِ حتى يَتِمَّ خَلْقُها، ثمَّ وَكَّلَ بالعبدِ ملائكةً لحفظِ ما يَعْمَلُهُ وإحصائِهِ وكتابتهِ، ووَكَّلَ بالموتِ ملائِكةً، ووَكَّلَ بالسُّؤالِ في القبرِ ملائكةً، ووَكَّلَ بالأَفلاكِ ملائكةً يُحرِّكونها، ووَكَّلَ بالشمسِ والقمرِ ملائكةً، ووَكَّلَ بالجنةِ وعِمارَتِها وغِراسها ملائكةً.

قال تعالى: ﴿**فالمُدَبِّراتِ أَمْرَاً**﴾[2] النازعات: ٥. ﴿**فالمُقَسِّماتِ أَمْرَاً**﴾[3] الذاريات: ٤. وهم الملائكةُ عندَ أهلِ الإيمان وأتباعِ الرُّسُلِ. فالملائكةُ أَعظَمُ جنودِ الله، ومِنْهُم: المُرْسَلاتُ عُرْفاً[4]، والنَّاشِراتُ نَشْرَاً[5]، والفارِقاتُ فَرْقاً[6]، والمُلْقياتُ ذِكْراً[1].

---

[1] أي حفظتاه من كلِّ شيطانٍ وشَرٍّ وأذى.

[2] قال ابن عباس: هم الملائكة وُكِّلُو بأمورٍ عَرَّفهم الله ﷻ العمل بها.

[3] قال البغوي: هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلقِ على ما أُمِروا به.

[4] قال البغوي: يعني الرياح أُرسلت متتابعة كعرف الفرس. وقيل عرفاً أي كثيراً، هذا معنى قول مجاهد وقتادة.

[5] قال البغوي: يعني الرياح اللينة. وقال الحسن: هي الرياح التي يرسلها الله بشراً بين يدي رحمته. وقال مقاتل: هي الملائكة ينشرون الكتب.

[6] قال ابن عباس ومجاهد والضحاك: يعني الملائكة تأتي بما يفرقُ بين الحق والباطل.

وَمِنهُمْ: النَّازِعات غَرْقاً[٢]، والنَّاشِطات نَشْطاً[٣]، والسَّابِحَات سَبْحَاً[٤]، فالسَّابقات سَبْقاً[٥].

ومنهم: الصَّافات صفَّاً[٦]، فالزَّاجِرات زجْراً[٧]، فالتاليات ذِكْراً[٨].

ومنهم ملائكةُ الرَّحمةِ، وملائكةُ العذابِ، وملائكةٌ قَدْ وُكِّلُوا بِحملِ العرْشِ، وملائكةٌ قد وُكِّلُوا بِعمارَةِ السماوات بالصلاةِ والتسبيح والتقديس، فهُم رُسُلُ اللهِ في خَلْقِهِ وأَمْرِهِ، وسُفراؤهُ بينَهُ وبينَ عبادِهِ، ينزِلُونَ بالأمرِ مِنْ عندِهِ في أقطارِ العالَمِ، ويصعدونَ إليه بالأمر.

-الملائِكَةُ عِبَادُ اللهِ وَجُندهُ يَفعلُونَ ما يُؤمَرونَ-

الملَك رسولٌ مُنَفِّذٌ لأَمرِ مُرسِلِه، فليسَ لهم من الأمر شيءٌ، بل الأمرُ كُلُّهُ للهِ الواحدِ

---

(١) قال البغوي: يعني الملائكة تُلقي الذكر إلى الأنبياء.

(٢) قال البغوي: يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم. والمراد بالإغراق المبالغة في المد.

(٣) قال البغوي: هي الملائكة تنشطُ نفس المؤمن، أي تحل حلاً رفيقاً فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير. قال ابن عباس: هي نفس المؤمن تنشط للخروج عند الموت، لما يرى من الكرامة.

(٤) قال البغوي: هم الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلونها سلاً رفيقاً، ثمَّ يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرفق به. وقال مجاهد وأبوصالح: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد يُقال له سابح إذا أسرع في جريه.

(٥) قال مجاهد: هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح. وقال مقاتل: هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

(٦) قال ابن عباس: والحسن وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة .

(٧) قال البغوي: يعني تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح.

(٨) قال البغوي: هم الملائكة يتلون ذكر الله ﷻ. انظر تفسير البغوي في كل ما تقدَّم.

القَهّار، وهم يُنفِّذونَ أَمرَه: **﴿لا يسبِقُونَهُ بالقَوْلِ وهم بأمرِهِ يعمَلُون. يَعْلَمُ ما بينَ أَيْديهِم وما خَلْفَهُم ولا يشفعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارتضى وَهُمْ من خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ﴾** الأنبياء: ٢٧-٢٨. **﴿يَخافونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِم ويَفعلونَ ما يُؤمَرُونَ﴾** النحل: ٥٠. **﴿لا يستكبرونَ عن عِبادَتِهِ ولا يَستَحسِرُونَ[١]. يُسَبِّحونَ الليلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ﴾** الأنبياء: ١٩-٢٠.

-رُؤساءُ الأَمْلاكِ-

ورؤساؤُهم الأَملاكُ الثُّلاثَة: جِبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ[٢]، الموكَّلونَ بالحياة، فجبريلُ مُوكَّلٌ بالوحي الذي بهِ حياةُ القلوبِ والأرواحِ، وميكائيل مُوكَّلٌ بالقَطْرِ الذي بهِ حياةُ الأَرْضِ والنَّباتِ والحيوانِ، وإسرافيلُ مُوَكَّلٌ بالنَّفخِ في الصُّورِ الذي بِهِ حياةُ الخَلْقِ بعدَ مماتِهم[٣].

-في المُفاضَلَةِ بينَ الملائِكَةِ وصَالِحي البَشَرِ-

وقد تكَلَّمَ النَّاسُ في المفاضَلَةِ بينَ الملائِكَةِ وصالِحي البَشَرِ، ويُنسَبُ إلى أهلِ السُّنَّةِ تفضيلُ صالحي البَشَرِ أو الأنبياء فقط على الملائِكَة. والشيخُ رحمه الله لَمْ يتعرَّضْ إلى هذه المسألةِ بنفيٍ ولا إثباتٍ، ولَعَلَّهُ يكونُ قد تَرَكَ الكلامَ فيها قَصْداً، فإنَّ الإمامَ أبا حنيفة رحمه الله وقَفَ في الجوابِ عنها، على ما ذكره في (مآل الفتاوى)[٤]، فإنَّهُ ذكرَ مسائِلَ لم يَقطَعْ أبو حنيفةَ فيها بجوابٍ، وعَدَّ منها: التفضيل بينَ الملائِكَة والأنبياء. وهذا هو الحَق فإنَّ الواجِبَ علينا الإيمانُ بالملائكةِ والنبيين، وليسَ علينا أنْ نَعتقِدَ أيُّ الفريقينِ أفْضَلُ، فإنَّ هذا لو كان

---

[١] قال البغوي في التفسير: لايعيون، يقال: حسر واستحسر إذا تعب وأعيا. وقال السدي: لاينقطعون عن العبادة.

[٢] خصَّهم الله بالذكر من بين الملائكة بقوله: **﴿مَنْ كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدو للكافرين﴾**. **﴿قل مَنْ كانَ عدواً لجبريل فإنه نَزَّله على قلبك بإذن الله﴾**.

[٣] كما في الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: "إن إسرافيل قد التقم الصُور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ". والصُور قرنٌ يُنفَخُ به.

[٤] مآل الفتاوى في كشف الظنون، للإمام ناصر الدين السمرقندي.

من الواجِبِ لَبُيِّنَ لنا نَصَّاً، وقد قال تعالى: ﴿**اليومَ أكملتُ لَكُم دينَكُم**﴾ المائدة: ٣. ﴿**وما كانَ رَبُّكَ نَسيّاً**﴾ مريم: ٦٤. فالسكوتُ عنِ الكلامِ في هذه المسألةِ نفياً وإثباتاً -والحالَةُ هذه- أولى[١].

وحاصِلُ الكلامِ: أنَّ هذه المسألَةَ مِن فضولِ المسائِلِ، ولهذا لم يتعَرَّضْ لها كثيرٌ مَن أهلِ الأصولِ، والله أعلم بالصواب.

-وُجوبُ الإيمانِ بجميعِ الأَنبياءِ والرُّسُلِ-

وأَمَّا الأنبياءُ والمرسَلونَ، فعلينا الإيمانُ بِمَنْ سَمَّى اللهُ تعالى في كتابِهِ من رسله، والإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالى أرسلَ رُسُلاً سواهم وأنبياء لا يَعلَمُ أَسماءَهُم وعدَدَهم إلاَّ اللهُ تعالى الذي أرسلهم. فعلينا الإيمانُ بهم جُملَةً، لأنَّه لم يأتِ في عددهم نَصٌّ.

---

[١] ممن تكلم في المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد رجَّح فضل صالحي البشر على الملائِكَة، ومن أقوى ما استدلَّ به، ما رواه الحاكم في (المستدرك) بسند صحيح، عن بشر بن شغاف، عن عبد الله بن سلام، قال وكنا جلوساً في المسجِدِ يوم الجمعة، فقال: إنَّ أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة، وإنَّ أكرَمَ خليقة الله على الله أبو القاسم ﷺ. قال: قلت يرحمك الله فأينَ الملائِكَة؟ قال: فنظرَ إليَّ وضحك وقال يا ابن أخي هل تدري ما الملائِكَة؟ إنما الملائِكَة خلق كخلق السماء والأرض والرياح والسحاب وسائر الخلق الذي لا يعصي الله شيئاً. قال الشيخ ناصر: رواه الحاكم في (المستدرك) "٤/٥٦٨-٥٦٩" بسند صحيح، وصححه هو والذهبي. ا-هـ. وقوله: "وكنا جلوساً في المسجد يوم الجمعة" فيه أن قول عبد الله بن سلام كان على ملأ من الصحابة والتابعين، ومن دون أن ينكر عليه أحد منهم. وفيه أيضاً أنَّ السَّلَف قد تكلموا في المسألة وخاضوا فيها. وليست هي من محدثات الأمور.

ومما استشهد به أيضاً قول النبيّ ﷺ: "لزوال الدنيا على الله أهون من قتل رجل مؤمن، والمؤمن أكرم على الله من الملائِكَة الذين عنده".

قال شيخ الإسلام: وهذا نص في أنَّ المؤمنين أكرم على الله من الملائِكَة المقربين. وللشيخ كلامٌ آخر قوي، راجعه في (الفتاوى): ٤/٣٥٠-٣٩٢.

قال تعالى: ﴿**ولقد أرسَلْنَا رُسُلاً مِن قبلِكَ مِنهم مَّنْ قَصَصْنا عليكَ ومِنْهُمْ مَّنْ لم نَقْصُصْ علَيْكَ**﴾ غافر: ٧٨.

وعلينا الإيمانُ بأَنَّهم بَلَّغوا جميعَ ما أُرسلوا بهِ على ما أمرهُم اللهُ به[١]، وأنهم بَيَّنوهُ بياناً لا يسَعُ أحداً مِمَّن أُرسِلوا إليه جَهْلُه، ولا يَحِلُّ له خلافه، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ على الرُسُلِ إلاَّ**

---

[١] قلت: كما أن الأنبياء بلَّغوا جميع ما أرسلوا به من ربهم، وتحملوا تبعات ذلك البلاغ والبيان، فإنه يجب على العلماء ورثة الأنبياء أن يقوموا بواجب أمانة تبليغ الدين كاملاً -من غير إنقاص ولا مواربة أو كتمان لشيء منه- كما تلقوه كاملاً عن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم. فما من شيء إلاَّ وله ضريبة وتبعات، وضريبة العلم تكمن في بيانه كاملاً بإخلاص من غير كتمانٍ لشيء مِمَّا جاء فيه مهما دقَّ أو خفي، وتحمل تبعات ذلك البيان بكل صبر وجلادة وإيمان. ومن يتأمل واقع الأمة يجد أن مصيبتها الكبرى تكمن في كتمان العلم والحق وفي مواضع هامة يتعين فيها على العلماء البيان والتصريح، ولكن -رهبة أو رغبة- فإنَّ كثيراً من العلماء يؤاثرون السلامة ويكون ذلك في الغالب على حساب بيان الحق والعلم الذي فيه حياة للناس، وهؤلاء لاشك أنَّ النصوص الشرعية التي تتوعد كاتم العلم تنالهم، والتي منها قوله تعالى: ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكيهم ولهم عذاب أليم. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار**﴾ البقرة: ١٧٤-١٧٥. وفي الحديث فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ: أنه قال: "ما من رجلٍ يحفظ علماً فيكتمه إلاَّ أُتي به يوم القيامة ملجماً بلجامٍ من النار".

وأسوأ من هؤلاء من يستغل علمه الذي آتاه الله إياه ليذود به عن الطواغيت والباطل، ليصبغ عليهم طابع الشرعية والحق، وهؤلاء يطالهم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: "إنَّ أخوفَ ما أخاف على أمتي كُلُّ منافقٍ عليم اللسان". وقوله تعالى: ﴿**واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه فمثلُه كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

البلاغُ المُبينُ﴾ النحل: ٣٥. **﴿فإنْ تَوَلَّوا فإنَّما عليكَ البلاغ المبين﴾** النحل: ٨٢. **﴿وأطيعوا الرَّسُول فإنْ توليتم فإنَّما على رسولنا البلاغ المبين﴾**[١] التغابن: ١٢.

وأمَّا الإيمانُ بمحمدٍ ﷺ، فتصديقُه واتِّباعُ ما جاءَ بهِ مِنَ الشَّرائعِ إجمالاً وتفصيلاً[٢].

-أُولو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ-

وأمَّا أُولو العَزْمِ منَ الرُّسُلِ، فقد قِيلَ فيهم أقوال، أَحْسَنُها: ما نقَلَهُ البغَويُّ وغيرُه عن ابنِ عباسٍ وقُتادَةَ: أَنَّهم نوحٌ، وإبراهيمُ وموسى، وعيسى، ومحمد، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، قال: وهُمُ المذكورونَ في قوله تعالى: **﴿وإذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبيينَ ميثاقَهُم ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعيسى ابنِ مَرْيَمَ﴾** الأحزاب: ٧. وفي قولِه: **﴿وما وصَّينَا بهِ إبراهيمَ وموسى وعيسى أَنْ أَقيموا الدِّينَ ولا تتفرَّقوا فيه﴾** الشورى: ١٣.

-الإيمانُ بجميعِ الكُتُبِ المُنْزَلَةِ على المُرسَلين-

وأمَّا الإيمانُ بالكتُبِ المُنْزَلَةِ على المرسلين، فنؤمِنُ بما سَمَّى اللهُ تعالى منها في كتابهِ، من التوراةِ والإنجيلِ[٣] والزَّبورِ، ونُؤمِنُ بأنَّ للهِ تعالى سوى ذلك كُتباً أنزَلها على أنبيائِهِ، لا يَعْرِفُ أسماءَها وعَددها إلاَّ الله تعالى، ونؤمِنُ بأنها من عندِ اللهِ، وأنَّها حقٌّ وهُدى ونورٌ وبيانٌ

---

[١] في الآية دليل على كفر من يتولى عن العمل ويعرض عن الطاعة مطلقاً، وإن جاء مقروناً بالإقرار والتصديق بالإيمان، كما قال تعالى: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثمَّ يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾**، قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (١٤٢/٧): فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل. ففي القرآن والسُّنَّة من نفي الإيمان عمن لم يأتِ بالعمل مواضع كثيرة كما نفي فيها الإيمان عن المنافق ا-هـ.

[٢] اعلم أن تكذيب رسول واحد من رسل الله هو تكذيب لجميع الرسل، وتكذيب الرسول في شريعة أو أمر واحد ممَّا جاء به، هو تكذيب بجميع ما جاء به عن ربه.

[٣] مع الإنتباه أنَّ الأناجيل الموجودة الآن في أيدي النصارى واليهود، قد اعتراها التحريف والتغيير والتبديل من قبل أحبارهم ورهبانهم، وبالتالي لا يجوز نسبتها إلى الله تعالى.

وشفاءٌ. وأمَّا الإيمانُ بالقرآنِ، فالإقرارُ بهِ، واتباعُ ما فيهِ، وذلك أمرٌ زائدٌ على الإيمان بغيرهِ من الكتبِ[1].

قولُه: "ونُسَمِّي أَهْلَ قبلَتنا مُسلمين مؤمنينَ، ما داموا بما جاءَ بهِ النبيُّ ﷺ مُعتَرِفِينَ، ولَهُ بِكُلِّ ما قالَهُ وأخبرَ مُصَدِّقِينَ".

ش: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: "مَن صَلَّى صَلاتَنا، واستقبلَ قبلَتَنا، وأَكَلَ ذَبيحَتَنا فهو المُسْلِمُ، له ما لَنا وعليه ما علينا"[2].

---

[1] لأن القرآن جاء خاتماً للكتب السماوية، ومهيمناً عليها، وناسخاً لها، وبالتالي فهو الكتاب الذي يجب على البشرية أن تدين به وتعمل بجميع ما جاء فيه، ومهما التمست الهداية من غير طريق القرآن، فقد ضلَّت ووقعت في الهلاك والخسران.

قال رسُول الله ﷺ: "القرآن حجة لك أو عليك".

وقال: "أبشروا فإنَّ هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً". رواه الطبراني، صحيح الجامع الصغير: (٣٤).

[2] رواه البخاري وغيره. فيه أن من كانت هذه صفته لا يجوز الإقدام على تكفيره، ما لم يظهر منه ما ينقض الإيمان، وكذلك من كانت هذه صفته يُحكم عليه بالإسلام ومن دون أن يُسأل عن عقيدَته، أو يُجرى له اختبار في التوحيد، فمثل هذا الصنيع لم يؤثر عن السَّلَف الصالح، بل هو من خلق الخوارج الغلاة.

وكذلك فيه: أنَّ تارك الصلاة، أو من انتفت عنه هذه الصفات فهو غير مسلم، هذا ما يقتضيه مفهوم المخالفة للحديث والله تعالى أعلم. قال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، ويصلي مستدبر القبلة حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً. إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: **هذا الكفر الصراح**، وخلاف كتاب الله وسنة رسُوله وعلماء المسلمين، قال تعالى: **﴿وما أُمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**.

يشير الشيخُ أنَّ المسلمَ لا يَخْرُجُ مِنَ الإسلامِ بارتكابِ الذنبِ[١] ما لم يَستحِلُّه، أو يُكذِّبْ بشيءٍ مِمَّا جاءَ به الرَّسُول ﷺ[٢].

قولُه: "ولا نَخُوضُ في اللهِ، ولا نُماري في دينِ اللهِ".

ش: يُشيرُ الشيخُ إلى الكفِّ عَن كلامِ المتكلمين الباطلِ، وذَمِّ علمهم، فإنهم يتكلَّمونَ في الإله بغيرِ عِلْمٍ وغيرِ سُلطانٍ أتاهم: **﴿إنْ يَتَّبِعونَ إلاَّ الظنَّ وما تَهوى الأَنْفُسُ ولَقَدْ جاءَهُمْ مِن رَّبِّهِمُ الهُدى﴾** النجم: ٢٣.

وعن أبي حنيفة، قال: لا ينبغي[٣] لأحدٍ أن يَنطِقَ في ذاتِ اللهِ بشيءٍ[٤]، بَلْ يَصِفُه بما وصَفَ بهِ نَفْسَهُ[١].

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا **فقد كفر بالله** ورد على أمره وعلى الرَّسُول ما جاء به عن الله ا-هـ عن الفتاوى لابن تيمية: (٩٠٢/٧).

قلت: إذا كان هذا حكم السَّلَف فيمن يقول هذا القول ويحكم بهذا الحكم، فكيف بمن يتصف بتلك الصفات، لا شك أنه أولى بحكم الكفر. وإذا عرفت ذلك فحق لك أن تعجب من أفراخ الإرجاء المعاصرين الذين يثبتون الإيمان لمن ينتفي عنه مطلق العمل!!.

[١] المراد بالذنب هنا الذنب الذي هو دون الكفر أو الشرك الأكبر، وهذا المعنى سنأتي إلى بيانه بشيء من التفصيل عند قول الإمام الطحاوي: "ولا نكفر أحداً من أَهْل القبلة بذنب ما لم يستحله".

[٢] ظاهر الكلام يوحي بحصر الكفر في التكذيب، وهذا حصر فيه نظر سيأتي الرد عليه عند قوله: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلاَّ بجحود ما أدخله فيه".

[٣] قوله في هذه المسألة: "لا ينبغي" تعبير يفيد التساهل والتراخي، والصواب أن يُقال "لا يجوز" لأن الخوض في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته من غير دليل من الكتاب والسُّنَّة حرام.

[٤] أي ينطق بشيء بغير دليل من الكتاب والسُّنَّة.

وقولُه: "**لا نُماري في دينِ اللهِ**" معناه: لا نُخاصِمُ أهلَ الحَقّ بإلقاءِ شُبهاتِ أهلِ الأهواء عليهم، التماساً لامترائِهم ومَيْلِهم، لأنَّهُ في معنى الدعاء إلى الباطلِ، وتلْبيسِ الحَقّ، وإفسادِ دينِ الإسلام.

قولُه: "وَلا نُجَادِلُ في القرآنِ، ونَشْهَدُ أَنَّهُ كَلامُ رَبِّ العالَمينَ، نَـزَلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ، فعَلَّمَهُ سَيِّدَ المرسلين مُحَمَّدَاً صلى الله عليه وعلى آلِهِ أجمعينَ. وهو كَلامُ اللهِ تعالى لا يُساويه شيءٌ مِنْ كلامِ المَخْلُوقينَ، ولا نقولُ بخَلْقِهِ، ولا نُخالِفُ جماعَةَ المُسلِمينَ".

ش: فقوله: "**ولا نجادِلُ في القرآن**" أي: لا نقولُ فيه كما قال أهلُ الزيغِ واختلَفوا، وقالوا: (هو مخلوق)، بل نقول: "**إنه كلامُ ربِّ العالَمين نزَل به الرُّوحُ الأمين**".

وكذلك لا نُجادِلُ في القراءاتِ الثَّابتَةِ، بل نقرَؤُه بكُلِّ ما ثبَتَ وصَحَّ، عن عبد اللهِ بن مسعود، قال: سمعتُ رَجُلاً قَرأَ آيةً سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقرأ خِلافَها، فأخذتُ بيده، فانطلقتُ به إلى رسُولِ اللهِ ﷺ، فذكرتُ ذلك له، فعَرَفتُ في وجهِهِ الكراهَةَ، وقال: "كِلاكُمَا مُحْسِنٌ، ولا تختَلِفُوا، فإنَّ مَنْ كانَ قبلَكُم اختلَفُوا فَهلكُوا"[٢].

وقولُه: "**نَزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ**"، هو جبريلُ عليه السلام، سُمّيَ رُوحاً لأنَّهُ حامِلُ الوحي الذي به حياةُ القلوبِ إلى الرُّسلِ من البشر صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين.

قال تعالى: **﴿نزَلَ بهِ الرُّوحُ الأمينُ. على قَلْبِكَ لتكونَ من المُنذِرِينَ﴾** الشعراء: ١٩٣-١٩٤.

وقولُه: "**فعَلَّمَهُ سَيِّدَ المرسلين**"، تصريحٌ بتعليمِ جبريلَ إياه.

---

[١] بما وصف به نفسه ووصفه به رسُوله ﷺ.

[٢] أخرجه البخاري. وفي الحديث: بيان بطلان المقولة السائدة بين المسلمين (اختلاف أمتي رحمة!!). وفي الحديث: "الجماعة رحمة والفرقة عذاب".

وقولُه: **"ولا نُخالِفُ جماعةَ المسلمين"** مُجرى على إطلاقه: إنَّا لا نُخالِفُ جَماعَةَ المسلمين في جميع ما اتَّفَقُوا عليه، فإنَّ خلافَهُم زَيْغٌ وضَلالَةٌ وبِدْعَةٌ[١].

---

[١] جماعة المسلمين، هي الجماعة التي تكون على ما كان عليه النبيّ ﷺ وأصحابه، كما جاء ذلك في جواب النبيّ ﷺ للسائل عن الفرقة الناجية من بين الفرق، قال: "هي الجماعة"، وفي رواية: "ما أنا عليه وأصحابي". فَدلَّ أن الفرقة الناجية التي يجب أن تُتبع ويُكثر سوادها، هي الجماعة التي تكون على نهج النبيّ ﷺ والسلف الصالح.

والجماعة تُعرف بملازمتها الحق وإن قلَّ عددها، فقد جاء في صحيح مسلم وغيره "إن من الأنبياء من لم يصدقه من أمته إلاَّ رجلٌ واحد".

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لعمرو بن ميمون: جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ.

قال ابن القيم في أعلام الموقعين: اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض ا-هـ.

فإذا عرفت ذلك -يا مسلم- فعليك بحبل الله المتين فاستعصم به، ولا يغرنك كثرة سواد الباطل وزينة الدنيا التي اجتمعت له، فإنما هم حطب لجهنم يوم القيامة، ولا يصدنك عن الحق وتكثير سواده قلة أهله وأعوانه، فإنَّ الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وكون مخالفة جماعة المسلمين زيغاً وضلالاً وبدعة، فهو لقوله تعالى: **﴿ومن يشاقق الرَّسُول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾** النساء: ١١٥.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٣٨/٧): فإنهما متلازمان فكل من شاق الرَّسُول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرَّسُول من بعد ما تبين له الهدى، فإنَّ كان يظن أنه متبع سبيل المؤمنين وهو مخطئ فهو بمنزلة من ظن أنه متبع للرسول وهو مخطئ.

قولُه: "ولا نُكَفِّرُ أحداً من أَهْلِ القبلةِ بذنبٍ ما لم يستحِلَّهُ[١]، ولا نقولُ: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ لِمَن عَمِلَهُ".

وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرَّسُول، وإن كان ما أجمعوا عليه فلا بد أن يكون فيه نص عن الرَّسُول، فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مِمَّا بين الله فيه الهدى، **ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين**. وأمَّا إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به، فهنا قد لا يقطع بأنها مِمَّا تبين فيه الهدى من جهة الرَّسُول، ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر. وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر ا-هـ.

[١] يُراد من الذنب الذنب الذي هو دون الكفر والشرك؛ كالسرقة، والزنى، وشرب الخمر وغيرها من الذنوب التي هي دون الكفر الأكبر -مخالفة للخوارج الذين يُكفِّرون بكلِّ ذنب- فمثل هذه الذنوب لا يصح تكفير صاحبها إلاَّ إذا مارسها على وجه الاستحلال والتحسين، لوجود أدلة وقرائن شرعية تصرف الكفر الأكبر عن صاحب هذه الذنوب، أما إذا كان الذنب كفراً أكبر فصاحبه يُكفَّر سواء استحله أو لم يستحله، فالاستحلال نوع من أنواع الكفر وليس كل أنواع الكفر، والشرك كفر مخرج من الملة لذاته سواء ضُم إليه عنصر الاستحلال أو لم يُضم.

وقد روى الخلاَّل بسنده إلى الإمام أحمد بن حنبل، قال جاء رجلٌ فسأل أبا عبد الله فقال: يا أبا عبد الله إجماع المسلمين على الإيمان بالقدر خيره وشره؟ قال أبو عبد الله: نعم، قال: ولا نكفر أحداً بذنب؟ فقال أبو عبد الله: اسكت، **من ترك الصلاة فقد كفر، ومن قال القرآن مخلوق فهو كافر** ا-هـ.

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٣٠٢/٧): ونحن إذا قلنا: أهل السُّنَّة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، **فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب** ا-هـ.

ومن غرائب مرجئة العصر -الذين يتتبعون العثرات والزلات والمتشابهات -أنهم يعتبرون الاستحلال شرطاً للتكفير في مطلق الذنوب بما في ذلك الذنوب التي تعتبر شركاً وكفراً أكبر، مستدلين على شذوذهم هذا بمقولة أَهْل العلم "لا نكفِّر أحداً من أَهْل القبلة بذنب ما لم يستحله"!، ودرءاً لهذا

ش: يشيرُ الشيخُ إلى الردِّ على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب[1]. واعلم أن بابَ التكفير وعدَم التكفير[1]، بابٌ عَظُمَت الفتنةُ والمحنة فيه، وكثُرَ فيه الافتراق. وتشتَّتت فيه الأهواءُ والآراءُ، وتعارضَت فيه دلائِلُهم، فالناسُ فيه على طرفين ووسط[2].

الإستغلال السيء أرى أن تقيد هذه المقولة بالقيد التالي، حيث تصبح: "**لانكفِّر أحداً من أَهْل القبلة بذنب دون الكفر ما لم يستحله**" والله تعالى أعلم.

(١) تأمل كيف فسر الشارح -رحمه الله- المقولة على أنها رد على الخوارج وأصولهم الذين يكفِّرون بكل ذنب. والخوارج فرقة ضالة -اختُلف في تكفيرها- أبرز ما يميزهم محاربتهم لأَهْل القبلة من المسلمين، وتركهم لأهل الشرك والأوثان، وتكفيرهم النَّاس بالظنون المرجوحة وبالكبائر والذنوب التي هي دون الكفر. وقد خصهم النبيُّ ﷺ بطائفة من الأحاديث، محذراً الأمة من فتنتهم وشرِّهم، حاضاً على قتلهم وقتالهم إلى أن يعودوا عن غلوِّهم إلى دين الحق راشدين تائبين، منها ما ذكره البخاري في صحيحه تحت باب (قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم":

قال رسُول الله ﷺ: "سيخرج قومٌ آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة".

وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله، وقال: إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

وكذلك قوله ﷺ: "يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد". (متفق عليه).

وقال ﷺ: "سيخرج من أمتي قوم يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلواتكم إلى صلواتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يرون أنه لهم وهو عليهم، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية". (مسلم).

وقال: "إن بعدي من أمتي قوم يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثمَّ لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلق والخليقة". (مسلم).

ومن صفاتهم كذلك قوله ﷺ فيهم: "يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يجد شيئاً، ثمَّ ينظر في القدح فلا يوجد شيئاً" (أحمد وغيره).

وقال: "يدعون إلى كتاب الله وليسوا من الله في شيء، فمن قاتلهم كان أولى منهم"، فكان أول من قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان.

وقال ﷺ: "طوبى لمن قتلهم وقتلوه"، وقال: "الخوارج كلاب أَهْل النار". (ابن أبي عاصم في السُّنَّة). وغيرها كثير من الأحاديث التي تحذر من الخوارج وفتنتهم وشرهم، أعاذنا الله منهم ومن شرهم، ومن أن نكثر سوادهم بشيء، أو نقف في ظلهم، أو ننصر باطلهم ولو بشطر كلمة واحدة.

ومما يحسن ذكره هنا -انصافاً للحق، وانتصاراً لإخوان غيَّبتهم سراديب سجون الطواغيت، لا ذنب لهم سوى أنهم دعاة إلى الله- أن مرجئة العصر ومن لفَّ لفهم من علماء الطواغيت والسوء يحملون هذه الأحاديث الآنفة الذكر -التي قيلت في الخوارج- على الموحدين المجاهدين من أَهْل السُّنَّة والجماعة الذين آلوا على أنفسهم مقارعة الكفر والظلم والطغيان، ترهيباً وتشكيكاً لهم ولأتباعهم عما هم عليه من الحق المبين، وانتصاراً وذوداً عن طواغيت الكفر والفجور. ومن قياساتهم الباطلة الجائرة أنهم يقيسون خروج أهل الجهاد والتوحيد على طواغيت الكفر الذين اجتمعت فيهم جميع خصال الكفر والنفاق على خروج الخوارج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه!! بئس القياس ما يقيسون وما يقولون.

(١) هذا ما يقتضيه الإنصاف، وهو الإشارة إلى الإفراط والتفريط الحاصل في التكفير وعدم التكفير، ظاهرة الغلوِّ والإرجاء سواء، أمَّا الإشارة إلى الإنحراف في جانب وغض الطرف -رهبة أو رغبة- عن الجانب الآخر، فهذا بخلاف ما تقتضيه الأمانة العلمية والبيان الذي يرتضيه ربنا سبحانه وتعالى.

(٢) الطرفان هما: طرف يتمثل في الخوارج ومن كان على شاكلتهم من الغلاة، وطرف يتمثل في المرجئة الذين أرجأوا وأخَّروا العمل عن الإيمان، وقالوا: الإيمان تصديق وقول، وغلاتهم من الجهمية قالوا: الإيمان هو التصديق بالجنان فقط، ورتبوا على إعتقادهم الفاسد هذا حصر الكفر في الجحود أو التكذيب القلبي المضاد للتصديق!!

-القول بأنَّا لا نكَفِّرُ من أَهْل القبلة أحداً، لا يَصُحُّ على إطلاقه-

فطائِفةٌ تقول: لا نُكَفِّرُ من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفياً عامّاً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم مَنْ هو أكفَرُ من اليهود والنصارى، وفيهم مَنْ قد يُظهرُ بعض ذلك حيث يُمكِنُهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين(١).

ومن سماة المرجئة أنهم يقللون من أهمية العمل، ويهتمون بأحاديث الوعد دون غيرها من نصوص الوعيد!.

أمَّا الطرف الوسط: فهو طرق الحق المتمثل في عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في الإيمان؛ وهو أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وكذلك الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول والعمل، وهذه مسألة سنأتي إلى بحثها بشيء من التفصيل في موضعها إن شاء الله.

(١) وهذه ظاهرة قد تكون مألوفة في زماننا المعاصر -وعلى مستوى الحاكم والمحكوم- فلا حرج عند القوم أن ينطقوا بشهادة التوحيد وكلما طلب منهم ثمَّ بالمقابل يمارسون الكفر من أوسع أبوابه ومجالاته، ولا شك أن مِمَّا أعانهم على هذا الكفر والنفاق مشايخ الإرجاء الذين يُفتونهم بأنهم مسلمون ومن أَهْل الجنة، وشفاعة الشافعين تطالهم، ولا حرج عليهم ما داموا ينطقون بشهادة التوحيد!

وللإعذار والتنبيه فإننا نقول: من اجتمع فيه كفر أو شرك وإيمان فإنَّ إيمانه لا ينفعه في شيء، لأن الشرك يحبط الإيمان والأعمال كلياً، كما قال تعالى: **﴿لئن أشركت ليحبطن عملُك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾**. وقال تعالى: **﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾**. فمن يأتي بالإيمان والكفر معاً كمن يأتي بالشيء وضده أو بما ينافيه في آنٍ معاً، ومثله مثل من يقر بالتوحيد ثمَّ من جهة يقر بآلهة أخرى مع الله ويعبدها من دون الله، وهذا أنَّى أن يثبت له إيمانه وتوحيده فإنَّ الإيمان والكفر لا يمكن اجتماعهما في قلب واحد، كما جاء في الحديث الصحيح: "لا يجتمع إيمان وكفر في قلب امرئٍ"، فالله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: دين النبي ﷺ التوحيد، وهو معرفة لا إله إلا الله محمد رسُول الله والعمل بمقتضاها، فإنْ قيلَ: كل النَّاس يقولونها، قيلَ: منهم من يقولها ويحسب معناها أنه لا يخلق إلاَّ الله ولا يرزق إلاَّ الله وأشباه ذلك، ومنهم لا يفهم معناها، ومنهم من لا

ولهذا **امتنع كثيرٌ من الأئمة** عن إطلاق القول: بأنَّا لا نكفِّر أحداً بذنبٍ، بل يُقال: لا نكفرهُم بكل ذنبٍ كما تفعل الخوارج[1].

يعمل بمقتضاها، ومنهم من لا يعقل حقيقتها، وأعجب من ذلك من عرفها من وجه وعاداها وأهلها من وجه! وأعجب منه من أحبها وانتسب إلى أهلها ولم يفرق بين أوليائها وأعدائها!! يا سبحان الله العظيم أتكون طائفتان مختلفتين في دين واحد وكلهم على الحق؟! كلا والله، فماذا بعد الحق إلاَّ الضلال ا-هـ (الرسائل الشخصية: ١٨٢).

قلت: والأعجب من هؤلاء كلهم من يدعي حبها ويدعوا إليها، ثمَّ هو يوالي أعداءها على أوليائها، وينصر الطواغيت على أهل التوحيد، وما أكثرهم في زماننا..!

[1] قلت: ومنه تعلم خطأ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -حفظه الله وعفا عنه- عندما وهَمَ فقوَّل الشارح ما لم يقل، وذلك عندما نسب إليه قوله: (وقد ساق الشارح رحمه الله تعالى طائفة منها هنا، ونقل عن أَهْل السُّنَّة القائلين بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، **أن الذنب أي ذنب كان**؛ هو كفر عملي لا اعتقادي!!). انظر تعليق الشيخ على الطحاوية، ص ٦٠، ط المكتب الإسلامي.

وهذا الكلام لايصح عن الشارح لا معناً ولا لفظاً، بل الثابت عنه خلافه كما هو مثبت أعلاه. وإنما حاول الشيخ أن يقوّل الشارح ما لم يقل انتصاراً لمذهبه في الإيمان والكفر، والوعد والوعيد، وهو أن الشيخ عنده الكفر كفران: كفر عملي ظاهر لايُكفِّر على الاطلاق مهما كان بواحاً ولا يُخرِج صاحبه من الملة، وكفر باطني اعتقادي يُكفِّر ويُخرِج صاحبه من الملة، وأي كفر مهما كان بواحاً يُمارَسُ على غير وجه الاعتقاد أو الاستحلال القلبي لا يُخرِجُ عنده من الملة!!.

فانظر مثلاً ماذا يقول في كتابه الأخير (التحذير من فتنة التكفير!!) الذي جاء تأصيلاً لعقيدة جهم في الإيمان والوعد والوعيد: (وخلاصة الكلام: لا بد من معرفة أن الكفر -كالفسق والظلم- ينقسم إلى قسمين: كفرٌ وفسق وظلم يُخرِج من الملة، **وكلُّ ذلك يعود إلى الاستحلال القلبي**. وآخرُ لا يُخرِج من الملة؛ يعود إلى الاستحلال العمليّ)!! ا-هـ، ص٦٨.

-إنكارُ ما هو معلومٌ من الدين بالضرورةِ، كُفرٌ-

فلا خلافَ بين المسلمين أنَّ الرجُلَ لو أظهر إنكارَ الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرماتِ الظاهرة المتواترة، فإنه يُستتابُ[١].

فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ كافراً مرتداً[٢].

-البِدَعُ والفجورُ مظنتان للنفاق والردَّةِ-

مفاد كلامه أن أي كفر مهما كان بواحاً ومُستحلاً في الظاهر والعمل ولكن لا ينعقد استحلاله في القلب فهو لا يُخرِج من الملة، وهذا مطابق لعقيدة جهم بن صفوان الذي يحصر الكفر في التكذيب القلبي وحسب!.

وللشيخ شريط بعنوان: (الكفر كفران) فيه من العجب العجاب -وهو لا يختلف عما أصله في كتابه التحذير!- قد رددنا عليه بمصنف يزيد عن المائتي صفحة، بإمكان القارئ مراجعته.

تنبيه: نسجل هذه الملاحظة على عنوان كتاب الشيخ (التحذير من فتنة التكفير) إذ كيف يحذر من التكفير وفتنته، والتكفير حكم شرعي ومصطلح أطلقه الشارع في الكتاب والسُّنَّة؟! وكان الصواب أن يقول: (التحذير من فتنة الغلو في التكفير)، فهذا أصح وأدق والله تعالى أعلم.

[١] فإنه يُستتاب على أنه قد كفر وارتدَّ، إلاَّ إذا كان إنكاره بسبب عجزه عن معرفة الحق فيما قد خالف فيه، فهنا تقام عليه الحجة الشرعية وهي تختلف عن الاستتابة التي تأتي بعد معاندة الحجة الشرعية. فقيام الحجة تكون لمن يقع في الكفر -لجهل لا يمكن دفعه- لكن هو لم يكفر، أمَّا الاستتابة تكون لمن وقع في الكفر وكفر بعينه.

والاستتابة مذهب جمهور أَهْل العلم وأكثر الصحابة، قال القاضي عياض في الشفا (٢/٥٥٦): ذهب جمهور أَهْل العلم إلى أن المرتد يُستتاب، وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة، ولم ينكره واحد منهم، وهو قول عثمان، وعلي، وابن مسعود، وبه قال عطاء بن أبي رباح، والنخعي، والثوري، ومالك وأصحابه، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي ا-هـ.

[٢] حكمه القتل لقوله ﷺ: "من ارتدَّ عن دينه فاقتلوه".

النفاقُ والردة مظنتهما[1] البِدَعُ والفجورُ، كما ذكره الخلاَّلُ في كتابه (السُّنَّة) بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرَعَ النَّاس رِدَّةً أَهْل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: **﴿وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا فأعرِضْ عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره﴾** الأنعام: ٦٨.

-المرجئةُ في الطَّرَفِ النقيض للخوارج-

وقوله: "**ولا نقولُ لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ لِمَن عمله**"، ردٌّ على المرجئة[2]؛ فإنهم يقولون: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهؤلاء في طرَفٍ، والخوارج[1] في طرَف، فإنهم يقولون: نكفِّرُ المسلمَ بكل ذنبٍ كبير.

---

[1] أي أن مظنة حصول النفاق والردة يكون من أَهْل البدع والفجور، فالبدع والفجور بريد إلى الكفر والنفاق، كما أن الإدمان على الكبائر والاستهانة بها غالباً ما يوقع صاحبه في الكفر والشرك والعياذ بالله، وهذا يدل عليه قوله ﷺ: "مدمن خمر كعابد وثن" وقوله: "لا يدخل الجنة مدمن خمر". صحيح سنن ابن ماجه: (٢٧٢٠ و ٢٧٢١).

[2] قال الإمام أحمد: المرجئة يقولون من عرف ربه بقلبه وتكلم بلسانه فهو مؤمن وإن لم تعمل الجوارح ا-هـ (المسائل والرسائل: ١/٧٣).

وقال ابن حجر في الفتح (١/١٠٠): نُسبوا إلى الإرجاء، وهو التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، ولم يشترط جمهورهم النطق، وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب أصلاً ا-هـ.

ومرجئة العصر قالوا: لا يضر مع التصديق كفر -وهذا أشد وأغلظ- فمهما كان الكفر بواحاً ومستحلاً في الظاهر فهو لا يضر صاحبه ما دام محافظاً على التصديق، ولم يقترن بالكفر تكذيب القلب وجحوده!!، وهو قول أقرب ما يكون إلى قول جهم بن صفوان -في الإيمان والكفر- منه إلى قول المرجئة.

وعلى قولهم الباطل هذا يَخرج طواغيت الأرض -بما فيهم إبليس اللعين- من دائرة الكفر؛ لأن الثابت عليهم استحلال الكفر في الظاهر دون الباطن، وما دام شأنهم كذلك فهم مؤمنون مسلمون، ومن أَهْل الجنة، ولا تضرهم ممارستهم للكفر البواح في الظاهر والعمل، فالمهم عندهم

لتقرير مسائل الكفر والإيمان هو (القلب) والنظر إليه: (فإنْ كان القلبُ مؤمناً والعملُ كافراً، فهنا يتغلب الحكم المستقر في القلب على الحكم المستقر في العمل)!! هكذا يقولون، وهكذا يُدَرِّسون وينشرون!!

لذا لا غرابة ولا عجب من هذا الإحترام والكرم المتبادلين -والملحوظين عبر التاريخ وإلى أيامنا هذه- بين طواغيت الحكم والكفر ومشايخ الإرجاء؛ فالطواغيت يمنون على مشايخ الإرجاء بالمال والعطايا والهبات والامتيازات ويجعلونهم من المقربين، ومشايخ الإرجاء بالمقابل يكرمون على الطواغيت بمزيد من التأويلات والتسويغات والتبريرات والفتاوى الباطلة التي تمنع من تكفيرهم وتبقيهم في دائرة الإسلام..!! فالإحترام متبادل، والمصالح مشتركة!!.

وهذه النفَس الإرجائي الإتكالي التبريري لا شك أنه انعكس سلباً على أخلاق وسلوك الأمة، وعلى مستوى الحاكم والمحكوم؛ فهذه مظاهر التفريط بالحكم بما أنزل الله نراها -على مدار الساعة- أمام أعيننا، وكذلك ظاهرة ترك الصلاة، وغيرها من الواجبات، ولم يبق لكثير من النَّاس -بفعل سموم الإرجاء- من إسلامهم سوى أسمائهم الإسلامية التي تنم عن انتسابهم لأبوين مسلمين، وهذا يكفيهم لأن يعاملوا معاملة المسلمين من حيث الحقوق والواجبات..!!

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٧/٣٩٤): فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعي لفتنتهم -يعني المرجئة- أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة. (والأزارقة هم فرقة من الخوارج نسبة إلى نافع بن الأزرق).

وقال الزهري: ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرُّ على أَهْله من الإرجاء. وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير، وقتادة يقولان: ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء.

وقال شريك القاضي -وذكر المرجئة فقال-: هم أخبث قوم، حسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله.

وقال سفيان الثوري: تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سابري. ا-هـ. والثوب السابري: هو الثوب الشفاف الرقيق الذي يشف ما تحته، تشبيهاً لدين المرجئة الرقيق الذي ليس على شيء.

(١) قال ابن تيمية فيهم في الفتاوى (٧/٤٨١): هم أول من كفر أَهْل القبلة بالذنوب، بل بما يرونه من الذنوب واستحلوا دماء أَهْل القبلة بذلك، فكانوا كما نعتهم النبيُّ ﷺ: "يقتلون أَهْل الإسلام

-الفَرق بين الخوارِج والمعتزلة في مسألة الوعيد-

المعتزلةُ يقولون: يَحبَطُ إيمانُهُ كُلُّه بالكبيرَةِ، فلا يبقى مَعَهُ شيءٌ من الإيمانِ. لكن الخوارج يقولون: يخرجُ مِنَ الإيمان ويدخُلُ في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرجُ من الإيمانِ، ولا يدخلُ في الكفرِ، وهذه المنزِلَةُ بين المنزلتين!! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلودَ في النارِ[1]!.

-تكفيرُ العّام غير تكفير المعَيَّن[2]-

ويدعون أَهْل الأوثان"، وكفَّروا علياً بن أبي طالب، وعثمان بن عفان ومن والاهما، وقتلوا علياً بن أبي طالب مستحلين لقتله؛ قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي منهم، وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة، لكن كانوا جهالاً فارقوا السُّنَّة والجماعة. فقال هؤلاء: ما النَّاس إلاَّ مؤمن أو كافر، والمؤمن فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات، فمن لم يكن كذلك فهو كافر مخلد في النار، ثمَّ جعلوا كل من خالف قولهم كذلك. ا-هـ.

[1] اتفقت المعتزلة مع الخوارج في أنَّ أَهْل الكبائر خارجون عن الإيمان، ومخلدون في النار، وأن شفاعة الشافعين يوم القيامة لا تطالهم ولا تنفعهم، واختلفوا معهم في وصفهم، فالخوارج قالوا عن أهل الكبائر: كفار، والمعتزلة أمسكوا عن هذا الإطلاق، وقالوا: هم ليسوا بمؤمنين ولا كفار وإنما فساق، فاتفقوا في الأصل واختلفوا في الوصف والاسم!

[2] أي أن تكفير العام لا يستلزم دائماً تكفير المعين؛ لاحتمال وجود موانع التكفير المعتبرة شرعاً عند المعين التي تمنع من تكفيره أو لحوق الوعيد به، أمَّا في حال انتفاء موانع التكفير عنه، فإنَّه يجري عليه حكم الكفر الذي وقع فيه ويُكفَّر بعينه لا محالة، وعليه فإننا نقول: **من أظهر لنا الكفر -من غير مانعٍ شرعيّ معتبر يمنع من تكفيره- أظهرنا له التكفير بعينه.**

ومما يشيعه وينشره مشايخ الإرجاء -في هذا الزمان- أن التكفير ينبغي أن يكون بالعموم لا بالتعيين، مهما كان الكفر بواحاً وقد انتفت عن المعين موانعه، فانظر مثلاً ماذا يقولون في كتابهم الأثري السَّلَفي -كما زعموا- (إحكام التقرير) والذي جاء تشويهاً لعقيدة السَّلَف: (فمن قامت عنده حجة على مسلم أنه مستحل لما حرم الله من قطعيٍّ من قطعيات الشريعة، فالأقوى والأتقى أن لا يُجزم إلاَّ بتكفير القول الصادر عنه أو الفعل وما شابه، ولا يُجزم بكفر الشخص عينه، فضلاً أن يدعو النَّاس إلى تكفيره، وغير ذلك من الهوَج المتلبِّس باسم الشريعة...) إلى أن

الأقوالُ الباطِلَةُ المبتَدَعَةُ المحَرَّمَةُ المتضمِّنَةُ نَفيَ ما أثبتَهُ الرَّسُول، أو إثباتَ ما نفاهُ، أو الأمرَ بما نهى عنه، أو النَّهيَ عَمَّا أمَرَ به، يُقالُ فيها الحَقُّ، ويُثْبَتُ لها الوعيدُ الذي دَلَّت عليه النصوصُ، ويُبيَّنُ أنها كُفْرٌ، ويُقالُ: **مَنْ قالها، فهو كافِرٌ**. وأمَّا الشخصُ المُعَيَّنُ، إذا قِيلَ: هل تشهدونَ أنَّه مِن أَهْلِ الوعيدِ[1]، وأنَّهُ كافر؟ فهذا لا نشهَدُ عليه إلاَّ بأمرٍ تَجوزُ معهُ

قالوا: (فإذا انتفت هذه الاحتمالات كلها عندك -وهي جميع موانع التكفير المعتبرة وغير المعتبرة- فلا يلزم أن تنتفي عند غيرك من المسلمين، فيكفيك أن تحكم على القول أو الفعل أنه كفرٌ احتياطاً وورعاً..)!!.

فتأمل، فَهُم باسم ورعهم البارد هذا واحتياطهم المرجوح الخاطئ، يمسكون عن تكفير من يكفر على أصول جهم بن صفوان، ويريدون أن يظلَّ الكفر معلقاً عاماً لا واقع له ولا أعيان متلبسين به، وكأنهم يقولون: يوجد كفر ولكن لا يوجد كفار، وأن جهنم يوم القيامة ستمتلئ بالكفر لا بالكفار!!.

تنبيه: قد كثر الكلام -إفراطاً وتفريطاً- على موانع التكفير، فريق يوسع دائرة موانع التكفير فيدخل فيها ما ليس منها، وفريق يضيق دائرة الموانع فيخرج منها ما هو منها، ومن غير ضابط يضبط المانع المعتبر من غير المعتبر، لذا فإننا نقول: تُعرَفُ جميع موانع التكفير المعتبرة شرعاً -على اختلاف صورها وأشكالها- بضابط واحد؛ وهو **تحقيق العجز عند المخالف عن دفع الكفر الذي وقع فيه**، وأي مانعٍ لا يحقق العجز عند المخالف عن دفع الكفر الذي وقع فيه لا يعتبر مانعاً معتبراً في الشرع؛ لأنه قادر على دفع الكفر ولكنه ما فعل، والقادر محاسب ومسؤول على حسب قدرته واستطاعته، كما قال تعالى: **﴿لا يكلف اللهُ نفساً إلاَّ وسعها﴾**.

[1] يوجد فرق بين أنْ يُشهد على معين بالوعيد وأنه من أَهْل النار وبين أنْ يُشهد عليه بأنه كافر، فكل من يُشهد له بالنار والوعيد يُشهد له بالكفر، وليس كل من يُشهد له بالكفر يجوز أن يُشهد له بأنه من أَهْل النار والوعيد. وذلك أن العبرة بالخواتيم وبما يختم به على المرء، فمن كان كافراً يُشهد له بالكفر ولا يُشهد له بالنار إلاَّ إذا ختم له بالكفر، لقوله ﷺ للأعرابي: "حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار"، فقال الأعرابي: لقد كلفني رسُول الله ﷺ تعباً، ما مررت بقبر كافرٍ إلاَّ بشرته بالنار. (السلسلة الصحيحة: ١٨).

الشَّهادَةُ[1]، فإنَّه من أعظمِ البغي أن يُشهَدَ على معينٍ أنَّ اللهَ لا يَغفِرُ له ولا يرحمه، بل يُخلِّدُهُ في النار، فإنَّ هذا حُكمُ الكافرِ بَعْدَ الموت.

عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: "كانَ رَجُلانِ في بني إسرائيل مُتَواخيَيْنِ، فكان أحدهما يُذنِبُ، والآخَرُ مجتهدٌ في العبادَةِ، فكان لا يزالُ المجتَهِدُ يَرى الآخرَ على الذَّنب، فيقولُ: أَقْصِرْ، فوجدَهُ يوماً على ذَنبٍ، فقال له: أقصِرْ. فقال: خَلِّني ورَبِّي، أبُعِثْتَ عليَّ رَقيباً؟ فقال: واللَّهِ لا يَغفرُ اللهُ لكَ، أو لا يُدخِلكَ الجَنَّةَ[2]، فقبض أرواحَهُما،

فالحكم على المعين بالكفر لا يستلزم الحكم عليه بأنه من أَهْل النار والوعيد، إلاَّ على اعتبار موافاته على الكفر فحينها يشهد له بالكفر والنار، والحكم على المعين بأنه من أَهْل النار من دون تعليقه بخاتمة الكفر، يكون من ضروب التألي على الله بغير علم، إذ لا يعلم الخواتيم قبل حدوثها إلاَّ الله سبحانه وتعالى.

(1) قد تبين لك من قبل أن المعين الذي يجوز لك أن تشهد له بالكفر، هو كل من يقع في الكفر من غير مانعٍ شرعي معتبر يتحقق فيه الضابط الآنف الذكر. وكذلك يجوز لك أن تشهد على كل معينٍ يختم له بالكفر بأنه من أهل النار والوعيد للحديث الآنف الذكر وغيره.

فإنْ قيلَ: كيف يُعرف عن شخص معين أنه قد ختم له بالكفر؟. أقول: من خلال القرائن الكفرية الدالة على كفره، فإنْ مات عليها من غير توبة معروفةٍ عنه يُشهد له بالكفر والنار.

فإنْ قيلَ: كيف به إذا كانت توبته بينه وبين خالقه، ولم يعلم الخلق منه ذلك؟ أقول: يكون الحكم عليه بناء على ما يُعلم منه، حيث يحكم عليه بالكفر والخلود في النار، وهذا لا يمنع من عفو الله عنه وتوبته عليه لأن الحكم أولاً وآخراً لله تعالى الواحد القهار، وخطأنا نحن في الحكم عليه بالكفر والنار مغفور -إن شاء الله- لأنه ناتج عن علم واجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ فله أجر، ولا يعتبر ذلك من باب التألي على الله أو القول عليه بغير علم.

(2) التألي على الله تعالى بغير علم، هو الحكم على قضية بحكم واحد، وهي تحتمل عند الله تعالى العفو أو العقاب. أما من يحكم على قضية بحكم واحد وهي لا تحتمل عند الله تعالى إلاَّ هذا الحكم، فهذا لا يجوز أن يعتبر من باب التألي على الله بغير علم، بل هو من القول بقول الله ورسُوله ﷺ.

فاجتَمَعا عِندَ ربِّ العالَمين، فَقال لهذا المجتَهِدِ: أَكُنتَ بي عالِماً؟ أو كُنتَ على ما في يَدَيَّ قادِراً؟ وقال للمذنبِ: اذهَبْ فادخُلِ الجَنَّةَ برحمتي، وقال للآخر: اذهبُوا به إلى النار".

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيدِهِ، لتكلمَ بكلمة أو بقتْ دُنياهُ وآخِرَتَه[١].

ثمَّ إذا كان القولُ في نفسه كفراً، قيلَ: إنه كُفرٌ، والقائِلُ له يكفر بشروط وانتفاء موانع[٢]، ولا يكونُ ذلك إلاَّ إذا صار منافقاً زنديقاً، فلا يُتصوَّرُ أن يَكفُرَ أحدٌ من أَهْل القبلةِ المظهرين الإسلامَ إلاَّ من يكونُ منافقاً زنديقاً. فإنَّ الله صنَّفَ الخلقَ في كتابه ثلاثةَ أصنافٍ: صِنفٌ كفار من المشركين ومن أَهْل الكتاب؛ وهم الذين لا يُقرُّون بالشهادتين، وصنفٌ مؤمنون

---

[١] رواه أبو داود، وهو حديث حسن. والحديث فيه دلالة على ضرورة حفظ اللسان عما لا يعنيه، وأن هلكة ابن آدم غالباً ما تكون بسبب طول لسانه وخوضه فيما لا يعنيه، فلربَّ كلمة يقولها وهو لا يُلقي لها بالاً، ولا يظن أن تبلغ به ما بلغت، يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً، كما في الحديث: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار"، وقال ﷺ: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار"، وقال ﷺ: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها إلى النار أبعد مِمَّا بين المشرق والمغرب". وقال ﷺ: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة"، وقال ﷺ: "من قال في مؤمن ما ليس فيه، حُبس في ردغة الخبال، حتى يأتي

بالمخرج مِمَّا قال". فما بالك فيمن يقول في الله، وعلى الله ما ليس فيه وبغير علم؟!.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان.

وقال أبو الدرداء ﷺ: أنصف أذنيك من فيك، فإنما جُعلت لك أذنان وفم واحد لتسمع أكثر مِمَّا تتكلم به.

[٢] الشروط: تكمن في بلوغ الحجة الشرعية بطريقة يندفع بها الجهل عند المخالف. أمَّا انتفاء الموانع، فهي تكمن في تحقيق القدرة وانتفاء العجز عند المخالف عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه. وبالتالي فإنَّ أي امرئٍ تبلغه الحجة الشرعية، وينتفي عنه العجز عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه، فقد تحققت فيه شروط التكفير وانتفت عنه موانعه التي تمنع من تكفيره بعينه.

باطناً وظاهراً، وصنفٌ أقرُّوا به ظاهراً لا باطناً. وهذه الأقسامُ الثلاثةُ مذكورةٌ في أول سورة البقرة، وكلُّ مَنْ ثبتَ أنه كافرٌ وفي نفس الأمر كان مُقراً بالشهادتين، **فإنَّه لا يكونُ إلاَّ زنديقاً، والزنديقُ هو المنافق**(١).

---

(١) يوجد فرقٌ بين الزنديق والمنافق من حيث أن المنافق يبطن كفره ولا يظهره أو يعرف عنه ذلك، بينما الزنديق يظهر كفره الذي يعتقده، وإذا ما أُقيمت عليه الحجة والبينة على كفره، سرعان ما ينكر ويدعي الإسلام، ويتظاهر بالشهادتين لذا فالراجح أن الزنديق يُقتل ولا يُستتاب، لأن الاستتابة تكون من شيء، وهذا لا يعترف بشيءٍ، ولما قتل علي بن أبي طالب الزنادقة من دون أن يستتيبهم، سُئل عن سبب ذلك، فقال: جحدوني، أي لم يعترفوا له بكفرهم فعلام يستتيبهم.

روى أبو أدريس قال: أُتي علي ﷺ بناس من الزنادقة ارتدوا عن الإسلام، فسألهم فجحدوا، فقامت عليهم البينة العدول، قال: فقتلهم ولم يستتبهم، قال: وأُتي برجلٍ نصرانياً وأسلم، ثمَّ رجع عن الإسلام، قال: فسأله فأقرَّ بما كان منه، فاستتابه، فتركه، فقيل له كيف تستتيب هذا ولم تستتب أولئك؟ قال: إنَّ هذا أقرَّ بما كان منه، وإنَّ أولئك لم يقرُّوا وجحدوا حتى قامت عليهم البينة، فلذلك لم أستتبهم. وفي رواية قال: أتدرون لِمَ استتبت هذا النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، وأمَّا الزنادقة الذين قامت عليهم البينة جحدوني، فإنَّما قتلتهم لأنَّهم جحدوا وقامت عليهم البينة ا-هـ (عن الصارم المسلول: ٣٦٠).

قال ابن القيم في أعلام الموقعين (١٣٢/٣): ومما يدل على أن توبة الزنديق بعد القدرة لا تعصم دمه، قوله تعالى: **﴿قل هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذابٍ من عنده أو بأيدينا﴾**. قال السَّلَف في الآية: أو بأيدينا: أي القتل إن أظهرتم ما في قلوبكم. وهو كما قالوا؛ لأن العذاب على ما يبطنون من الكفر بأيدي المؤمنين لا يكون إلاَّ بالقتل، فلو قبلت توبتهم بعد ما ظهرت زندقتهم لم يكن المؤمنون أن يتربصوا بالزنادقة أن يصيبهم الله بأيديهم، لأنهم كلما أرادوا أن يعذبوهم على ذلك أظهروا الإسلام فلم يُصابوا بأيديهم قط ا-هـ.

قلت: وحكم الزندقة هذا يجري على كل من يُظهر الإسلام من وجه والكفر من وجه آخر كالعلمانيين وغيرهم من الاشتراكيين والديمقراطيين الذين يتظاهرون بالشهادتين -وكلما طلب

عن عُمرَ، أنَّ رجلاً كان على عهد النبيِّ ﷺ، كان اسمُهُ عبدَ الله، وكان يُلقَّبُ حماراً، وكان يُضحِكُ رسُولَ اللهِ ﷺ، وكان رسُولُ اللهِ ﷺ قد جلدَه من الشَّرابِ، فأُتِيَ به يوماً، فأمرَ به فجُلِدَ، فقال رجلٌ من القومِ: اللهمَّ العنهُ! ما أكثر ما يُؤتَى بهِ! فقال رسُولُ الله ﷺ: "لا تلعنهُ، فإنَّه يُحبُّ اللهَ ورسُولَه"[١].

-من عيوب أَهْل البدَعِ تكفيرُ بعضهم بعضاً بالظنّ والشبهات-

فمن عيوبِ أَهْل البِدَعِ تكفيرُ بعضِهم بعضاً، ومن ممادِحِ أَهْل العلم أنَّهم يُخطِّئون ولا يُكفِّرون[٢].

منهم- وفي المقابل يجاهرون بالكفر ويمارسونه من أوسع أبوابه، والويل كل الويل لمن يصفهم -بعد ذلك- بالكفر أو الخروج من الدين.

[١] رواه البخاري. والشاهد من الحديث أن اللعن العام لا يستلزم دائماً لعن المعين، وكذلك التكفير لاحتمال وجود موانع تمنع من لحوق الوعيد العام بالمعين، وبيان ذلك أن النبي ﷺ قد صح عنه أنه قال: "أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله ﷻ لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقيها، ومُسقيها"، وقال ﷺ: "مدمن خمر كعابد وثن"، ومع ذلك فالنبي ﷺ نهى عن لعن ذلك الرجل الذي كان يكثر من شربه للخمر لوجود حسنة عنده -وهي حبه لله ولرسوله- منعت من لحوق الحكم العام به.

وفي الحديث دلالة أيضاً وهي أن الحسنات يذهبن السيئات، ولكن ينبغي التنبيه إلى أمرٍ وهو أن الحسنات يتشفعن لصاحبها في الذنوب التي هي دون الكفر، وفي الكفر المحتمل الغير جليّ، أمَّا إذا كان الكفر جلياً بواحاً فإنَّ الحسنات لا تتشفع، ولا يمكن لها أن تقاوم الكفر البواح الذي يحبط جميع الأعمال والحسنات.

[٢] مراده أن أَهْل العلم لا يُكفِّرون إلاَّ بعد التثبت والتبين، وفي الأوجه التي لا تحتمل غير الكفر، أمَّا عند ورود الشبهات والإحتمالات وحصول الظن لا اليقين فهم يخطئون ولا يُكفِّرون، بخلاف أَهْل البدع والأهواء فإنَّهم لأدنى شبهة، وبالظن الذي لا يغني من الحق شيئاً يطلقون حكم التكفير على المعين!!

-كفرٌ عمليٌّ أصغر، أو كُفرٌ دون كُفر[1]-

بقي إشكالٌ، وهو: أنَّ الشارعَ قد سمَّى بعضَ الذنوبِ كُفراً، قال الله تعالى: **﴿ومن لم يحكُم بما أنزلَ الله فأولئك هم الكافرون[2]﴾** المائدة: ٤٤. وقال ﷺ: "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"[1]. وقال: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ"[2].

قال ابن حجر في الفتح (٣١٤/١٢): قال الغزالي: ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإنَّ استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافرٍ في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد ا-هـ.

وقد وهَمَ الشيخ الألباني في كتابه (حكم تارك الصلاة، ص ٦١) عندما نقل قول الغزالي الآنف الذكر حاذفاً كلمة (المصلين) وواضعاً مكانها كلمة (المسلمين) انتصاراً لمذهبه في تارك الصلاة!!.

[1] الكفر دون كفر هو كل قول أو عمل أطلق الشارع عليه حكم الكفر، ثمَّ في نصوص شرعية أخرى يصرف الكفر عن أصحابها ويثبت لهم صفة الإيمان. وهذا النوع من الكفر -رغم أنه يعد من الكبائر- إلاَّ أنه لا يُخرِج صاحبه من الملة، ولا يترتب عليه ما يترتب على الكفر الأكبر من خلودٍ في النار وغير ذلك.

والشارح رحمه الله ذكر النصوص المدرجة تحت العنوان، ليدلك أن الكفر يُطلق على ذنوب ومعاصٍ هي دون الكفر الأكبر الـمُخرِج عن الملة. ولكن ينبغي للقارئ أن يتنبه إلى بعض ما استدلَّ به الشارح على الكفر الأصغر أنه أحياناً يكون شاهداً على الكفر الأكبر، وبيان ذلك تتبعه في التعليق.

[2] قوله تعالى: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .. الظالمون .. الفاسقون﴾**. الأصل في هذه الآيات الثلاث إذا أطلقت أنه يراد بها الكفر الأكبر لأنها قيلت في اليهود وفيمن يجحد حكم الله تعالى، كما أُثر ذلك عن ابن عباس وغيره من أَهْل العلم.

روى أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس قال: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** إلى قوله **﴿الفاسقون﴾**، هؤلاء الآيات الثلاث نزلت في اليهود، خاصة في قريظة والنضير. (صحيح سنن أبي داود: ٣٠٥٣).

قال ابن كثير في التفسير: قال ابن عباس: أنزلها الله في الطائفتين من اليهود، ففيهم والله أنزل وإياهم عنى الله ﷻ. وقال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر. وعن البراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان، وابن عباس، وأبي مجلز، وأبي رجاء العطاري، وعكرمة، وعبيد الله بن عبد الله، والحسن البصري، وغيرهم قالوا: نزلت في أهل الكتاب، زاد الحسن البصري: وهي علينا واجبة. وعن سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم قال: نزلت هذه الآيات في بني إسرائيل ورضي الله لهذه الأمة.

والذي اختاره ابن جرير الطبري: أن الآية المراد بها أهل الكتاب، أو من جحد حكم الله المنزل في الكتاب ا-هـ.

إذاً الأصل في الآية حملها على الكفر الأكبر، وصرفها إلى الكفر الأصغر يكون طارئاً واستثناءً، وذلك عندما تحمل على حكام مسلمين يحكمون بما أنزل الله في عموم حياة النَّاس وحياتهم، وتظهر منهم القرائن اللفظية والفعلية الدالة على حبهم لحكم الله ورضاهم به، وأنهم يسعون جهد طاقتهم لتطبيقه، ثمَّ هم في مسألة أو بعض المسائل لا يحكمون فيها بما أنزل الله -على غير وجه الجحود أو الإعراض والعناد، أو الكره، أو الاستهانة بشرع الله- عن هوى أو ضعف، أو نزوة من غير تحسين، ومع اعترافهم وشعورهم بالإثم والتقصير فيما أقترفوه، وأنهم يستحقون العقوبة عليه.. فهؤلاء الحكام بصفاتهم هذه هم الذين يحمل عليهم قولَ أَهْل العلم: كفر دون كفر لاينقل عن الملة.

أمَّا الحكام الذين يرفضون حكم الله ويعرضون عنه، أو يحاربون دعاة الحكم إلى الله، أو يُشرعون التشريع الذي يضاهي شرع الله، أو يُلزمون الأمة بشرائع وقوانين من غير شرع الله، أو يقاتلون دونها من يعاديها أو يحاربها، أو يقعون في التبديل لشرع الله بشرائع الطاغوت، وكل شريعة غير شريعة الله فهي طاغوت، فهؤلاء يحمل عليهم -وجوباً- الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر، وإن لم يصرحوا بلسانهم أنهم يجحدون حكم الله في قلوبهم، لأن لسان الحال أقوى وأصرح من لسان المقال، وهو شاهد عليهم بالكفر، كما قال تعالى: ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر**﴾ التوبة: ١٧.

ومن عجائب مرجئة العصر أنهم يكثرون الجدال والذود عن طواغيت اجتمعت فيهم خصال الكفر والنفاق والزندقة، متذرعين بمقولة أَهْل العلم (كفر دون كفر)!!

ولو اقتصر هؤلاء الحكام على عدم الحكم بما أنزل الله لهان الخطب، ولوجد لتأويلات مشايخ الإرجاء نوعاً من العذر. ولكنهم -أي طواغيت الحكم- إضافة إلى ذلك فقد وقعوا في التبديل والتغيير، فأحلوا شرائع الطاغوت مكان شرع الله، وشرَّعوا من تلقاء أنفسهم فأشركوا أنفسهم مع الله في التشريع، وهم إضافة إلى ذلك يتحاكمون إلى شرائع الطاغوت، ويقاتلون دونها.

خلاصة القول: أنهم لم يحكموا بما أنزل الله، وقد بدلوا وغيروا، وشرَّعوا، وتحاكموا إلى الطاغوت.. وكل واحدة من هذه الأمور تعتبر كفراً أكبر لذاتها، فما بالك فيمن تجتمع فيه هذه الخصال، لا شك أنه كفر فوق كفر.

[1] متفق عليه. هذا الحديث حمال أوجه، فهو أحياناً يُطلق ويراد به الكفر الأكبر، وأحياناً الكفر الأصغر بحسب الدافع لقتال المسلم، فمن ساب المسلم وقاتله لدينه وإسلامه من غير تأويل مستساغ فهو كافر كفراً مخرجاً له من الملة، والحديث يُطلق ويحمل على ظاهره من غير تأويل لمعنى الكفر.

قال ابن حزم في الملل (٣/٢٣٧): فهو على عمومه، لأن قوله ﷺ ها هنا عموم للجنس، ولاخلاف في أن من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لإسلامهم **فهو كافر** ا-هـ.

وقال الشيخ ابن باز: من يستهزئ بأَهْلِ الدين والمحافظين على الصلوات من أجل دينهم ومحافظتهم عليه يعتبر مستهزئاً بالدين فلا تجوز مجالسته ولا مصاحبته بل يجب الإنكار عليه والتحذير منه، ومن صحبته وهكذا من يخوض في مسائل الدين بالسخرية والاستهزاء يعتبر **كافراً** ا-هـ.

قلت: فإذا كان الاستهزاء بالمسلم لدينه كفراً أكبر، فمن باب أولى أن يكون قتله وسجنه وتعذيبه لدينه كفراً أكبر.

أمَّا إذا كان قتاله لأمور دنيوية أو شخصية، أو لتأويل مستساغ فهذا القتال يحمل على كفر النعمة أو الكفر دون كفر، أو الكفر العملي الأصغر الذي لا يُخرِج من الملة، بدلالة نصوص كثيرة تفيد هذا الصرف والتأويل.

و"إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باءَ بها أحدُهما"[٢]. وقال: "أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافِقاً خلِصاً، ومن كانت فيه خِصلَةٌ منهنَّ كان فيه خَصلةٌ من النفاقِ حتى يدَعَها: إذا حدَّث كذَبَ، وإذا وعَدَ أَخلَفَ، وإذا عاهدَ غدَرَ، وإذا خاصمَ فجَرَ"[٣]. وقال: "لا يزني الزَّاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يَسرقُ السَّارِقُ حين يَسْرقُ وهو مؤمن، ولا يَشرَبُ الخمرَ حين يشرَبُها وهو مؤمن، والتوبةُ معروضَةٌ بَعْدُ"[٤]. وقال: "بين المسلم وبين الكفر تركُ الصلاةِ"[٥].

---

[١] متفق عليه. قلت: ويقال في هذا الحديث ما قيلَ في الحديث السابق. قال ابن حزم في الفصل (٢٣٧/٣): الحديث على ظاهره، وإنما في هذا اللفظ النهي **عن أن يرتدوا بعده إلى الكفر** فيقتتلوا في ذلك ا-هـ. فحمل الكفر الوارد في الحديث على الارتداد والكفر الأكبر، ويمكن أن يحمل على الكفر الأصغر بحسب دوافع القتال وأغراضه.

[٢] متفق عليه. قلت: تكفير المسلم أحياناً يكون كفراً أكبر، وأحياناً يكون كفراً أصغر، وأحياناً يكون عن اجتهاد خاطئ فصاحبه معذور مأجور، ومناط الأمر عائد إلى مراد المكفِّر والقرائن الدالة على مقصوده، فإنْ كان مقصوده أن يجعل الإسلام كفراً، ومعتقد الإسلام كافراً، فهذا لا شك في كفره البواح، والحديث الوارد يحمل عليه على ظاهره من غير تأويل، وإن كان غير ذلك فهو يحمل على كفر النعمة أو الكفر العملي الأصغر، وأحياناً يكون له أجر -كما تقدم- إن كان تكفيره ناتجاً عن اجتهاد وتأويل مستساغ لكنه أخطأ الحق والراجح في المسألة، كما في المسائل المختلف على كفر صاحبها عند أهل العلم، فمن أصاب الحق منهم فيها فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد، والمسألة قد استوفيناها بحثاً في كتابنا (قواعد في التكفير) فليراجع.

[٣] متفق عليه.

[٤] متفق عليه.

[٥] رواه مسلم. قلت: مسألة حكم تارك الصلاة قد بحثتها في أكثر من موضع في كتبي، فأعيد هنا ما كتبته في كتابي (الانتصار لأهل التوحيد) فأقول: الراجح في تارك الصلاة كلياً أنه كافر بيقين خارج من دين الإسلام، وذلك كله مع الإقرار بوجوبها، هذا ما نصت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة، وأقوال السَّلَف من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المهتدين، وإليك بيان ذلك:

أمَّا أدلة الكتاب، فقد قال تعالى: **﴿فإنْ تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون﴾** التوبة: ١١.

مفهوم الآية أنهم إذا لم يتوبوا من الشرك، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ليسوا إخواننا في الدين، ولا تنتفي أخوة الدين إلاَّ عن الكافرين. ولكن لما جاءت نصوص أخرى تصرف الكفر عن تارك الزكاة، كقوله ﷺ في الحديث الذي يرويه مسلم وغيره: "ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه، إلاَّ جعله الله يوم القيامة يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره، حتى يقضي الله تعالى بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مِمَّا تعدون، ثمَّ يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار"، فكونه يترك للمشيئة إما إلى الجنة وإما إلى النار، فهذا من شأن من يموت على التوحيد وليس على الكفر، لأن الكافر ليس له يوم القيامة إلاَّ النار.والشاهد أنه لما وجدت القرينة الشرعية التي تصرف الكفر عن تارك الزكاة دون تارك الصلاة، تعين القول بكفر تارك الصلاة دون تارك الزكاة.

ومن الأدلة كذلك قوله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾** القلم: ٤٢-٤٣.

وهذا وعيد بحق الكافرين والمنافقين الذين كانوا يُدْعَون في الحياة الدنيا إلى السجود لله تعالى والصلاة فيأبون، فكل من كان في الحياة الدنيا تاركاً للصلاة فهو معني بالوعيد الوارد في الآية، والنص يطاله ويشمله.

قال ابن كثير في التفسير (٤/٤٣٥): ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب ﷻ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين والمنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون ا-هـ.

وقال البغوي في التفسير: قوله ﷻ: **﴿يدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾**، يعني الكفار والمنافقون، تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود ا-هـ.

وفي الحديث الذي يرويه مسلم وغيره، وفيه أن الله تعالى يلقي في نار جهنم جميع الكفار من عبدة الأصنام وكفار أهل الكتاب وغيرهم، حتى إذا لم يبق إلاَّ من كان يعبد الله من بَر وفاجر

أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: ياربنا فارقنا النَّاس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها، فيقولون: نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلاَّ أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد نفاقاً ورياءً إلاَّ جعل الله ظهره طبقةً واحدة، كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه.

والسؤال: إذا كان هذا حال من كان يجد لله من تلقاء نفسه ومن يسجد نفاقاً، فما هو حال الذي لم يسجد لله قط، وأين مكانه؟

فالحديث يدل على أنه ألقي في نار جهنم مع الكافرين، حيث لم يبق من العباد لمعاينة ذاك المشهد العظيم إلاَّ من كان يسجد طوعاً من تلقاء نفسه، أو من يسجد نفاقاً، ولم يشاركهما صنف آخر من العباد، كما أن تارك الصلاة والسجود لم يعد ممن يعبد الله من بَر أو فاجر، فتأمل.

وفي السُّنَّة فقد صح عن النبيِّ ﷺ أنه قال في تارك الصلاة: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة".

وقال:"العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر"، وقال: "بين الكفر والإيمان ترك الصلاة". وقال: "بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك"، وقال: "آخر ما يُفْقَدُ مِنَ الدين الصلاة". فإذا فقد الصلاة لم يعد عنده شيء من الدين يبقيه في الإسلام ويبرر الحكم عليه بالإسلام. ونحوه قوله ﷺ: "آخر عرى الإسلام نقضاً الصلاة"، وقال: "بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة، فإذا ترك الصلاة فقد كفر"، وغيرها كثير من الأحاديث التي تدل على كفر تارك الصلاة.

وفي الأثر عن ابن مسعود قال: "من ترك الصلاة فلا دين له".

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "لا إيمان لمن لا صلاة له، ولا صلاة لمن لا وضوء له".

وعن حماد بن زيد عن أيوب قال: "ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه".

وعن محمد بن نصر المروزي: سمعت إسحق يقول: صح عن النبي ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك **كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر**.

وعن عبد الله بن شقيق العقيلي رضي الله عنه قال: "**كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركها كفر غير الصلاة**".

قلت: والكفر الذي يرونه هو الكفر الأكبر المخرج من الملة، بدليل أنهم يرون كثيراً من الأعمال تركها كفر أصغر لا يُخرِج من الملة.

قال ابن حزم: وقد جاء عن عمر، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وغيرهم من الصحابة ﷺ أن من ترك صلاة فرضٍ واحدة متعمِّداً حتى يخرج وقتها **فهو كافر مرتد، ولا نعلم لهؤلاء من الصحابة مخالفاً** ا-هـ.

وقال الحافظ المنذري: قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمِّداً لتركها، حتى يخرج جميع وقتها منهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وأبو الدرداء ﷺ. ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والنخعي، والحكم بن عتبة، وأيوب السختياني، وأبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، وغيرهم رحمهم الله تعالى ا-هـ. جميع ما تقدَّم من أحاديث وآثار تخصُّ تارك الصلاة هي صحيحة، انظر صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٦-٢٣٥.

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٣٠٨/٢٨): **وأكثر السَّلَف على أنه يُقتل كافراً، وهذا كله مع الإقرار بوجوبها** ا-هـ.

هذه أدلتنا في ترجيح القول بكفر تارك الصلاة، ولما رأينا أدلة المخالفين لا يمكن أن تقوم كدليل يصرف كفر تارك الصلاة كلياً إلى الكفر العملي الأصغر، كان لا بد من القول بكفر تارك الصلاة كفراً مخرجاً من الملة.

ولحسم القضية مع القوم، فإننا نقول: نحن في قولنا بكفر تارك الصلاة، قد وقفنا مع أدلة الكتاب والسُّنَّة، وجمهور الصحابة الذين لم يعلم لهم مخالف، ومع أكثر السَّلَف من بعدهم كما يقول ابن

وقال: "مَن أَتى كاهِناً فَصَدَّقَهُ، أَوْ أتى امرَأَةً في دُبُرِهَا، فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ"(١).

وقال: "مَنْ حَلَفَ بغيرِ اللهِ فقد كَفَرَ"(٢). وقال: "ثِنتَانِ فِي أُمَّتي هُما كُفرٌ: الطَّعْنُ في النَّسَبِ، والنِّياحَةُ على المَيّتِ"رواه مسلم. ونظائِرُ ذلك كثيرةٌ.

تيمية، فأي الفريقين أحق بالحق والأمن والسلامة، من كان واقفاً في قوله مع الصحابة وأكثر السَّلَف، أم من كان واقفاً في صف الخلف ومن هم دون الصحابة مكانةً وعلماً؟!!

(١) صحيح، رواه أبو داود وغيره.

(٢) رواه الحاكم، وهو صحيح. قلت: إذا كان الحلف بغير الله تعالى على وجه التعظيم والتقديس والعبادة للمحلوف به فهو شرك أكبر، وإذا كان على وجه اللغو والعادة فهو شرك أصغر. وكلا النوعين من الشرك دلت عليهما النصوص الشرعية ونص عليهما أهل العلم.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في كتابه (شرح كتاب التوحيد، ٥٩٣): فالجمهور: لا يُكَفِّر كفراً ينقل عن الملة، لكنه من الشرك الأصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره. لكن الذي يفعله عباد القبور إذا طلبت من أحدهم اليمين بالله، أعطاك ماشئت من الأيمان صادقاً أو كاذباً، فإذا طلبت منه اليمين بالشيخ أو تربته أو حياته، ونحو ذلك، لم يقدم على اليمين به إن كان كاذباً. فهذا شرك أكبر بلا ريب؛ لأن المحلوف به عنده أخوف وأجل وأعظم من الله، وهذا ما بلغ إليه شرك عباد الأصنام، لأن جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾** النحل: ٣٨. فمن كان جهد يمينه الحلف بالشيخ أو بحياته، أو تربته فهو شركاً أكبر منهم، فهذا هو تفصيل القول في هذه المسألة ا-هـ.

وقد أثر عن ابن مسعود قوله: لأنْ أحلفَ بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً.

قال الشيخ سليمان في كتابه (شرح كتاب التوحيد): فيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ا-هـ. المجردة عن صفة الكفر أو الشرك.

والجوابُ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مُتفقون كُلُّهم على أنَّ مُرتكبَ الكبيرَةِ لا يكفرُ كُفْراً ينقلُ عَن المِلَّةِ بالكُليَّةِ، كما قالت الخوارج، إذْ لو كَفَرَ كُفراً ينقلُ عنِ المِلَّةِ، لكانَ مُرْتَدّاً يُقتَلُ على كُلِّ حال، ولا يُقْبَلُ عَفوُ وليِّ القِصاص، ولا تجري الحدودُ في الزِّنى والسَّرِقَةِ، وشربِ الخمرِ، وهذا القولُ معلومٌ بُطلانُه وفسَادُهُ بالضرورَةِ مِن دينِ الإسلام.

ومتفقونَ على أَنَّهُ لا يَخرجُ من الإيمانِ والإسلام، ولا يَدْخُلُ في الكفرِ، ولا يستحقُّ الخلودَ في النَّارِ مع الكافِرين، إذْ قد جعَلَ اللهُ مرتكِبَ الكبيرَةِ مِنَ المؤمنين، قال تعالى: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ عليكم القِصاصُ في القتلى**﴾ إلى أن قال: ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِن أخيهِ شيءٌ فاتِّباعٌ بالمعروفِ**﴾ البقرة: ١٧٨. فلم يُخرِجِ القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لوليِّ القِصاص، والمرادُ أخُوَّةُ الدينِ بلا ريب، وقال تعالى: ﴿**وإن طائفتانِ مِنَ المؤمنينَ اقتَتَلُوا فأصْلِحُوا بينَهُما**﴾ الحجرات: ١٠.

ونصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماع تَدُلُّ على أنَّ الزَّاني والسَّارِقَ والقاذِفَ لا يُقتلُ، بَلْ يُقامُ عليه الحَدُّ، فدَلَّ على أنه ليس بمرتَدٍّ.

وقد ثبتَ في (الصحيح) عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: "مَنْ كانَت عندَه لأخيه مَظلمةٌ مِنْ عِرضٍ أو شيء فليَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ، قبلَ أَنْ لا يكونَ درهم ولا دينار، إن كان لَهُ عَملٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلَمَتهِ، وإن لم تكن لَهُ حسنَاتٌ، أُخِذَ مِن سَيِّئاتِ صاحبه، فَطُرِحَتْ عليه، ثمَّ أُلقي في النَّارِ"[١]. فثبت أنَّ الظالِمَ يكونُ له حسناتٌ يستوفي المظلومُ منها حَقَّهُ[٢].

قلت: ومع ذلك فالحلف بغير الله تعالى ظاهرة متفشية بين النَّاس في هذا الزمان، فالذين يحلفون بغير الله أكثر من الذين يحلفون بالله وحده، وهذا إن دل فهو يدل على اندراس التوحيد وغربته بين النَّاس.

[١] أخرجه البخاري وغيره.

[٢] وكذلك فإنَّ الظلم ظلمان: ظلم دون ظلم، وظلم أكبر يُخرِج صاحبه من الملة، وكلاهما دلت عليهما النصوص الشرعية.

وكذلك ثبتَ عن النبيِّ ﷺ، أنه قال: "ما تعدُّونَ المفلِسَ فيكم؟" قالوا: المفلِسَ فينا مَن لا درهم له ولا دينار، قال: "المفلسَ من يأتي يومَ القيامة وله حسناتٌ أمثالَ الجبالِ قد شتم هذا، وأخذَ مالَ هذا، وسفَكَ دمَ هذا، وقذفَ هذا، وضربَ هذا، فيقتصُّ هذا من حسناتِه، وهذا من حسناتِهِ، فإذا فنيتْ حسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهُمْ فطُرِحَتْ عليه، ثمَّ طُرِحَ في النار"[١] .

ومن قال من أَهْل السُّنَّة: إن الإيمانَ قولٌ وعمل يزيدُ وينقص[٢]، قال هو كفرٌ عمليٌّ[٣] لا اعتقاديٌّ، والكفرُ عنده على مراتبٍ؛ كفرٌ دونَ كفرٍ، كالإيمان عنده.

-صِفَةُ الحاكم بغيرِ ما أنزلَ اللهُ الذي يكفر كُفراً أكبر، والحاكم الذي يكفر كفراً أصغَر-

وهنا أمرٌ يجبُ أن يُتفَطَّنَ له، وهو: أنَّ الحُكمَ بغير ما أنزل اللهُ قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصيةً: كبيرة أو صغيرة[٤]، ويكون كفراً أصغر، وذلك بحسب حالِ الحاكم، فإنَّهُ

---

[١] رواه مسلم وغيره، والشاهد من الحديث أن أَهْل الكبائر ليسوا كفاراً، ولو كانوا كفاراً بذنوبهم ومعاصيهم لحبطت عنهم جميع حسناتهم، ولما أمكنهم أن يعطوا الآخرين من ذوي الحقوق عليهم شيئاً من حسناتهم.

[٢] هذا القول هو الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وأقوال السَّلَف الصالح، والمسألة سيأتي مزيد كلام عليها عند الحديث عن الإيمان.

[٣] من أطلق من أَهْل العلم على بعض الذنوب والمعاصي صفة (الكفر العملي) أرادوا به الكفر الأصغر، أو الكفر دون كفر، أو كفر النعمة. ولم يريدوا منه مطلق الكفر الظاهر على الجوارح كما فهم البعض، ودرءاً لهذا الفهم الخاطيء والاستغلال السيء أرى أن يقيد هذا الإطلاق بكلمة (الأصغر) بحيث يصبح (**الكفر العملي الأصغر**) ليتميز عن الكفر العملي الأكبر، وليشعر القارئ أن من الأعمال ما تعتبر كفراً لذاتها ولو جاءت مجردة عن الاعتقاد أو الاستحلال.

[٤] قوله "أو صغيرة" فيه نظر؛ لأن ذنباً أطلق عليه الشارع سبحانه صفة الكفر أو الشرك لا يُعتبر صغيراً، بل هو -وإن كان كفراً دون كفر- أكبر من الكبائر التي لم توصف بالكفر أو الشرك، وقد

إن اعتقد[١] أن الحكمَ بما أنزلَ اللهُ غيرُ واجبٍ، وأنَّه مخيرٌ فيه، أو استهان به مع تيقُّنِهِ أنَّهُ حكمُ اللهِ، فهذا كفرٌ أكبر[٢]، وإن اعتقدَ وجوبَ الحُكمِ بما أنزلَ اللهُ، وعَلِمَهُ في هذه

تقدم كلام أَهْل العلم في تعليقهم على أثر ابن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذباً أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقاً".

[١] الاعتقاد أمر باطني لا يعلمه إلاَّ الله تعالى، دليلنا إليه لسان القال أو لسان الحال والعمل، أو كلاهما معاً، وأحياناً يكون لسان الحال والعمل أكثر دلالة وإعراباً عما في الاعتقاد من غيره من القرائن، فالظاهر بريد الباطن ومرآة له، لذا لا يتصور ظاهر كافر مقترن بإيمانٍ حقيقي في الباطن.

[٢] ومن الصفات التي توقع الحاكم في الكفر الأكبر أيضاً، كرهه للحكم بما أنزل الله، أو معاداته ومعاداة من يطالبه بالحكم بما أنزل الله، أو إعراضه كلياً عن الحكم بما أنزل الله واستبداله بشرع آخر من شرائع الطاغوت، أو وصفه لحكم الله بالعبارات التي تنم عن الطعن والتهكم، والسخرية والاستهزاء، أو تحسينه ومدحه للحكم بغير ما أنزل الله .. فهذه حالات كل واحدة منها تكفر المتصف بها من الحكام كفراً أكبر مخرجاً عن الملة، وإليك بعض أقوال أَهْل العلم في ذلك:

١ – ابن كثير:

قال في تفسير قوله تعالى: **﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون﴾** المائدة: ٥٠. ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أَهْل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مِمَّا يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان الذي وضع لهم (الياسق)، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسُول الله ﷺ، **فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله**، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير ا–هـ.

فتأمل كيف اعتبر الحكم (بالياسق) كفراً، وأن الذي يحكم به كافر يجب قتاله، ثمَّ تأمل هل تجد فارقاً بين ياسق جنكزخان وبين ياسق القوانين الوضعية النافذة في أمصار المسلمين، التي يسهر على تنفيذها وتطبيقها طواغيت الحكم؟!

٢- أحمد شاكر:

قال معلقاً على كلام ابن كثير السابق في كتابه (عمدة التفسير: ٤؟١٧١ و ١٧٤): أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة، بل تشريع تدخله الأهواء والآراء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاؤون، لا يبالي واضعه وافق شرعة الإسلام أم خالفها..

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، **هي كفر بواح لاخفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام -كائناً من كان- في العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها.. ا-هـ.**

وقال في تعليقه على الطحاوية: وهذا -أي الكفر الأكبر- مثل ما ابتلي به الذي درسوا القوانين الأوروبية من رجال الأمم الإسلامية، ونسائها أيضاً، الذين أُشربوا في قلوبهم حُبها، والشغف بها، والذبِّ عنها، وحكموا بها، وأذاعوها، بما رُبوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين، أعداء الإسلام، ومنهم من يُصرح، ومنهم من يتوارى، ويكادون يكونون سواء ا-هـ.

٣- ابن تيمية:

قال رحمه الله في الفتاوى (٥٢٤/٢٨): ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ **فهو كافر، وهو ككفر** من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب ا-هـ.

قلت: من التسويغ لغير دين الله التسويغ والدعوة إلى الديمقراطية أو الاشتراكية أو القومية وغيرها من المنطلقات والمذاهب العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة والحياة، وتجعل الحقوق والواجبات على غير أساس رابطة الدين والعقيدة.

ثمَّ ليت طواغيت الحكم في هذا الزمان وقفوا عند حد التسويغ لشرائع الكفر والإلحاد، بل تراهم -وبكل وقاحة وجرأة على الله- يروِّجون لها، ويحسنونها في أعين النَّاس، ويأطرون الأمة أطراً إلى التحاكم إليها، والويل كل الويل لمن يعارضها، أو يتخلف عن تنفيذ أحكامها وقوانينها، أو يستهين بها .. **فأي كفرٍ يعلو هذا الكفر؟!**

٤- محمد بن عبد الوهاب:

قال رحمه الله: نُكفِّر من أشرك بالله في إلهيته بعدما نبين له الحجة على بطلان الشرك، **وكذلك نكفِّر من حسنه للناس**، أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، **وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد** -أي القبور- التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها، ونكفر من أقر بدين الله ورسوله **ثمَّ عاداه وصد النَّاس عنه** ا-هـ. (الرسائل الشخصية: ٥٨ ، ٦٠).

قلت: ونحوه الذي يقاتل دون قوانين الكفر والشرك، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها -كما هو شأن طواغيت الحكم مع الدعاة إلى الحكم بما أنزل الله- فإنه كافر أيضاً. وكذلك الذي يروجها ويحسنها ويفرضها على الأمة **فإنه كافر**.

٥- محمد بن إبراهيم بن عبد الطيف آل الشيخ:

حيث عدَّ أنواع الحكام الذين يكفرون كفراً أكبر ناقلاً عن الملة، فقال رحمه الله: **أحدهما** أن يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسُوله، وهذا ما لا نزاع فيه بين أَهْل العلم.. **فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.**

الثاني: أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسُوله حقاً، لكن اعتقد أن حكم غير الرَّسُول ﷺ أحسن من حكمه، وأتمُّ وأشملُ.. **وهذا أيضاً لا ريب أنه كفر.**

الثالث: أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسُوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله، في كونه **كافراً الكفر الناقل عن الملة.**

الرابع: أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسُوله، فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه، لكن أعتقد جواز الحكم بما يخالف حكمَ الله ورسُوله، **فهذا كالذي قبله.**

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وحكماً وإلزاماً، ومراجع ومستندات. فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسُوله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع، هي: القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السُّنَّة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، **فأي كفر فوق هذا الكفر**، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسُول الله بعد هذه المناقضة.

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمونها (سلومهم)، يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويحضون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاءً على أحكام الجاهلية، وإعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسُوله ا-هـ. (رسالة تحكيم القوانين).

قلت: من يتأمل واقع كثير من حكام هذه الأمة -بعين الإنصاف والتجرد للحق- يجد أن هذه الأنواع المكفرة الستة التي ذكرها الشيخ متوفرة فيهم جميعاً، ويتصفون بها، ويزيدون عليها خصلة الاستهانة والطعن، والتهكم والاستهزاء بشرع الله، وخصلة أخرى ثامنة وهي: كرههم وبغضهم للحكم بما أنزل الله، وخصلة تاسعة: محاربتهم واضطهادهم لمن يطالبهم بالحكم بما أنزل الله. ومع ذلك نجد -من مشايخ الإرجاء- من يتوسع لهم -رهبة أو رغبة- في التأويل والتسويغ، ويحمل عليهم مقولة: كفر دون كفر، والكفر العملي الأصغر!!!.

٦- الشنقيطي:

قال رحمه الله في التفسير (٤/٨٤): وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله ﷺ، **أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلاَّ من طمس**

الواقعة، وعدلَ عنه مع اعترافِه بأنه مستحقٌّ للعقوبَةِ، فهذا عاصٍ، ويُسمَّى كافراً كُفراً مجازياً، أو كفراً أصغر[1]، وإن جَهِلَ حُكمَ الله فيها، مع بذل جهدِهِ، واستفراغ وسعِهِ في معرفة الحكمِ وأخطأَهُ، فهذا مخطئٌ له أجرٌ على اجتهادِه، وخطؤه مغفور[1].

الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم ا-هـ.

فتأمل كيف اعتبر مجرد اتباع القوانين الوضعية كفراً وشركاً مخرجاً لصاحبه من الملة.

٧-عبد العزيز بن باز:

حيث قال: ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام النَّاس وآراءهم خير من حكم الله ورسُوله، أو تماثلها وتشابهها، **أو تركها وأحل محلها الأحكام الوضعية، والأنظمة البشرية، وإن كان معتقداً أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل.**

وقال: فمن خضع لله سبحانه وأطاعه وتحاكم إلى وحيه، فهو العابد له، ومن خضع لغيره وتحاكم إلى غير شرعه، **فقد عبد الطاغوت وانقاد له** ا-هـ. (رسالة وجوب تحكيم شرع الله).

فانظر كيف اعتبر الشيخ أن مجرد ترك الحكم بما أنزل الله، واستبداله بالأحكام الوضعية، والأنظمة البشرية، يقتضي انتفاء مطلق الإيمان عن صاحبه، وإن ادعى سلامة اعتقاده نحو شرع الله وحكمه.

ومما تقدم من نقولات لأهل العلم عن الحالات التي يكفر فيها الحاكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر ناقلاً عن الملة، تعلم خطأ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الشنيع والمتكرر في أكثر من موضع، وهو حصره لكفر الحاكم في صيغة معينة واحدة، الكامن في قوله: (فلا تستطيع أن تقول بكفره -أي الحاكم بغير ما أنزل الله- حتى يعرب عما في قلبه بأنه لا يرى الحكم بما أنزل الله ﷻ، **وحينئذٍ فقط** تستطيع أن تقول أنه كافر كفر ردة!!) فتنة التكفير: ٢٥. وهو غير كتاب (التحذير من فتنة التكفير)!!. وانظر كتابنا (الانتصار لأهل التوحيد: ١٢٨).

وعلى شرط الشيخ الوحيد هذا لا تستطيع أن تكفِّر إبليس، ومن والاه من أئمة الكفر والنفاق!!.

[1] تأمل أهكذا هم طواغيت الحكم في هذا الزمان -الذين كثر عليهم الجدال!!- حتى تحمل عليهم مقولة: كفر دون كفر أو كفر عملي أصغر؟!

-خطأ من قال: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ-

وقوله: "**ولا نقولُ لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ لِمَن عمله**"، أراد الشيخُ مخالَفَة المرجئة(٢). وشُبهتُهم كانت وقعت لبعضِ الأولين، فاتفق الصحابةُ على قتلِهم إن لم يتوبوا من

أم أنك ترى أحدهم يحكم بغير ما أنزل الله وهو يباهي غيره بتقدم قوانينه ودساتيره على كثير من القوانين والدساتير في الدول الأخرى، والويل كل الويل لمن يخالف الدستور!!

ثمَّ أين هذا الحاكم -الطيب- الذي يعترف بخطئه، وأنه عاصٍ ومستحق للعقوبة على حكمه بغير ما أنزل الله؟! ثمَّ هو بعد ذلك منقاد ومحب للحكم بما أنزل الله؟!

فليجدوه لنا أولاً ثمَّ نخوض معهم في الكفر دون كفر، فقد كثر الجدال على أمر لا واقع له.. وحمي التطاحن والخصام فيما بين الدعاة والمسلمين، وطواغيت الحكم ينظرون ويسخرون!!

ملاحظة: قولنا بانتفاء الحاكم الذي يحمل عليه الكفر الأصغر ليس على إطلاقه، وإنما أردنا به طواغيت الحكم والكفر الجاثمين على صدر ومقدرات الأمة ظلماً وعدواناً وكفراً.

وقد تقدم أن الكفر إذا جاء ذكره في آية أو حديث، لا يجوز صرفه عن ظاهره ومدلوله إلاَّ بقرينةٍ شرعية جاءت في نص آخر، تدل على أن هذا الكفر يُراد به الكفر الأصغر العملي أو الكفر دون كفر. ومن دون مراعاة هذا الضابط نفتح باب التأويل على مصراعيه لكل من يريد أن يؤوّل كل كفر إلى الكفر الأصغر أو المجازي.

(١) لقوله ﷺ في الصحيح: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمَّ أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثمَّ أخطأ فله أجر".

(٢) من عقائد المرجئة قولهم: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب مهما كان قدر هذه الذنوب، وذلك أن الإيمان عندهم لا يمكن أن يزيد أو ينقص. وهذا مغاير لكثير من النصوص الشرعية التي تبين أن الإيمان يضعف حتى يصبح كوزن الخردلة أو الذرة في القلب، بسبب ارتكاب المعاصي والذنوب.

وقد جاء في الحديث: "الإثمُ حَوازُّ القلوب"، أي يحزُّ فيها فيُضعِف ما فيها من إيمان.

وجهمية العصر قالوا بقول هو أشنع من قول المرجئة، فقالوا: لا يضر مع الإيمان كفر، ما لم يكن هذا الكفر متضمناً للتكذيب القلبي المضاد للتصديق، وهذا مغاير لكثير من النصوص الشرعية التي

ذلك، فإنَّ قُدامَةَ بن مظعون[1]شرِبَ الخمرَ بعد تحريمها هو وطائفةٌ، وتأوَّلوا[2]قولَه تعالى: **﴿ليس على الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات جناحٌ فيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقوا وآمنوا وعَمِلُوا الصالحات﴾** المائدة: ٩٣. فلما ذُكِرَ ذلك لعمر بن الخطاب ، اتَّفقَ هو وعليٌّ بنُ أبي طالب، وسائرُ الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جُلِدُوا، وإن أصرُّوا على استحلالها قُتِلُوا، وقال عمر لِقُدامة: أخطأتَ استُكَ الـحُفْرَةَ، أمَّا إنك لو اتقيتَ وآمنتَ، وعملتَ الصالحاتِ لم تشرب الخمرَ[3].

وذلك أن هذه الآيةَ نزلَت بسبب أن اللهَ سبحانه لَمَّا حرَّمَ الخمرَ، وكان تحريمُها بعد وقعة أُحُد، قال بعض الصحابَة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشرَبون الخمر؟ فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ بيَّنَ أنَّ من طَعِمَ الشيءَ في الحال التي لم يُحَرَّمْ فيها، فلا جُناحَ عليه إذا كانَ من المؤمنين المتقين الصالحين، كما كان من أمرِ استقبالِ بيتِ المقدسِ، ثمَّ إنَّ أولئك الذين فعلوا ذلك ندِمُوا وعلموا أنهم أخطأوا، وأَيِسُوا من التوبةِ! فكتب عُمرُ إلى قُدامة يقول له: **﴿حم. تنزيلُ**

تدل على عدم اجتماع الكفر والإيمان في قلب امرئٍ، وأن الشرك يحبط العمل وينفي أصل الإيمان من القلب.

[1] هو صحابي، من السابقين إلى الإسلام، شهد بدراً وأحداً، وسائر المشاهد مع رسُول الله ﷺ. ويستبعد أن تكون شبهة الإرجاء –لا يضر مع الإيمان ذنب– قد وقعت له ولمن معه من المسلمين، بدليل أنهم كانوا يشربون الخمر معتقدين حلها، وليس على أنها ذنب ثمَّ هي لا تضرهم مع ذلك.

[2] فيه أن التأويل أحياناً يكون مانعاً من موانع التكفير، وعلة ذلك أن التأويل يحدث العجز عند صاحبه عن إدراك مراد الشارع فيما قد خالف فيه، فيُعذر إلى أن تقوم عليه الحجة الشرعية التي بها يندفع العجز.

ومن دلالات قصة قدامة بن مظعون أن الحسنات لا تتشفع لصاحبها عند الكفر البواح، بخلاف ما إذا كان الكفر محتملاً ومن الأمور المتشابهة فإنَّ الحسنات تشفع وتمنع من لحوق الوعيد بالمعين.

[3] كلام عمر بن الخطاب ﷺ فيه دلالة على العلاقة المتلازمة بين الظاهر والباطن، وفيه رد على غلاة المرجئة الذين يفترضون باطناً سليماً صالحاً يواكبه ظاهر فاسد فاجر.

الكتابِ مِنَ اللهِ العزيزِ العليم. غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقاب﴾ غافر: ١-٣.

ما أدري أيُّ ذَنبكَ أعظمُ، استحلالُكَ المحرَّم أولاً أمْ يأسُكَ من رحمةِ الله ثانياً؟![١].

قولُه: "ونَرْجُو للمحسنينَ مِنَ المؤمنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدخِلَهُم الجَنَّةَ بِرَحمتِهِ[٢]، ولا نأمَنُ عَلَيْهِم[١]، ولا نَشْهَدُ لهم بالجَنَّةِ[٢]، وَنستغفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، ونخافُ عليهم، ولا نُقَنِّطُهُم[٣]".

---

[١] وذلك لأن اليأس من رحمة الله -كما سيمر معنا- كفر ينقل عن الملة، لقوله تعالى: **﴿إنه لا ييأس من روحِ الله إلاَّ القوم الكافرون﴾** يوسف: ٨٧. ومناط الكفر هنا أن اليأس نوع من أنواع الإنكار والجحود، فمن يقع في اليأس من رحمة الله كالذي ينكر أن رحمة الله ممكن أن تطاله وتشمله، ورحمة الله وسعت كل شيء.

[٢] لأنه لا أحد يدخلُ الجنة بعمله إلاَّ أن يتغمده الله برحمته وعفوه، كما في الحديث الصحيح، عن أبي هريرة ﷺ، قال: سمعتُ رسُولَ اللهِ ﷺ يقول: "لَن يُدْخِلَ أحداً عَمَلُهُ الجَنَّةَ"، قالوا: ولا أنتَ يارسولَ الله؟ قال: "ولا أَنا، إلاَّ أن يتغمدَني اللهُ بفضلٍ ورحمةٍ، فسَدِّدوا وقارِبُوا، ولا يتمنينَّ أحدُكُمُ الموتَ، إمَّا مُحسناً فلَعَلَّهُ أَن يزدادَ خيراً، وإمَّا مُسيئاً فلعَلَّهُ أن يَسْتَعْتِبَ". أي يتوب فيرجع عما يوجب العتب.

والنفي المراد به هنا أن يكون العمل ثمناً مقابلاً للفوز بالجنة ونعيمها، وهذا لا يتعارض مع كون العمل سبباً لدخول الجنة، كما قال تعالى: **﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾**؛ أي بسبب ما كنتم تعملون.

قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٨/٧٠): وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: "إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله"، قالوا: ولا أنت يارسول الله! قال: "ولا أنا، إلاَّ أن يتغمدني الله برحمة منه وفضلٍ". وقد قال تعالى: **﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾**، فهذه باء السبب؛ أي بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبيُّ ﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أي ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل

ش: قال تعالى: ﴿**أولئك الذينَ يَدعُونَ يبتغونَ إلى رَبِّهِمُ الوسيلَةَ أَيُّهُمْ أقربُ ويرجون رحمَتَهُ ويَخافونَ عذابَهُ إنَّ عذابَ ربّك كان محذوراً**﴾ الإسراء: ٥٧. ومدَحَ أَهْلَ الخوف، فقال تعالى: ﴿**إنَّ الذينَ هم مِن خشيَةِ رَبِّهم مُشفِقُون. والذينَ هم بآياتِ رَبِّهِم يؤمنون. والذين هم بِرَبِّهِم لا يُشرِكُون. والذين يؤتون ما ءَاتَوا وقلُوبُهم وجِلَةٌ أَنَّهُم إلى رَبِّهم راجعونَ. أولئك يُسارعونَ في الخيرات وهُم لها سابقون**﴾ المؤمنون: ٥٧-٦١.

لابد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات.

وفي هذا الموضع ضل طائفتان من النَّاس: فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كافٍ في حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية، والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسُله، ودينه.

وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك، وهؤلاء جهال ضلال فإنَّ الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم بخلاً له، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال: ﴿**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**﴾ اهـ.

(١) أي لا نأمن عليهم من عذاب الله ومكره، كما قال تعالى: ﴿**أفأمنوا مكرَ اللهِ فلا يأمَنُ مكرَ اللهِ إلاَّ القومُ الخاسرون**﴾ الأعراف: ٩٩.

(٢) إلاَّ من جاء فيه نص، أنه من أهل الجنة -كالعشرة- فنشهد لهم بالجَنَّةِ لورود النص، ومَن سواهم لا نشهدُ لهم بأعيانهم بالجنة، بما في ذلك من حكم على الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله، وكذلك فيه تزكية على الله، والله تعالى نهانا عن ذلك، ومنه يُعلم أيضاً بطلان الحكم على المعين بأنه شهيد من غير استثناء، وللبخاري رحمه الله في صحيحه، باب: (لا يقول فلان شهيد)، فراجعه.

(٣) أي لا نقنطهم من رحمة الله ومغفرته مهما بَلَغَت خطاياهم، فإنَّ باب التوبة مفتوح للتائب ما لم يغرغر، أو يُعاين فالله تعالى واسع المغفرة والرحمة.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: يا رسُولَ اللهِ **﴿الـذينَ يُؤتـون مـاءاتَوا وقُلـوبُهم وجِلَـةٌ﴾**، أهو الذي يزني ويَشرَبُ الخمرَ ويَسْرِق؟ قال: "لا، يا ابنَةَ الصديق، ولكنهُ الرجلُ يصومُ ويُصلي ويتصدَّقُ، ويخافُ أن لا يُقبَلَ منه"[١]

قال الحسَن : عَمِلُوا -واللهِ- بالطاعاتِ، واجتهدوا فيها، وخافوا أَنْ تُرَدَّ عليهم، إنَّ المؤمِنَ جمعَ إحساناً وخشيَةً، والمنافِقَ جمعَ إساءةً وأَمناً.

-لوازِمُ الرَّجاءِ-

ومِمَّا ينبغي أَنْ يُعْلَمَ أنَّ مَن رَجَا شيئاً، استَلْزَمَ رجاؤُهُ أُموراً: مَحبَّةُ ما يَرْجوهُ، وخَوْفُهُ مِن فواتِهِ، وسَعْيُهُ في تحصيلِهِ بحَسَبِ الإمكان.

وأمَّا رجاءٌ لا يُقارِنُه شيءٌ مِن ذلك، فهو من بابِ الأَمَانِيّ، والرجاءُ شيءٌ، والأمانيُّ شيءٌ آخر، فكلُّ راجٍ خائفٌ، والسائِرُ على الطريقِ إذا خافَ أَسْرَعَ السَيْرَ مَخَافَةَ الفواتِ.

-الاستخفافُ بالصَّغائرِ قَدْ يُلْحِقُها بالكبائرِ-

الكبيرة قد يقترنُ بها مِنَ الحياءِ والخوفِ والاستعظامِ لها ما يُلْحِقُها بالصَّغائِرِ، وقد يقترنُ بالصغيرةِ، مِن قِلَّةِ الحياءِ، وعَدَمِ المُبالاةِ، وتَرْكِ الخوفِ والاستهانةِ بها ما يُلْحِقُها بالكبائرِ[٢]، وهذا أمرٌ مَرجِعُهُ إلى ما يقومُ بالقلْبِ[٣]، وهو قَدْرٌ زائِدٌ على مُجَرَّدِ الفعل.

-الأسبابُ التي تمنع من لحوقِ الوعيد بالمعيَّن[١]-

---

[١] رواه أحمد، والترمذي، وهو حديث حسن.

[٢] وذلك يكون لعدم المبالاة بها، فهو يمارسها شبه مستحل لها، حيث لا يرى فيها ضيراً على دينه، معتقداً أنها ذنوب مغفورة -وكأنه اطلع على الغيب- فلا تُقلقُ له بالاً، وبالتالي فهي لا تضطره للتوبةِ والإستغفار.

[٣] من اطمئنان للذنب، أو من استحسانٍ له واستهانة به.

فإنَّ فاعِلَ السيئات تسقطُ عنه عقوبَةُ جهنم، بنحو عشرةِ أسبابٍ[٢]، عُرِفَت بالإستقراء من الكتاب والسُّنَّةِ.

السبب الأول: التوبةُ[٣]، قال تعالى: **﴿إلاَّ من تاب﴾** مريم: ٦٠. وقال: **﴿إلاَّ الذين تابوا﴾** البقرة: ١٦٠.

الثاني: الإستغفارُ، قال تعالى: **﴿وما كان اللهُ مُعذِّبَهم وهم يستغفرون﴾** الأنفال: ٣٣.

الثالث: الحسناتُ[٤]، فإنَّ الحسنةَ بعَشْرِ أمثالها، والسيئةَ بمثلها، فالويلُ لمن غَلبتْ آحادُهُ أعشارَهُ، قال تعالى: **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾** هود: ١١٤. وقال ﷺ: "وأَتْبِعِ السيئةَ الحسَنَةَ تمحُها"[١].

---

[١] كل مانع من موانع التكفير يُعتبر سبباً يمنع من لحوق الوعيد بالمعين، وليس كل سبب يمنع من لحوق الوعيد بالمعين يعتبر مانعاً من موانع التكفير، وإن كانت هذه الأسباب أحياناً تتشفع لصاحبها عند الكفر المحتمل غير اليقيني، بحسب قوتها، وحال الكفر المحتمل قوة وضعفاً.

[٢] هذا الكلام يُقال على وجه العموم لا التعيين، حيث لا يُجزم لمعين يأتي بسبب من هذه الأسباب بعفو الله عنه وعدم لحوق الوعيد به، فهذا أمر -لا سبيل لمخلوق إليه- مرده إلى الله تعالى وحده، فهو الذي يعفو عمن يشاء ويعذب من يشاء، ويعلم من ينال عنده القبول ممن خاب سعيه وخسر. كما أن الحكم على قضية تحتمل عند الله تعالى العفو والعقاب بحكم واحد يعتبر من ضروب التألي على الله تعالى بغير علم، لا يقدم عليه من ينشد السلامة لنفسه ودينه.

[٣] التوبة لها شروط وبحسب نوع الذنب، فمن كان ذنبه من جهة كتمانه للعلم فمن شروط توبته هنا أن يبيّن ما كتم من العلم ويصلح ما أفسد، كما قال تعالى: **﴿إلاَّ الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم﴾** البقرة: ١٦٠.

ومن كان ذنبه متعلقاً بحقوق العباد، فمن شروط قبول التوبة هنا أن يرد الحقوق إلى أصحابها قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه جاه، ولا مال ولا بنون، كما جاء في الحديث الصحيح: "من كانت عنده لأخيه مظلمةٌ من عِرْضٍ أو شيء فليتحلَّلْهُ منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار".

[٤] قد تقدم أن الحسنات تتشفع لصاحبها عند الكفر المحتمل بحسب قوتها ونوعها، كما حصل لحاطب بن أبي بلتعة البدري لما وشى إلى كفار قريش سر زحف المسلمين إليهم، أما عند الكفر

الرابع: المصائِبُ الدنيوية، قال ﷺ: "ما يُصيبُ المؤمِنَ من وَصبٍ[٢]ولا نَصَبٍ، ولا غمٍّ، ولا همٍّ، ولا حَزَنٍ حتى الشوكَة يُشاكُها، إلاَّ كَفَّرَ بها من خطاياه"[٣].

فالمصائِبُ نفسُها مكفرةٌ، وبالصبرِ عليها يُثابُ العبدُ[٤]وبالتَّسَخُّطِ يأثَمُ، فالمصيبَةُ من فعل الله لا من فِعْلِ العبدِ[٥]، وهي جزاءٌ من اللهِ للعبد على ذنبه، ويكَفِّرُ ذنبهُ بها[١].

البواح اليقيني فإنَّ الحسنات مهما عظمت لا يمكن لها أن تقاومه أو تمنع لحوقه بالمعين، كما حصل لقدامة بن مظعون لما أحلَّ شرب الخمر لنفسه ولمن معه، فإنَّ حسنة بدر العظيمة وغيرها من المشاهد العظيمة التي شارك فيها مع النبي ﷺ لم تتشفع له وتمنع من قتله لو أصر على استحلال الخمر بعد قيام الحجة عليه.

[١] حديث حسن.

[٢] الوصب: المرض والوجع، والنصب: التعب.

[٣] متفق عليه. وفي هذا المعنى قد جاءت أحاديث عديدة عن النبيِّ ﷺ، منها قوله ﷺ: "إن العبدَ إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلُغها بعمله ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثمَّ صبَّرَه على ذلك، حتى يُبلغَهُ المنزلة التي سبقت له من الله تعالى". وقوله: "ليوَدَّنَّ أَهْلُ العافية يوم القيامة أنَّ جلودهم قُرِضت بالمقاريض، لما يرون من ثواب أَهْل البلاء". وقوله: "ما من شيء يُصيبُ المؤمن في جسده يؤذيه، إلاَّ كَفَّرَ الله عنه من سيئاته". وقوله ﷺ: "إن الله تعالى يقول: إذا ابتليتُ عبداً من عبادي مؤمناً، فحمدني وصبر على ما ابتليتُه به، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا". وهي أحاديث كلها صحيحة ولله الحمد.

[٤] قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في مقدمة التفسير: أمر الله بالصبر وأثنى على الصابرين، وذكر جزاءهم العاجل والآجل في عدة آيات، نحو تسعين موضعاً، وهو يشمل أنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله، حتى يؤديها كاملة من جميع الوجوه، والصبر على محارم الله حتى ينهى نفسه الأمارة بالسوء عنها. والصبر على أقدار الله المؤلمة، فيتلقاها بصبر وتسليم، غير متسخط في قلبه، ولا بدنه ولا لسانه ا–هـ.

[٥] أي لا إختيار للعبد فيها، إلاَّ من جهة ذنوبه ومعاصيه فقد تكون سبباً لحصولها.

الخامس: عذابُ القَبْرِ.

السادس: دُعاءُ المؤمنين واستغفارُهُم، في الحياةِ وبَعدَ المماتِ.

السابع: ما يُهدَى إليه بعدَ الموتِ، مِن ثوابِ صدَقَةٍ، أو قِراءَةٍ، أو حجٍّ، ونحو ذلك.

الثامن: أهوالُ يومِ القيامَةِ وشدائِدُه.

التاسع: ما ثبت في (الصحيح): "أنَّ المؤمنينَ إذا عَبرُوا الصراطَ، وقِفُوا على قنطرَةٍ بين الجَنَّةِ والنَّارِ، فيقتَصُّ لبعضِهم مِنْ بَعْضٍ، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ في دخولِ الجَنَّةِ" رواه البخاري وغيره.

العاشر: شفاعَةُ الشافعينَ، كما تقدم.

الحادي عشر: عَفوُ أرحَمِ الرَّاحمين مِن غيرِ شفاعَةٍ، كما قال تعالى: **﴿وَيغفِرُ ما دونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ﴾** النساء: ٤٨ و١١٦.

قولُه: "والأَمْنُ[٢] والإياسُ[١] يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإسلامِ، وسبيلُ الحَقِّ بَينَهُمَا لأَهْلِ القِبْلَةِ".

---

[١] المصائب والبلايا التي تنزل بالعبد ليست كلها بسبب معاصيه وذنوبه، لتطهره من ذنوبه وآثامه، فالمصائب أحياناً تنزل لاثقال النفوس وتربيتها على الجهاد والمصابرة، وأحياناً تكون لرفع الدرجات والمقامات يوم القيامة. ثمَّ أن الأنبياء أشد الناس بلاءً ثمَّ الأمثل فالأمثل، كما دلت على ذلك السُّنَّة، فهل يقال إن شدة البلاء عليهم لمعاصيهم، ولتطهيرهم من ذنوبهم؟! حاشاهم وألف حاشاهم، وقد جاء في الحديث: "يبتلى المرء على قدر دينه، فإنْ كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه"، وقال ﷺ: "إن الصالحين يُشدَّد عليهم". وقال: "إن البلايا أسرعُ إلى من يحبنى من السيل إلى منتهاه". فعلى السائرين في الطريق أن يوطدوا أنفسهم لتلقي البلايا والمصائب، فالسائر من غير بلاء لا شك أن طريقه -ليس بطريق- قد ضل به عن جادة الحق والصواب.

[٢] هو كفرٌ ينقل عن الملة، لقوله تعالى: **﴿أفأمنوا مكرَ الله، فلا يأمن مكر الله إلاَّ القومُ الخاسرون﴾**.

ش: يجبُ أن يكونَ العبدُ خائفاً راجياً، فإنَّ الخوفَ المحمودَ الصَّادِقَ ما حالَ بينَ صاحبه وبين محارمِ الله، فإذا تجاوَز ذلك، خيفَ منه اليأس والقنوطُ. والرجاء المحمود: رجاءُ رجلٍ عَمِلَ بطاعةِ اللهِ على نورٍ من اللهِ، فهو راجٍ لثوابِهِ، أو رجلٌ أذنبَ ذنباً، ثمَّ تابَ منه إلى الله، فهو راجٍ لمغفرته، قال تعالى: **﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هاجَروا وجاهدوا في سبيلِ اللهِ أولئك يرجونَ رحمتَ اللهِ واللهُ غفورٌ رَحيم﴾** البقرة: ٢١٨.

أما إذا كان الرجلُ متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عملٍ، فهذا هو الغرورُ والتمنِّي والرجاءُ الكاذب[٢].

وقد مدحَ اللهُ أَهْلَ الخوفِ والرجاء[٣]، بقوله: **﴿أمَّن هو قانتٌ آناءَ الليل ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه﴾** الزمر: ٩. **﴿تتجافَى جنوبُهُم عن المضاجِعِ يدعون ربَّهُم خوفاً وطمعاً﴾** السجدة: ١٦. فالرجاءُ يستلزمُ الخوفَ[٤]، ولولا ذلك لكان أمناً، والخوفُ يستلزمُ الرجاءَ[٥]، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً.

---

[١] فهو كفر أيضاً، لقوله تعالى: **﴿إنه لا ييأس من روحِ الله إلاَّ القوم الكافرون﴾**.

[٢] كما هو شأن دعاة الإرجاء الذين يمنون النَّاس برحمة الله، وأن شفاعة الشافعين ستطالهم وإن لم يعملوا بشيءٍ من أركان الدين وواجباته!!.

[٣] أي الذين يجمعون في عملهم بين الخوف والرجاء؛ فهم من جهة يخافون عذاب الله وأن لا تقبل أعمالهم، ومن جهة يطمعون في رحمة الله وعفوه.

[٤] أي الرجاء الصحيح هو الذي يمازجه الخوف من أن لا تدركه الرحمة، أو أن لا تقبل أعماله، ومن دون ذلك يكون رجاؤه أقرب إلى الأمن.

[٥] كذلك فإنَّ الخوف الصحيح هو الذي يمازجه الرجاء والطمع برحمة الله وعفوه، ومن دون ذلك يكون خوفه أقرب إلى اليأس والقنوط.

وَكُلُّ أحدٍ إذا خِفتَهُ هربتَ منه، إلاَّ اللهَ تعالى فإنك إذا خِفتَهُ هربتَ إليه، فالخائفُ هاربٌ من ربه إلى ربِّه(١).

قال رسُول الله ﷺ: "يقولُ اللهُ ﷻ: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، فليَظنَّ بِيَ ما شاءَ"(٢). وقال: "لا يموتَنَّ أحدُكُم إلاَّ وهو يحسن الظنَّ بربِّه"(٣). ولهذا قيلَ: إن العبدَ ينبغي أن يكون رجاؤهُ في مرضِهِ أرجحَ من خوفِه، بخلاف زَمنِ الصَّحَّةِ، فإنه يكونُ خوفُه أرجحَ من رجائه(٤).

قولُه: " ولا يَخرجُ العبدُ من الإيمان إلاَّ بجحودِ ما أدخلَهُ فيه(٥)".

---

(١) أي هارب من عذابه وانتقامه إلى رحمته وعفوه، فهو يعوذ برحمة الله وعفوه، من غضبه وسخطه وعقابه.

(٢) رواه أحمد وغيره بسندٍ صحيح.

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) لأن المرض وبخاصة إن كان شديداً يكون في الغالب علامة على اقتراب الأجل، لذلك يستحسن تغليب الرجاء على الخوف، لتكون الخاتمة مقرونة بتحسين الظن بالله تعالى وبرحمته. بينما في زمن الصحة والعمل يكون التسويف، والرجاء، والأمل قوياً، لذا يفضل ترجيح الخوف الحافز على العمل والتوبة على الرجاء، حتى تعتدل الكفة إلى الوسطية من غير جنوحٍ إلى إفراط أو تفريط.

(٥) ظاهر القول يفيد حصر الكفر في الجحود والتكذيب، وهذا قول فيه نظر لا يُسلم به؛ لدلالة النصوص الشرعية التي تفيد أن الكفر يمكن أن يكون من غير جهة الجحود والتكذيب.

فقد يكون من جهة العناد، كما قال تعالى: ﴿**ألقيا في جهنم كل جبارٍ عنيد**﴾ ق:٢٤. وقال تعالى: ﴿**كلا إنه كان لآياتنا عنيدا**﴾ المدثر: ١٦. وهذا ككفر أبي طالب وأضرابه من أهل العناد مع علمهم أن ما جاء به محمد ﷺ حق.

وقد يكون من جهة الكبر والإباء والترفع عن متابعة الحق، ككفر إبليس وغيره من الطواغيت الذين صدهم الكبر عن متابعة الحق، قال تعالى: ﴿**إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾ البقرة: ٣٤. وقال تعالى عن الذين اشترطوا طرد المؤمنين الفقراء لدخولهم في الإيمان: ﴿**قالوا أنؤمنُ لك واتبعكَ الأرذلون. قال وما علمي بما كانوا يعملون. إن حسابهم إلا على ربي لو**

تشعرون. وما أنا بطاردِ المؤمنين﴾ الشعراء: ١١١-١١٤. وقال عن فرعون: **﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾** القصص: ٣٩. وقال: **﴿بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾** الزمر: ٥٩. وقال: **﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً﴾** النساء: ١٧٣. وغيرها كثير من الآيات التي تدل على كفر الكبر والمستكبرين، وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".

وقد يكون الكفر من جهة النفاق والزندقة، كما قال تعالى: **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** النساء: ١٤٥. وقال: **﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنَهُم اللهُ ولهم عذاب مقيم﴾** التوبة: ٦٨.

وقد يكون من جهة الكره لما أنزل الله، كما قال تعالى: **﴿والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم. ذلك بأنهم كرهوا ما أنزلَ اللهُ فأحبط أعمالَهم﴾** محمد: ٨-٩. وقال تعالى: **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم. ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزَّل الله سنطيعكم في بعض الأمر﴾** محمد: ٢٥-٢٦.

وقد يكون الكفر من جهة الطعن بالدين والاستهزاء به، كما قال تعالى: **﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** التوبة: ٦٥-٦٦.

وقد يكون من جهة التولي والإعراض عن الدين، كما قال تعالى: **﴿ومن أظلم ممن ذُكِّرَ بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾** الكهف: ٥٧. وقال: **﴿ومن أعرض عن ذِكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** طه: ١٣٤. وقال تعالى: **﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾** الأحقاف: ٣.

وقد يكون من جهة الاستحلال لما حرم الله تعالى، قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٦٧/٣): والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه **كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء** ا-هـ.

وقد يكون من جهة موالاة الكفار على المسلمين، كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ المائدة: ٥١. ومن أبلغ صور المولاة المكفرة، التعاون مع الكفار على تسليمهم المؤمنين الموحدين ليفتنوهم في دينهم.

وقد يكون الكفر من جهة الشك والظن بالله ظن الجاهلية، كما قال تعالى عن الكفار: ﴿**وإنا لفي شكٍّ مما تدعوننا إليه مريب**﴾ إبراهيم:٩. وقال: ﴿**وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين**﴾ الجاثية: ٣٢.

وفي الحديث، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة"، وفي رواية: "مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة". مفهوم الحديث أن من لقي الله بشهادتي التوحيد وهو شاك فيهما وغير مستيقن بهما، لا يدخل الجنة ولا يكون من أهلها.

وقد يكون الكفر من جهة التقليد المحض كما قال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا**﴾ البقرة: ١٧٠. وقال تعالى: ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولَو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون**﴾ المائدة: ١٠٤.

وقد يكون من جهة صرف العبادة لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ النساء: ٤٨.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على ما جاء في متن الطحاوية: هذا الحصر فيه نظر، فإن الكافر يدخل في الإسلام بالشهادتين إذا كان لا ينطق بهما، **فإن كان ينطق بهما دخل في الإسلام بالتوبة مما أوجب كفره**، وقد يخرج من الإسلام بغير الجحود لأسباب كثيرة بينها أهل العلم في باب حكم المرتد، من ذلك: طعنه في الإسلام أو في النبي ﷺ، أو استهزائه بالله ورسوله، أو بكتابه، أو بشيء من شرعه سبحانه، لقوله سبحانه: ﴿**قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**﴾ الآية. ومن ذلك عبادته للأصنام أو الأوثان، أو دعوته الأموات والاستغاثة بهم وطلبه منهم المدد والعون ونحو ذلك؛ لأن هذا يناقض قول لا إله

ش: فيه تقريرٌ لما قال أولاً: "**لا نكفِّرُ أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحله**". وتقدَّمَ الكلامُ على هذا المعنى!.

إلا الله لأنها تدل على أن العبادة حق لله وحده، ومنها الدعاء والاستغاثة والركوع والسجود والذبح والنذر ونحو ذلك، فمن صرف منها شيئاً لغير الله من الأصنام والأوثان والملائكة، والجن، وأصحاب القبور وغيرهم من المخلوقين فقد أشرك بالله، ولم يحقق قول لا إله إلا الله، وهذه المسائل كلها تخرجه من الإسلام بإجماع أهل العلم، وهي ليست من مسائل الجحود وأدلتها معلومة من الكتاب والسنة، وهناك مسائل أخرى كثيرة يكفر بها المسلم وهي لا تسمى جحوداً، وقد ذكرها العلماء في باب حكم المرتد ا-هـ.

وقال صاحب كتاب الجامع في طلب العلم الشريف: قول الطحاوي رحمه الله "**ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه**"، هذا الحصر خطأ، وهو صريح مذهب المرجئة. فإن الإيمان عندهم هو التصديق بالقلب ومنهم من لم يُدخل إقرار اللسان فيه، واعتبروه شرطاً لإجراء أحكام الإسلام عليه في الدنيا، وهم الأشاعرة والماتريدية، ومنهم من قال بل الإقرار داخل في حقيقة الإيمان، وهم مرجئة الفقهاء (الأحناف) وبعض الأشاعرة. انظر (شرح جوهرة التوحيد) للبيجوري، ص٤٦-٤٧. ولما كان الإيمان عندهم هو التصديق فلا يكفر أحد إلا بعكسه وهو التكذيب، وهو معنى قول الطحاوي: "لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود .. " ا-هـ.

وفي بيان بطلان حصر الكفر في التكذيب أو الجحود، يقول ابن تيمية في الفتاوى (٢٩٢/٧): المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق لكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك ولا أوافقك لكان كفره أعظم؛ فلما كان الكفر المقابل للإيمان ليس هو التكذيب فقط، علم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا كان الكفر، يكون تكذيباً، ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعاً بلا تكذيب، فلا بد أن يكون الإيمان تصديقاً مع موافقة وموالاة وانقياد لا يكفي مجرد التصديق ا-هـ.

وقال في الفتاوى (٧٩/٢): التكذيب أخص من الكفر، فكل مكذب لما جاءت به الرسل فهو كافر، وليس كل كافر مكذباً.. ا-هـ. أي قد يكون كفره من غير جهة التكذيب.

وقولُه: "والإيمانُ هو الإقرارُ باللِّسان، والتصديقُ بالجَنانِ[1]، وجميعُ ما صَحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ من الشرعِ والبيان كُلُّهُ حقٌّ، والإيمان واحدٌ، وأهلُهُ في

---

[1] عندما يذكر الإيمان، يُراد منه الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: "لا يدخل الجنة إلا مؤمن". وقول الماتن بأن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان، حيث استثنى منه مطلق عمل الجوارح، هو في حقيقته قول المرجئة الذين يحصرون الإيمان في الإقرار والتصديق، وهو بخلاف ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة التي تضمِّن الإيمان العمل.

قال تعالى: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ البقرة: ١٤٣، أي صلاتكم، فسمى الصلاة إيماناً، وهي عمل.

ومن حديث النبي ﷺ لوفد عبد القيس المتفق عليه، قال: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس". فسمى العمل بأركان الإسلام التي مقرها الجوارح إيماناً بالله تعالى وحده، وغيرها كثير من النصوص التي سنأتي على ذكر بعضها في موضعها المناسب إن شاء الله.

ومن أقوال السلف في المسألة قول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه: هو قولٌ وفعلٌ، ويزيد وينقص. وقوله "**قول**" أي قول القلب واللسان، وقول القلب يتضمن المعرفة والتصديق، وجميع الأعمال والعبادات القلبية كالحب، والخوف، والرجاء، والخشية، والانقياد وغيرها من الأعمال القلبية.

ونقل البخاري في صحيحه عن عمر بن عبد العزيز ما كتبه إلى المسلمين في الأمصار: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص ا-هـ.

قال ابن حجر في الفتح (٤٦/١): فالسلف قالوا هو اعتقادٌ بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان ا-هـ.

قلت: ولو قال عمل بالجوارح لكان أصح وأدق؛ لأن الإيمان يتضمن العمل بجميع الطاعات، الأركان الخمسة وغيرها من الطاعات، كما سنبينه في موضعه إن شاء الله.

وقال ابن رجب في كتابه (جامع العلوم ١/١٠٤): أنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً. وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً محدثاً: سعيد بن جبير، وميمون بن مِهران، وقتادة، وأيوب السَّختياني، وإبراهيم النخعي، والزُّهريُّ، ويحيى بن أبي كثير، وغيرهم.

وقال الثوريُّ: هو رأي محدَثٌ، أدركنا الناس على غيره، وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لايُفرقون بين الإيمان والعمل ا-هـ.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/٢٠٩): قال الشافعي ﷺ في كتاب (الأم): كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لايجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر ا-هـ.

قال الحسن البصري: لا يصح القول إلا بالعمل، ولا يصح قول وعمل إلا بنية، ولا يصح قول وعمل ونية إلا بالسنة.

وقال سفيان بن سعيد الثوري: الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولايجوز القول إلا بالعمل ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة.

وقال أحمد بن حنبل: والإيمان قول وعمل على سنة وإصابة ونية، والإيمان يزيد وينقص، وأكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.

وقال ابن جرير الطبري: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبه الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعليه مضى أَهْل الدين والفضل. (انظر جميع ما تقدم من آثار غير مخرجة شرح أصول اعتقاد أَهْل السُّنَّة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي: ١/١٥١-١٨٦).

قال ابن تيمية في الفتاوى في تفسير تباين عبارات السلف في الإيمان (٧/١٧٠-١٧١): ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السُّنَّة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح.

أصلِه سواءٌ[١]، والتفاضل بينهم بالخشيةِ والتقى، ومُخالَفَةِ الهوى، ومُلازمَةِ الأولى[١]".

فمن قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب. ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك. ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السُّنَّة ا-هـ.

والشاهد من جميع ما تقدم أن يدرك القارئ عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في الإيمان، وأن قول الطحاوي الآنف الذكر في الإيمان خطأ ومحدث وهو قول المرجئة في الإيمان.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على متن الطحاوي: هذا التعريف فيه نظر وقصور، والصواب الذي عليه أَهْل السُّنَّة والجماعة أن الإيمان: قول وعمل، واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر. وإخراج العمل من الإيمان هو قول المرجئة ا-هـ.

[١] هذا قول المرجئة، ومفاده تساوي إيمان الأنبياء والمرسلين مع إيمان الفسقة والفجرة من المسلمين، وهذا مغاير لكثير من النصوص التي تدل على تفاضل المؤمنين في إيمانهم، والتي على أساسها تتفاضل منازلهم يوم القيامة. قال تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى**﴾ الحديد: ١٠.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يبلغ الثَّدِي، ومنها دون ذلك، وعُرِض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره"، قالوا: فما أولت ذلك يارسول الله، قال: "الدين". رواه البخاري.

وفي حديث الشفاعة الصحيح، وفيه أن الله تعالى يأمر بإخراج من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ومن كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ؛ والشاهد هل يستوي إيمان هذا بإيمان من يدخل الجنة من غير حساب ممن إيمانهم يزن الجبال؟ .. كلا لا يستويان.

ش: اختلف الناسُ فيما يقعُ عليه اسمُ الإيمانِ اختلافاً كثيراً: فذهب مالكُ والشافعيُّ، وأحمدُ، والأوزاعيُّ، وإسحاقُ بنُ راهويه، وسائِرُ أَهْلِ الحديث، وأَهْلُ المدينة رحمهم الله إلى أنه تصديقٌ بالجَنانِ، وإقرارٌ باللسانِ، وعملٌ بالأركان[٢].

وقال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً"، وغيرها كثير من النصوص التي تدل على تفاضل المؤمنين في إيمانهم، والتي على أساسها تتحدد منازلهم يوم القيامة.

قال الشيخ ابن باز في تعليقه على متن الطحاوية: قوله **"والإيمان واحد وأهله في أصله سواء"** هذا فيه نظر، بل هو باطل، فليس أَهْل الإيمان فيه سواء بل هم متفاوتون تفاوتاً عظيماً، فليس إيمان الرسل كإيمان غيرهم، كما أنه ليس إيمان الخلفاء الراشدين وبقية الصحابة ﷺ مثل إيمان غيرهم، وهكذا ليس إيمان المؤمنين كإيمان الفاسقين، وهذا التفاوت بحسب ما في القلب من العلم بالله وأسمائه وصفاته، وما شرعه لعباده، وهو قول أَهْل السُّنَّة والجماعة خلافاً للمرجئة ومن قال بقولهم ا–هـ.

[١] الخشية والتقى وملازمة الأولى، هي من ثمار الإيمان ولوازمه، فالظاهر مرآة تعكس حقيقة الباطن وما وقر في القلب، وبالتالي فإن التفاضل في الآثار يستلزم التفاضل في أصل ما وقر في القلب من يقين وإيمان.

[٢] نسجل على هذا التعريف الملاحظتين التاليتين:

أولهما، أن أعمال القلب أعم وأشمل من التصديق، فمن أتى بالتصديق من دون بقية الأعمال القلبية كالحب، والخشية، والانقياد، واليقين وغيرها لا يكون مؤمناً، لذا نجد أن السلف –كما تقدم– استعاضوا في تعريفهم للإيمان عن كلمة "التصديق" بكلمة "اعتقاد في القلب" لدلالة هذا الوصف على عموم أعمال القلب التي تعتبر شرطاً لصحة الإيمان، بخلاف كلمة "التصديق" التي تعني نوعاً واحداً من أعمال القلب.

ثانياً، لو قال "عمل بالجوارح" كما أثر عن السلف، بدلاً من قوله "وعمل بالأركان" لكان أصوب وأدق؛ لأن جميع الطاعات تدخل في مسمى الإيمان وليس فقط العمل بالأركان الخمسة، والله تعالى أعلم.

وذهب كثيرٌ من أصحابنا[1]إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرارُ باللسان، والتصديقُ بالجنان.

ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركنٌ زائدٌ ليس بأصلي[2]، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتُريدي، ويُروى عن أبي حنيفة ﷺ[1].

---

[1] أي الأحناف الذين هم على مذهب الإمام أبي حنيفة، وقد تقدم أن ما ذكره الطحاوي في تعريفه للإيمان من أنه تعريف ناقص ومُحدَث، وهو بخلاف ما دلت عليه الأدلة وأجمعت عليه كلمة سلف الأمة.

[2] مفاد هذا القول حصر الإيمان في التصديق فقط، وهذا المذهب -لا نخطئ لو قلنا- هو عين مذهب جهم بن صفوان في الإيمان الذي يحصر الإيمان في العلم أو المعرفة، أو التصديق القلبي، وبالتالي فالكفر يكون عنده محصوراً في الجهل أو التكذيب القلبي!

قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/١٨٨-١٨٩): من هنا يظهر خطأ قول "جهم بن صفوان" ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان.. إلى أن قال: فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه ا-هـ.

فتأمل كيف نسب مذهب التصديقي إلى جهم ومن تابعه، وكذلك حصر الكفر في التكذيب القلبي حيث عده من مذهب جهم.

وقال ابن حزم في المحلى: إلا أن الجهمية والأشعرية، وهما طائفتان لا يعتد بهما، يصرحون بأن سب الله تعالى وإعلان الكفر ليس كفراً.. وأصلهم في هذا أصل سوء خارج عن إجماع أَهْل الإسلام، وهو أنهم يقولون: الإيمان هو التصديق فقط ا-هـ.

فتأمل كيف نسب مذهب حصر الإيمان في التصديق القلبي إلى جهم، ونحوه قول ابن تيمية في الفتاوى (١٤/١٢١): وزعم جهم ومن وافقه أنه يكون مؤمناً في الباطن وأن مجرد معرفة القلب وتصديقه يكون إيماناً يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول ولا عمل ظاهر، وهذا باطل شرعاً وعقلاً ا-هـ.

وذهب الكرَّاميَّةُ[2] إلى أن الإيمانَ هو الإقرارُ باللسان فقط، فالمنافقون عندهم مؤمنون كامِلُو الإيمان!.

وكذلك قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رده على محمد بن عباد: قولك الإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول فليس كذلك، وأبو طالب عمه جازم بصدقه، والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم في هذه المسألة ا-هـ. (الرسائل الشخصية).

والذي دعانا إلى هذا التعقيب والتفصيل وجود نفرٍ في زماننا يخوضون جدلاً عقيماً مشبوهاً حول الفارق بين المعرفة والتصديق، وهل مذهب جهم في الإيمان هو المعرفة القلبيية أم التصديق؟!!

والملفت للنظر في الأمر أن الشارح ابن أبي العز -رحمه الله- يذكر المذهب "التصديقي" في الإيمان من دون أن يتعرض له بمدح أو ذم أو نقد، واكتفى بالترحم والترضي على أصحاب هذا المذهب من دون أي تعقيب!!.

(1) قال ابن تيمية في الفتاوى (٥٤٣/٧، ٥٤٧): اختلف المرجئة في الإيمان ماهو؟ وهم اثنتا عشرة فرقة. منها الفرقة التاسعة: من المرجئة المنتسبين إلى أبي حنيفة وأصحابه، يزعمون أن الإيمان المعرفة بالله وبالرسول، والإقرار بما جاء من عند الله في الجملة دون التفسير ا-هـ.

(2) قال ابن تيمية في الفتاوى (٥٤٨/٧): الكرامية أصحاب محمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب! ا-هـ. وقد عدهم من فرق المرجئة.

قلت: رغم الفساد الظاهر لهذا القول وغرابته، فإنه المذهب السائد بين الناس وكثير من الدعاة والمشايخ في هذا الزمان!!؛ فالمرء الذي يقول لا إله إلا الله معصوم -عند القوم- عن الكفر مهما أتى من الأقوال والاعتقادات الشركية والكفرية، وعندما نناقشهم في كفر طاغوت من الطواغيت، فسرعان ما يقاطعونك بسؤالهم المكرر والمعروف: أليس يقول لا إله إلا الله.. كيف تكفر من يقول لا إله إلا الله!!

وذهب الجهم بن صفوان إلى أن الإيمانَ هو المعرفة بالقلب، وهذا القولُ أظهرُ فساداً مما قبله، فإن لازمه أن فرعون وقومَه كانوا مؤمنين، وكذلك أَهْل الكتاب وغيرهم من الكافرين، بل إبليسُ يكون عند الجهم مؤمناً، فإنه لم يجهلْ ربه بل هو عارفٌ به، **﴿قال ربِّ فأَنظِرني إلى يوم يُبعثون﴾**، والكفر عند الجهم هو الجَهلُ بالربِّ تعالى[1]، ولا أحدَ أجهل منه بربه.

فرغم عجيج الأرض بالزنادقة والملحدين والعلمانيين، فهم لا يرون كفرهم ما داموا يقولون لا إله إلا الله!!، ولا يرون حرجاً في أن يعاملوهم معاملة المسلمين في النكاح، والميراث، والممات وغير ذلك من الحقوق الخاصة بالمسلمين وحدهم، ومحاكم آخر زمان تشهد على كل ذلك!!.

يقول محمد قطب في كتابه (لا إله إلا الله عقيدة وشريعة، ص ١٥٨): وإن كنت ما زلت أعجب لرجل - طيب مفرط في الطيبة رحمه الله!!.-قال ذات يوم وهو في **موضع قيادي من العمل الإسلامي!!** : لا نكفر أحداً قال لا إله إلا الله ولو كان شيوعياً!! رحم الله القائل وغفر له!! ا-هـ.

فتأمل، فهو داعية كبير، وفي موضع قيادي من العمل الإسلامي!!، ومع ذلك لا يرى كفر الملحد الشيوعي الذي يجحد الدين كله، ويعتقد عقائد الكفر كلها ما دام -في عمره- مرة قال لا إله إلا الله!! ونحن بدورنا نعجب من ترحم الشيخ قطب المتكرر على هذا الذي لا يكفِّر الشيوعي الملحد الذي تجتمع فيه جميع مظاهر الجحود والإنكار للدين، الذي يقول لا إله إلا الله!!

فأي كرَّامية تعلو هذه الكرامية، وأي إرجاء يعلو هذا الإرجاء؟! نعوذ بالله من الكفر والخذلان.

[1] الكفر عند جهم هو الجهل أو التكذيب القلبي لأن الإيمان عنده محصور في المعرفة أو التصديق القلبي. ومن يقول بقول أَهْل السُّنَّة في الإيمان لزمه أن يقول بقولهم في الكفر، وهو أنه يكون بالاعتقاد، وبالقول، وبالعمل كما أن الإيمان يكون بالاعتقاد والقول والعمل.

وما يلزم "جهم" من باطل مذهبه -وقد أشار الشارح إلى بعضه- يلزم المذهب التصديقي، حيث لا فرق بين المذهبين كما تقدم.

والاختلافُ الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقين من أَهْل السُّنَّة اختلافٌ صُوري، ونزاعٌ لفظي[١]!!.

ولا خلافَ بين أَهْل السُّنَّةِ أن اللهَ تعالى أراد من العباد القولَ والعملَ؛ وأعني بالقول: التصديق بالقلب[٢]، والإقرار باللسان، وهذا الذي يُعنى به عند إطلاقِ قولِهم: الإيمانُ قولٌ وعمل.

وقد أجمعوا على أنه لو صَدَّق بقلبه وأقرَّ بلسانه، وامتنعَ عن العملِ بجوارحه: أنه عاصٍ لله ورسولِه، مستحقٌّ الوعيدَ[٣].

---

[١] بل هو خلاف لفظي ومعنوي وحقيقي، ولا أدل على ذلك من أن الذي يُخرج العمل من مسمى الإيمان، ويحصر أعمال القلب في التصديق والمعرفة، يكون عنده المرء مؤمناً ومن أَهْل الجنة وإن لم يأت بجنس العمل، وانتفى عنه مطلق الانقياد الظاهر والباطن -باستثناء التصديق- لشرع الله، بخلاف من يدخل العمل في مسمى الإيمان فإن ذلك يلزمه أن ينفي الإيمان عمن لم يأت بجنس العمل وأصله، الذي ينتفي عنه مطلق الانقياد الظاهر لشرع الله تعالى.

قال الشيخ ابن باز: ليس الخلاف بينهم وبين أَهْل السُّنَّة فيه لفظياً، بل هو لفظي ومعنوي، ويترتب عليه أحكام كثيرة يعلمها من تدبر كلام أَهْل السُّنَّة وكلام المرجئة ا-هـ.

[٢] قول القلب يتضمن جميع أعمال القلب من علم، وتصديق، وخشية، وحب، ورجاء، وانقياد، وخضوع، وتوكل، وإنابة وغيرها من العبادات القلبية.. وبالتالي فحصر قول القلب بالتصديق فيه نظر، وهو خطأ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

[٣] هذا الإجماع صحيح لا إشكال عليه، ولكن يخشى أن يفهم منه نفي الإجماع على كفر من لا يعمل بالتوحيد، ولم يأت بجنس العمل وأصله، أو أنه امتنع عن مطلق الانقياد -الظاهر على الجوارح- لشرع الله، لذا وجب التنبيه على كفر من تكون هذه صفته والله تعالى المستعان.

قال ابن تيمية في الفتاوى (١٤٢/٧): قال تعالى: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾**، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل. ففي القرآن والسنة من نفى الإيمان عمن لم يأت بالعمل مواضع كثيرة كما نفى فيها الإيمان عن المنافق. وأما العالم بقلبه مع المعاداة والمخالفة الظاهرة **فهذا لم يسم قط مؤمناً** ا-هـ.

وقال رحمه الله: لو قدر أن قوماً قالوا للنبي ﷺ نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بألسنتنا بالشهادتين إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلي، ولا نصوم، ولا نحج، ولا نصدق الحديث، ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك، ونأخذ أموالهم بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك، هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان، وأنتم من أَهْل شفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: **أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم** إن لم يتوبوا من ذلك ا–هـ.

وقال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾** النساء: ٦٥.

وقال تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** النساء: ٩٥.

قال ابن القيم في كتابه أعلام الموقعين (١/ ٥٠): جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزم لانتفاء الآخر ا–هـ.

وقال رحمه الله في (مفتاح السعادة: ٩٣/١): مجرد الإقرار والإخبار بصحة رسالته لا يوجب الإسلام **إلا أن يلتزم طاعته ومتابعته،** وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمة السُّنَّة أن الإيمان لا يكفي فيه قول اللسان بمجرده، ولا بمعرفة القلب مع ذلك، **بل لا بد فيه من عمل القلب وهو حبه لله ورسوله وانقياده لدينه والتزامه طاعته ومتابعة رسوله،** وهذا خلاف من زعم أن الإيمان هو مجرد معرفة القلب وإقراره، وفيما تقدم كفاية في إبطال هذه المقالة ا–هـ.

قلت: ومنه تعلم أن الخلاف بين الماتروديه والأحناف وبين أَهْل السُّنَّة في الإيمان ليس خلافاً صورياً ولفظياً كما زعم الشارح عفا الله عنه.

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** آل عمران: ٣١. هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله ا–هـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً، **فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند** كفرعون وإبليس وأمثالهما.. ا-هـ. (مجموعة التوحيد: ٨٣).

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٢٢١/٧): والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله تعالى: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾** إلى قوله: **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾**، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان ا-هـ.

وقال (٥٣٣/٧): وبهذا يظهر خطأ جهم ومن اتبعه في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة، فإن هذا ممتنع، إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلا ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة.. ا-هـ.

وقال حنبل: حدثنا الحميدي قال: وأخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ويصلي مستدبر القبلة -وهو أفضل ممن لا يصلي مطلقاً- حتى يموت، فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان مقراً بالفرائض واستقبال القبلة، فقلت: **هذا الكفر الصراح**، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلماء المسلمين، قال تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾** البينة: ٥.

وقال حنبل سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: من قال هذا **فقد كفر بالله**، وردَّ على أمره وعلى الرسول ما جاء به عن الله. (الفتاوى لابن تيمية: ٢٠٩/٧).

ومما تقدم يكفي لكي تعلم خطأ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الشنيع عندما قال: لا يوجد عندنا في الشريعة أبداً نص يصرح ويدل دلالة واضحة على أن من آمن بما أنزل الله لكنه لم يفعل بشيء مما أنزل الله، فهذا هو كافر!! ا-هـ. انظر كتابنا "الانتصار لأهل التوحيد، ص ١١٧"، فقد رددنا فيه على شبهات الشيخ في الإيمان والوعد والوعيد بما يقر عيون الموحدين إن شاء الله.

لكن فيمن يقول: إنَّ الأعمال غيرُ داخلَةٍ في مسمى الإيمان، مَن قال: لَمَّا كان الإيمانُ شيئاً واحداً، فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق، وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياءِ والمرسلينَ وجبريل وميكائيل عليهمُ السلامَ! وهذا غلُوٌّ منه، فإن الكفرَ مع الإيمانِ كالعمى مع البصر، ولا شكَّ أن البصراءَ يختلفون في قوة البصَرِ وضَعفِه، فمنهم الأخفشُ والأعشى، ومن يرى الخطَّ الثخينَ دون الرفيع إلا بزجاجةٍ أو نحوها، ومَن يرى عن قُربٍ زائدٍ على العادة، وآخرُ بضدّه[1].

فتفاوتُ نورِ لا إله إلا الله في قلوبِ أَهْلِها لا يُحصيهِ إلاَّ اللهُ تعالى[2]، فمن الناسِ مَن نورُها في قلبه كالشمسِ، ومنهم مَن نُورُها في قلبه كالكوكب الدرّي، وآخرُ كالمشعلِ العظيم، وآخر كالسِّراجِ المضيء، وآخرُ كالسراجِ الضعيفِ، ولهذا تظهر الأنوارُ يومَ القيامةِ بأيمانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نورِ الإيمان والتوحيدِ علماً وعملاً، وكُلَّما اشتدَّ نورُ هذه الكلمةِ وعَظُمَ، أحرَقَ من الشبهاتِ والشهواتِ بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصلَ إلى حالٍ لا يُصادِفُ شهوةً ولا شُبهةً ولا ذنباً إلاَّ أحرَقَهُ[3]، وهذا حال الصادِقِ في

---

[1] كما أن البصراء يختلفون في قوة البصر، كذلك المؤمنين فإنهم يختلفون في قوة إيمانهم وبصائرهم، فمنهم من يكون إيمانهم كالجبال الثقال، ومنهم من يكون إيمانه كحبة خردل أو كالذرة التي لا تُرى بالعين المجردة.

[2] لذلك لا ينبغي لطالب العلم المسلم أن يكتفي بمعرفة معنى لا إله إلا الله، ثم يحسب نفسه أنه قد استوفى التوحيد، وأعطى هذه الكلمة المباركة حقها من الاعتقاد والفهم والالتزام والعمل.. فكلمة التوحيد تعطي ثمارها كل حين بإذن الله -تواكب جميع مراحل النمو الإنساني إلى الموافاة- وعلى قدر الاعتناء بهذه الكلمة الطيبة- فهماً والتزاماً وعملاً -يكون العطاء، ويكون النفع الكبير، والخير الكثير.. نسأل الله تعالى أن يفقهنا بالتوحيد.. ويجعل حياتنا كلها قائمة على أساس التوحيد.. ويختم لنا بالتوحيد الخالص، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

[3] مصداق ذلك قوله ﷺ: "تُعرضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أُشربها نُكتت فيه نكتةٌ سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير على قلبين: أبيض

توحيده، فسماءُ إيمانه قد حُرِسَتْ بالرجومِ من كُل سارِقٍ، ومَن عَرفَ هذا عَرَفَ معنى قول النبيّ ﷺ: "إنَّ اللهَ حرَّم على النارِ مَن قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ اللهِ تعالى". وقوله: "لا يدخلُ النارَ مَن قالَ: لا إله إلا الله"[1].

-زيادةُ الإيمانِ بزيادةِ الطاعات-

وأما زيادةُ الإيمان من جهةِ الإجمالِ والتفصيل، فمعلومٌ أنه لا يجِبُ في أوَّلِ الأمر ما وجبَ بعد نزول القرآنِ كُلِّه، ولا يجبُ على كل أحدٍ من الإيمانِ المفصَّلِ مما أخبرَ به الرسولُ ما يجبُ على مَن بلغَه خَبَرُهُ، كما في حقِّ النجاشي[1]وأمثاله.

بمثل الصَّفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسودٌ مرباداً مجخياً لا يعرفُ معروفاً ولا يُنكر منكراً إلاَّ ما أُشرب من هواه". رواه مسلم.

فالمرء كلما كمل توحيده كلما اشتدت مقاومته للفتن والأهواء، والضلالات والانحرافات، وأي خرقٍ يصيب المرء في عقيدته وأفكاره أو مواقفه هو لخلل أو ضعفٍ في إيمانه وتوحيده..

وجوابنا للشباب المسلم الذي يسأل عن المخرج من هذه الفتن والأهواء الضاربة الانتشار بين المسلمين في هذا الزمان.. هو أن يستعصم بالتوحيد -بمعناه الشامل من غير انتقاص لشيء من جوانبه أو أنواعه- دراسة وفهماً، والتزاماً وعملاً؛ فالتوحيد حصن المسلم الحصين الذي يحميه ويحفظه من أي غزوٍ خارجي -مادي أو معنوي- يستهدف شخصه أو دينه وأمته.

[1] الحديث متفق عليه، وكذلك الذي قبله. ومما ينبغي التنويه له هنا أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث التي تدل على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، أو لا يدخل النار وغير ذلك، يجب أن تحمل على من قال لا إله إلا الله معتقداً بها، عالماً بمدلولاتها، فاعلاً لمقتضياتها، مجتنباً لنواقضها.. هذا ما يقتضيه التوفيق بين مجموع النصوص ذات العلاقة بالمسألة، وقد تقدم ذكر بعضها عند الحديث عن شروط لا إله إلا الله، فلتراجع.

ولو أُخِذت هذه الأحاديث مجردة عن بقية النصوص ذات العلاقة -كما هو شأن من أصابهم داء الإرجاء- للزم من يفعل ذلك أن يُدخل المنافقين والزنادقة الجنة، ويحرم عليهم النار، لأنهم يقولون لا إله إلا الله.. وهذا باطل بلا خلاف.

وأيضاً فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجبُ عليه من الإيمانِ أن يعلَمَ ما أُمِرَ به، ويؤمن بأن اللهَ أوجَبه، ما لا يجبُ على غيرِه إلاَّ مجملاً، وهذا يجبُ عليه فيه الإيمانُ المفصَّل.

وكذلك الرجلُ أول ما يُسلِمُ، إنما يجبُ عليه الإقرارُ المجملُ، ثم إذا جاءَ وقتُ الصلاة، كان عليه أن يؤمِنَ بوجوبها ويؤدِّيها، فلم يتساوَ الناسُ فيما أُمروا به من الإيمان[٢].

---

[١] من شروط العمل بلوغ العلم المتمثل في الخطاب الشرعي، فإذا لم يبلغ العلم سقط العمل؛ لأن العلم يتقدم العمل والعمل تابع له، وعذر النجاشي ﷺ فيما وقع له من التقصير من وجهين: أولهما عدم بلوغه الخطاب الشرعي الذي يُلزمه بالعمل، والثاني عجزه عن العمل فيما قد بلغه من العلم، والعجز يرفع عن صاحبه التكليف والمؤاخذة إلى حين توفر الاستطاعة لديه.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٠/٦٠): الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل، فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجباً في الأصل ا-هـ.

ومن القياسات الباطلة المشبوهة استغلال قضية النجاشي وقياس طواغيت الحكم المرتدين الذين اجتمعت فيهم جميع نواقض الإيمان على النجاشي وظروف حكمه، حتى أصبحت قضية النجاشي –وللأسف– شاهداً ودليلاً لتبرير وتسويغ كل تجاوزٍ شرعي في الحكم يمارسه الطغاة الآثمين المرتدين ومن يواليهم!!.

[٢] هذا أمر معلوم فهم لا يتساوون فيما أمروا به من الإيمان لتفاوت قدراتهم وإمكانياتهم على العمل والامتثال؛ فليس إيمان القادر على القيام بجميع فرائض الدين وأركانه كإيمان من يعجز عن القيام بكثير من فرائض الدين وأركانه، وكذلك الذي يستطيع أن يحفظ القرآن كاملاً ويملك أدوات الاجتهاد ليس إيمانه كمن يعجز عن حفظ فاتحة الكتاب ويقلد غيره في كثير من مسائل الدين، وليس إيمان المجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ولسانه، كإيمان القاعد العاجز عن الجهاد، فالأعمال والطاعات تزيد المرء إيماناً، وعلى قدر الاغتراف من هذه الأعمال يكون إيمان المرء، ولا خلاف أن الناس متفاوتون فيما يجب عليهم من الأعمال تبعاً لتفاوت قدراتهم، وبالتالي فهم متفاوتون فيما يجب عليهم من الإيمان، وهذا ما يدل عليه قول الصحابي جندب بن عبد الله، حيث قال: "كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن

وأما الزيادةُ بالعمل والتصديق المستلزِمِ لعملِ القلبِ والجوارحِ، فهو أكمل من التصديقِ الذي لا يستلزمُهُ، فالعِلمُ الذي يعمل به صاحبهُ أكملُ من العلم الذي لا يُعملُ به، فإذا لم يحصل اللازمُ دلَّ على ضعف الملزوم. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: "ليس المخبرُ كالمعاين"[1]. وموسى عليه السلام لما أُخبرَ أن قومَهُ عبدوا العجلَ لم يُلقِ الألواحَ، فلما رآهم قد عبدوه ألقاها، وليس ذلك لشكِّ موسى في خبرِ اللهِ، لكن المخبرَ وإن جزم بصدق المخْبِرِ فقد لا يتصورُ المخْبَرَ به في نفسه كما يتصورُه إذ عاينَهُ، كما قال إبراهيمُ: ﴿**ربِّ أرِني كيف تُحي الموتى قال أوَلَمْ تؤمِنْ قالَ بلى ولكن ليطمئنَّ قلبي**﴾ البقرة: ٢٦٠.

-يرتفعُ الإيمانُ عن صاحبه بسببِ معاصيه، فإن أقلعَ عادَ إليه-

ولا شكَّ أن من قام بقلبه التصديقُ الجازمُ، الذي لا يقوى على معارضَتِهِ شهوةٌ ولا شُبهةٌ، لا تقَعُ معه معصيةٌ[2]، ولولا ما حصلَ له من الشَّهوةِ والشُّبهةِ أو إحداهما، لَما

فازدَدْنا به إيمانا" صحيح سنن ابن ماجة: ٥٢. وفي الحديث دلالة على أهمية التوحيد، ووجوب تقديمه على جميع العلوم.

وعن طلحة بن عبيد الله أن رجلين من بليّ -وهو حي من قضاعة- قُتل أحدهما في سبيل الله، وأُخر الآخر بعده سنة ثم مات، قال طلحة: فرأيت في المنام الجنة فتحت، فرأيت الآخر من الرجلين دخل الجنة قبل الأول، فتعجبت، فلما أصبحت ذكرت ذلك، فبلَّغتُ رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: "أليسَ قد صام بعده رمضان، وصلى بعده ستة آلاف ركعةٍ، وكذا وكذا ركعةٍ لصلاة السُّنَّة؟" (السلسلة الصحيحة: ٢٥٩١). فتأمل كيف أن الآخر دخل الجنة قبل الأول بسبب أنه أتى من الأعمال ما لم يأتِ بها صاحبه، والله تعالى: يزيد من فضله من يشاء.

[1] صحيح، رواه أحمد وغيره. ونص الحديث: " ليس الخبر كالمعاينة، إن اللهَ عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يُلقِ الألواحَ، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواحَ فانكسرت".

[2] لو قال: الإيمان الجازم بدلاً من "التصديق الجازم" لكان أصح وأدق، لأن كفار أَهْل الكتاب، وكذلك المشركين وأبا طالب كانوا مصدقين بالنبي ﷺ وبما جاء به، ومع ذلك تصديقهم الجازم هذا ما منعهم من الكفر والعصيان وارتكاب أغلظ الذنوب. وقد تقدمت الإشارة إلى الفارق بين التصديق -كنوع من أعمال القلب- وبين الإيمان الشامل لجميع أعمال القلب والجوارح.

عصى، بل يشتغِلُ قلبُهُ ذلك الوقت بما يواقِعُه من المعصيةِ، فيغيبُ عنه التصديق[1]والوعيدُ فيعصي، فلهذا قال ﷺ: "لا يزني الزاني حِينَ يزني وهو مؤمن"[2].

قال تعالى: ﴿**فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون**﴾ النمل: ١٤.

قال ابن تيمية: في درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤٢): الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به، أو الامتناع عن المتابعة مع العلم بصدقه، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم ا-هـ.

وقال ابن القيم في مفتاح السعادة (١/٩٣): وهذا هرقل تيقن أنه رسول الله ﷺ، ولم يشك فيه، وآثر الضلال والكفر استبقاءً لملكه. ولما سأله اليهود عن التسع آيات البينات فأخبرهم بها قَبَّلوا يده، وقالوا نشهد أنك نبي، وإنا نخشى إن اتبعناك أن تقتلنا يهود، فهؤلاء تحققوا نبوته وشهدوا له بها، ومع هذا فآثروا الكفر والضلال ولم يصيروا مسلمين بهذه الشهادة، لأن مجرد الإقرار والإخبار بصحة رسالته لا يوجب الإسلام **إلاَّ أن يلتزم طاعته ومتابعته**، وإلاَّ فلو قال: أنا أعلم أنه نبي ولكن لا أتبعه ولا أدين بدينه كان من أكفر الكفار كحال هؤلاء المذكورين وغيرهم ا-هـ.

ولما سأل الأخنس أبا جهل عن النبي ﷺ قال أبو جهل: ويحك والله إن محمداً لصادق وما كذب محمد قط، وإني لأعلم أنه لنبي، ولكن متى كنا لعبد مناف تبعاً؟!

والشاهد مما تقدم أن يعلم القارئ أن التصديق الجازم لا يعصم صاحبه من الكفر والعصيان والذنوب، بخلاف الإيمان الذي يستلزم المتابعة والانقياد والطاعة.

[1] والصواب أن يقول الإيمان بدلاً من التصديق كما دل على ذلك النص.

[2] روى البخاري بسنده عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد".

قال عكرمة: قلت لابن عباس كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا -وشبك بين أصابعه ثم أخرجها- فإن تاب عادَ إليه هكذا، وشبَّكَ بين أصابعه. وقال: ينزعُ منه نور الإيمان في الزنا، فإذا زال رجع إليه الإيمان.

فهو حين يزني يغيبُ عنه تصديقُه بحُرمَةِ الزِّنى[1]!، وإن بقي أصلُ التصديق في قلبهِ، ثم يُعاودُه، فإنَّ المتقين كما وصفَهُم الله تعالى بقوله: **﴿إنَّ الذين اتَّقوا إذا مَسَّهُمْ طائفٌ من الشيطانِ تذكَّروا فإذا هم مبصرون﴾** الأعراف: ٢٠١. قال ليثٌ عن مجاهد: هو الرجلُ يهمُّ بالذنبِ، فيذكرُ اللهَ فيدَعُهُ. والشهوةُ والغضَبُ مبدأ السيئات، فإذا أبصرَ رجع، ثم قال تعالى: **﴿وإخوانُهم يمدونَهُم في الغيِّ ثم لا يُقصرون﴾** الأعراف: ٢٠٢.

أي وإِخوانُ الشياطين تمدُّهُم الشياطينُ في الغيِّ ثم لا يُقصرون. قال ابن عباس: لا الإنسُ تُقصر عن السيئات، ولا الشياطينُ تمسك عنهم. فإذا لم يُبصِر يبقى قلبُه في عمى، والشيطانُ يمدُّه في غَيِّه، وإن كان التصديق في قلبهِ لم يكذب فذلك النورُ والإبصارُ، وتلك الخشيةُ والخوفُ تخرجُ من قلبهِ، وهذا كما أن الإنسانَ يُغمضُ عينيه فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب بما يغشاهُ في رَيْنِ الذنوبِ، لا يُبصرُ الحقَّ وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ أنه قال: "إذا زنى العبدُ نُزِعَ منه الإيمانُ، فإن تابَ أُعيدَ إليه"[2].

-الإيمانُ لفظٌ يُقابلُهُ الكُفرُ[3]-

قال ابن حجر في الفتح (٥٩/١٢): "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" قيد نفي الإيمان بحالة ارتكابه له، ومقتضاه أنه لا يستمر بعد فراغه، وهذا هو الظاهر ا-هـ.

قلت: تأمل قوله ﷺ "وهو مؤمن" حيث لم يقل وهو مصدق. وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنه: "فإذا زال رجع إليه الإيمان" ولم يقل رجع إليه التصديق.

[1] هذا تكلف، وهو بخلاف منطوق الحديث الذي يدل على أن الذي يرتفع عنه الإيمان الذي يمنع صاحبه من ارتكاب الزنى، وليس التصديق!.

[2] صحيح، أخرجه أبو داود والحاكم وصححه هو والذهبي.

[3] أي لو كان لفظ الإيمان يعني التصديق فقط لقابله في الشرع لفظ التكذيب، ولكن لما لم يرد بهذه المقابلة، وقابله لفظ الكفر عُلِمَ أنه أعم من التصديق.

لم يُقابَلُ لفظُ الإيمان قطُّ بالتكذيب، كما يُقابَلُ لفظُ التصديقِ، وإنما يُقابَلُ بالكُفْر، والكفرُ لا يختصُّ بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلمُ أنكَ صادقٌ ولكن لا أتبعُكَ بل أعاديكَ وأبغضُكَ وأخالفُكَ، لكان كُفرهُ أعظمُ[1]، فعُلِمَ أن الإيمانَ ليس هو التصديقَ فقط، ولا الكفرُ هو التكذيبَ فقط[2]، بل إذا كان الكفرُ يكونُ تكذيباً، ويكون مخالَفةً ومعاداةً بلا تكذيب، فكذلك الإيمانُ يكونُ تصديقاً وموافقةً وموالاةً وانقياداً، ولا يكفي مجَّردُ التصديق.

-أحاديثُ تدلُّ على دخولِ الأعمال في مُسَمَّى الإيمان-

قال ﷺ: "الإيمانُ بِضعٌ وسَبعون شُعبةً، فأفضَلُها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريقِ"[3]، وقال: "الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان"[4]. وقال: أكملُ المؤمنين إيماناً أحسَنُهم خُلُقاً"[5]. وقال: "من رأى منكم منكراً فليغيرْهُ بيدهِ، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان". وفي لفظٍ: "ليس وراء ذلك من الإيمان حبةَ خرْدَلٍ"[6]. وقال: "البذاذَةُ من

---

[1] فيه ردٌّ على من يمنعون الكفر عمن تنتفي عنه المتابعة الظاهرة، إذا كان قد أتى بالتصديق والإقرار.

[2] فيه ردٌّ على الجهمية ومن تابعهم الذين يحصرون الكفر في التكذيب أو الاستحلال القلبي فقط، وقد تقدم ذكر الأدلة الدالة على أن الكفر يكون من غير جهة الاستحلال أو التكذيب القلبي ما يغني عن إعادتها هنا.

[3] متفق عليه. والشاهد من الحديث أن مجموع هذه الشعب التي تتضمن أعمال الظاهر والباطن تُسمى إيماناً، ومنها ما يعتبر شرطاً للصحة، ومنها ما يعتبر شرطاً للكمال.

[4] متفق عليه وهو جزء من الحديث الذي قبله.

[5] صحيح، رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم، وأحمد وغيرهم. والحديث فيه دلالة على تفاضل الناس في الإيمان كما يتفاضلون في الأخلاق.

[6] رواه مسلم باللفظين. والحديث فيه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيمان، وأنه ليس وراء إنكار المنكر بالقلب شيء من الإيمان، لأنه ليس وراء إنكار القلب إلاَّ الرضى، والرضى بالكفر كفر أكبر مخرج عن الملة. وفيه أن تغيير المنكر مُناط بجميع أفراد الأمة، وكلٌّ بحسب استطاعته، لأن "مَن" الواردة في الحديث تفيد العموم؛ أي كل من يرى المنكر. وفيه أن من يغير المنكر بيده يكون

الإيمان"[١]. وروى الترمذيُّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من أحبَّ للهِ، وأبغضَ للهِ، وأعطى للهِ، ومنعَ للهِ فقد استكمل الإيمان"[٢]. إلى غير ذلك من الأحاديثِ الدالَّةِ على قوةِ الإيمان وضَعْفِه بحسبِ العمل.

فإذا كانَ الإيمانُ أصلاً له شُعَبٌ متعدِّدَةٌ، وكلُّ شُعبةٍ منها تُسمى إيماناً؛ فالصلاةُ من الإيمان[٣]، وكذلك الزكاةُ والصومُ والحجُّ، والأعمالُ الباطنةِ؛ كالحياءِ والتوكلِ والخشيةِ من اللهِ والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشُّعَب إلى إماطَةِ الأذى عن الطريق فإنه مِن شُعَبِ الإيمان، وهذه الشُّعَب منها ما يزولُ الإيمانُ بزوالها، كشعبَةِ الشهادَةِ، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك

أقوى إيماناً ممن يغير المنكر بلسانه، وأن من يغير المنكر بلسانه أقوى إيماناً ممن ينكر المنكر بقلبه، وأن إنكار المنكر في القلب هو أضعف درجات الإيمان.

[١] حسن، رواه أبو داود وغيره. والبذاذة تعني: القصد في اللباس والتواضع، وعدم الإسراف والمباهات الذي يكون مدعاة للكبر والتفاخر والعجب. ولا ينبغي أن يفهم من "البذاذة" إهمال نظافة البدن والثوب -كما يفعل ذلك بعض الجهلة- فالله تعالى جميل يحب الجمال، والنظافة والطهور من الإيمان.

[٢] صحيح. قلت: الموالاة والمعاداة في الله ولله شرط لصحة الإيمان؛ لأن المحبوب لذاته هو الله تعالى وحده، لا يجوز أن يشركه في ذلك أحدٌ من خلقه، قال ابن تيمية في الفتاوى (١٠/٢٦٧): لا يجوز أن يُحب شيء من الموجودات لذاته إلاَّ هو سبحانه وبحمده، فكل محبوب في العالَم إنما يجوز أن يُحب لغيره لا لذاته، والرب تعالى هو الذي يجب أن يُحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته ﴿**ولو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا**﴾، فإن محبة الشيء لذاته شرك فلا يُحب لذاته إلاَّ الله، فإن ذلك من خصائص إلهيته، فلا يستحق ذلك إلاَّ الله وحده، وكل محبوب سواه لم يُحب لأجله فمحبته فاسدة ا-هـ.

[٣] قد سمى الله تعالى الصلاة إيماناً، بقوله: ﴿**وما كان اللهُ ليضيعَ إيمانكم**﴾، أي صلاتكم نحو بيت المقدس. وإذا كانت الصلاة تعد شعبةً من شعب الإيمان، فإنها تعتبر شرطاً لصحته، حيث ينعدم الإيمان بانعدامها، وقد تقدم ذكر الأدلة التي ترجح كفر تارك الصلاة كلياً ما يغني عن إعادتها هنا.

إماطة الأذى عن الطريق، وبينهُما شُعَبٌ متفاوتةٌ تفاوتاً عظيماً، منها ما يَقْرُبُ من شعبةِ الشهادَةِ، ومنها ما يقربُ من شعبةِ إماطة الأذى[١]، وكما أنَّ شُعَبَ الإيمان إيمانٌ، فكذا شعَبُ الكفر كفرٌ، فالحكم بما أنزلَ اللهُ -مثلاً- من شُعَبِ الإيمانِ، والحكم بغير ما أنزلَ اللهُ كُفْرٌ.

قال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمنّي، ولكنهُ ما وقرَ في الصدرِ، وصدَّقتهُ الأعمالُ[٢].

-صلاحُ الظاهِرِ مِن صَلاحِ الباطنِ[٣]-

[١] كل فعل أو قول تركه كفر فالقيام به شرط لصحة الإيمان، وكذلك كل فعل أو قول هو كفر فتركه يعتبر شرطاً لصحة الإيمان، وقد أجملت هذا المعنى في قاعدة -لم يتسنى لي شرحها في كتابي قواعد في التكفير- تقول: "**كل شيء فعله من شروط التوحيد فتركه من نواقض الإيمان، والعكس كذلك كل شيء فعله من نواقض الإيمان فتركه شرط لصحة الإيمان**". ومن يتأمل أدلة الشريعة ذات العلاقة بالقاعدة لا يتردد لحظة في الجزم من صحة هذه القاعدة.

[٢] فيه أن التصديق يكون بالعمل الظاهر على الجوارح، كما يكون في القلب؛ وبالتالي فإن حصر التصديق في القلب فيه نظر، قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٩٣/٧): الأفعال تسمى تصديقاً كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ذلك ويشتهي، والفرْج يصدق ذلك أو يكذبه". وكذلك قال أَهْل اللغة وطوائف من السلف والخلف. فالعمل يصدق أن في القلب إيماناً، وإذا لم يكن عمل **كذب أن في قلبه إيماناً**، لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم ا-هـ.

[٣] وبالتالي فإن فساد الجوارح من فساد القلب، فالباطن أصل والظاهر فرع له، وكل منهما يدل على الآخر، ويؤثر فيه. ومن الأدلة التي تدل على أثر الظاهر على القلب قوله ﷺ: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة -وفي رواية إذا أذنب ذنباً- نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا نزع واستغفر وتاب سَقُل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾". صحيح سنن الترمذي: "٢٦٥٤".

لاشكَّ أنه يلزمُ من عَدمِ طاعةِ الجوارح عَدَمُ طاعَةِ القلب، إذْ لو أطاعَ القلبُ وانقادَ لأطاعتِ الجوارحُ وانقادَتْ، ويَلْزَمُ من عَدَمِ طاعةِ القلبِ وانقيادِه عدَم التصديق المستلزِمِ للطاعَةِ، قال ﷺ: "إن في الجسد مُضغةً إذا صلَحَتْ صلحَ لها سائرُ الجسَدِ، وإذا فسدَت فسَدَ لها سائرُ الجسَدِ، ألا وهي القلبُ"(١) . فمن صَلَحَ قلبُهُ صلَحَ جسَدُه قطعاً، بخلاف العكس(١).

---

(١) متفق عليه. قال ابن تيمية في الفتاوى (١٢٠/١٤ – ١٢١): وهنا أصول تنازع الناس فيها، ومنها أن القلب هل يقوم به تصديق أو تكذيب ولا يظهر قط منه شيء على اللسان والجوارح، وإنما يظهر نقيضه من غير خوفٍ؟ فالذي عليه السلف والأئمة وجمهور الناس أنه لابد من ظهور موجب ذلك على الجوارح، فمن قال: أنه يصدق الرسول ويحبه ويعظمه بقلبه ولم يتكلم قط بالإسلام ولا فعل شيئاً من واجباته بلا خوف، فهذا لا يكون مؤمناً في الباطن، **وإنما هو كافر**.

وزعم جهم ومن وافقه أنه يكون مؤمناً في الباطن، وأن مجرد معرفة القلب وتصديقه يكون إيماناً يوجب الثواب يوم القيامة بلا قول ولا عمل ظاهر، **وهذا باطل شرعاً وعقلاً وقد كفَّر السلف كوكيع وأحمد وغيرهما من يقول بهذا القول**، وقد قال النبي ﷺ: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"، فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد، وإذا كان الجسد غير صالح دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح، فعلم أن من يتكلم بالإيمان ولا يعمل به لا يكون قلبه مؤمناً؛ وذلك أن الجسد تابع للقلب فلا يستقر شيء في القلب إلاَّ ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه ا–هـ.

وقال رحمه الله في الفتاوى (٢٧٣/١٨): فالظاهر والباطن متلازمان، لا يكون الظاهر مستقيماً إلاَّ مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر ا–هـ.

وقال (٢٢١/٧): والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه، كقوله تعالى: **﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين﴾** إلى قوله: **﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا**

وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾، فنفى الإيمان عمن تولعن طاعة الرسول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم سمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان ا-هـ.

وقال (٥٣٣/٧): وبهذا يظهر **خطأ جهم ومن اتبعه** في زعمهم أن مجرد إيمان بدون الإيمان الظاهر ينفع في الآخرة، فإن هذا ممتنع إذ لا يحصل الإيمان التام في القلب إلاَّ ويحصل في الظاهر موجبه بحسب القدرة، فإن من الممتنع أن يحب الإنسان غيره حباً جازماً وهو قادر على مواصلته ولا يحصل منه حركة ظاهرة إلى ذلك ا-هـ.

وقال (١٨٧/٧): فإذا كان فيه -أي القلب- معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب. فإذا كان القلب صالحاً بما فيه من الإيمان علماً وعملاً قلبياً، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أَهْل الحديث: قول وعمل؛ قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد، ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ا-هـ.

ومما تقدم تعلم خطأ الذين تابعوا جهماً في كثير من أقواله في الكفر والإيمان، حيث يفترضون وجود إيمانٍ نافع في القلب يرافقه ظاهر كافر متمرد على طاعة الله. ومن ذلك قول الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -والذي تابعه عليه كثير ممن يقلدوه! -في شريطه المعروف بـ "الكفر كفران!": فإن كان القلب مؤمناً **والعمل كافراً**، فهنا يتغلب الحكم المستقر في القلب على الحكم المستقر في العمل.. لا يوجد عندنا في الشريعة أبداً نص يصرح ويدل دلالة واضحة على **أن من آمن بما أنزل الله لكنه لم يفعل بشيء مما أنزل الله فهذا هو كافر**.. لا يجوز سحب هذه الآية **-ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون-** على أولئك المسلمين لأنهم يختلفون عن المشركين بأنهم آمنوا بما أنزل الله لكن إيمانهم بما أنزل الله **لم يقترن به العمل!**، بينما أولئك الكفار جحدوا ما أنزل الله قلباً وقالباً.. لكننا نفرق بين الكفر المقصود قلباً وبين الكفر الذي لم يقصد قلباً. وإنما قالباً وفعلاً.. انتهى الاقتباس من الشريط. وغيرها كثير من العبارات التي تدل على أن كلاً من القلب والجوارح يتحرك بمفرده وبطريقته المستقلة والمنعزلة عن الآخر! فهومؤمن في قلبه لكنه كافر في ظاهره.. فتأمل!!.

ومن إطلاقاته الغريبة في ذلك قوله في السلسلة (٦/١١١-١١٢): فلا يجوز حمل هذه الآيات -ومن لم يحكم بما أنزل الله.. - على بعض الحكام المسلمين وقضاتهم الذين يحكمون بغير ما أنزل الله من القوانين الأرضية، أقول: لا يجوز تكفيرهم بذلك وإخراجهم من الملة إذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله، وإن كانوا مجرمين بحكمهم بغير ما أنزل الله، لا يجوز ذلك، لأنهم وإن كانوا كاليهود من جهة حكمهم المذكور، فهم مخالفون لهم من جهة أخرى، ألا وهي إيمانهم وتصديقهم بما أنزل الله، بخلاف اليهود الكفار، فإنهم كانوا جاحدين له كما يدل عليه قولهم المتقدم: "وإن لم يعطكم حذرتموه فلم تحكموه"، بالإضافة إلى أنهم ليسوا مسلمين أصلاً، وسر هذا أن الكفر قسمان، اعتقادي وعملي، **فالاعتقادي مقره القلب، والعملي محله الجوارح!!** ا-هـ.

فتأمل، فهم -أي الحكام- في الباطن مؤمنون بما أنزل الله، ومع ذلك فهم في الظاهر كاليهود لا يحكمون بما أنزل الله.. وهذا لا يستلزم عند الشيخ ومن تابعه تكفيرهم، لأن باطنهم -وإن جاء مخالفاً لظاهرهم الكافر- مستقر على التصديق والإيمان..!!

والشيخ عندما يقسم الكفر إلى كفرين، فهو لا يريد تقسيم أَهْل السُّنَّة الذين قسموا الكفر إلى كفر أكبر وكفر أصغر، وإنما يريد تقسيم جهم بن صفوان ومن تابعه من غلاة المرجئة للكفر؛ كفر باطن مقره القلب وهو الذي يخرح من الملة، وكفر ظاهر مقره الجوارح لا يخرج صاحبه من الملة مهما كان بواحاً.

وإليك بعض أقواله في ذلك مقتبسة من شريطه "الكفر كفران! " حيث قال: الكفر الاعتقادي يختلف عن الكفر العملي من حيث **أنه كفر قلب**ي، أما الكفر العملي ليس كفراً قلبياً وإنما هو كفر عملي!.. هل انتبهت سابقاً أو لاحقاً في هذه الجلسة **أن الكفر عمل قلبي وليس عمل بدني!!** هل انتبهت لهذا أم لا!! .. ا-هـ.

وقد رددنا على هذا الشريط المذكور - لما فيه من الطامات- بمصنف مطبوع يزيد عن المائتي صفحة، فليراجعه من يشاء.

[1] قوله "بخلاف العكس" أي أحياناً يستلزم صلاح الجسد صلاح القلب ويدل عليه، ولكن ليس على الاطلاق ووجه الجزم لاحتمال النفاق، حيث أن المنافق يُظهر من الأعمال الصالحة ما ليس

-الإيمانُ يزدادُ وينقصُ[1]-

قال تعالى: ﴿**وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتهم إيماناً**﴾ الأنفال: ٣. ﴿**ويزيدُ اللهُ الذين اهتدَوا هُدَىً**﴾ مريم: ٧٦. ﴿**ويزدادُ الذينَ آمنوا إيماناً**﴾ المدثر: ٣١. ﴿**هو الذي أنزل السكينةَ في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً معَ إيمانِهم**﴾ الفتح: ٤. ﴿**وإذا ما أُنزلَت سورةٌ فمنهم مَنْ يقولُ أيُّكُم زادَتْهُ هذه إيماناً فأما الذينَ آمنوا فزادَتْهُمْ إيماناً وهم يستبشرون. وأما الذين في قُلوبِهِم مرضٌ فزادَتْهُم رِجساً إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون**﴾ التوبة: ١٢٤-١٢٥.

وقد وصفَ النبيُّ ﷺ النساءَ بنقصانِ العقلِ والدين[1].

في قلبه من الاعتقاد والكفر، ومع ذلك فإن المنافق لا نستطيع أن نحكم على صلاح ظاهره كما لو كان سليم الباطن والاعتقاد، حيث أن القرائن العملية الدالة على كفره ونفاقه لا بد من أن تظهر بين الفينة والأخرى من خلال فلتات اللسان أو المواقف التي لا يمكن له أن يتجنبها أو يتجاوزها بحكم انقياده لاعتقاده الفاسد في الباطن.

وقد تقدم قول ابن تيمية: وذلك أن الجسد تابع للقلب فلا يستقر شيء في القلب إلاَّ ظهر موجبه ومقتضاه على البدن ولو بوجه من الوجوه ا-هـ.

قلت: فمن استقر في قلبه النفاق، لابد من أن يظهر نفاقه على جوارحه وفي مواقفه ولو بوجه من الوجوه. ومنه تعلم أن صلاح ظاهر المنافق لا يتساوى مع صلاح ظاهر المؤمن الصادق في إيمانه.

[1] أي يزداد بالطاعات، وينقص بالذنوب والمعاصي، ومن لوازم هذا القول التسليم بأن المعاصي والذنوب تؤثر على الإيمان ضعفاً وسلباً بحسب نوعها وكمها، حيث كلما كبرت الذنوب وكثرت كلما ضعف الإيمان، فكبائر الذنوب تضعف الإيمان أكثر من الصغائر، والكفر أو الشرك أثره على الإيمان أشد من اجتماع الكبائر كلها معاً.

وبالتالي من يقول: الإيمان يزداد وينقص يلزمه أن يميز بين الشرك وغيره من الذنوب من حيث أثرها على الإيمان ضعفاً وقوةً، ومن لا ينفي الإيمان بالشرك إلاَّ بعد ممارسته على وجه الاستحلال القلبي، فهو في حقيقته يسوي بين الشرك وغيره من المعاصي من حيث أثرها على الإيمان، وهو يناقض قوله: أن الإيمان يزيد وينقص، وإن زعم بلسانه خلاف ذلك.

وقال ﷺ: "لا يؤمنُ أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولَدِهِ ووالِدِهِ والناسِ أجمعين"(٢). والمراد نفي الكمال(٣). ونظائرُ كثيرةٌ، وحديثُ شُعبِ الإيمانِ، وحديث الشفاعَةِ، وأنه يخرجُ مِنَ النارِ من في قلبهِ أدنى أدنى مثقالِ ذَرَّةٍ من إيمانٍ.

فكيف يُقال بعد هذا إن إيمانَ أَهْلِ السماواتِ والأرض سواء؟! وإنما التفاضلُ بينهم بمعانٍ أُخر غيرِ الإيمان(٤).

---

(١) أخرجه مسلم. وتمام الحديث: عن ابن عمر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "يا معشرَ النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أَهْل النار"، قالت امرأةٌ منهنَّ جزلة: ومالنا يارسولَ الله أكثر أَهْل النار؟ قال: "تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيتُ ناقصاتُ عقلٍ ودين أغلب لذي لبٍّ منكن" قالت: يارسولَ اللهِ وما نقصان العقل والدين؟ قال: "أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي وما تصلي، وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين".

(٢) متفق عليه.

(٣) والصواب: أن هذا الحديث يُطلق ويُراد منه نفي المعنيين، نفي كمال الإيمان ونفي مطلق الإيمان بحسب صفة تقديم حب الآخرين على حب النبي ﷺ، وإليك مثالاً على كلٍّ من النوعين:

ا- حبٌّ ينفي كمال الإيمان: كأن يحبَّ أبناءَه حباً يمنعه من تلبية نداء الجهاد في سبيل الله، خوفاً على أبنائه من بعده، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنةٌ، مبخلةٌ، محزنة" أي مجلبة للجبن والبخل والحزن، فاحذروا ذلك، ولكن هذا النوع من الحب والإيثار يشكل خطراً وخوفاً على إيمان صاحبه.

ب- حبٌّ ينفي مطلق الإيمان: كأن تكون طاعة بعض الناس أحب إلى قلبه من طاعة النبي ﷺ، وحكمه مقدم عنده على حكم النبي ﷺ، ومثل هذا النوع من الحب لاشكَّ أنه ينفي عن صاحبه مطلق الإيمان.

(٤) فيه رد على ما جاء في متن الطحاوي رحمه الله وهو قوله: "وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقى.. "، وكان الشارح من قبل يظهر أن خلاف أصحاب هذا القول مع أَهْل السُّنَّة والحديث خلاف صوري لا حقيقي!!.

ومن كلام الصحابة، قول أبي الدرداء: مِن فِقهِ العبدِ أن يتعاهدَ إيمانَهُ وما نقصَ منه، ومن فقه العبدِ أن يعلَمَ: أيزدادُ هو أم ينقصُ؟

وكان عمر ﷺ يقول لأصحابه هَلُمُّوا نَزدَدْ إيماناً، فيذكرونَ اللهَ ﷻ.

وكان ابن مسعود يقولُ في دعائه: اللهمَّ زِدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً[١].

وكان معاذ بن جبل يقولُ لِرجُلٍ: اجلِسْ بنا نؤمن ساعَةً[٢]. ومثله عن عبد الله بن رواحة. وصحَّ عن عمار بن ياسرٍ أنه قال: ثلاثٌ من كُنَّ فيه فقد استكمل الإيمانَ: إنصافٌ من نفسِه، والإنفاقُ مِن إقتارٍ، وبذلُ السلام للعالَمِ[٣].

-مُسمَّى الإيمان أحياناً يتضمنُ العملَ ويشملُ الإسلامَ[٤]-

---

[١] قال الهيثمي في المجمع (١٠/١٨٥): إسناده جيد.

[٢] رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

[٣] رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه موقوفاً.

[٤] هل يتضمن الإيمان الإسلام، أم لكلٍّ منهما له معناه المغاير، وهل الإسلام يأتي أحياناً متضمناً للإيمان..؟ هذه مسألة كنت قد كتبت فيها في كتابي "قواعد في التكفير" بشيء من التفصيل، وإتماماً للفائدة أنقله هنا فأقول:

خلاصة ما قيل في المسألة، والذي دلَّت عليه النصوص من الكتاب والسنة أنَّ الإيمان أحياناً يطلق ويكون له معنى مغاير للإسلام، وكذلك الإسلام فإنه أحياناً يطلق ويكون له معنى مغاير للإيمان. وفي هذه الحالة يكون الإيمان مكانه القلب ويتضمن الأعمال القلبية كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشرّه، والحب في الله والكره في الله. أمَّا الإسلام فيكون مكانه الجوارح ويتضمن الأعمال الظاهرة من صلاة وصوم، وحج، وزكاة وغير ذلك.

ودليل ذلك، سؤال جبريل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان، قال: يا محمَّد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام: أنْ تشهَدَ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله وتُقيمَ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال: صدَقتَ. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "أن تؤمِنَ بالله، وملائكتِه وكُتُبِه، ورسُله، واليوم الآخر، وتؤمِنَ

بالقَدرِ خيرِهِ وشَرِّهِ". قال: صدقت. (رواه مسلم وغيره). ففسر الإسلام بأمر ظاهر بينما فسر الإيمان بأمر باطن.

وكان النبي ﷺ يقول: "اللهُمَّ مَن أحييتَهُ منا، فأحيِه على الإسلام، ومن توفيتَهُ منا، فتوفه على الإيمان". (رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم في صحيحه، ووافقه الذهبي).

قال ابن رجب في جامع العلوم (١٠٨/١): لأنَّ العمل بالجوارح إنَّما يتمكن منه في الحياة، فأما عند الموت فلا يبقى غيرُ التصديق بالقلب ا - هـ.

وقال ﷺ: "من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم". (رواه البخاري وغيره)، وهذه أعمال ظاهرة من عمل الجوارح.

وفي صحيح مسلم أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ، أي المسلمين خير؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده". بينما عندما سئل عن المؤمن قال: "من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم". ففسر المؤمن بأمر باطن، وهو أن يأمنه الناس، والأمان مكانه القلب، بينما فسر المسلم بأمر ظاهر، وهو سلامة المسلمين من لسانه ويده، وكلاهما شيء ظاهر.

وفي حديث عمرو بن عبسة، أن رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: ما الإسلام؟ قال: "إطعام الطعام ولين الكلام". قال: فما الإيمان؟ قال: "السماحة والصبر". ففسر الإسلام بأمر ظاهر، وفسَّرَ الإيمان بأمر باطن لأنَّ السماحة والصبر مكانهما القلب.

وكذلك قوله ﷺ في (الصحيحين): "لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه". وقوله: "لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده والناس أجمعين". وقوله: "ثلاثٌ مَن كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاَّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار". والحب والكره هما من أعمال القلوب. وكذلك قول النبيِّ ﷺ في الأنصار: "لا يحبهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق" رواه مسلم. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وقد استفاضت بها السُّنَّة.

وأحياناً يُطلق الإيمان ويكون شاملاً للإسلام متضمناً له، وكذلك الإسلام فإنه أحياناً يُطلق ويكون متضمناً للإيمان، وفي هذه الحالة يكون الإيمان مكانه الباطن والظاهر حيث أنه يشمل العمل، وكذلك الإسلام فإنه يكون مكانه الظاهر والباطن.

كما في قوله تعالى: **﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾** وقوله: **﴿ومن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يُقبل منه﴾** آل عمران: ١٩ و ٨٥. فالإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره، هو الإسلام الذي يتضمن الإيمان والأعمال القلبية، والأعمال الظاهرة ولا يصح أن يقال غير ذلك.

وكذلك قوله تعالى: **﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾** الذاريات ٣٥-٣٦. فالمسلم والمؤمن هنا بمعنى واحد، وكل منهما متضمن للآخر. وهو كقوله ﷺ في السلام على مقابر المسلمين: "السلام على أَهْل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحَمُ الله المستقدمين منَّا والمتأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقونَ" رواه مسلم. قال النووي في الشرح (٤٤/٧): ولا يجوز أن يكون المراد بالمسلم في هذا الحديث غير المؤمن لأنَّ المؤمن إن كان منافقاً لا يجوز السلام عليه والترحم ا-هـ.

قلت: لعل الأصوب أن يُقال "المسلم" بدلاً من كلمة "المؤمن" لأن المؤمن لا يصح أن يفترض فيه النفاق، فلا يجتمع في قلب واحد إيمان ونفاق مخرج من الملة، بينما المسلم يمكن أن يكون في ظاهره مستسلماً لأحكام الشريعة وفي باطنه يُضمر الكفر والنفاق.

وكذلك قول النبي ﷺ، لوفد عبد القيس: "أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟" قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس". ففسر الإيمان بالإسلام مما دلَّ أنَّ الإيمان أحياناً يشمل الإسلام.

وفي مسند الإمام أحمد، عن عمرو بن عبسة، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: "أن تُسلم قلبكَ لله وأن يسلم المسلمونَ من لسانِكَ ويدِكَ"، قال: فأيُّ الإسلام أفضلُ؟ قال: "الإيمان". قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمِن بالله، وملائكته، وكتبِه، ورسُلِه، والبعثِ بعدَ الموت" قال: فأيُّ الإيمان أفضلُ؟ قال: "الهجرة". قال: فما الهجرةُ؟ قال: "أن تهجُرَ السُّوءَ"، قال: فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال: "الجهاد"؛ قال الهيثمي في "المجمع" ٥٩/١: رواه أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه، ورجاله ثقات.

فجعل النبي ﷺ الإيمان داخلاً في الإسلام وهو أفضله، ثم أدخل الأعمال كالهجرة والجهاد في مسمى الإيمان وجعلها منه. كما فسر الإسلام بأمر باطني وهو استسلام القلب لله ﷻ.

وكذلك قوله ﷺ: "لايدخل الجنة إلاَّ نفس مسلمة" رواه البخاري. فالإسلام هنا يشمل الإيمان، لأن من لوازم دخول الجنة الإيمان بالله ﷻ. كما قال ﷺ لعمر: "يا ابن الخطاب! اذهب فنادِ في الناس: إنه لا يدخل الجنة إلاَّ المؤمنون" رواه أحمد، ومسلم، صحيح الجامع: "٧٨٣٧". وفي حديث آخر قال: "يا ابن عوف! اركب فرسك، ثم نادِ: إنَّ الجنة لا تحلُّ إلاَّ لمؤمنٍ" رواه أبو داوود، صحيح الجامع الصغير: "٧٨٤٠".

تنبيه: بقي أمرٌ لا بدَّ من ذكره والتنبيه عليه، وهو أنَّ كل مؤمن مسلم، وذلك أنَّ المؤمن الصادق في إيمانه لا بدَّ من أن يدفعه إيمانه للعمل وأن تظهر آثاره على جوارحه بفعل الأركان والطاعات، والإنتهاء عما نُهي عنه. كما في الحديث الصحيح: "ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب".

قال ابن حجر في "الفتح"(١٢٨/١): خصَّ القلبَ بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد ا-هـ. لذلك فأيما امرءٍ يدعي الإيمان في قلبه، وأنه يصدق بكل ما جاء به الإسلام، وهو بنفس الوقت لا يقوم بأركان الإسلام ولا بشيءٍ من واجبات الإيمان ومتطلباته العملية، فهو كافر كذَّاب لأنَّ الفرع دليل على الأصل، والظاهر دليل على الباطن، فخراب الظاهر من خراب الباطن كما أنَّ صلاح الظاهر من صلاح الباطن، فهو لازم لملزوم.

وليس كل مسلم مؤمناً؛ لاحتمال أن يكون المسلم منافقاً، حيث أنه يأتي بأركان الإسلام. فمثل هذا وإن كان كافراً مخلداً في نار جهنم وفي الدرك الأسفل منها، إلاَّ أنه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين بناء على ظاهره ما لم يُعرف نفاقه ويظهر.

ومما تقدم نستطيع أن نقول: أنَّ كل مؤمن بالمعنى المتضمن للعمل يدخل الجنة، وليس كل مسلم -بالمعنى المغاير للإيمان- يدخل الجنة. أما إن كان بالمعنى المتضمن للإيمان والاعتقاد، يكون كل مسلم يدخل الجنة وهو من أهلها.

وكذلك فإنَّ نفي الإسلام يستلزم نفيه مطلقاً والخروج من الملة، بينما نفي الإيمان فإنه أحياناً يستلزم نفي كماله، وأحياناً يستلزم نفيه مطلقاً والخروج من الملة، بحسب القرينة التي لأجلها ينتفي الإيمان. والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلَتْ قلوبُهم﴾ الأنفال: ٢. ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبيّ وما أُنزِلَ إليه ما اتخذوهم أولياءَ﴾ المائدة: ٨١.

وقال ﷺ: "لا يَزني الزاني حين يزني وهو مؤمن". وقال: "لا تؤمنوا حتى تحابُّوا"[١]. وفي الصحيح قولُه لوفد عبد القيس: "آمرُكُم بالإيمانِ بالله وحدَه، أتدرونَ ما الإيمانُ بالله؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وأن تؤَدُّوا الخُمسَ مِنَ المغنَمِ" متفق عليه.

ومعلومٌ أنه لم يُرِدْ أنَّ هذه الأعمال تكونُ إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لِمَا قد أخبرَ في مواضِعَ أنه لا بُدَّ من إيمانِ القلب، فعُلِمَ أن هذه مع إيمانِ القلب هو الإيمان. وأي دليلٍ على أن الأعمالَ داخلةٌ في مُسمَّى الإيمان فوق هذا الدليل؟

-أحياناً يكونُ الإيمانُ له معنى مغاير للإسلام[٢]-

كما في حديث جبريل عليه السلام [١]، ويشهدُ للفرق بين الإسلام والإيمان، قوله تعالى: ﴿قالت الأعرابُ آمنَّا قلْ لَم تؤمنوا[٢] ولكن قولُوا أسلمنا﴾ الحجرات: ١٤.

---

[١] رواه مسلم وغيره، وتمام الحديث: "لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلامَ بينكم".

تنبيه: قد تقدمت الإشارة إلى أن نفي الإيمان الوارد في نصوص الكتاب والسنة، أن بعضه يُراد منه نفي كمال الإيمان، وبعضه يُراد منه نفي مطلق الإيمان، بحسب السبب الذي لأجله ينتفي الإيمان، وبحسب القرائن الشرعية الأخرى التي تنفي أو تثبت صفة الإيمان عمن انتفى عنه الإيمان، بينما نفي الإسلام لا يُراد منه إلاَّ الكفر ونفي مطلق الإيمان، لانتفاء القرائن الشرعية الأخرى التي تثبت إيمان من ينتفي عنه الإسلام، والله تعالى أعلم.

[٢] في هذه الحالة يكون الإيمان مكانه القلب وميدانه الأعمال الباطنة، والإسلام مكانه الجوارح وميدانه الأعمال الظاهرة.

وقوله تعالى: **﴿إنَّ المسلمين والمسلماتِ والمؤمنينَ والمؤمناتِ﴾** الأحزاب: ٣٥. وقوله ﷺ: "اللهمَّ لك أسلمتُ وبك آمنتُ" متفق عليه. فإذا قُرِنَ أحدُهما بالآخر كان المرادُ من أحدهما غيرَ المرادِ من الآخر، وإذا انفرَدَ أحدُهما شَمَلَ معنى الآخر وحكمه. فالحاصلُ أن حالَةَ اقترانِ الإسلامِ بالإيمانِ غيرُ حالة إفراد أحدهما عن الآخر، فإذا أُفرِدَ اسمُ الإيمانِ فإنه يتضمَّنُ الإسلامَ، وإذا أُفرِدَ الإسلام فقد يكونُ مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع[٣]!!، وهذا هو الواجب.

---

[١] حيث فسر ﷺ الإيمان بأمرٍ باطن وهو: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه"، بينما فسر ﷺ الإسلام بأمر ظاهر، وهو: "أن تشهدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً".

[٢] نفي الإيمان الوارد في الآية يُرادُ منه نفي كمال الإيمان، وليس نفي مطلق الإيمان الذي يستلزم الكفر، كما أشار إلى ذلك ابن تيمية وغيره من أَهْل التحقيق والتفسير.

[٣] نفي هذا النزاع لا يصح على إطلاقه، حيث أن الإسلام يُذكر أحياناً منفرداً ولا يكون شاملاً للإيمان، كما في قوله ﷺ: "من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلكم المسلم". أي ذلكم المسلم الذي تكون له في الدنيا حرمة الإسلام وحصانته، ولا يستلزم منه أن يكون مؤمناً ومن أَهْل الجنة؛ لأن هذه الأفعال قد يقوم بها المنافق الأغلظ كفراً من الكافر المجاهر بكفره. وشاهدنا أن الإسلام جاء ذكره منفرداً في هذا الحديث وهو غير شامل للإيمان الذي يدخل صاحبه الجنة، ولكن هذا أيضاً ليس على إطلاقه، حيث أن الإسلام أحياناً يُطلَق ويكون شاملاً للإيمان، كما في قوله تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**، ولا شك أن الإسلام هنا يشمل الإيمان؛ لأن إسلاماً لا يتضمن الإيمان ليس هو الدين الذي يرتضيه الله، ودليل ذلك في حديث جبريل عليه السلام، بعد أن ذكر الإيمان، والإسلام، والإحسان، قال النبي ﷺ: "هذا جبريل جاءكم ليعلمكم أمر دينكم"، فجعل مجموع الإسلام والإيمان، والإحسان هو الدين الذي يرتضيه الله.

وفي مسند الإمام أحمد، عن عمرو بن عبسة، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يارسول الله، ما الإسلام؟ قال: "قال أن تُسلم قلبك لله، وأن يسلمَ المسلمون من لسانك ويدك"، قال

-مسألةُ الاستثناءِ في الإيمان-

وهو أن يقولَ الرجلُ: أنا مؤمنٌ إن شاءَ اللهُ. والناسُ فيه على ثلاثةِ أقوالٍ: طرفان ووسط، منهم مَن يوجِبُه، ومنهم من يُحرِّمُه، ومنهم من يُجيزُه باعتبارٍ ويمنعُه باعتبار، وهذا أصحُّ الأقوال، وهم أسعدُ بالدليلِ من الفريقين: فإن أرادَ المستثني الشكَّ في أصل إيمانه مُنع مِنَ الاستثناءِ، وهذا مما لا خلافَ فيه، وإن أرادَ أنه مؤمِنٌ من المؤمنين الذين وصفهم الله: **﴿أولئكَ هم المؤمنون حقَّاً لهم درجاتٌ عند ربِّهم ومغفرةٌ ورِزقٌ كريمٌ﴾** الأنفال: ٤.

فأي الإسلام أفضل؟ قال: "الإيمان"، قال: وما الإيمان؟ قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت". قال الهيثمي في المجمع (٥٩/١): رواه أحمد، والطبراني في الكبير بنحوه، ورجاله ثقات.

فانظر كيف فسر النبي ﷺ في أول الحديث الإسلام بأمر باطن وظاهر في آنٍ معاً، وهو إسلام القلب لله، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك.

ثم انظر كيف جعل الإسلام متضمناً للإيمان، ثم كيف فسر الإيمان بالأصول التي هي من أعمال القلب.

وكذلك قوله ﷺ: "لا يدخل الجنة إلاَّ نفسٌ مسلمة"، فالإسلام هنا يشمل الإيمان ويتضمنه، لأن المنافق الذي لا يعتقد الإيمان لايدخل الجنة، بل هو في الدرك الأسفل من النار.

خلاصة القول: قد تقدمت الإشارة إلى أن الإيمان يُطلَق أحياناً ويكون شاملاً للإسلام، وأحياناً يُطلق ويكون مغايراً له.

وكذلك الإسلام، أحياناً يطلق ويكون شاملاً للإيمان، وأحياناً يُطلق ويكون مغايراً له. هذا الذي دلت عليه نصوص الشريعة، والله تعالى أعلم.

فالاستثناء حينئذٍ جائزٌ[١]، وكذلك من استثنى وأرادَ عدَمَ علمهِ بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئةِ الله، لاشكاً في إيمانه[٢].

---

[١] بل هو واجب، لأن عدم الاستثناء في هذه الحالة يُعتبر نوعاً من التألي على الله بغير علم، وفيه تزكية المرء لنفسه على الله، والله تعالى يقول: **﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾**.

[٢] الاستثناء يكون كذلك للعمل، لأن العمل من الإيمان، والمرء لم يأت بمطلق العمل لذا فهو يستثني له، بخلاف المرجئة والجهمية الذين يحصرون الإيمان في التصديق فهم لا يرون الاستثناء في الإيمان، لأن الاستثناء عندهم يستلزم الشك في التصديق!.

وقد سئل الإمام أحمد عن الاستثناء في الإيمان، فقال: نعم، الاستثناء على غير معنى شك مخافة واحتياطاً للعمل، وقد استثنى ابن مسعود وغيره، وهو مذهب الثوري، قال الله عز وجل: **﴿لتدخلن المسجدَ الحرامَ إن شاء اللهُ آمنين﴾** الفتح: ٢٧. وقال النبي ﷺ لأصحابه: "إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله"، وقال في البقيع: "عليه نبعث إن شاء الله"، وقال: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون"، قال: هذا حجة في الاستثناء في الإيمان، لأنه لا بد من لحوقهم ليس فيه شك.

وقال أيضاً: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: ما أدركت أحداً من أصحابنا لا ابن عون، ولا غيره إلاَّ وهم يستثنون في الإيمان.

وقال رحمه الله لرجل: أليس الإيمان قولاً وعملاً؟ قال الرجل: بلى، قال: فجئنا بالقول، قال: نعم، قال: فجئنا بالعمل؟ قال: لا، قال: فكيف تعيب أن يقول إن شاء الله ويستثني؟ وقال: الإيمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجئ بالعمل، فنحن مستثنون بالعمل.

وقال -أي الإمام أحمد- رحمه الله: بلغني عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: أول الإرجاء ترك الاستثناء.

وقال: لو كان القول كما تقول المرجئة أن الإيمان قول، ثم استثنى بعد على القول لكان هذا قبيحاً أن تقول: لا إله إلا الله إن شاء الله، ولكن الاستثناء على العمل. (انظر كتاب السُّنَّة للخلال، فصل الرد على المرجئة في الاستثناء في الإيمان، ص ٥٩٣).

-قبولُ خَبَرِ الآحادِ إن صَحَّ-

قوله: "**وجميعُ ما صَحَّ عن رسولِ الله ﷺ مِنَ الشَّرْعِ والبيانِ كلُّهُ حقٌّ**". يشيرُ رحمه الله بذلك إلى الردِّ على الذين يُبطلونَ أحاديث الآحاد، بقولهم: أنها لا تُفيدُ العلمَ، ولا يحتجُّ بها من جهةِ طريقِها، ولا من جهة متنها! فسَدُّوا على القلوب معرفَةِ الربِّ تعالى وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه من جهةِ الرسولِ، وأحالُوا الناسَ على قضايا وهمية ومقدماتٍ خيالية سمَّوها قواطِعَ عقلية، وبراهينَ يقينيَّة!! وهي في التحقيق: ﴿**كسرابٍ بقيعَةٍ يحسَبُهُ الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً**﴾ النور: ٣٩.

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٤٢٩/٧ و ٤٣٨): وأما الاستثناء في الإيمان بقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، فالناس فيه على ثلاثة أقوال: منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجوز الأمرين باعتبارين، وهذا أصح الأقوال. فالذين يحرمونه هم المرجئة والجهمية ونحوهم، ممن يجعل الإيمان شيئاً واحداً يعلمه الإنسان من نفسه، كالتصديق بالرب ونحو ذلك مما في قلبه... إلى أن قال: وأما مذهب سلف أصحاب الحديث، كابن مسعود وأصحابه، والثوري وابن عيينة، وأكثر علماء الكوفة، ويحيى بن سعيد القطان فيما يرويه عن علماء أَهْل البصرة، وأحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة، فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال: أنا استثني لأجل الموافاة، وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافى به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو **لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات**، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لأنفسهم بلا علم ا-هـ.

ومما تقدم تعلم أن أصل الخلاف في هذه المسألة وغيرها يعود إلى الموقف من تعريف الإيمان، ومنه تعلم أيضاً أن الخلاف بين أَهْل السُّنَّة الذين يقولون: الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وبين المرجئة الذين يقولون: الإيمان تصديق وقول، هو ليس خلافاً صورياً كما يزعم الشارح وغيره ممن تابعه على هذا القول.

وخبرُ الواحدِ إذا تلقَّتهُ الأمَّةُ بالقَبولِ عملاً به وتصديقاً له: يُفيدُ العِلْمَ اليقيني عندَ جماهيرِ الأمة، ولم يكن بين سلفِ الأمَّةِ في ذلك نزاعٌ[1]، كخبر عمر بن الخطاب: "إنما الإعمالُ بالنيات" متفق عليه. وخبر ابن عمر: "نَهى عن بيعِ الولاء وهِبَتِهِ"[2]. وخبر أبي هريرة: "لاتُنكَحُ المرأةُ على عمتها ولا على خالَتها" متفق عليه. وكقوله: "يحرُمُ من الرضاعَةِ ما يحرُمُ من النَّسَبِ" متفق عليه. وهو نظيرُ خبرِ الذي أتى مسجد قباء، وأخبرَ أنَّ القبلةَ تحوَّلَت إلى الكعبةِ، فاستداروا إليها. (متفق عليه).

وكان رسولُ اللهِ ﷺ يُرسِلُ رُسُلَهُ آحاداً[3]، ويُرْسِلُ كُتبَهُ مع الآحادِ، ولم يكن المرسَلُ إليهم يقولون: لا نقبلُهُ لأنه خبَرُ واحدٍ[1].

---

[1] قال الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "الرسالة، ٤٥٦": وجدنا عطاءً، وطاوساً، ومجاهداً، وابنَ أبي مُليكةَ، وعِكْرِمةَ بن خالد، وعُبيدُ الله بن أبي يزيد، وعبد الله بن باباه، وابن أبي عمار، ومحدِّثي المكيين، ووجدنا وهبَ بن منبِّهٍ باليمن هكذا، ومكحولاً بالشام، وعبد الرحمن ابن غَنْمٍ، والحسن، وابن سيرين بالبصرة، والأسودَ، وعلقمةَ، والشعبيَّ بالكوفة، ومحدِّثي الناس بأعلامهم بالأمصار: كلُّهم يُحفَظُ عنه تثبيتُ خبرِ الواحد عن رسولِ الله، والإنتهاءُ إليه، والإفتاءُ به، ويقبلُه كل واحد منهم عن من فوقَه، ويقبلُه عنه من تحته. ولو جاز لأحدٍ من الناس أن يقول في علم الخاصَّةِ: أجمعَ المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلَم من فقهاء المسلمين أحدٌ إلاَّ وقد ثبَّتَهُ، جاز لي. ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفتُ من أن ذلك موجوداً على كلهم ا-هـ.

[2] متفق عليه. والمراد بالولاء: حق ميراث الـمُعْتِق من المُعْتَق، وهو لا يُباع لأنه سبب في التوريث، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "فإنما الولاء لِمَن أعتق".

[3] كما في الصحيحين عن ابن عباس أن رسولَ الله ﷺ لما بعثَ معاذاً إلى اليمن، قال: "إنك تقدم على قومٍ أَهْل كتابٍ، فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله فإذا عَرفوا الله، فأخبرهم أن اللهَ قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم..".

والحديث فيه رد على من ينكرون -بغير دليل سوى اتباع الظن والهوى- حجية خبر الواحد في العقائد، حيث أن معاذاً كان واحداً، ومع ذلك فقد أُمِر أن يبلغ الآخرين التوحيد والعقائد التي

تتضمن تعريفهم بخالقهم، وحقه عليهم. ولو لزم تبليغ العقائد شرط التواتر -كما يزعم البعض- لأمر النبي ﷺ أصحابه أن يبلغوا عنه التوحيد والعقائد وهم جماعات جماعات، ولمَّا لم يحصل هذا وحصل خلافه عُلِمَ أنه شرط باطل لا أصل له في ديننا.

(١) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني كلام جيد -يرد فيه على من يشترطون حد التواتر لقبول الخبر في العقائد -في رسالته "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة"- حيث يقول: إن هذا القول -أن أحاديث الآحاد لا تفيد العلم، وأنها لا تثبت بها عقيدة- وإن كنا نعلم أنه قد قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام، فإنه منقوض من وجوه عديدة:

الوجه الأول: أنه قول مبتدَع محدث، لا أصل له في الشريعة الإسلامية الغراء، وهو غريب عن هدي الكتاب وتوجيهات السنة، ولم يعرفه السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ولم ينقل عن أحدٍ منهم، بل ولا خطر لهم على بال، ومن المعلوم المقرر في الدين الحنيف أن كل أمرٍ مبتدع من أمور الدين باطل مردود لا يجوز قبوله بحال، عملاً بقول النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" متفق عليه.

وإنما قال هذا القول جماعة من علماء الكلام، وبعض من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاه عنهم بعض الكتاب المعاصرين بالتسليم دون مناقشة ولا برهان، وما هكذا شأن العقيدة، وخاصة من يشترط لثبوتها القطعية في الدلالة والثبوت.

الوجه الثاني: أن هذا القول يتضمن عقيدة تستلزم رد مئات الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ لمجرد كونها في العقيدة، وهذه العقيدة هي أن أحاديث الآحاد لا تثبت بها عقيدة، وإذا كان الأمر كذلك عند هؤلاء المتكلمين وأتباعهم فنحن نخاطبهم بما يعتقدون، فنقول لهم أين الدليل القاطع على صحة هذه العقيدة لديكم من آية أو حديث متواتر قطعي الثبوت، قطعي الدلالة أيضاً بحيث أنه لا يحتمل التأويل.

وقد يحاول البعض الإجابة عن هذا السؤال، فيستدل ببعض الآيات التي تنهى عن اتباع الظن، كقوله تعالى في حق المشركين: **﴿إن يتبعون إلاَّ الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾** النجم: ٢٨. ونحوها، وجوابنا على ذلك أن الذي أنزلت عليه هذه الآية وغيرها هو الذي أنزلت عليه الآيات الأخرى التي تأمر الأفراد والجماعات بنقل العلم كقوله تعالى: **﴿وما كان المؤمنون لينفروا**

كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ التوبة: ١٢٢. والطائفة تقع على الواحد فما فوقه في اللغة، فأفادت الآية أن الطائفة تنذر قومها إذا رجعت إليهم، والإنذار والإعلام بما يفيد العلم، وهو يكون بتبليغ العقيدة وغيرها مما جاء به الشرع، وكقوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾** الحجرات: ٦. وفي القراءة الأخرى **﴿فتثبتوا﴾**، وهذا يدل على الجزم والقطع بقبول خبر الواحد الثقة، وأنه لا يحتاج إلى تثبت، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت حتى يحصل العلم. والمراد بالظن -في الآية- الظن المرجوح الذي لا يفيد علماً، بل هو قائم على الهوى والغرض المخالف للشرع ويوضح ذلك قوله تعالى في آية أخرى: **﴿إن يتبعون إلاَّ الظنَّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** النجم: ٢٣. إلى أن قال: لو كان هناك دليل قطعي على أن العقيدة لا تثبت بخبر الآحاد كما يزعمون لصرح بذلك الصحابة، ولما خالف في ذلك من سيأتي ذكرهم من العلماء، لأنه لا يعقل أن ينكروا الدلالة القاطعة أو تخفى عليهم، لما هم عليه من الفضل والتقوى وسعة العلم..

الوجه الثالث: أن هذا القول مخالف لجميع أدلة الكتاب والسنة التي نحتج نحن وإياهم جميعاً بها على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام الشرعية، وذلك لعمومها وشمولها لما جاء به رسول الله ﷺ عن ربه سواء كان عقيدة أو حكماً.. فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد تخصيص بدون مخصص وذلك باطل، وما لزم منه باطل فهو باطل.

الوجه الرابع: أن القول المذكور ليس فقط لم يقل به الصحابة بل هو مخالف لما كانوا عليه رضي الله عنهم، فإننا على يقين أنهم كانوا يجزمون بكل ما يحدث به أحدهم من حديث رسول الله ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول الله ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر، بل لم يكونوا يعرفون هذه الفلسفة التي تسربت إلى بعض المسلمين بعدهم من التفريق بين العقائد والأحكام في وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد... ا-هـ. وهناك أوجه أخرى مفيدة ذكرها الشيخ رد فيها على شبهة القوم، تُراجع في الرسالة المذكورة.

وطريقُ أَهْلِ السُّنَّةِ أن لا يعدلوا عن النصِّ الصحيح، ولا يُعارِضُوه بمعقولٍ، ولا قولِ فلانٍ، كما أشارَ إليه الشيخُ، وكما قال البخاريُّ رحمه الله: سمعتُ الحميديَّ يقول: كنا عند الشافعيِّ رحمه الله، فأتاه رجلٌ، فسألَهُ عن مسألةٍ، فقال: قضى فيها رسولُ اللهِ ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقولُ أنتَ؟! فقال: سبحان اللهِ! تراني في كنيسةٍ! تراني في بيعَةٍ! ترى على وسطي زنَّاراً[1]؟! أقول لك: قضى رسولُ اللهِ ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنتَ؟!!

ونظائرُ ذلك في كلامِ السَّلفِ كثيرٌ[2]، وقال تعالى: ﴿**وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُه أمراً أن يكون لهُم الخِيَرَةُ من أَمْرِهم**﴾ الأحزاب: ٣٦.

---

[1] قال ذلك رحمه الله لأن الذي يتصف بالتقديم بين يدي الأنبياء والرسل، هم الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل وبالدين، والذين عُرفوا بالكذب والتزوير والتحريف، وبتحليلهم للحرام، وتحريمهم للحلال بغير سلطان من الله، وهم بذلك جعلوا من أنفسهم أرباباً من دون الله على من اتبعهم من الناس، كما قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دون الله**﴾. وهذا لا يعني حصر الآية في اليهود والنصارى حيث لهم كل مُرَّةٍ، ولنا كل حلوة، بل كل من اتصف بصفاتهم وفعل فعلهم من المسلمين ومشايخهم فالنص المذكور يطالهم ويعنيهم، والوعيد الرهيب يتهددهم.

[2] من ذلك ما رواه ابن ماجة في سننه، عن ابن عمر أن رسولَ الله ﷺ قال: "لا تمنعوا إماء الله أن يُصلينَ في المسجد"، فقال ابن له: إنا لنمنعهنَّ! فقال: فغضب غضباً شديداً، وقال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: إنا لنمنعهنَّ؟!!

وعن عبادة بن الصامت، أنه غزا مع معاوية أرضَ الروم، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسر الذهب بالدنانير، وكسر الفضة بالدراهم، فقال: أيها الناس إنكم تأكلون الربا، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "لا تبتاعوا الذهبَ بالذهبِ إلاَّ مثلاً بمثل، لا زيادةَ بينهما ولا نَظِرة". فقال له معاوية: يا أبا الوليد لا أرى في هذا إلاَّ ما كان من نَظِرَةٍ! فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك؟! لئن أخرجني الله لا أساكنك بأرضٍ لك علي فيها إمرَةً!

قولُه: "والمؤمنونَ كُلُّهم أولياءُ الرحمنِ[1]".

ش: فالمؤمنونَ أولياءُ اللهِ، والله تعالى وليُّهم، قال تعالى: ﴿**ألا إنَّ أولياءَ اللـهِ لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتَّقون[2]**﴾ يونس: ٦٢-٦٣. ﴿**اللهُ وليُّ الذين**

وعن أبي سلمة أن أبا هريرة قال لرجل: يا ابن أخي، إذا حدثتك عن رسولِ الله ﷺ حديثاً فلا تضرب له الأمثالَ.

وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارةٌ من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعمر؟!

قلت: إذا كان هذا حال من يقول بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على قول رسول الله ﷺ، فما يكون القول فيمن يقول على قول رسول الله ﷺ، ولكن قال: أفلاطون، وفرويد، ودارون، وماركس، ولينين.. وغيرهم من طواغيت الأرض؟!

وكذلك قصة قتل عمر بن الخطاب ﷺ للرجل الذي لم يرضَ بحكم النبيّ ﷺ وأراد أن يتحاكم إليه من دون النبي ﷺ، فهي معروفة ومشهورة في كتب الحديث. فليحذر الذين يقدمون حكم الطاغوت وحثالات آراء الناس على حكم الله ورسوله، من قارعة لا تُبقي ولا تذر، وما أشد القوارع التي تنزل في الأمة في هذا الزمان بسبب إعراض الناس عن حكم الله ورسوله، ولكن أين المعتبر: ﴿**ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون**﴾ المؤمنون: ٧٦.

[1] الولاية هنا ولاية عامة مطلقة، أما تخصيصها بشخص معين لا نقدم عليه إلاَّ من ثبت في حقه نص يدل على ذلك، وهذا منقطع بعد زمان النبوة ليس لأحد بعد النبي ﷺ أن يدل عليه دلالة قاطعة. والقول في الولاية والولي كالقول في الشهادة والشهيد من حيث التعميم والتخصيص.

ثم أن ولاية الله تعالى للمؤمنين ليست سواء وعلى درجة واحدة، وإنما هي تكون بحسب إيمانهم قوة وضعفاً؛ فولايته سبحانه وتعالى للأنبياء والرسل هي أعلى من ولايته لمن هم دونهم، وولايته لأهْل الطاعات والاستقامة هي أعلى من ولايته لأهْل المعاصي والذنوب، وولايته لأهْل المعاصي والذنوب هي أعلى من ولايته لأهْل الكبائر والفجور، ولا ولاية لكافر، ﴿**وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾.

[2] هذه هي صفة أولياء الرحمن الذي يحبهم ويحبونه، ويرضى سبحانه عنهم، ويرضون عنه: الإيمان، والتقوى. والتقوى تعني فعل الطاعات وجميع ما أمر الله به،والانتهاء عن جميع ما نهى عنه وزجر.

آمنوا يُخرِجُهم من الظلماتِ إِلى النورِ والذين كفروا أولياؤُهم الطاغوتُ يُخرجونَهُم من النورِ إِلى الظلُماتِ﴾ البقرة: ٢٥٧. **﴿ذلك بأن اللهَ مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مَولَى لهم﴾** محمد: ١١. والمؤمنونَ بعضُهم أولياءُ بعض، قال تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمناتِ بعضُهم أولياءُ بعضٍ﴾** التوبة: ٧١. **﴿إنما وليكُم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا الذين يُقيمونَ الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون. ومن يتولَّ اللهَ ورسولَهُ والذينَ آمنوا فإنَّ حزبَ اللهِ هم الغالبون[1]﴾** المائدة: ٥٥-٥٦.

-معنَى الولاية-

ومنه تعلم خطأ الذين ينسبون الولاية للمخرفين والمجانين الذين ينامون بين القبور، وغيرهم ممن ظاهرهم التمسكن والدروشة من أَهْل الأهواء والبدع!.

قال ابن تيمية في كتابه الفرقان: وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى، ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، وامتنع أن يكون ولياً لله، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه، أو نوع من تصرف، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع، فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأَهْل الكتاب، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية، كالكهان والسحرة وعبَّاد المشركين وأَهْل الكتاب، فلا يجوز لأحدٍ أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً لله ا-هـ.

[1] هذه الآية الكريمة فيها دلالة على أبرز ما يميز حزب الله، الطائفة المنصورة الظاهرة الغالبة، التي لا تخشى في الله لومة لائم: وهي موالاتهم لله ولرسوله، وللمؤمنين، جميع المؤمنين على اختلاف انتماءاتهم، وأجناسهم، وألوانهم، ولغاتهم.. فلا فرق بين أحدٍ منهم ما داموا جميعاً مؤمنين.

أما الأحزاب - وإن تسمت بأسماء وألقاب إسلامية- التي توالي وتعادي على غير أساس الانتماء والانتساب للإيمان والعقيدة، فهي ليست من الأحزاب الإسلامية التي ترقى أن تكون من حزب الله، ومن الطائفة المنصورة الظاهرة.

الولي: من الوَلاية التي هي ضدُّ العداوة، وهو مشتق مِنَ الولي، وهو الدُّنو والتقرُّب، فوليُّ اللهِ: هو مَنْ والى اللهَ بموافقَتِه في محبوباته، والتقرُّبُ إليه بمرضاته. والوَلاية: هي عبارةٌ عن موافقَةِ الولي الحميدِ في محابِّه ومَسَخِطِه[1]□□□□.

-ولايةُ الخالقِ، ليستْ كولايَةِ المخلوقِ للمخلوق[2]-

فاللهُ يتولَّى عِبادَهُ المؤمنينَ، فيُحبُّهُم ويُحبونَهُ، ويَرضى عنهم ويرضونَ عنه، ومن عادَ له وليَّاً فقد بارزَه بالمحاربَةِ، وهذه الوَلايةُ من رحمته وإحسانِه، ليسَت كولايةِ المخلوق للمخلوق لحاجتِه إليه، قال تعالى: **﴿وقل الحمدُ للهِ الذي لم يتخِذْ ولَدَاً ولم يكُنْ له شريكٌ في الملْكِ ولم يكن له وليٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرا﴾** الإسراء: ١١١. فاللهُ تعالى ليس له وليٌّ من الذلِّ، بل للهِ العِزَّةُ جميعاً، خلافَ الملوكِ وغيرِهم ممن يتولاهُ لذلِّهِ وحاجتِهِ إلى وليٍّ ينصرُه.

-قد يَجتمعُ في المؤمنِ ما يستلْزِمُ موالاتَهُ من وجهٍ، وعداوتَهُ من وجهٍ[3]-

[1] أي يحب العبدُ ما يحبه الله فيأتيه ويقوم به، ويسخط ما يَسخطه الله تعالى فيجتنبه وينتهي عنه.

(٢)

[2] ولاية المخلوق للمخلوق تكون لحاجة، بخلاف ولاية الخالق سبحانه للمخلوق، فإنه تعالى يوالي عباده إحساناً وتفضلاً ورحمة منه لهم، وليس لحاجة، فالله تعالى هو الغني وما سواه فهو فقير إليه، كما قال تعالى: **﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾**.

[3] وبالتالي تجب موالاته وإكرامه بقدر ما عنده من إيمانٍ وطاعة واستقامة، ومعاداته ومجافاته وإهانته بقدر ما عنده من فسق ومعصية وانحراف، حيث لا يجوز إكرامه وموالاته على الإطلاق، كما لا تجوز معاداته ومجافاته على الإطلاق، وإنما بين بين، وبالقدر الذي تجيزه الشريعة وتأمر به من غير جنوحٍ إلى إفراطٍ أو تفريط.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٢٠٩/٢٨): إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا

يجتمع في المؤمن ولايةٌ من وجهٍ، وعداوةٌ من وجه[1]، كما قد يكونُ فيهِ كفرٌ[2]وإيمان، وشِركٌ وتوحيد[3]، وتقوى وفجورٌ، ونِفاقٌ[4]وإيمان. قال تعالى: ﴿**وما يؤمِنُ أكثرُهم بالله إلاَّ**

وهذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته.. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أَهْل السُّنَّة والجماعة ا-هـ.

قلت: وهذا فقه قلَّ من ينتبه إليه في حياته العملية مع الآخرين، فالناس فيه إما إفراط وغلو وإما تفريط ومجافاة، فهم إما يوالون على الإطلاق من يستحق في الشرع المجافاة والمعاداة، وإما يعادون على الإطلاق من يستحق في الشرع نوع موالاة وإكرام، وهم بصنيعهم هذا يكونون قد والوا الباطل الذي يبغضه الله، وعادوا الحق -ولو بوجه دون وجه- الذي يحبه الله ويرضاه. وغالب الذين يقعون في هذا النوع من الخطأ والانحراف يكون بسبب الولاءات والانتماءات الباطلة التي يتربون عليها، والتي تملي عليهم مثل هذا السلوك والخُلُق.

(1) أي ما يستوجب موالاته من وجه وعداوته من وجه.

(2) الكفر هنا يُراد به الكفر الأصغر الذي لا يُخرِج من الملة، لأن الكفر الأكبر لا يجوز افتراض اجتماعه مع الإيمان النافع في قلب رجل واحد، لأن الكفر ينفي مطلق الإيمان، ويُحبط عن صاحبه جميع العمل، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يجتمعُ الإيمان والكفر في قلب امرئٍ".

(3) وكذلك الشرك هنا يُراد به الشرك العملي الأصغر، أو الشرك الخفي الذي لا ينقض مطلق الإيمان، ولا يجوز حمله على الشرك الأكبر المخرج لصاحبه عن الملة، فهذا الشرك والتوحيد ضدان لا يجتمعان، وحضور أحدهما يستلزم انتفاء الآخر.

(4) يُراد به النفاق العملي الذي لا يُخرِج صاحبه من الملة، بينما النفاق الاعتقادي ينقض مطلق الإيمان، والمنافقين في الدرك الأسفل من النار. لذا ينبغي للقارئ أن يتنبه لذلك، حتى لا يختلط عليه الأمر فيظن ألاَّ تعارض ولا تنافي بين الكفر والشرك والنفاق من جهة، وبين الإيمان والتوحيد من جهة.

قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/٢٤١): فالخطاب بالإيمان يدخل فيه ثلاثة طوائف، يدخل فيه المؤمن حقاً، ويدخل فيه المنافق في أحكامه الظاهرة وإن كان في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، وهو في الباطن ينفي عنه الإسلام والإيمان، وفي الظاهر يثبت له الإسلام والإيمان الظاهر، ويدخل

وهم مشركون﴾[١] يوسف: ١٠٦. وقال تعالى: ﴿قلْ لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ الحجرات: ١٤. وقال ﷺ: "أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالِصاً، ومَن كانت فيه خِلَّةٌ مِنهُنَّ كانت فيه خِلَّةٌ مِن النفاق حتى يدَعَها: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا عاهدَ غدَرَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا خاصم فجرَ" متفق عليه. وقولُه: "يخرج من النارِ مَنْ كان في قلبه ذرَّةٌ من إيمانٍ"[٢]. فعُلِمَ أنَّ من كان معه من الإيمانِ أقلُّ القليل لم يَخلُدْ في النارِ، وإنْ كان معه كثيرٌ من النفاقِ، فهو يُعذَّبُ في النارِ على قدرِ ما معه من ذلك، ثم يُخْرَجُ من النارِ.

قولُه: "وأكرَمُهُم عِندَ اللهِ أطوَعُهُمْ وأتبَعُهم للقرآنِ".

ش: أي أكرمُ المؤمنين هو الأطوعُ للهِ، والأتْبعُ للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿**إنَّ أكرَمَكُم عندَ الله أتقاكُم**﴾ الحجرات: ١٣. وقال ﷺ: "لا فضلَ لعربيٍّ

فيه الذين أسلموا وإن لم تدخل حقيقة الإيمان في قلوبهم، لكن معهم جزء من الإيمان والإسلام يثابون عليه ا-هـ.

[١] أقول: لا يصح الاستشهاد بهذه الآية في هذا الموضع وحملها على الشرك العملي الأصغر الذي يمكن اجتماعه مع الإيمان النافع، لأن الآية قيلت في المشركين الذين آمنوا بالربوبية وأشركوا بالألوهية، وإيمان هذا وصفه لا شكَّ أنه لا ينفع صاحبه لاجتماعه مع الشرك الأكبر الذي ينقض مطلق الإيمان النافع.

قال البغوي في التفسير (٢/٤٥٢): فكان من إيمانهم إذا سُئلوا: من خلقَ السماوات والأرض؟ قالوا: الله، وإذا قيل لهم من ينزل المطر؟ قالوا: الله، ثم مع ذلك يعبدون الأصنام ويشركون. وعن ابن عباس أنه قال: إنها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهمَّ لبيك، لبيك لا شريك لك إلاَّ شريك هو لك تملكه وما ملك ا-هـ.

[٢] ينبغي أن يحمل هذا الحديث وأمثاله، على من كان في قلبه ذرةً من إيمانٍ زائدة عن أصل التوحيد الذي لا يدخل المرء الجنة إلاَّ به، هذا ما يقتضيه التوفيق بين النصوص ذات العلاقة، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عرَبِيٍّ، ولا لأبيضَ على أسوَدَ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلاَّ بالتقوى، الناسُ مِن آدَمَ، وآدمُ من تُرابٍ"[١].

---

[١] صحيح، رواه أحمد في مسنده. وفي الحديث فوائد هامة وعظيمة، ينبغي الإشارة إلى بعضها:

منها: أن التفاضل بين الناس والعباد يجب أن يكون على أساس التقوى والعمل الصالح، وليس أي اعتبار آخر غير اعتبار العقيدة والتقوى، والعمل الصالح.

ومنها: بيان بطلان اعتبار التفاضل على أساس لون البشرة، أو الانتماء العرقي، أو الانتماء القومي، أو الانتماء القبلي والإقليمي أو العائلي، أو الانتماء الوطني، أو الانتماء إلى لغة معينة.. وغيرها من الولاءات والانتماءات التي لا تعتبر التقوى والعمل الصالح الميزان الوحيد للتفاضل بين الناس فهذه الولاءات كلها باطلة وجاهلية نتنة، مؤداها إلى الشرك، وعبادة أوثانٍ ضخمةٍ من دون الله تعالى.

ومنها: بيان بطلان اعتبار التفاضل بين الناس على أساس الغنى والفقر، أو على أساس الجاه، والمناصب، أو الرياسة والزعامة، أو الشهادات والوظائف.. وغير ذلك من الاعتبارات الوضيعة السائدة في عرف كثير من الناس!!

فالمرء يساوي في نظر الآخرين –المهزومين داخلياً وعقدياً– بقدر ما يملك من مال، وعلى قدر ما يملك من مال وجاه بقدر ما يتعاظم شأنه عند الناس المهزومين إيمانياً، وتقدم له التبجيلات والاحترامات، والتنازلات، والامتيازات، بغض النظر عن دينه وأخلاقه وتقواه!!

وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "يا معشرَ الفقراء ألا أبشركم؟ إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم: خمسمائة عام" صحيح الجامع الصغير (٧٩٧٦). فهناك –يومَ لا ينفع مال ولا بنون– تُجرى الموازنة الصحيحة، ويُعرف أَهْل الفضل والمقامات من غيرهم.

ومنها: أن الحقوق والواجبات يجب أن تُقسَّم على أساس الانتماء العقدي الديني، وعلى اعتبار الأتقى والأصلح، وليس على أساس الانتماء الوطني أو الإقليمي، كما هو سائد في الأمصار والأقطار!!

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٤٥/١): أن من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة وبين المسلمين **إلاَّ بالوطن، وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر** ا-هـ.

قلت: كذلك من لم يفرق بينهم إلاَّ على أساس الانتماء والولاء القومي، أو القبلي، أو العشائري أو العائلي.. وجعل أحكامهم سواء، **فهو كافر مرتد**.

يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال (٣٣٤٨/٦): ليس للون والجنس واللغة والوطن، وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله. إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويُعرف به فضل الناس: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ والكريم حقاً هو الكريم: عند الله وهو يزنكم عن علمٍ وعن خبرة بالقيم والموازين: ﴿**إن الله عليم خبير**﴾.

وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس. ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع، وخلقهم من أصل واحد، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته: لواء التقوى في ظل الله. وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس، والعصبية للأرض، والعصبية للقبيلة، والعصبية للبيت، وكلها من الجاهلية وإليها، تتزيا شتى الأزياء، وتتسمى بشتى الأسماء، وكلها جاهلية عارية من الإسلام!

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة: راية الله.. لا راية الوطنية، ولا راية القومية، ولا راية البيت، ولا راية الجنس، فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: "كلكم بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان".

وقال ﷺ عن العصبية الجاهلية: "دعوها فإنها منتنة".

قولُه: "والإيمانُ: هو الإيمانُ باللهِ، وملائكتهِ، وكُتُبهِ، ورسُلِه، واليومِ الآخِرِ، والقدَرِ خيرِه وشرِّهِ، وحُلْوِهِ ومُرِّه، من الله تعالى"[١]

ش: تقدَّم أن هذه الخصالَ هي أصولُ الدين، وبها أجابَ النبيُّ ﷺ في حديثِ جبريل المشهور، حين جاءَ إلى النبيِّ ﷺ على صورة رجلٍ أعرابي، وسألَهُ عن الإيمان.

وفسَّرَ ﷺ الإيمانَ في حديثِ وفدِ عبدِ القيس، حيث قال لهم: "آمرُكم بالإيمانِ بالله وحدَهُ، أتدرونَ ما الإيمانُ باللهِ؟ شهادَةُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وأن تؤدُّوا خُمُسَ ما غَنِمتُم"[٢].

–لا تعارُضَ بين الحديثينِ–

لا يُقالُ: إن بين تفسير النبيِّ ﷺ الإيمانَ في حديثِ جبريل، وتفسيره إياه في حديثِ وفد عبد القيس معارضةً، لأنه فسَّرَ الإيمانَ في حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمانُ باللهِ وملائكته وكُتبه ورسُلِه واليومِ الآخرِ مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، بخلافِ حديث وفدِ عبدِ القيس، لأنهُ فسَّرَهُ ابتداءً، لم يتقدم قبلَهُ تفسيرُ الإسلام، ولكن هذا الجواب لا يتأتَّى على ما ذكرهُ الشيخُ رحمه الله من تفسير الإيمان، فحديثُ وفدِ عبدِ القيس مُشكِلٌ عليه[٣].

وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم.. الطريق إلى الله.. ولأنها لاتقف تحت الراية الواحدة المجمّعَة.. راية الله ا–هـ.

[١] تفسير الإيمان بالإيمان الباطن فقط فيه نظر، وهو مشكل ومخالف للنصوص التي فسرت الإيمان بالإيمان الظاهر على الجوارح، كما جاء في حديث وفد عبد القيس وغيره. ولعل الذي أوقع الشيخ في هذا هو تعريفه للإيمان بأنه: تصديق وقول. فرتب على هذا الخطأ خطأ آخر.

[٢] صحيح، وقد تقدم تخريجه.

[٣] حديث وفد عبد القيس مشكل على الماتن رحمه الله لأنه فسر الإيمان بالإيمان الباطن الذي مقره الاعتقاد والقلب فقط.

-الإيمانُ بالقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ، على أنه من عندِ اللهِ-

قال تعالى: **﴿قلْ لن يُصيبنا إلاَّ ما كتبَ اللهُ لنا﴾** التوبة: ٥١. وقال: **﴿إن تُصِبْهُم حسَنَةٌ يقولوا هذه من عند اللهِ وإن تُصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندكَ قلْ كلٌّ من عندِ اللهِ فمالِ هؤلاءِ القومِ لا يكادونَ يفقهون حديثاً﴾** النساء: ٧٨. وقال: **﴿ما أصابكَ من حسنَةٍ فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسِكَ﴾** النساء: ٧٩.

-شبهةٌ وردٌّ-

فإن قِيلَ: كيف الجمعُ بين قولِه: **﴿كُلٌّ من عندِ اللهِ﴾**، وبين قوله: **﴿فمن نفسِكَ﴾**؟ قيل: قوله: **﴿كُلٌّ من عند الله﴾**، الخِصْبُ والجَدْبُ، والنَّصْرُ والهزيمةُ، كلُّها من عند اللهِ، وقولُه: **﴿فمن نفسك﴾** أي ما أصابك من سيئةٍ من الله فبذنبِ نفسك عقوبةً لك، كما قال تعالى: **﴿وما أصابَكُم من مصيبةٍ فبما كسبَتْ أيديكُم﴾**[١] الشورى: ٣٠. والمرادُ بالحسنة هنا: النِّعمة، وبالسيئةِ: البليَّةَ.

قولُه: "ونحنُ مؤمنونَ بذلك كُلِّه، لا نُفرِّقُ بين أحدٍ من رسُلِه[٢]، ونصدِّقُهُم كُلَّهُم على ما جاؤوا به[١]".

---

[١] وكما قال تعالى: **﴿أو لمَّا أصابتكم مصيبةٌ قد أصبتُم مثلَيها قلتم أنَّى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير. وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذنِ الله وليعلمَ المؤمنين﴾** آل عمران: ١٦٥ - ١٦٦. فكون ما أصاب المؤمنين يوم التقى الجمعان، جمع المؤمنين وجمع المشركين في موقعة أحد، هو بسبب من عند أنفسهم استحقوا عليه ما أصابهم من بلاء، فهذا لا يمنع أن يكون ما أصابهم هو بإذن الله وأمره، فسبب البلاء شيء، وأن يكون هذا البلاء نزل بإذن الله وأمره وقدره شيء آخر.

[٢] قال تعالى: **﴿آمن الرسولُ بما أُنزِلَ إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمنَ بالله وملائكته وكُتبه ورسُلِهِ لا نُفرقُ بين أحدٍ من رسُلِهِ وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانَك ربنا وإليك المصير﴾** البقرة: ٢٨٥.

ش: الإشارة بذلك إلى ما تقدَّمَ مما يجبُ الإيمانُ به تفصيلاً، وقولُه: "**لا نفرّقُ بين أحدٍ من رسُلِه**" أي لا نُفرّقُ بينَهُم بأن نؤمنَ ببعض، ونكفُرَ ببعض، بل نؤمنُ بهم، ونصدِّقُهم كُلَّهُم، فإن مَن آمَنَ ببعضٍ، وكفرَ ببعضٍ، كافِرٌ بالكلِّ[٢]، قال تعالى: ﴿**ويقولون نؤمنُ ببعضٍ ونكفرُ ببعضٍ ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً. أولئك هم الكافرون حقاً**﴾[٣] النساء: ١٥٠ – ١٥١.

---

[١] ولو أضاف إلى قوله العبارة التالية: "**ونطيعهم عليه**" لكان أفضل وأحكم وأدق، لأن التصديق المجرد عن مطلق الطاعة والانقياد لا ينفع صاحبه، كما تقدم بيان ذلك.

[٢] هو كافر بالكل، لأن كفره ببعض الأنبياء يستلزم تكذيبه وكفره بمن آمن بهم من الأنبياء والرسل، الذين أمروه بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل من دون تفريق بينهم، فالأنبياء –صلوات الله عليهم– جاؤوا يصدقون بعضهم بعضاً، وهم إخوان لعلات، وهذا جاء ليفرق بينهم فيؤمن ببعض ويكفر ببعض، لذا عُدَّ كافراً بالجميع.

وهذا الكلام يتضمن الرد على اليهود الذين يزعمون الإيمان بموسى عليه السلام، والنصارى الذين يزعمون الإيمان بعيسى عليه السلام، ثم هم في المقابل يكفرون بمحمدٍ ﷺ الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام، وأمرا أتباعهما بالإيمان به واتباعه، والدخول في دينه وشريعته يوم أن يبعث رحمة للعالمين.

[٣] هذه الآية الكريمة كما تقال في حق الذين يفرقون بين الأنبياء فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، كذلك فهي تُحمل على الذين يفرقون في الدين والشريعة، فيؤمنون ببعض ما أنزل الله ويكفرون بالبعض الآخر بحسب ما تملي عليهم أهواؤهم ومصالحهم وسياساتهم الباطلة، كالعلمانيين وغيرهم من الزنادقة والمرتدين الذين يؤمنون ببعض الدين ويكفرون بالبعض الآخر، ويقولون هذا لله بزعمهم وهذا لشركائهم من الطواغيت، وما كان يصل لله فهو يصل إلى شركائهم ويجوز لهم التدخل فيه، دون العكس فإن ما يصل إلى شركائهم من قسمة ظالمة لا يصل لله، ولا يجوز له –سبحانه– التدخل فيه.. فما لله لله، وما لقيصر لقيصر.. كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاَّ كفراً وكذباً!

قال تعالى: ﴿**فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون**﴾ الأنعام: ١٣٦.

قولُه: "وأهل الكبائر من أمَّةِ محمدٍ(١)ﷺ في النار لا يُخَلَّدونَ، إذا ماتوا وهم موحِّدون(٢)...

وإنْ لم يكونوا تائبين(٣)، بعد أن لقوا الله عارفين(٤). وهم في مشيئتِهِ وحُكْمِهِ، إن شاء غَفَر لهم وعَفَا عنهُم بفضلِهِ، كما ذكرَ عز وجلَّ في كتابه: ﴿ويغفِرُ ما دون ذلك لِمَنْ يشاء﴾. وإن شاءَ عذَّبَهُم في النارِ بعدلِهِ(٥)، ثم يُخرجُهُم منها

---

(١) ولو قال: أَهْل الكبائر من المؤمنين الموحدين، لكان أعم وأدق وأصح.

(٢) فيه أن الذي يخرج من النار مهما تعاظمت ذنوبه، وكان من أَهْل التفريط، لابد أن يكون من أَهْل التوحيد المجانبين للشرك الأكبر. وفيه أن العبرة بالخواتيم، وأن المرء الذي تدركه الرحمة وشفاعة الشافعين يجب أن يكون ممن ختم لهم بالتوحيد، فالتوحيد شرط للخروج من النار ودخول الجنة. ومنه تعلم خطأ -أَهْل الإرجاء ومن تابعهم- الذين يهوّنون على الناس أهمية التوحيد وقيمته، معلقين الرجاء والآمال على الرحمة وشفاعة الشافعين!!.

(٣) لأن التوبة النصوح تجب ما قبلها بما في ذلك الشرك، وتنفي عن صاحبها صفة الذنب الذي ارتكبه، وترفع عنه تبعاته وآثاره، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وبالتالي فالتائب عن الكبائر لا يعتبر من أَهْل الكبائر، والله تعالى أعلم.

(٤) ولو قال: مؤمنين موحدين بدلاً من "**عارفين**" لكان أصح وأدق، لأن إبليس عارف بالله، واليهود والنصارى وغيرهم من المشركين عارفون بالله، ومع ذلك فالرحمة لا تنالهم لموافاتهم على الشرك. ثم أن اشتراط المعرفة هو مذهب جهم بن صفوان كما تقدم، وهو مذهب باطل خبيث لا يعول عليه.

(٥) روى البخاري في صحيحه، عن عبادة بن الصامت، أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروفٍ. فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب في ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه" فبايعناه على ذلك.

برحمتِهِ وشفاعة الشافعين من أَهْل طاعَتِهِ، ثُمَّ يبعثُهم إِلى جنَّتِه. وذلك بأن اللهَ تعالى مولَى أَهْلِ معرفَتِه[1]، ولم يجعَلْهُمْ في الدارين كأهل نكِرَتِهِ، الذين خابُوا من هِدايَتِهِ، ولم ينالُوا مِنْ ولايَتِه. اللهمَّ ياولِيَّ الإسلامِ وأهلِهِ، ثبّتنا على الإسلام حتى نلْقاكَ بهِ".

ش: فقوله: "**وأهلُ الكبائرِ من أمةِ محمدٍ ﷺ في النارِ لا يُخَلَّدون** .. " ردٌّ لقولِ الخوارج والمعتزلَةِ القائلين بتخليد أَهْل الكبائر في النار[2].

قال المازني: فيه ردٌّ على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب.

(١) لو قال أَهْل توحيده وطاعته بدلاً من "**أَهْل معرفته**" لكان أحسن وأصح، وذلك للعلة الآنفة الذكر في الهامش رقم (٢) فانظره.

(٢) قد تضافرت الأدلة الدالة على خروج أَهْل الكبائر **الموحدين** من النار، منها الحديث الذي يرويه مسلم في صحيحه: عن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلاَّ دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: "وإن زنى وإن سرق"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟! قال: "وإن زنى وإن سرق"، ثلاثاً، وفي رواية: "وشرب الخمر"، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر"، قال: فخرج أبو ذرٍّ وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر.

قال الإمام أحمد: ومن مات من أَهْل القبلة **موحداً** يُصلى عليه ويُستغفر له، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه، صغيراً كان أو كبيراً، وأمره إلى الله ﷻ ا-هـ.

وقال أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي رحمه الله: والذي عندنا أن نقول: لا يخلد **موحد** في النار ا-هـ.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري يروي عن جماعة من السلف: لم يكونوا يكفرون أحداً من أَهْل القبلة بالذنب لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** ا-هـ.

وغيرهم كثير من السلف الذين قرروا عدم تخليد أَهْل الكبائر الموحدين في النار. (انظر شرح أصول اعتقاد أَهْل السُّنَّة والجماعة لأبي قاسم الطبري اللالكائي، ج ١ / ١٥١-١٨٦).

-الرحمةُ تنالُ أَهْلَ الكبائرِ من جميعِ الأُمم-

قولُه: "**وأهلُ الكبائرِ من أُمَّةِ محمدٍ**" تخصيصه أمَّةَ محمدٍ، يُفَهمُ منه أن أَهْلَ الكبائر من أمةِ غيرِ محمدٍ ﷺ قبل نسخِ تلك الشرائع به، حُكمهُم مخالِفٌ لأهلِ الكبائرِ من أمةِ محمدٍ، وفي ذلك نظر، فإن النبيَّ ﷺ أخبرَ أنه: "يَخرجُ من النارِ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمان"، ولم يخصَّ أمتَهُ بذلك، بل ذكرَ الإيمانَ مطلَقاً.

-تعريفُ الكبيرةِ-

اختلفَ العلماءُ في الكبائرِ على أقوالٍ، أصحُّها من قال: إنها ما يترتَّب عليها حدٌّ، أو تُوعِّدَ عليها بالنار، أو اللعنَةِ، أو الغضَب[1]، وترجيحُ هذا القول من وجوه:

أحدُها: أنه هو المأثورُ عن السلف، كابنِ عباسٍ، وابن عُيينَةَ، وابن حنبل وغيرهم.

الثاني: أن اللهَ تعالى قال: **﴿إن تجتنبوا كبائرَ ما تُنهَونَ عنه نُكفِّرْ عنكم سيئاتِكُم وندخِلْكُم مُدخلاً كريماً﴾** النساء: ٣١. فلا يَستحقُّ هذا الوعدَ الكريمَ من أُوعِدَ بغضبِ الله

---

[1] قال ابن تيمية في الفتاوى (١١/٦٥٠): أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس، وذكره أبو عبيد، وأحمد بن حنبل، وغيرهما: أن الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة. وهو معنى قول من قال: ماليس فيها حد في الدنيا، وهو معنى قول القائل: كل ذنب خُتم بلعنةٍ، أو غضبٍ، أو نار فهو من الكبائر ا-هـ.

قلت: الكبائر بعضها أكبر من بعض، وأخص الذنوب بمسمى الكبائر، الذنوب التي وصفها النبي ﷺ على أنها من الكبائر أو من أكبر الكبائر، كما في الحديث المتفق عليه، قال رسول ﷺ: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - ثلاثاً" قالوا: بلى يارسول الله، قال: " الإشراك بالله، وعقوق الوالدين -وكان متكئاً فجلس- فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور" فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت.

وقال ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات"، قيل: وما هي يارسول الله؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" متفق عليه.

ولعنته ونارِه، وكذلك من استحقَّ أن يُقامَ عليه الحدُّ لم تكن سيئاتِه مُكَفِّرَةً عنه باجتناب الكبائر.

الثالث: أن هذا الضابطَ مرجِعُه إلى ما ذكره اللهُ ورسولُه من الذنوبِ، فهو حدٌّ مُتلقَّى من خطابِ الشارِعِ.

الرابع: أن هذا الضابطَ يُمكِنُ الفرقُ به بين الكبائر والصغائرِ، بخلاف غيره.

-تنبيه-

قوله: **"بعدَ أن لَقُوا اللهَ تعالى عارفين"**، لو قال: مؤمنين، بَدَلَ قولِه: **"عارفين"** كان أولى، لأن من عرفَ اللهَ ولم يؤمِنْ به فهو كافر. وإنما اكتفى بالمعرفةِ وحدَها الجهمُ، وقولُه مردودٌ باطل، فإن إبليسَ عارِفٌ بربه.

-الغُفرانُ المعلَّقُ بالمشيئةِ هو غفرانُ الذنوبِ سوى الشِّركِ، قبل التوبةِ-

فصلَ الله تعالى بين الشرك وغيره، لأن الشرك أكبرُ الكبائر[1]، كما أخبرَ اللهُ تعالى ورسولُه أن الشركَ غير مغفورٍ، وعلَّقَ غُفرانَ ما دونه بالمشيئةِ، وغفرانُ الكبائر والصغائرِ بعد التوبةِ مقطوعٌ به[2]، غير معلَّقٍ بالمشيئَةِ، كما قال تعالى: **﴿قُلْ يا عبادِيَ الذين أسرفوا على أنفُسِهم لا تقنطوا من رحمةِ اللهِ إن اللهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً إنه هو الغفورُ الرحيم﴾** الزمر: ٥٣. فوجَبَ أنْ يكون الغُفرانُ المعلَّق بالمشيئةِ هو غُفران الذنوبِ سوى الشركِ بالله قبلَ التوبَةِ.

-الدعاءُ بالثباتِ وحسْنِ الختامِ-

---

[1] كما قال تعالى: **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾** **﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به﴾**، فالشرك فتنة لا تعلوه فتنة، لذا فإن جميع المقاصد ترخص من أجل إزالته وإحقاق ضده من التوحيد.

[2] مقطوع به على العموم لا التعيين..

عـن أنـس ﷺ قـال: كـان مِـن دُعـاءِ رسـولِ اللـهِ ﷺ: "يا وليَّ الإسـلام وأهلِـهِ، مَسِّـكني بالإسلام حتى ألقاكَ عليه"[1]. ومن دعاء يوسف عليه السلام: ﴿**ربِّ قد ءاتيتني من الـمُلكِ وعلَّمتني من تأويلِ الأحاديثِ فاطِرَ السماواتِ والأرضَ أنت وليِّ في الدنيا والآخِرةِ توفني مُسلماً وألحقني بالصالحين**﴾ يوسف: ١٠١. وبه دعا السَّحَرةُ الذين آمنوا بموسى عليه السلام، حيثُ قالوا: ﴿**ربَّنا أفرِغ علينا صبراً وتوفَّنا مُسلمين**﴾ الأعراف: ١٢٦.

قولُه: "ونَرَى الصلاةَ خلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ من أَهْل القبلة[2]، وعلى من ماتَ منهم".

---

[1] إسناده جيد، أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة"، رواه من طريق الطبراني بسنده عن أنس بن مالك.

ومن دواعي الدعاء بحسن الختام أن المرء لا يأمن خاتمته، وما العمل الذي يُختم عليه به، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الرجل منكم ليعمل بعملِ أَهْلِ الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أَهْل النار، فيدخل النار. وإن الرجل ليعمل بعمل أَهْل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلاَّ ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أَهْل الجنة فيدخل الجنة".

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تعجبوا بعمل أحدٍ حتى تنظروا بما يختم له، فإن العامل يعمل زماناً من دهره أو برهة من دهره بعملٍ صالح لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً، وإن العبد ليعمل زماناً من دهره بعملٍ سيء لو مات عليه دخل النار، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً، وإذا أراد الله بعبدٍ خيراً استعمله قبل موته فوفقه لعمل صالح ثم يقبضه" (رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: ١٣٣٤).

فالعبرة بالخواتيم، وبما يُختم عليه المرء، نسأل الله تعالى أن يختم لنا حياتنا بأحب الطاعات إليه وأرضاها له سبحانه وتعالى، إنه سميع قريب مجيب.

[2] وذلك مراعاة لواجب الاجتماع وتوحيد الكلمة والصف، وعدم الوقوع في المفسدة الأعظم التي تكمن في الفرقة والتنازع والبغضاء. وقوله: "**من أَهْل القبلة**" أي من أَهْل الملة والتوحيد والصلاة؛

ش: في صحيح البخاري أن عبد الله بن عمر كان يُصَلِّي خلفَ الحجَّاجِ بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالِك، وكان الحجَّاجُ فاسقاً ظالماً. وقال ﷺ: "يُصلُّون لكم، فإن أصابوا فلكُم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم"(١). وكذلك كان عبد الله بن مسعود وغيره، يُصَلُّون خلفَ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرَبُ الخمرَ، حتى إنه صلى بهم الصبحَ مرَّةً أربعاً، ثم قال: أزيدُكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معكَ منذ اليومَ في زيادَةٍ!!

-الصلاةُ خلْفَ مستورِ الحالِ-

يجوزُ للرجلِ أن يُصَلِّي خلْفَ من لم يَعلَم منه بدعةً ولا فِسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شرط الائتمام أن يعلَمَ المأمومُ اعتقادَ إمامِهِ، ولا أن يمتحِنَهُ، فيقولُ: ماذا تعتقد(٢)؟! بل يُصلي خلفَ المستورِ الحال.

فهو مهما ظهر منه من فجور لا يجوز أن يبلغ به فجوره درجة الكفر والارتداد، فإن حصل ذلك فحينها لا صلاة خلفه ولا عليه؛ فالتوحيد أصل الأصول ترخص في سبيله ولأجله كل الأصول والوشائج والمقاصد.

ومن غرائب هذا الزمان التي يشتد لها العجب، أنه لا يوجد شخص -مادام ينتسب للملة- لا يُصلى خلفه مهما كان متلبساً بالشرك والكفر، وكذلك لا يوجد ميت لا يصلى عليه مهما أسلف في حياته من الكفر البواح، ولو كان علَماً من أعلام الزندقة والإلحاد!!

وفي حين يُسأل القوم عن الدليل على غرائبهم الباطلة هذه، يجيبون بعبارة الماتن: "**ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر**"، فحملوا الفجور على الكفر البواح!!

(١) رواه البخاري وغيره.

(٢) اشتراط معرفة عقيدة الإمام هو من خلق الخوارج وعاداتهم السيئة الذين عُرفوا بالغلو والتكلف والتنطع، وكنت قد رافقت بعض من مسهم غلو الخوارج إلى الصلاة في مسجدٍ من مساجد "كراتشي" في الباكستان، فصلينا نحن مؤتمين بالإمام كالعادة، وهم امتنعوا عن الصلاة خلفه وصلوا منفردين، وعندما انتهت الصلاة سألناهم عن سبب فعلتهم، فتعلَّلوا أنهم يجهلون عقيدته، ويمكن أن يكون كافراً..!!

-الحالاتُ التي تُترك فيها الصلاةُ خلفَ الفاسقِ المبتدعِ-

ولو صلَّى خلفَ مبتدعٍ يدعو إلى بدعته، أو فاسقٍ ظاهرِ الفسقِ، وهو الإمامُ الراتِبُ الذي لا يمكِنهُ الصلاة إلاَّ خلفَهُ، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحجِّ بعرفَةٍ، ونحو ذلك فإن المأمومَ يُصلي خلفَهُ، عند عامَّةِ السلفِ والخلَفِ.

والفاسِقُ والمبتدعُ صلاتُه في نفسها صحيحةٌ، فإذا صلى المأمومُ خلْفَهُ لم تبطلُ صلاتُه، لكن إنما كَرِه من كَرِه الصلاةَ خلفَهُ، لأن الأمرَ بالمعروف والنهيَّ عن المنكر واجبٌ[1].

ومن ذلك أن من أظهر بدعةً وفجوراً لا يُرَتَّبُ إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزيرَ حتى يتوبَ، فإذا أمكنَ هجرُهُ حتى يتوبَ كان حسناً، وإذا كان بعضُ الناسِ إذا تركَ الصلاةَ خلفَهُ وصلى خلف غيره، أثَّرَ ذلك في إنكار المنكر حتى يتوبَ أو يُعزَلَ، أو ينتهي الناسُ عن مثل ذنبِهِ، فمثلُ هذا إذا تركَ الصلاةَ خلفَهُ كان في ذلك مصلحةً شرعية، ولم تَفُتِ المأمومَ جمعةً ولا جماعةً.

ولهؤلاء ولمن كان على نهجهم وجهلهم -سائلين الله لهم الهداية- ننقل إليهم قول ابن تيمية رحمه الله، حيث يقول في الفتاوى (٥٤٢/٤): وتجوز الصلاة خلف كل مسلم مستور باتفاق الأئمة الأربعة وسائر أئمة المسلمين، فمن قال: لا أصلي جمعة ولا جماعة إلاَّ خلف من أعرف عقيدته في الباطن، فهذا مبتدع **مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم** ا-هـ.

وقال في الفتاوى ٣٥١/٢٣: ليس من شروط الإئتمام أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟ بل يصلي خلف مستور الحال. وقول القائل لا أصلي خلف من لا أعرفه، كما لا أسلم مالي إلاَّ لمن أعرفه، **كلام جاهل لم يقله أحد من أئمة الإسلام** ا-هـ.

[1] لا تنافي بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الصلاة خلف الفاسق أو المبتدع، إذ كلاهما ممكنان في آنٍ معاً، ولا يستلزم أحدهما انتفاء الآخر، ومن رأى كراهية الصلاة خلف المبتدع، هو لاجتهاده أن في اجتناب الصلاة خلفه يكون أبلغ في الزجر والتحذير من بدعته.

وكذلك إذا أمكن الإنسانُ أن لا يُقدِّمَ مُظهِراً للمنكر في الإمامةِ وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاَّه غيرُهُ، ولم يُمكِنهُ صرفَهُ عن الإمامةِ، أو كان لا يتمكَّن من صرفه عن الإمامةِ إلاَّ بشرٍّ أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوزُ دفعُ الفسادِ القليلِ بالفسادِ الكثيرِ، ولا دفعُ أخفِّ الضررين بحصول أعظمِهما[1]، فإن الشرائعَ جاءَت بتحصيلِ المصالحِ وتكميلِها، وتعطيل المفاسِدِ وتقليلها بحسبِ الإمكان[2]، فتفويتُ الـجُمَعِ والجماعاتِ أعظمُ فساداً من الإقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لاسيَّما إذا كان التخلُّفُ عنها لا يدفعُ فجوراً[3].

-إذا أخطأ الإمامُ، فلا إعادةَ على المأموم-

---

[1] هذه القاعدة "**ارتكاب أخف الضررين لدفع الأعظم أو الأشد ضرراً**"، هي قاعدة شرعية صحيحة قد دلت عليها كثير من النصوص الشرعية، ولكن مما ينبغي التنويه له هنا: أن تقييم المفاسد والمصالح ينبغي أن يكون على ضوء الشرع وعلى أساس الأولويات التي حددتها الشريعة، بعيداً عن الترجل والهوى والأغراض الشخصية والحزبية. فلا مفسدة تعلو مفسدة الشرك والكفر، ولا مصلحة تعلو وترجح على مصلحة التوحيد وتحقيقه، لذا ترخص لأجله جميع المصالح، والغالي والنفيس..

[2] لتغيير المنكر يُشترط شرطان: **أحدهما**، الاستطاعة والقدرة، لقوله تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾**. وفي الحديث فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "ليس بمؤمن من أذَلَّ نفسَهُ، يُعَرِّضُ نفسَه للبلاء ليس له به طاقة". **والثاني**: أن لا يؤدي المنكر إلى ما هو أشد منه منكراً وفساداً، فنغير الصغائر لنقع في الكبائر، أو نغير الكبائر وإذا بنا نقع في الكفر والشرك!!.

[3] قد تقدم أن المراد بالإمام الفاجر هو الإمام الذي لم يبلغ به فجوره درجة الكفر الأكبر، أما إذا بلغ به فجوره درجة الكفر والارتداد، فحينها لا تصح صلاته، ولا تجوز الصلاة خلفه، وهذا مما لا خلاف عليه.

وأما الإمامُ إذا نسيَ أو أخطأ، ولم يعلم المأمومُ بحاله فلا إعادة على المأمومِ، لقوله ﷺ: "يُصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم". نصٌّ صحيحٌ صريحٌ في أنَّ الإمامَ إذا أخطأَ فخطؤُه عليه لا على المأموم. وقد صلى عمر رضي الله عنه وهو جُنبٌ ناسياً للجنابة، فأعادَ الصلاةَ، ولم يأمر المأمومين بالإعادة[1].

-طاعةُ الأئمةِ في مواردِ الإجتهاد-

قد دلَّت نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعُ سلَفِ الأمةِ أن وليَّ الأمر، وإمامَ الصلاةِ[2]، والحاكِمَ، وأميرَ الحربِ، وعامِلَ الصدقة يُطاعُ في مواضعِ الإجتهاد، فإن مصلحةَ الجماعةِ والإئتلاف، ومفسدَةِ الفُرقةِ والإختلاف أعظمُ من أمرِ المسائلِ الجزئيةِ. ويُروى عن أبي يوسف أنه لما حجَّ مع هارون الرشيد، فاحتجمَ الخليفةُ، وأفتاه مالِك بأنه لا يتوضأ، وصَلى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أصليت خلفَهُ؟ قال سُبحانَ اللهِ! أميرُ المؤمنين. يريدُ بذلك أن تركَ الصلاةِ خلفَ ولاةِ الأمورِ من فِعلِ أَهْلِ البدَع.

-الصلاة على مَوتى المسلمين وإن كانوا فُجَّاراً-

وقوله: "**وعلى من ماتَ منهم**" أي ونرى الصلاةَ على مَن ماتَ من الأبرارِ والفجارِ، وإن كان يُستَثنى من هذا الكلامِ البُغاةُ وقُطاعُ الطريقِ، وكذا قاتِلُ نفسه[3]، لكن الشيخَ إنما ساقَ

---

[1] رواه عبد الرزاق في "المصنف" وكذا ابن أبي شيبة بأسانيد بعضها صحيح.

[2] فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنما جُعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون". وعليه فالراجح أن المأموم يتبع إمامه في جميع حركات الصلاة وإن خالفت بعضها مذهبه، وبخاصة إذا كانت هذه الحركات صادرة عن الإمام عن اجتهاد صحيح وراجح. وبسبب غياب هذا الفقه الهام كانت ولاتزال تحصل مشاكل كثيرة -تنعكس سلباً على وحدة الصف والكلمة وصفاء القلوب -بين الإمام والمؤتمين لمخالفة أحدهما للآخر في بعض حركات الصلاة!!.

[3] هذا الاستثناء فيه نظر، حيث لا دليل عليه، وإذا كان النبي ﷺ ترك الصلاة على بعض العصاة، إنما ذلك لبيان سوء صنيعهم وزجراً لمن بعدهم من الناس من أن يأتوا صنيعهم، وحتى لا

هذا الكلامَ لبيانِ أنَّا لا نتركُ الصلاةَ على من ماتَ من أَهْل البدَعِ والفجور، لا للعمومِ الكُلِّي.

-تركُ الصلاة على مَن عُرِف بالنفاقِ، أو ماتَ مُرتداً-

فمن عُلِمَ نفاقُهُ، لم تجز الصلاةُ عليه والاستغفارُ له، ومَن لم يُعلَمْ ذلك منه صُلِّي عليه، فإذا عَلِمَ شخصٌ نفاقَ شخصٍ لم يُصلِّ هو عليه، وصلى عليه مَن لم يَعلمْ نفاقَهُ، وكان عمر ﷺ لا يُصلي على مَن لم يُصلِّ عليه حُذيفةُ، لأنه كان في غزوةِ تبوك قد عَرَفَ المنافقين[1]، وقد نهى اللهُ سبحانه رسولَه ﷺ عن الصلاةِ على المنافقين، وأخبرَ أنه لا يغفِرُ لهم باستغفارِه، وعلَّلَ ذلك بكفرهم بالله ورسوله[2].

يقترفوا ما فعلوه، وليس لعدم جواز الصلاة عليهم مطلقاً، بدليل أنه قال لأصحابه: "صلوا على صاحبكم"، فأمرهم بالصلاة عليه وكان قد قتل نفسه، واعتزل هو ﷺ الصلاة عليه. لذلك فلو قيل يستحسن للأمراء والعلماء تأسياً بالنبي ﷺ أن يعتزلوا الصلاة على من اشتهر بالفجور وارتكاب المعاصي، وصلى عليه من هم دونهم من عامة المسلمين، لكان ذلك أحسن وأقرب للسنة.

[1] حيث أعلمه النبي ﷺ عن أسمائهم، وقد سئل علي بن أبي طالب ﷺ عن حذيفة فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين. (المستدرك: ٣/٣٨١).

[2] كما قال تعالى: **﴿ولا تُصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تَقُم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾** التوبة: ٨٤. وقال تعالى: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرَّةً فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القومَ الفاسقين﴾** التوبة: ٨٠.

قلت: ومما ابتليت به الأمة في هذا الزمان، وفي كثير من البلدان -بسبب تعطيل الحدود، وتهميش الدين عن واقع الحياة وقيادة الأمة، وبسبب النفس الإرجائي الخبيث المنتشر في أمصار المسلمين- أن مقابر المسلمين مملوءة بالكفار والزنادقة والمرتدين، حيث لم يعد من المستهجن أن يُصلى على أي جنازة ومن ثم قبر صاحبها في مقابر المسلمين، علماً أن صاحبها قد يكون في حياته شيوعياً ملحداً، لا يعرف صلاة ولا شيئاً من واجبات الدين، ولربما كان شتاماً للرب والدين ولأتفه

قولُه: "ولا نُنْزِلُ أَحَداً مِنهم جَنَّةً وَلا نَاراً[١]".

ش: يريد: أنَّا لا نقولُ عن أَحَدٍ مُعَيَّنٍ من أَهْل القبلةِ: إنَّه مِن أَهْل الجنَّةِ، أو مِن أَهْل النار، إلاَّ مَن أَخبرَ الصادِقُ ﷺ أَنه مِن أَهْل الجَنَّة كالعَشْرَةِ رضي الله عنهم[٢]، وإن كُنَّا

الأسباب.. فكل هذا لا يمنع القوم من الصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، فيكفيهم منه أن اسمه اسماً إسلامياً، أو أنه ينتمي لأبوين مسلمين ولو كانا بالاسم أيضاً!!.

[١] يريد من مات من أَهْل القبلة لاحتمال العفو أو العقاب، بينما من مات من الكافرين على الكفر، فإننا ننزله ناراً، ونشهد على المعين منهم وباسمه بأنه من أَهْل النار، كما صح عن النبي ﷺ أنه قال للأعرابي: "حيثما مررت بقبر كافر فبشره النار". وقد صح عنه ﷺ أنه كان يخاطب أَهْل القليب من قتلى الكفار يوم بدر بأسمائهم وأسماء آبائهم، قائلاً: "يا أَهْل القليب، ياعتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام -فعدد من كان منهم في القليب- هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً". وفي رواية عند البخاري: "فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان..". وكذلك إلزام أبي بكر ﷺ للمرتدين أن يشهدوا أن قتلاهم في النار كشرط لقبول توبتهم.. وهذا المعنى مستفيض في الشريعة ولله الحمد.

[٢] عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله ﷺ: "أبو بكرٍ في الجنَّةِ، وعُمَرُ في الجنَّةِ، وعُثمان في الجنةِ، وعَليٌّ في الجنة، وطَلْحةُ في الجنة، والزبيرُ في الجَنَّة، وعبد الرحمن بن عوفٍ في الجَنَّةِ، وسَعْدُ بن أبي وقاص في الجنة، وسَعيدُ بن زيدٍ في الجنة، وأبو عبيدَةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنةِ". صحيح سنن الترمذي: "٢٩٤٦". أقول: المشهور عندَ الناس أن المبشرين بالجنة هؤلاء العشرة رضوان الله عليهم فقط، عِلماً أن الذين بشرهم النبيُّ ﷺ بالجنة كثيرون، كقوله لعكاشة: "إنك منهم" أي: من الذين يدخلون الجنَّة من دون حساب. وقوله عن الحسن والحسين: إنهما سيدا شباب أَهْل الجنة. وكذلك أمهما فاطمة الزهراء رضي الله عنها، كما في الحديث الصحيح، الذي يرويه الترمذي بسنده عن أم سلمة: أن رسولَ الله ﷺ، دعا فاطمة عام الفتح، فناجاها فبكت، ثم حدثها فضحكت. قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عن بكائها وضحكها، قالت:

نقول: إنَّه لا بُدَّ أَنْ يَدخُلَ النارَ من أَهْل الكبائرِ مَن يشاء اللهُ إدخالَهُ النارَ، ثمَّ يَخرجُ بشفاعَةِ الشَّافِعين، ولكنَّا نَقِفُ في الشَّخْصِ المعَيَّنِ، فَلا نَشْهَدُ له بجَنَّةٍ ولا نار إلاَّ عن عِلْم، لأنَّ حقيقَةَ باطِنِه، وما ماتَ عليه لا نُحيطُ به[١]، لكن نَرجو للمُحْسِنِ، ونَخافُ على المُسيءِ.

-ثناء النَّاسِ[٢] على المرءِ خيراً، بُشْرى خَيْرٍ له، وكذلك ثناؤهم عليه شَرَّاً، بُشْرَىَ شَرٍّ له يومَ القيامَةِ-

جاء في "الصحيحين": أَنَّهُ مُرَّ بجنازَةٍ، فأَثْنَوا عليها بخَيرٍ، فقالَ النبيُّ ﷺ: "وجَبَتْ"، ومُرَّ بأخْرَى فأُثنِيَ عليها بشَرٍّ، فقال: "وجَبَت"، فقال عُمَرُ: يارسولَ اللهِ، ما وجَبَتْ؟ فقالَ رسولُ

أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت فبكيتُ، ثم أخبرني أني سيدة نساء أَهْل الجَنَّة، إلاَّ مريم بنت عمران، فضحكت.

وكذلك قوله ﷺ عن عائشة: "عائشة زوجتي في الجَنَّةِ". وقوله لبلال: "يا بلال بما سبقتني إلى الجنة؟ ما دخَلْتُ الجَنَّةَ قط إلاَّ سَمِعْتُ خشخشَتَكَ أمامي.. ". وكذلك قوله عن عمرو بن العاص: "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص" فيه أن عمرو من أَهْل الجنة، لأنه قد صَحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يدخل الجنة إلاَّ مؤمن". وكذلك قوله ﷺ عن عامَّة أَهْل بدر، ومَن بايع يوم الحديبية تحت الشجرة: "إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد -إن شاء الله- ممن شهد بدراً والحديبية". وقال: "لا يدخلُ النارَ أحدٌ مِمَّنْ بايع تحت الشجرةِ". وهذه أحاديث كلها صحيحة ولله الحمد، وهي بعض مِن كل، والمسألة تستحق كتاباً مستقلاً يُحصى فيه الصحابة المبشرون بالجنة.

[١] ومنه يُعْلم أنه لا يصح أن يُجزم للمعين بأنه شهيد، وأنه من أَهْل الشهادة الذين لهم الجنة كما هو دارج على ألسنة الناس اليوم، قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ الرجلَ ليعملُ عملَ أَهْل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أَهْل النار. وإنَّ الرجلَ ليعمَلُ عملَ أَهْلِ النار فيما يبدو للناس، وهو من أَهْل الجنة".

[٢] المراد بالناس هنا، هم الناس العدول الصالحون المتقون، وليس الرعاع والفساق والفجار والمنافقين، فهؤلاء لا يثنون خيراً إلاَّ على من كانَ على شاكلتهم وخُلقهم، وثناؤهم لا يعتبر..

الله ﷺ: "هذا أَثنيتُم عليه خيْراً وجَبَتْ له الجنَّةُ، وهذا أَثنيتُم عليه شَرّاً وجبت له النَّارُ، أنتم شُهَدَاءُ اللهِ في الأرضِ".

وقال ﷺ: "تُوشِكُونَ أَنْ تَعلَمُوا أَهْلَ الجنَّةِ مِنْ أَهْل النَّارِ"، قالوا: بِمَا يارَسولَ الله؟ قال: "بالثَّناءِ الحَسَنِ والثنَاءِ السَّيِّءِ"(١).

قولُه: "ولا نشهَدُ عليهِمْ بكفرٍ ولا بِشرْكٍ ولا بنفاقٍ، ما لَمْ يَظهرْ منهم شيءٌ من ذلك، ونذَرُ سرائرَهُم إِلى اللهِ تعالى"(٢).

---

(١) رواه ابن ماجة، وأحمد، وإسناده محتمل التحسين. وهناك أحاديث عديدة صحيحة تدل على هذا المعنى، منها قوله ﷺ: "إذا أتى الرجل القوم فقالوا له: قحطاً، فقحطاً له يوم القيامة". وقوله: "إذا سمعت جيرانك يقولون أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت". وقوله: "أهلُ الجنة مَن مَلأَ اللهُ أذنيه من ثناء الناس خيراً، وهو يسمع، وأهل النار مَن ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع". وقوله: "إذا صَلُّوا على جنازةٍ فأثنوا خيراً، يقول الرب: أجزت شهادتَهم فيما يعلمون، وأغفر له ما لا يعلمون". وقوله: "أيُّما مسلمٍ شهد له أربعةٌ بخير، أدخله اللهُ الجنَّةَ، أو ثلاثةٌ أو اثنان". وهذا كله يحمل على وجه العموم لا التعيين، وعلى وجه الرجاء لا الجزم واليقين.

(٢) كما يحكم على المرء بالإسلام من خلال ظاهره الدال على إسلامه وانقياده؛ كذلك يُحكم عليه بالكفر والخروج من الدين من خلال ظاهره الدال على كفره، فمن أظهر لنا الكفر البواح -من غير مانعٍ شرعي معتبر- أظهرنا له التكفير، فمدار الحكم إيماناً وكفراً على الظاهر، من دون أن نتكلف معاناة شق القلوب، وتتبع خفايا السرائر التي لا يعلمها إلاَّ الله سبحانه وتعالى.

عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "أقال لا إله إلا الله وقتلته؟!"، قال: قلت يارسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح!، قال: "أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟!" فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذٍ. (رواه مسلم).

أي كونك لا تستطيع أن تشق عن قلبه، وهو فوق الطاقة، لتعلم أقالهما تعوذاً من السلاح أم لا، كان يجب عليك أن تكتفي بما ظهر منه مما يدل على إسلامه.

ش: لأنا قد أُمِرْنا بالحكمِ بالظاهرِ، ونُهينا عن الظنّ واتباعِ ما ليس لنا به عِلمٌ. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنَّ بعض الظن إثمٌ﴾** الحجرات: ٢. وقال: **﴿ولاتقفُ ما ليس لك به عِلمٌ إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** الإسراء: ٣٦.

قال النووي في الشرح (١٠٧/٢): وقوله ﷺ: "أفلا شققت عن قلبه". فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول أن الأحكام يُعمل فيها بالظواهر، والله يتولى السرائر ا-هـ.

ومن عجائب أصحاب مذهب الغوص في القلوب ومعرفة ما فيها!، أنهم يستشهدون بهذا الحديث على وجوب شق القلوب ومعرفة حقيقة ما وقر فيها قبل الحكم على أصحابها، فإن حُكم على معين بالكفر بناءً على ما أظهر من الكفر البواح، سرعان ما يبادرونك السؤال: هلاَّ شققت عن قلبه، لتعلم أنه كفر من قلبه أم لا.. ؟! فيحملون الحديث على الإلزام لا على اثبات العجز! وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم"، وكان ﷺ يتعامل مع المنافقين بناء على ما يظهرونه من إسلام ويكف عنهم مع علمه أنهم في قلوبهم وبواطنهم أشد كفراً ونفاقاً، تقريراً لأمته قاعدة اعتبار الظاهر عند تبني الأحكام على الآخرين.

وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمَّناه وقرَّبناه وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة. (رواه البخاري).

وقال ابن حجر في الفتح: وكلهم أجمعوا على أن أحكام الدين على الظاهر والله يتولى السرائر، وأن أمور الناس محمولة على الظاهر، فمن أظهر شعائر الدين أجريت عليه أحكام أَهْله ما لم يظهر منه خلاف ذلك ا-هـ.

ولكن مما ينبغي التنويه له أن من يكون كفره مرجوح ومحتمل وغير بواح، فهنا لا بد من التبين والتثبت ومراعاة مراده وقصده فيما صدر عنه من كفر محتمل، بخلاف الكفر البواح الظاهر الذي لا يحتاج إلى مثل هذا التحقيق أو التدقيق.

قولُه: ﴿ولا نرى السيفَ على أحدٍ من أمةِ محمدٍ ﷺ إلاَّ من وجب عليه السيف[1]﴾.

ش: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "لا يحِلُّ دمُ امرِئٍ مُسلمٍ يشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ، إلاَّ بإحدى ثلاثٍ: الثيّبُ الزاني، والنفسُ بالنفسِ، والتاركُ لدينهِ المفارِقُ للجماعَةِ[2]" متفق عليه.

---

[1] أي إلاَّ من وجب عليه القتل بنص شرعي جلي صحيح، لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً، فإن الدماء شأنها عظيم، وحرمتها مغلظة، لا يُسفك منها شيء بزعم عقوبة التعزير، كما يفعل من أصابهم الهوس، والغلو، والإسراف في القتل وسفك الدماء، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يُجلد فوق عشر جلدات إلاَّ في حدٍّ من حدود الله".

قال الترمذي في سننه: وقد اختلف أَهْل العلم في التعزير، وأحسن شيء يُروى في التعزير هذا الحديث ا-هـ.

فتأمل، إذا كان التعزير لا يجوز أن يتجاوز العشرة سياط بنص حديث النبي ﷺ، فكيف تُراه يتجاوز عندك ليبلغ حد قطع الأعناق، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات..؟!!

وفي كلام الماتن ردٌ على الخوارج الغلاة الذين يضعون سيوفهم في أمة الإسلام، وكما وصفهم النبي ﷺ: "يقتلون أَهْل الإسلام ويتركون أَهْل الأوثان".

[2] المراد بالتارك لدينه المفارق للجماعة؛ أي المرتد عن دينه الإسلام إلى دين الكفر، والمفارق لجماعة المؤمنين إلى جماعة الكافرين، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من ارتد عن دينه فاقتلوه"، ويوضح هذا المعنى رواية ابن ماجة في سننه: "لا يحل دم امرئ مسلمٍ إلاَّ في إحدى ثلاث: رجل زنى وهو محصن فرجم، أو رجل قتل نفساً بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه". ففسر مفارقة الجماعة، بالارتداد عن الدين بعد إسلامه.

واعلم أن المسلم على المسلم كله حرام دمه وماله وعرضه، وأن قتل النفس التي حرم الله بغير حق من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر التي توجب غضب الله ولعنته وعذابه الأليم على صاحبها، قال تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنَّمُ خالداً فيها وغَضبَ الله عليه ولعنَه وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾** النساء: ٩٣.

وفي الحديث فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "اجتنبوا السبع الموبقات" قيل: وما هن يارسول الله؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق..". وقال ﷺ: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" و "المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"، مفهوم الحديث: أن الذي لا يأمنه المسلمون على أموالهم وأنفسهم، ولا يسلمون من شرِّ لسانه ويده، فهو ليس بمسلمٍ ولا مؤمن.

وقال ﷺ: "كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه"، وقال ﷺ: "من حمل علينا السلاح فليس منا"، قال ابن حجر في الفتح (٢٤/١٣): أي ليس على طريقتنا، أو ليس متبعاً لطريقتنا، لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه لارادة قتاله أو قتله.. إلى أن قال: والأولى عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله، ليكون أبلغ في الزجر ا-هـ.

وقال ﷺ: "لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا"، وقال ﷺ: "كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره إلاَّ الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً"، وقال ﷺ: "أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة"، وقال ﷺ: "لا يزال العبد في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً"، وقال ﷺ: "من قتل رجلاً من أَهْل الذمة، لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجَد من مسيرة سبعين عاماً"، وقال: "من قتل نفساً معاهِدة بغير حلها، حرَّم الله عليه الجنة أن يشم ريحها".

قلت: إذا كان هذا شأن من يقتل ذمياً أو رجلاً معاهداً من الكافرين، فما يكون القول: فيمن يقتل المسلمين والمؤمنين الآمنين في بيوتهم، وأسواقهم وأماكن عملهم..؟!

وقال ﷺ: "إن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدةٍ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه"، وهذا إذا كان على وجه المزاح واللعب، فما بالك فيمن يشير جاداً بالمسدسات والرشاشات والقنابل، وغيرها من الأسلحة الفتاكة ليرعب المسلمين المؤمنين، لا شك أنه أولى باللعن والطرد من رحمة الله ..

وفي جميع ما تقدم من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، عبرة وعظة، ومدعاة توجب على كل من يحمل السلاح باسم الجهاد أن يتقي الله في نفسه، وسلاحه، وأمته ومن حوله من الناس الآمنين المسلمين.. فلا يجوز له باسم الجهاد أن يقتل صعلوكاً من الكافرين -قد يكون من السياسة الشرعية عدم الاشتغال به- ليقتل معه النساء والأطفال، والعشرات من المسلمين الآمنين

قولُه: "ولا نرى الخروجَ على أئمتِنا ووُلاةِ أُمورِنا[1]... وإن جاروا[2]...

في بيوتهم وأسواقهم.. ليس من الدين ولا الرجولة أن تضع قنبلتك في أي مكان، وبطريقة لا تأمن ضحاياها وقتلاها، ثم تولي هارباً فزعاً، زاعماً أنك ألقيت قنبلة على الكافرين..!! فإن أردت أجر وثواب الجهاد، فاعلم أنه لا جهاد لمن يؤذي مؤمناً واحداً في جهاده، وقد صح عن قائد المجاهدين محمد ﷺ أنه قال: "من آذى مؤمناً، فلا جهاد له" (رواه أحمد وغيره، صحيح الجامع: ٦٣٧٨).

فكيف بك وقد آذيت وأرعبت العشرات والمئات من المسلمين المؤمنين –الذين تجهل حالهم، وربما فيهم من هو أفضل منك بكثير –بسبب قنبلتك الطائشة الداشرة وباسم جهادك المزعوم.

فأنت تجاهد في سبيل الله لحماية الأمة من كفر الطواغيت وظلمهم، وللذود عن حرمات الناس وحقوقهم، ولتحقيق المقاصد الشرعية التي لأجلها أرسلت الرسل، وبُعث الأنبياء، وشُرع الجهاد.. وليس لهتك الحرمات، ونشر الرعب والفساد، وضياع حقوق العباد..

فاتقِ الله –يا أخا الجهاد– ولا تسئ للجهاد والمجاهدين، واعلم أن قبل حملك للسلاح يتعين عليك أن تتعلم كيف تحمل السلاح، وفيمن تضع السلاح، ومتى ترمي بالسلاح، وأين تضع السلاح، ومن من الناس تبعد عنه السلاح.. فأنت كما أُمرت أن تأخذ مناسكك عن النبي ﷺ، مأمور أن تأخذ الجهاد والقتال وما يتعلق به من أحكام عنه ﷺ من دون أن تتجاوزه في شيء: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ الحشر: ٧.

(١) أي ولاة أمورنا من المسلمين الذين يحكمون بما أنزل الله، وتتوفر فيهم شروط الإمامة الشرعية، وبالتالي لا يجوز أن يُحمل كلام الإمام الطحاوي رحمه الله، وكذلك النصوص التي تأمر بطاعة ولاة الأمر، على حكام كفرة مرتدين، هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، لا تتوفر فيهم شروط الإمامة الشرعية، ولا يألون في الأمة ومصالحها إلاً ولا ذمة.. فحكام وولاة هذه صفتهم، من الخطأ الشنيع حمل نصوص الطاعة عليهم.

(٢) أي لا يجوز الخروج عليهم بالسيف وإن ظلموا في بعض شؤون حكمهم، ما لم يبلغ ظلمهم درجة الكفر الأكبر والخروج من الدين، فحينها لا سمع ولا طاعة البتة، ويتعين الخروج عليهم لمن

أمكنه ذلك، والعاجز عن الخروج يتعين عليه الإعداد الذي يمكنه من الخروج، هذا ما دلت عليه الشريعة، وأجمع عليه علماء الأمة.

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "من رأى من أميرهِ شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلاَّ مات ميتةً جاهلية" متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال لنا رسولُ الله ﷺ: "إنكم سترون بعدي أَثَرَةً وأموراً تنكرونها". قالوا: فما تأمرنا يارسول الله؟ قال: أدوا إليهم حَقَّهم وسلوا اللهَ حقكم" البخاري.

وعن حذيفة بن اليمان، قال له النبيُّ ﷺ: "تسمع وتُطيع للأميرِ، وإن ضُرِبَ ظهرُكَ، وأُخِذَ مالُكَ، فاسمع وأطع" مسلم.

وعن نافعٍ، قال لما خلعَ أَهْلَ المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابنُ عمر حشمَهُ وولده، فقال: إني سمعت النبيَّ ﷺ يقول: "يُنصبُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامة"، وإنا قد بايعنا هذا الرجلَ على بيعِ اللهِ ورسولِهِ، وإني لا أعلمُ غدراً أعظم من أن يُبايعَ رجلٌ على بيعِ اللهِ ورسولِهِ ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلمُ أحداً منكم خلعهُ ولا بايعَ في هذا الأمر إلاَّ كانت الفيصلُ بيني وبينه.

قال ابن حجر في الفتح: وفي هذا الحديث وجوب طاعة الإمام الذي انعقدت له البيعة، والمنع من الخروج عليه ولو جارَ في حكمه، وأنه لا ينخلعُ بالفسق ا-هـ.

وعن سلمة بن يزيد الجعفي، أنه سأل رسولَ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ اللهِ أرأيتَ إن قامت علينا أمراءٌ يسألون حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرضَ عنه، ثم سألَهُ فأعرض عنه، ثم سألَهُ الثالثة، فجذبه الأشعثُ بن قيس -خشية أن يكون في السؤال ما يكرهه النبي ﷺ- فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلُوا وعليكم ما حُمِّلْتُمْ" مسلم.

وقال ﷺ: "ألا مَن وَلِيِّ عليه والٍ يأتي شيئاً من معصية اللهِ، فليكره ما يأتي من معصيةِ الله ولا ينزعنَّ يداً من طاعةٍ" مسلم.

وعن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: "اسمعْ وأطعْ في عُسرِك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليكَ وإن أكلوا مالَكَ وضربوا ظهركَ" أحمد وغيره.

وغيرها كثير من الأحاديث التي تأمر بالصبر على الولاة المسلمين وإن ظلموا، وبالكف عن الخروج عليهم لمجرد الفسق.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (٢٢٩/١٢): وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أَهْل السُّنَّة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق ا-هـ.

أما إن ظهر من الحاكم الكفر البواح، عندنا من الله فيه برهان من آية أو حديث صحيح لا يحتمل صرفاً ولا تأويلاً، فحينها لا سمع له ولا طاعة، ويتعين الخروج عليه بالقوة على كل من يملك القدرة على ذلك.

قال تعالى: **﴿ولن يجعل اللهُ للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** النساء: ١٤١. أي سلطاناً وسيادةً ورياسة.. وكما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت، قال: "دعانا النبيُّ ﷺ فبايعناهُ، فيما أخذَ علينا أن بايَعَنا على السمع والطاعةِ في منشَطِنا ومكرهنا، وعُسْرنا ويُسرنا، وأثَرَةٍ علينا، وأن لا نُنازعَ الأمرَ أَهْلَهُ، إلاَّ أن تروا كفراً بواحاً عندكم من اللهِ فيه برهان".

وقال ﷺ: "ستكونُ أمراءٌ، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكرَ سَلِمَ، ولكن من رضيَ وتابعَ"، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا" مسلم.

فيه أن تارك الصلاة كافر يُخرج عليه بالسيف، كما يُخرج على من يظهر كفره البواح من غير جهة ترك الصلاة، وفيه أن عدم الخروج عليهم لا يستلزم متابعتهم على الباطل أو الرضى به.

وعن عوف بن مالك الأشجعي، عن رسولِ اللهِ ﷺ، قال: "خيارُ أئمتكم الذين تُحبونهم ويحبونكم، وتُصلون عليهم ويُصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونَهم ويبغضونكم، وتلعنونَهم ويلعنونكم"، قالوا: قلنا يا رسولَ الله أفلا نُنابذهم عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة" مسلم.

والحديث فيه أن عدم الخروج عليهم لا يستلزم عدم بغضهم ولعنهم إن توفر فيهم من المعاصي والذنوب التي تستدعي البغض واللعن والسب. وفيه كذلك أن الصلاة التي تمنع من الخروج عليهم هي الصلاة التي يقيمونها في الأمة، ويلزمون الناس بها، وليس مجرد حصر الإقامة في ذواتهم وأنفسهم دون أفراد الأمة.

قال محمد صديق خان في كتابه "العِبرة مما جاء في الغزو والشهادة": وقد تواترت الأحاديث في النهي عن الخروج على الأئمة ما لم يظهر منهم الكفر البواح، أو يتركوا الصلاة، فإذا لم يظهر من

ولا نَدعو عليهِم[1]، ولا نَنزَعُ يداً مِن طاعَتِهم، ونرى طاعَتَهُم مِن طاعةِ الله عزَّ وجل فريضةً، ما لم يأمروا بمعصيةٍ[2]...

الإمام الأول أحد الأمرين لم يجز الخروج عليه، وإن بلغ في الظلم أي مبلغ، لكنه يجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الاستطاعة ا-هـ.

قلت: قوله "لم يجز الخروج عليه وإن بلغ في الظلم أي مبلغ"، فيه نظر، وجنوح إلى التفريط بما يجب على الأمة نحو حاكمها من المراقبة والتقويم، وفيه إلغاء لقاعدة وجوب جلب المصالح ودفع المفاسد، وتقدير المفاسد ودفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر.. ولو قال: لا ينبغي الخروج، أو لا يستحسن بدلاً من قوله "لم يجز" لكان مستساغاً أكثر.

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم (١٢/٢٢٩): قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، وقال: وكذا لو ترك إقامة الصلاة والدعاء إليها ا-هـ.

[1] هذا ليس على إطلاقه، والمسألة مرتبطة بحسب حال الحاكم ودرجة انحرافه وشططه عن الحق، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم".

[2] فإن أمروا بشيء فيه معصية لله تعالى فلا طاعة لهم، حيث لا طاعة لمخلوق -أيّاً كانت صفته- في معصية الخالق سبحانه وتعالى.

عن ابن عمر، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "السمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يُؤمر بمعصيةٍ، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة" متفق عليه. وقال ﷺ: "لا طاعة في معصية اللهِ، إنما الطاعةُ في المعروف" متفق عليه. وقال ﷺ: "مَن أمركم من الولاةِ بمعصيةٍ فلا تُطيعوه" رواه أحمد وغيره، السلسلة الصحيحة: "٢٣٢٤". وقال ﷺ: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق". وقال ﷺ: "طاعةُ الإمام حقٌ على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصيةِ الله ﷻ، فإذا أمرَ بمعصيةِ الله فلا طَاعة له" السلسلة الصحيحة: "٧٥٢".

وعِلة ذلك أن المطاع لذاته هو الله سبحانه وتعالى، وما سواه يُطاع له ابتغاء مرضاته، وأيما مخلوق يُطاع لذاته بحيث أنه يُطاع في جميع ما يصدر عنه من حقٍّ وباطل، ولكون الأمر صادر عنه، فقد اتُّخذ لله نداً، وعُبد من دون الله من جهة الطاعة، كما قال تعالى: ﴿**وإن أطعتموهم إنكم**

وندعو لهم بالصَّلاحِ والمعافاةِ[١]".

ش: قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ مِنكم﴾** النساء: ٥٩. وقال رسول الله ﷺ: "مَن أطاعني فقد أطاعَ اللهَ، ومَن عصاني فقد عصى اللهَ، ومن يُطِعِ الأميرَ فقد أطاعني، ومَن يَعصي الأميرَ فقد عصاني" متفق عليه. وقال ﷺ: "على المرءِ المسلم السمعُ والطاعةُ فيما أحبَّ وكَرِهَ، إلا أن يؤمَرَ بمعصيةٍ، فإن أُمِرَ بمعصيةٍ، فلا سَمْعَ ولا طاعَةَ" متفق عليه.

وعن أبي ذرٍّ قال: "إنَّ خليلي أوصاني أن أسمعَ وأُطيعَ وإن كان عبداً حبشياً مجدَّعَ الأطرافِ[٢]" مسلم. وعند البخاري: "ولو لحبَشيٍّ كأنَّ رأسَهُ زبيبةٌ".

وعن حذيفة بن اليمان، قال: كان الناسُ يَسألون رسولَ اللهِ ﷺ عن الخيرِ، وكنتُ أسْألُه عن الشرِّ مَخافَةَ أن يُدرِكَني[٣]، فقلتُ: يارسولَ اللهِ، إنا كُنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهلْ بعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟ فقال: "نعم"، فقلتُ: هلْ بعدَ ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: "نعم، وفيه دخَنٌ[٤]"، قال: قلتُ وما دخَنُهُ؟ قال: "قومٌ يستنُّون بغيرِ سُنتي، ويهتدونَ بغير

لمشركون﴾، أي مشركون بعبادتكم إياهم من جهة طاعتكم لهم فيما صدر عنهم من تحليل أو تحريم، ونحوه قوله تعالى: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**، والربوبية هنا طاعتهم للأحبار والرهبان فيما يحرمون ويحلون من غير سلطان من الله تعالى.

[١] ذلك إن كانوا من الخيار الذين أشار إليهم بقوله : "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم" والدعاء لهم يكون بظهر الغيب، وليس بحضورهم على وجه التملق والمدح والنفاق، أو على المنابر كما هو حاصل في كثير من البلدان.

[٢] منه استخرج بعض أَهْل الفقه أن القرشية ليست شرطاً لصحة الإمامة..

[٣] فيه بيان أهمية التفقه بما تفرزه الجاهلية - على مر عصورها- من شر وباطل وشرك، حذر الوقوع فيه.

[٤] أراد به: ليس خيراً خالصاً، بل فيه كدورة بمنزلة الدخان من النار. (عمدة القاري ٢٤/١٩٤)، عن هامش نسخة مؤسسة الرسالة.

هديي، تَعرفُ منهم وتُنكِرُ[١]"، فقلتُ: هلْ بعد ذلك الخيرِ من شرٍّ؟ قال: "نعم، دُعاةٌ على أبوابِ جهنَّمَ، من أجابَهُم إليها قذفوه فيها" فقلتُ: يارسولَ الله صِفهُم لنا، قال: "نعم، قومٌ من جِلْدَتِنا، يتكلمونَ بألسِنَتِنا[٢]"، قلتُ: يارسولَ اللهِ فما ترى إن أدرَكني ذلك؟ قال: "تلزَمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهُم" قلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قال: "فاعتزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولو أن تعضَّ على أصل شجرَةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك[٣]" متفق عليه.

---

[١] أي تعرف منهم أموراً توافق الحق، وتنكر عليهم أموراً تخالف الحق، وهذه صفة غالب الفرق المنسوبة إلى الإسلام كالأشاعرة، والمعتزلة، والمرجئة، والخوارج، وغيرهم ممن يحمل صفاتهم، ولا يمنع من حمل الحديث كذلك على كثير من الأحزاب والتجمعات الإسلامية المعاصرة، التي توافق الحق من وجه، وتخالفه من وجه آخر.

[٢] أراهم دعاة العلمانية، والقومية، والوطنية، والديمقراطية، والاشتراكية، وغيرها من المفاهيم والدعوات الهدامة، التي يتبناها ويدعو إليها أناس هم من أبناء جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، والساحة تعجُّ بهم!!.

[٣] قلت: لا يجتمع غياب الإمام العام للمسلمين، وجماعة المسلمين في آنٍ معاً إلاَّ في آخر الزمان يوم يدرس الدين، وتنمحي معالمه وآثاره، حتى لا يُدرى شيء منه سوى قول الناس لا إله إلا الله، كلمة حفظوها من آبائهم، كما جاء ذلك في الحديث.

وبالتالي فالحديث يحمل على ذلك الزمان، أما زماننا وإن تحقق فيه غياب الإمام العام، فإن الجماعة موجودة، والطائفة المنصورة الظاهرة موجودة ولن تزال إلى ذاك الزمان بإذن الله، كما في قوله ﷺ: "لن تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". وقال ﷺ: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة". وقال ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس". وغيرها من الأحاديث الدالة على أن الجماعة قائمة إلى يوم القيامة، وبالتالي لا يجوز حمل حديث حذيفة على زماننا بحجة غياب الخليفة، أو أن يكون الحديث ذريعة لدعوة الناس إلى الاعتزال واجتناب الساحة وميادين الجهاد والقتال، فحديث حذيفة يشترط للعزلة غياب الخليفة والجماعة معاً، وهذا غير محقق في زماننا، ولله الحمد.

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن رأى من أميره شيئاً يكرهُهُ فليَصْبرْ، فإنه من فارقَ الجماعةَ شِبراً فماتَ، فميتَتُهُ جاهليةٌ[١]" متفق عليه. وفي رواية: "فقد خلَعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ"[٢].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: "إذا بُويعَ لخليفتين فاقتلوا الآخَرَ مِنهما"[٣].

وعن عوف بن مالك، عن رسولِ الله ﷺ، قال: "خيارُ أئمتكم الذينَ تحبونَهُمْ ويحبونَكُم، وتصلونَ عليهم ويصلون عليكم، وشِرارُ أئمتِكُم الذين تبغضونَهُم ويبغضونَكُم، وتلعنونَهم ويلعنونَكُم"، فقلنا: يا رسولَ اللهِ، أفلا ننابذُهم بالسيفِ عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا مَن وليَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصيةِ الله، ولا ينزعنَّ يداً من طاعَةٍ" مسلم.

-الحكمةُ من عَدَمِ الخروجِ على أئمة الجورِ-

وأما لزومُ طاعَتِهم وإن جارُوا، فلأنهُ يترتبُ على الخروجِ عن طاعَتهم من المفاسدِ أضعافُ ما يحصُلُ من جورِهم[٤]، بل في الصبر على جَورِهم تكفيرُ السيئات، ومضاعفَةُ الأجور، فإن

---

[١] أي يموت كميتة الجاهليين في جاهليتهم حيث لا إمام لهم يسوسهم، ولا جماعة تجمعهم وتوحدهم، وليس المراد بالميتة على الكفر والردة كما فهم البعض، والله تعالى أعلم.

[٢] صحيح، أخرجه أحمد وغيره.

[٣] رواه مسلم. والحديث فيه بيان فساد الأنظمة التي من أصولها التنافس على منصب الإمامة العامة، كما هو الحال في النظام الديمقراطي وغيره. وفيه كذلك بطلان الفكرة -المستوردة من أنظمة الغرب الصليبي- القائلة: بتحديد فترة زمنية معينة لحكم الخليفة أو الإمام العام، تُقدر بخمس سنوات أو أكثر بقليل أو أقل، والتي يقول بها كثير من الكتَّاب المسلمين في هذا العصر!.

[٤] قد تقدم أن هذا ليس على إطلاقه، وأنه لابد من تقدير المفاسد والمصالح المترتبة على الصبر أو الخروج، وهذا يعود إلى درجة إنحراف الحاكم عن الحق، ومدى سهولة خلعه إن وقع الخيار على

اللهَ تعالى ما سَلَّطهُم علينا إلاَّ لفسادِ أعمالِنا[1]، والجزاء مِن جنسِ العمل، فعلينا الإجتهادُ في الإستغفار والتوبَةِ وإصلاحِ العمل، قال الله تعالى: **﴿وما أصابَكُم من مصيبةٍ فبما كسبَتْ أيديكم ويعفوا عن كثيرٍ﴾** الشورى: ٣٠. وقال: **﴿وكذلك نوليَّ بعضَ الظالمينَ**

الخروج، وضابط المسألة إعمال القاعدة بتجرد عن الهوى التي تأمر: بتقديم أقل الخيارين ضرراً لدفع أشدهما ضرراً وفساداً..

وما يقال في الحاكم الفاسق الظالم لا يجوز أن يقال في الحاكم الكافر المرتد، لورود النص أولاً الذي يلزم الأمة بخيار الخروج، ولأن الخروج عليه مهما تعاظمت فتنته ومفاسده فهي أقل بكثير من مفاسد الصبر على الكفر والشرك –المتمثل في الحاكم الكافر المرتد– والإقرار له بأن يسود البلاد والعباد، فالشرك مفسدة عظمى تهون أمامه جميع المفاسد مهما تعاظمت، فليس بعد فتنة الشرك والصبر عليه فتنة، وليس بعد ظلم الشرك والكفر ظلم، كما قال تعالى: **﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾** وقال: **﴿والفتنة أشد من القتل﴾**، والمراد بالفتنة هنا الشرك والكفر. وقال تعالى: **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾**. ولما عبدَ بنو إسرائيل العجل من دون الله، كانت عقوبتهم من عند الله: **﴿فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾** فقتل الذين لم يعبدوا العجل من الذين عبدوا العجل في اليوم الواحد سبعين ألف رجل كما في التفاسير.

والشاهد أن القتل والقتال يترتب عليه أضرار لا يستهان بها، لكن إذا قيست بأضرار وفتنة سيادة الشرك والكفر، واستعلائه على البلاد والعباد فهي لا شيء، ومن جرب ضريبة الجهاد في سبيل الله، وضريبة الرضى والاستكانة، والخنوع لطواغيت الكفر والردة يدرك حقيقة ومصداقية هذه الكلمات.

[1] كما في الحديث الصحيح: "ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاَّ أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله، إلاَّ جعل الله بأسهم بينهم".

بعضاً بما كانوا يكسبونَ﴾ الأنعام: ١٢٩. فإذا أرادَ الرعيةُ أن يتخلَّصوا من ظُلمِ الأميرِ الظالمِ، فليتركوا الظلمَ[١].

قولُه: "ونتبعُ السُّنَّةَ والجماعَةَ، ونجتنبُ الشذوذَ والخلاف[٢] والفُرقَةِ".

ش: السُّنَّة: طريقة الرسولِ ﷺ[٣]. والجماعَةُ: جماعَةُ المسلمين؛ وهم الصحابَةُ والتابعونَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، فاتباعُهم هُدى، وخِلافُهم ضلالٌ، قال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبونَ اللهَ فاتبعوني يُحببكُم اللهُ ويغفِرْ لكم ذنوبَكم والله غفورٌ رحيم﴾** آل عمران: ٣١.

---

[١] أقول: قد تقدم أن الأمر بطاعة الولاة في المعروف، والصبر على أذاهم، لا يتعارض مع الواجب الشرعي الذي دلت عليه السنة، وهو مناصحتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وذلك كله يكون بالحكمة والموعظة الحسنة، فالسنة قد دلت أن: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، وقال ﷺ: "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله". وقال: "لا يمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناس أن يقول الحق إذا علمه، فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق". وقال ﷺ: "إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يَعُمهم الله بعقاب". وقال ﷺ: "ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلاَّ يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب". وغيرها من النصوص التي تأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه نصوص لابد من إعمالها جنباً إلى جنب مع النصوص التي تأمر بالصبر على الحاكم الظالم، والله تعالى أعلم.

[٢] يوجد فرق بين الخلاف والإختلاف، فالخلاف مذموم من جميع أوجهه، من حيث دوافعه وأسبابه، ومن حيث نتائجه وأهدافه. بينما الاختلاف قد يُحمد من حيث مقاصده ونتائجه، وبخاصة إن كان صادراً عن اجتهادٍ وعلم، كاجتهاد الفقهاء واختلافهم في بعض المسائل الفقهية بحسب ما صح عند كل واحدٍ منهم بأن اجتهاده هو الموافق لمراد الشارع، ومثل هذا النوع من الاختلاف وارد ومشروع، يستحيل تفاديه.

ولكن إن تحول هذا الاختلاف إلى تعصبٍ للآراء، وأدى إلى التفرق والتنافر، فإنه يتحول إلى الخلاف المذموم شرعاً.

[٣] وهي كل ما صحَّ عن النبيّ ﷺ من قولٍ، أو عملٍ، أو إقرارٍ.

وقال: **﴿ومَن يُشاقِقِ الرسولَ من بعدِ ما تبيَّنَ له الهُدَى ويتبعْ غيرَ سبيل المؤمنينَ نولِّه ما تولَّى ونُصلِهِ جهنَّمَ وساءتْ مصيراً[1]﴾** النساء: ١١٥. وقال: **﴿قل أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ فإنْ توَلَّوا فإنما عليه ما حُمِّلَ وعليكُم ما حُمِّلتُم وإن تُطيعوه تهتدوا وما على الرسولِ إلاَّ البلاغُ المبين﴾** النور: ٥٤. وقال: **﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوهُ، ولا تتَّبعوا السبُلَ فتفرَّقَ بكم عن سبيلِهِ ذلكم وصَّاكُم به لعلكُم تتقون﴾** الأنعام: ١٥٣. وقال: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلَفوا من بعدِ ما جاءَهم البيناتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾** آل عمران: ١٠٥ وقال: **﴿إن الذين فرَّقوا دينَهُم وكانوا شيَعَاً لستَ مِنْهُم في شيءٍ إنما أمرُهُم إلى الله ثم يُنَبِّئُهُم بما كانوا يفعلون﴾** الأنعام: ١٥٩.

[1] قال ابن تيمية في الفتاوى (٧/٣٨): فإنهما متلازمان فكل من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى، فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى. وهذه الآية تدل على أن إجماع المؤمنين حجة من جهة أن مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول، وإن كان ما أجمعوا عليه فلابد أن يكون فيه نص عن الرسول فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مما بين الله فيه الهدى، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر، كما يكفر مخالف النص البين ا-هـ.

وقال تعالى: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾** يوسف: ١٠٨.

قال ابن عباس: قوله: **﴿أنا ومن اتبعني﴾**، يعني أصحاب محمد ﷺ كانوا على أحسن طريقة وأقصد هداية، معدن العلم وكنز الإيمان، وجند الرحمن ا-هـ.

وكذلك قوله تعالى: **﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾** البقرة: ١٣٧.

والآية فيها دلالتان، **أولهما**: أن الهداية المطلقة التي تؤدي إلى النجاة وإلى خيري الدنيا والآخرة، تكمن فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من إيمانٍ وهدى.

أما الدلالة الثانية: هي وجوب الإقتداء بما كان عليه النبيُّ ﷺ من إيمانٍ وهداية، وإلاَّ فالبديل هو الشقاق والعذاب.

وقال ﷺ: "أوصيكم بالسَّمعِ والطاعَةِ، فإنه من يعِشْ مِنكم بعدِي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين المهديينَ من بعدي، تمسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكُم ومُحدَثاتِ الأمور فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالَةٌ"[1].

وقال ﷺ: "إن أَهْلَ الكتابَين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين مِلَّةً، وإن هذه الأمَّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً -يعني الأهواء- كُلُّها في النار إلاَّ واحدةً، وهي الجماعَةُ"[2]. وفي رواية: قالوا: مَن هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"[3]. فبين ﷺ أن عامَّة المختلفين هالِكُونَ من الجانبين، إلاَّ أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعة.

وما أحسن قولَ عبد الله بن مسعود ﷺ، حيث قال: مَن كان منكم مُستنًّا فليستنَّ بمَن قد ماتَ، فإن الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمد ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمةِ، أبَرَّها قلوباً، وأعمقَها عِلماً، وأقَلَّها تكلُّفاً، قومٌ اختارَهُم الله لصحبةِ نبيِّهِ، وإقامَةِ دينه، فاعرفُوا لهم فضلَهم، واتبعُوهُم في آثارِهِم، وتمسكوا بما استطعتُم من أخلاقِهِم ودينِهِم، فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم[4].

---

[1] صحيح، رواه الترمذي وغيره.

[2] صحيح.

[3] حسن باعتبار شواهده.

[4] من الأدلة الدالة على وجوب الاقتداء بفهم السلف الصالح، قوله ﷺ: "أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.. عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة". وقوله ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدي، أبي بكر وعمر". وقوله: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".

وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي القرن الذي بعثتُ فيهم ثم الذين يلونهم" قال: ولا أعلم أذكر الثالث أم لا، "ثم ينشأ أقوام يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويفشو فيهم السِّمَن" وفي رواية: "ثم يأتي من بعدهم قوم، يتسمنون ويحبون السِّمَن يُعطون الشهادة قبل أن يُسألوها".

قولُه: "ونُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمانَةِ، ونُبْغِضُ أَهْلَ الجَورِ والخِيانَةِ".

ش: وهذا من كمالِ الإيمانِ وتمامِ العبوديَّة، فإنَّ العبادَةَ تتضمَّنُ كمالَ المَحَبَّةِ ونهايتَها، وكمال الذُّلِّ ونهايتُه، فمحَبَّةُ رسُلِ اللهِ وأنبيائِه وعبادِه المؤمنينَ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ، وإنْ كانت المحَبَّةُ التي للهِ لا يَستحِقُّها غيرُهُ[1]، فغيرُ الله يُحَبُّ في اللهِ، لا مَعَ اللهِ[2]، فإنَّ المحِبَّ يُحِبُّ ما يحبُّ محبوبُهُ، ويُبغِضُ ما يُبغِضُ، ويُوالي مَنْ يُواليه، ويُعادي مَن يُعَاديه، ويرضى لرضائه، ويَغْضَبُ لغَضَبه، ويأمرُ بما يَأمُرُ به، وينهى عَمَّا يَنْهى عنه، فهو مُوافقٌ لِمَحبوبه في كلِّ حالٍ[3].

وفي جميع ما تقدم دليل على أن السلف رضوان الله تعالى عليهم أعلم من الخلف وأحكم وأسلم، وليس كما يقول جهلة المتأخرين: بأن الخلف أحكم من السلف!!.

[1] من ضروب الشرك أن تحبَّ المخلوق كحبِّ الله أو أشد حباً، كما قال تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشدُّ حباً لله﴾**. وعلامة ذلك تظهر في الطاعَة والاتباع، فأيُّهما تُقدم طاعته واتباعه على الآخر، يكون هو المعبود المحبوب، كما قال تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله﴾**. وقال: **﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾**. وذلك بتقديم طاعتهم على طاعة الله. ونحو ذلك قوله تعالى: **﴿قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كُنَّا لفي ضلالٍ مبين إذْ نسويكم بربِّ العالمين﴾**. وذلك يكون في الخوف والرجاء، والحب والاتباع والطاعة. قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (١٧/١٤٥): فمن جعل لله نداً يحبه كحب الله، فهو ممن دعا مع الله إلهاً آخر، وهذا من الشرك الأكبر ا-هـ.

[2] قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ١٠/٦٠٧: لا يجوز أن يُحب شيء من الموجودات لذاته إلاَّ هو سبحانه وبحمده، فكل محبوبٍ في العالَم إنما يجوز أن يُحبَّ لغيره لا لذاته، والرب تعالى هو الذي يجب أن يُحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته **﴿ولو كان فيهما آلهة إلاَّ الله لفسدتا﴾**. فإن محبة الشيء لذاته شرك، فلا يحب لذاته إلاَّ الله، فإن ذلك من خصائص إلهيته، فلا يستحق ذلك إلاَّ الله وحده، وكل محبوب سواه لم يُحب لأجله فمحبته فاسدة.. ا-هـ.

[3] وذلك أوثق وأعظم عرى الإيمان، كما قال ﷺ: "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله". وهذا لا يقوم به إلاَّ من كمل إيمانه، وكان إيمانه كالجبال،

كما قال ﷺ: "مَن أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان". ومن تأمَّل أكثر أنواع الشرك تسللاً لنفوس الناس، يجدها تأتي من جهة الولاء والبراء، فمنهم من يوالي ويُعادي على أساس الانتماء القومي!! ومنهم مَن يوالي ويُعادي على أساس الانتماء الوطني أو القبلي!! ومنهم مَن يوالي ويُعادي على أساس الانتماء الحزبي أو المشيخي!! ومنهم من يوالي ويعادي على أساس التعصب للسلطان والحاكم!! ومنهم من يوالي ويعادي على أساس المصلحة الدنيوية، ومن أجل الدرهم والدينار وما أكثرهم في زماننا.. وهذا كله يُعتبر نوع من أنواع الشرك، أعاذنا الله منه، وجعلنا ممن يوالون ويعادون فيه، ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى.

ومن تمام الدين والولاية أن يغضب المرء لغضب الله، ويرضى بكل ما يرضي الله تعالى، أما أن تُنتهك محارم الله، ويضيع الدين، ويسود الكفر والفساد والفجور ثم هو لا يغضب لله، ولا يحرك ساكناً، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، فهذا ليس من أولياء الله، مهما تظاهر بالعلم، والزهد والورع، واتسع صيته بين الناس.

قال ابن القيم رحمه الله في الأعلام (٢/١٧٧): وأي دينٍ وأي خيرٍ فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنة رسول الله ﷺ يُرْغَبُ عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟! شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلاَّ من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مُبالاة بما جرى على الدين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذَّل، وجدَّ واجتهد، **واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه!**، وهؤلاء -مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم- قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل.

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره أثراً أن الله سبحانه أوصى إلى ملكٍ من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يارب كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ، فإنه لم يتمعَّر وجهُهُ فيَّ يوماً قط.

وذكر أبو عمر في كتاب التمهيد أن الله سبحانه أوحى إلى نبي من أنبيائه أن قل لفلان الزاهد: أما زهدك في الدنيا فقد تعجَّلتَ به الراحة، وأما انقطاعك إلي فقد اكتسبت به العز، ولكن ماذا

-مِن لَوازِمِ الإيمان أَنْ تُحِبَّ ما يُحِبُّهُ اللهُ، وَتكرهَ ما يكرهُهُ اللهُ-

واللهُ تعالى يُحِبُّ المحسنينَ، ويُحِبُّ المتَّقينَ، ويُحِبُّ التوابينَ، ويُحِبُّ المتطهرين، ونحنُ نُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ اللهُ[1].

والله لا يُحِبُّ الخائنين، ولا يُحِبُّ المفسدين، ولا يُحِبُّ المستكبرينَ، ونَحنُ لا نُحِبُّهُم أيضاً، ونُبغِضُهُم، موافقةً له سبحانه وتعالى[2].

عملت فيما لي عليك؟ فقال: يارب وأي شيء لك علي؟ قال: هل واليتَ فيَّ وليّاً أو عاديت فيَّ عدوّاً؟؟ ا-هـ. فتأمل وتدبر.

[1] إن كره ما أنزلَ الله، وبغض ما يحبه سبحانه وتعالى يُعتبر من نواقض الإيمان التي تُخرج صاحبها من الملة، وتُحبط مطلق العمل، لما في ذلك من تقبيح لما حسنه الله، ورَدٍّ لقوله، وتعقيب عليه، وعدم الرضى بحكمه وشرعه، قال تعالى: **﴿ذلك بأَنَّهم كرهوا ما أنزلَ الله فأحبطَ أعمالهم﴾**. وقال: **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سَوَّلَ لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ سَنُطيعُكُم في بعض الأمرِ﴾**. فإذا كان الذين قالوا للذين كرهوا ما نَزَّلَ الله سنطيعكم في بعض الأمر، قد اعتبرهم الشارع لأجل ذلك مرتدين، فما يكون القول في الذين كرهوا ما نَزَّلَ الله أنفسهم، لا شكَّ أنهم أولى بالارتداد والكفر.

[2] وكذلك أن تحب ما حرمه الله وسخطه، يُعتبر مِن نواقض الإيمان، لِما في ذلك من تحسين وتزيين للباطل الذي قبحه الله وذمه، فالله تعالى يقول عن الشيء "شِين" وهو يقول عنه "زين! " ويواليه. قال تعالى: **﴿ولو كانوا يُؤمنون بالله والنبيِّ وما أُنزِل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقين﴾**. قال ابن تيمية في تفسيره للآية: فدَلَّ على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويُضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. ومثله قوله تعالى: **﴿لا تتخذوا اليهودَ والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾**, فإنه أخبر في تلك الآية أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً ا-هـ. (الفتاوى: ٧/١٧).

وفي "الصحيحين" عن النبي ﷺ: "ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإيمانِ: مَنْ كانَ اللهُ ورسولُه أحَبَّ إليه مِمَّا سِواهُما، ومَنْ كانَ يُحِبُّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلاَّ لله، ومَنْ كانَ يَكرَهُ أن يَرْجِعَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أنقذَهُ اللهُ مِنْهُ، كما يَكرَهُ أَنْ يُلْقَى في النارِ".

فالـمَحبَّةُ التامَّـةُ مُسْتَلْزِمَةٌ لِموافقـةِ المحبوبِ في مَحبوبـهِ ومَكْروهِـهِ، وولايتـهِ وعداوَتِـه. ومِـنَ المعلومِ أنَّ مَنْ أَحَبَّ اللهَ المحبَّةَ الواجبةِ، فلا بُدَّ أن يُبغِضَ أعداءَهُ، ولا بُدَّ أَن يُحِبَّ ما يُحِبُّهُ مِن جهادِهم[1]، كما قال تعالى: **﴿إنَّ اللـهَ يُحِبُّ الـذينَ يُقاتِلُونَ في سَبيلِه صَفَّاً كأَنَّهم بُنيانٌ مَرصُوصٌ﴾** الصف: ٤.

-المُوالاةُ والمُعَاداةُ بحسبِ خِصَالِ الخيرِ والشَّرِّ-

والحبُّ والبغضُ بحسبِ ما فيهم مِنْ خِصال الخيرِ والشرِّ[2]، فإن العَبْدَ يَجتمع فيه سَبَبُ الولايَةِ[3]، وسَبَبُ العَداوَةِ[4]، والحبِّ والبغضِ، فيكونُ مَحْبُوباً مِنْ وَجْهٍ مَبْغوضاً مِنْ وَجْهٍ، والحكمُ للغالِبِ[1].

---

[1] قال ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٨/٣٥٩): فكل مَن ادعى أنه يُحب اللهَ ولم يتبع الرسول فقد كذب، ليست محبته لله وحده، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه، كدعوى اليهود والنصارى محبة الله، فإنهم لو أخلصوا له المحبةلم يُحبوا إلاَّ ما أحبَّ، فكانوا يتبعون الرسول، فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه، كانت محبتهم مِن جنس محبة المشركين. ا-هـ.

[2] أي تنعقد لهم الموالاة بقدر ما فيهم من خِصال الخير التي يحبها الله، وكذلك تنعقد المعاداة بقدر ما فيهم من خصال الشر التي يبغضها الله، أَمَّا موالاتهم مطلقاً -مع وجود ما يستدعي المعاداة- يستلزم موالاة جانب الشر فيهم، وإعطائهم من الموالاة ما لا يستحقون، وكذلك معاداتهم مطلقاً - مع وجود الحسنات- يستلزم معاداة جانب الخير فيهم، ومجافاتهم بقدر لا يستحقونه، وهذا لا شكَّ أنه مجاوز للحق والعدل، والصواب أن تكون الموالاة والمعاداة على قدر الحسنات والسيئات، من غير إفراط ولا تفريط.

[3] سبب الولاية: هي الطاعات وكل ما يُرضي الله ﷻ.

[4] سبب العداوة: هي المعاصي وكل ما يغضب الله ﷻ.

قولُه: "ونقولُ: اللهُ أعلَمُ فِيما اشتَبَهَ علينا عِلْمُهُ".

ش: من تكلَّمَ بغيرِ علمٍ، فإنما يتبعُ هواه، وقد قال تعالى: **﴿ومَنْ أضلُّ ممَّن اتَّبَعَ هواه بغير هُدىً مِن اللهِ﴾** القصص: ٥٠. وقال: **﴿ومن الناسِ مَن يُجادِلُ في الله بغير علمٍ ويتَّبعُ كُلَّ شيطانٍ مريدٍ﴾** الحج: ٣. وقال: **﴿الذين يجادلون في ءاياتِ اللهِ بغيرِ سلطانٍ أتاهُم كَبُرَ مقتاً عند اللهِ وعند الذين آمنوا كذلك يطبعُ اللهُ على كُلِّ قلبِ متكبِّرٍ جبار﴾** غافر: ٣٥. وقال: **﴿قل إنما حَرَّم ربِّي الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بطن والإثمَ والبغيَ بغير الحقِّ وأن تُشركوا باللهِ ما لم يُنزِّل به سلطاناً وأن تقولوا على اللهِ ما لا تعلمون[٢]﴾** الأعراف: ٣٢.

---

[١] قد يجتمع في المرء الواحد ما يستدعي موالاته ومعاداته في آنٍ معاً، حيث يكون محبوباً من جانب حسناته، مبغوضاً من جانب سيئاته، فإذا رجحت كفة الحسنات عنده على السيئات، رجحت كفة موالاته على معاداته ومُجافاته ولا تنعدم مجافاته، والعكس أيضاً إذا رجحت كفة السيئات على الحسنات، رجحت كفة معاداته ومجافاته على موالاته، ولا تنعدم موالاته. وهذا فقه قلَّ من ينتبه إليه من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، في زماننا المعاصر.

[٢] في ذلك عبرة وعِظة لمن يَستشرف الإفتاء فيجيب على الناس فيما يعلم وما لا يعلم، وما أكثرهم في زماننا، فيضل ويُضِل. واعلم أن من العلم والدين أن لا تفتي إلاَّ بعلمٍ، والعلمُ قال اللهُ، قال الرسولُ، قال الصحابَة. فإن كنت لا تعلم دليلاً من الكتاب أو السُّنَّة، أو إجماع للأمة، لا تتجرأ على اللهِ فتقول عليه سبحانه بالظن والهوى ما لا يقول، فإن فعلت فإنك تأثم من وجهين: **الوجه الأول**: أنك قلت على الله ما لا يقول، ونسبت إليه ما لا يصح، فتقع تحت طائلة النصوص التي تتوعد الكاذبين على الله ورسوله، كما في الحديث الصحيح: "من كذب عليَّ بُني له بيت في جهنم" متفق عليه. وقال ﷺ: "ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" مسلم. وقال ﷺ: "من يقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار". وقال تعالى: **﴿ويوم القيامة ترى الذين كذَبوا على الله وجوههم مسودةٌ﴾** الزمر: ٦٠.

أما الوجه الثاني: تكون بفتوتك الجاهلة قد أضللت مستفتيك فيما أفتاك به، حيث أنه استأمنك على دينه وحرماته، وأنت لم تراعِ فيه هذه الأمانة، وفي الحديث: "من أُفتي بغير علمٍ كان إثمه على مَن أفتاه". فلا يمنعنَّك -يا أخا العلم- إذا كنت لا تعلم أن تقول: لا أعلم. فثلث العلم لا أعلم، أولا أدري، فإن استصعبت قولها -وذلك من الشيطان- فتذكر أن من هم خيرٌ منك بكثير قد قالوها، وأمروا بها، وإليك بعض ما أُثر في ذلك عن السلف الصالح.

عن ابن أبي ملَيكة قال: سُئل أبو بكرٍ الصديق ﷺ عن آيةٍ، فقال: أي أرضٍ تقلني وأي سماءٍ تظُلني؟ وأين أذهب؟ وكيف أصنع إذا أنا قلت في كتاب اللهِ بغير ما أراد الله بها؟!

وقال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ: وابَرْدَها على كبدي، ثلاث مرات، قالوا: يا أمير المؤمنين وما ذاك؟ قال: أن يُسأل الرجلُ عما لا يعلم فيقول: الله أعلم.

وعن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع ابن عمر نمشي، فلحقنا أعرابي فقال: أنت عبد الله بن عمر؟ قال: نعم، قال: سألت عنك ودُللتُ عليكَ، فأخبرني أتَرثُ العمةُ؟ قال: **لا أدري**، قال: أنت لا تدري؟! قال: **نعم**، اذهب إلى العلماء في المدينة فاسألهم..

وقال ابن مسعود: من كان عنده علم فليقل به، ومن لم يكن عنده علم، فليقل: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه: **﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ، وما أنا من المتكلفين﴾**.

وصح عن ابن مسعود وابن عباس: من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه **فهو مجنون**.

وقال أبو حصين الأسدي: إن أحدهم ليفتي في المسألة، ولو وردت على عمر **لجمع لها أَهْل بدر**.

وقال مالك: من فقه العالم أن يقول: لا أعلم، فإنه عسى أن يتهيأ له الخير، وقال: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالِم أن يورث جلساءه من بعده **"لا أدري"**، حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه.

وقال الشعبي: لا أدري، **نصفُ العلم**.

وقال ابن جبير: ويل لمن يقول لما لا يعلم، إني أعلم.

وقال ابن وهب: قال لي مالك وهو ينكر كثرة الجواب في المسائل: يا عبد الله ما علمتَ فقل، وإيَّاك أن تُقَلِّدَ الناسَ قلادَةَ سوء.

وقد أمر اللهُ نبيَّهُ ﷺ أن يَرُدَّ عِلْمَ ما لا يَعلَمُ إليه، فقال تعالى: ﴿**قلِ اللهُ أعلمُ بما لَبِثوا له غيبُ السماواتِ والأرضِ**﴾ الكهف: ٢٦. ﴿**قل ربي أعلَمُ بعِدَّتِهم**﴾ الكهف: ٢٢. وقال ﷺ، لَمَّا سُئِلَ عن أطفال المشركين(١): "الله أعلَمُ بما كانوا عامِلين" متفق عليه.

قولُه: "ونرَى المسْحَ على الخُفَّين في السفَرِ والحَضَرِ، كما جاءَ في الأثَرِ(٢)".

ش: تواترَت السُّنَّةُ عن رسولِ اللهِ ﷺ بالمسحِ على الخُفينِ(١)، والرافضةُ تُخالِفُ هذه السُّنَّةِ المتواتِرَةِ(٢).

وكان ابن المسيب لا يكاد يفتي إلاَّ قال: **اللهم سلمني وسَلِّم مني**. (انظر جميع ما تقدم من آثار، أعلام الموقعين: ٢/١٨٤).

قلت: فيما تقدم عِظة وعبرة للذين يتسرعون في الفتاوى النارية الحماسية!!، التي تكون ضحيتها أرواح الأبرياء، وانتهاك حرمات العباد التي صانها الشرع وحماها..

(١) سئل النبي ﷺ عمن يموت من أطفال المشركين أفي النار هم أم في الجنة، فأجاب ﷺ بما أجاب، وقد تباينت أقوال أَهْل العلم في مصير أطفال المشركين لكونهم يموتون على الفطرة. قال ابن تيمية في الفتاوى (٤/٣٠٣): أطفال الكفار أصح الأقوال فيهم "الله أعلم بما كانوا عاملين"، ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث أنهم يوم القيامة في عرصات القيامة يؤمرون ويُنهون، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصى دخل النار، وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أَهْل السُّنَّة والجماعة ا-هـ.

(٢) قد يرد سؤال: علامَ أقحم الماتن هذه الجملة في متنٍ عقدي، علماً أنها جملة فقهية تخص حكم المسح على الخفين؟

والجواب: هو لضرورة التمايز عما عُرِفت به الفِرَق الضالة من جحودٍ وإنكار لما تواترت عليه السُّنَّة، فأصبح القول من هذا الوجه له بعداً عقدياً. وعليه فإن دارسي العقيدة وشارحيها، لابد لهم من مواكبة الانحرافات العقدية المستجدة في عصرهم -وبخاصة الخطيرة منها التي لها أثر كبير على الناس- لاجتنابها وتحذير الناس منها، وبيان حكم الشرع فيها..

قولُـه: "والحـجُّ والجِهـادُ ماضِـيانِ مَـعَ أُولي الأَمـرِ مِـنَ المسـلمينَ، بَـرِّهِمْ وفاجِرِهِمْ[3] إِلى قيامِ السَّاعَةِ، لا يُبطِلُهُما شيءٌ ولا يَنْقُضُهُما".

---

(1) من الصحابة الذين رووا أحاديث المسح على الخفين، عن النبي ﷺ: المغيرة بن شعبة، وعلي ابن أبي طالب، وأوس بن أبي أوس الثقفي، وأبو موسى الأشعري، وخزيمة بن ثابت، وعبد الرحمن بن عوف، وبلال، وجرير، وثوبان، وغيرهم ﷺ أجمعين.

قال أبو داود في سننه "١٥٩": ومسح على الجوربين علي بن أبي طالب، وأبو مسعود، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وسهل بن سعد، وعمرو بن حريث، وروي ذلك عن عمر بن الخطاب، وابن عباس ا-هـ.

(2) الرافضة: هم الشيعة الاثني عشرية الذين يقولون بقرآن فاطمة وهو يختلف عن القرآن المحرف الذي بين أيدي الناس كما يزعمون، ويقولون بعصمة الأئمة وتعظيمهم إلى درجة الألوهية، وبخروج المهدي المنتظر من السرداب الذي لا أصل له ولا وجود، ويجعلون التصديق بهذه الخرافة شرطاً لصحة الإيمان، ويشتمون الصحابة ويكفرونهم إلاَّ قليلاً منهم، ويخصون الشيخان أبا بكر وعمر، وابنتاهما الطاهرتان -زوجتا النبي ﷺ- بمزيدٍ من السب واللعن، ويجعلون ذلك ديناً وقرباناً إلى الله، ويُعرفون بإمورٍ أخرى لا تقل شناعة عما تقدم، قد نذكرها في موضعها إن شاء الله.

(3) فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إنَّ الله ﷻ ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوامٍ لا خلاق لهم". والعلة في وجوب الغزو مع المسلم الفاجر، أن ترك الغزو معه يؤدي إلى مفسدة أعظم من مَفسدة الغزو معه، يقول ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٥٠٦/٢٨): من أصول أَهْل السُّنَّة والجماعة الغزو مع كل بَرٍّ وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوامٍ لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلاَّ مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور، فإنه لابُدَّ من أحد أمرين: إمَّا ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرَراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، **بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلاَّ على هذا الوجه** ا-هـ.

ش: يُشيرُ الشيخ إلى الرَّدِّ على الرَّافضة، حيثُ قالوا: لا جِهادَ إلاَّ مَعَ الإمامِ المعصومِ(١)، وهو الإمام المَعْدُوم...

ومنه يُعلم خطأ الذين يشترطون للجهاد خلو صف المجاهدين من العصاة والفساق، فشرط تعجيزي كهذا يستلزم ترك الجهاد، وتسليم الديار للكفار، لصعوبة تحقيقه. ونحن إذ لا نقلل من أهمية خلو صف المجاهدين من العناصر الفاسدة المريضة، ولكن لا نراه شرطاً للجهاد، إن لم يتحقق لزم بطلان الجهاد وتعطيله.

ومما ينبغي التنبيه له هنا، أن الذي يُجاهَدُ معه لا يجوز أن يبلغ فجوره درجة الكفر الأكبر، فإن بلغ به فجوره درجة الكفر فحينها لا جهاد معه، بل يتعين الجهاد ضده وقد تقدم ذكر إجماع أَهْل العلم على ذلك.

(١) لكنهم مؤخراً أحدثوا فكرة تحررهم من عقدة انتظار إمامهم المزعوم، وهي فكرة "ولاية الفقيه" حيث أن الفقيه الشيعي ينوب عن الإمام المنتظر في كثير من صلاحياته، التي منها إعلان الجهاد، وهذه الفكرة أحدثت من فقهاء الشيعة أرباباً تتسلط -باسم الإمام والعصمة- على رقاب شعوبهم وأتباعهم، كما كان شأن أحبار وقساوسة الكنيسة مِن قبل، حيث زعموا أن سلطتهم مُستمدة من الله!! وأنهم يحكمون باسم الله ونيابة عنه!!!

ونسبة العصمة لغير الأنبياء مؤداه إلى الشرك الأكبر، وذلك من أوجه، **منها**: رفع درجة الأئمة إلى درجة الأنبياء والرسل، من حيث عصمتهم عن الخطأ، ووجوب طاعتهم واتباعهم في كل ما يصدر عنهم، ومن حيث ما لهم من مقام حميد عند ربهم!! **ومنها**: تكذيب القرآن بأن الدين لم يكتمل بحياة نبينا محمد ﷺ، بدليل اتباع أقوال الأئمة الاثنى عشر كاتباع أقوال القرآن!! **ومنها**: إشراك الإمام مع الله في الحكم والتشريع، حيث اعتبروا أقوال الإمام واجبة الاتباع كأقوال الله ﷻ !! وإليك بعض المقتطفات من كتاب "الحكومة الإسلامية" للخميني حيث يقول: "فإنَّ للإمام مقاماً محموداً ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينية، تخضع لولايتها وسيطرتها **جميع ذرات هذا الكون!!** وإن من ضروريات مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً **لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل!!** " "نحن نعلم أنَّ أوامر الأئمة تختلف عن أوامر غيرهم. وعلى مذهبنا فإنَّ جميع الأوامر الصادرة عن الأئمة في حياتهم نافذة المفعول، وواجبة الاتباع حتى بعد وفاتهم" "نحن نعتقد أن المنصب الذي منحه الأئمة (ع) للفقهاء

الـذي لم يـنفعهم في ديـنٍ ولا دُنيـا[١]، فـإنَّهم يَـدَّعونَ أنَّ الإمـامَ المنتظَـر، محمـدُ بـنُ الحسـن العسكري، الذي دَخَلَ السِّردابَ في زعمهم سنة ستين ومئتين، أو قريباً من ذلك في سامرَّاء، وقَد يُقيمـونَ هناك دابَّةً، إمَّا بَغلَةً وإمَّا فَرساً، ليركبها إذا خرج! ويُقيمُونَ هنـاكَ في أوقـاتٍ عَيَّنوها لِمَن يُنادِي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا اخرج! ويُشهرونَ السلاحَ، إلى غيرِ ذلك من الأمور التي يَضحَكُ عليهم فيها العقلاء.

وفي صحيح مسلم، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: "خيـار أَئمتكُم الـذين تُحبونَهم ويُحِبُّونكُم، وتُصَلُّونَ عليهم ويُصَلُّون عَلَيْكُم، وشرارُ أئِمَّتِكُم الذين تُبغِضُونَهُم ويُبغضونكُم، وتلعنونَهم ويلعنونكم"، قال: قلنا: يا رسولَ اللهِ، أفلا نُنابذُهُم عِندَ ذلك؟ قال: "لا، ما أقامُوا الصلاةَ، ألا مَن وَلِيَ عليه والٍ، فرآهُ يأتي شيئاً من مَعصيةِ الله، فليكرَه ما يأتي مِن مَعصيةِ اللهِ، ولا يَنْزِعَنَّ يَداً من طاعته". ولم يَقُلْ إنَّ الإمامَ يَجِبُ أن يكونَ مَعصوماً.

وقوله: **"مع أولي الأَمر بَرِّهم وفاجرِهم"** لأنَّ الحَجَّ والجهادَ فَرضانِ يتعلَّقان بالسَّفرِ،

لا يزال محفوظاً لهم، لأنَّ الذين **لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة** !!! ونعتقد فيهم الإحاطة بكل ما فيه مصلحة للمسلمين" وبالتالي سلطة الفقيه على رقاب الشيعة كسلطة الإمام!! وقال: "وقد قلت سابقاً أن **تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن**!! لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة يجب تنفيذها واتباعها!! " أقول: فأي كفر بعد هذا الكفر، وأي شرك بعد هذا الشرك!! وهم يصدق فيهم قوله تعالى: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**.

[١] لأنه في زعمهم دخل السرداب وهو طفلاً، وهو لا يزال في السرداب غائباً!! وهم لا يزالون ينتظرون خروجه، وهو عندهم "المهدي المنتظر"، حيث يحملون الأحاديث الصحيحة الخاصة بظهور المهدي، عليه!! والمشكلة فيهم أنَّ مَن لا يؤمن بهذه القصة الخرافية الملفقة، التي تعتبر رحى الدين بالنسبة لهم، فهو كافر عندهم مرتد حلال الدم!!!

فلا بُدَّ مِن سائسٍ يسوسُ الناسَ فيهما، ويُقاومُ العدوَّ، وهذا المعنى كما يَحصَلُ بالإمامِ البَرِّ يحصَلُ بالإمامِ الفاجرِ.

قولُه: "ونُؤْمِنُ بالكِرَامِ الكاتِبينَ، فإنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَينا حافِظِينَ" .

ش: قال تعالى: **﴿وإنَّ عَلَيْكُم لَحَافظِينَ. كِراماً كاتبين. يَعْلَمونَ ما تَفْعلُونَ﴾** الإنفطار: ١٠-١٢. **﴿إذْ يتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عن اليمينِ وعنِ الشِّمَالِ قعِيْدٌ. ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَديْهِ رقيبٌ عَتيد﴾** ق: ١٧-١٨. **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بين يَدَيْه ومِن خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِن أَمْرِ الله﴾** الرعد: ١١. **﴿أم يَحسَبونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُم ونجواهم بَلَى ورُسُلُنا لديهم يَكْتُبونَ﴾** الزخرف: ٨٠. **﴿هَـذَا كِتابُنَـا يَنطِقُ عَلَيكُم بالحَقِّ إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنتم تَعْمَلُونَ﴾** الجاثية: ٥٩.

وفي الصحيح، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: "يَتعاقَبونَ فيكُم ملائِكَةٌ باللَّيلِ وملائِكَةٌ بالنَّهارِ، ويَجْتمعونَ في صلاةِ الصُّبْحِ وصَلاةِ العَصْرِ، فَيَصْعَدُ إليه الذين كانوا فيكم، فيَسْأَلُهم -وهو أَعْلَمُ بهم-: كَيفَ تَركتُم عِبادِي؟ فيقولون: أَتيناهُم وهُم يُصَلُّونَ، وفارَقناهم وهم يُصَلُّونَ" متفق عليه.

وقال ﷺ: "ما مِنكُم مِنْ أَحَدٍ إلاَّ وَقَدْ وَكِّلَ به قرينُهُ مِنَ الجِنِّ، وقَرينُهُ مِنَ الملائِكَةِ"، قالُوا: وإيَّاكَ يارسولَ اللهِ؟ قال: " وإيَّايَ، ولكن أعانَني اللهُ عليه، فَأَسْلَمَ، فَلا يَأمُرُني إلاَّ بِخَيْرٍ" مسلم.

جاء في التفسير: اثنانِ عَنِ اليمينِ وعَنِ الشِّمَالِ، يكتبانِ الأعمالَ، صاحِبُ اليمين يكتبُ الحسناتِ، وصاحِبُ الشِّمالِ يكتب السيئات، ومَلكَانِ آخرانِ يَحفَظَانِه ويَحْرُسَانِه، واحِدٌ مِنْ ورائِه، وواحدٌ أمَامَهُ، فهو بينَ أربَعةِ أملاكٍ بالنهار، وأربعةٍ آخرين بالليلِ بَدَلاً، حافِظانِ وكاتبانِ[1].

---

[1] وهذا مدعاةٌ أن لا يخاف المرء قرينه الجني، ولا وسوسة الشياطين، ولا غيرهم، ما دام قد جَنَّد الله له ملكين يحرسانه ويحفظانه من كل سوءٍ وهامة، إلاَّ ما قَدَّر الله له النفاذ، فلله المنة والفضل. وكذلك مدعاة لأن يُقلع عن معصية الله، فإذا ما هَمَّ بمعصية أو ذنب استشعر رقابة الملكين

وقال عكرمة، عن ابن عباس: ﴿**يَحفظونَهُ مِنْ أَمرِ اللهِ**﴾، قال: ملائكةٌ يحفظونه مِن بين يديه ومن خَلفهِ، فإذا جاءَ قَدَرُ اللهِ، خَلُّوا عنه.

ومعنى: ﴿**يَحفظونَهُ مِنْ أَمرِ اللهِ**﴾، قيل: حِفْظُهُم له مِنْ أَمرِ اللهِ، أي: اللهُ أَمرهم بذلك، يَشْهَدُ لذلك قراءة مَن قرأ: يحفظونه بأمرِ الله.

-الملائِكَةُ تَكتبُ القَولَ، والفِعْلَ، والنيَّةَ-

قَد ثَبَتَ أَنَّ الملائِكَةَ تَكْتُبُ القَولَ والفعلَ، وكذلك النيةَ، لأنَّها فِعْلُ القلْبِ، فدخلت في عمومِ: ﴿**يَعْلَمونَ ما تفعَلُونَ**﴾ الانفطار: ١٢. ويَشهدُ لذلك قوله ﷺ: "قال اللهُ ﷻ: إذا هَمَّ عبدي بسيئَةٍ، فلا تكتبوها عليه، فإنْ عَمِلَها فاكتُبوها عليه سَيِّئَةً، وإذا هَمَّ عبدي بحسَنَةٍ فلَم يَعْمَلْها، فاكتُبوها لَه حَسَنَةً، فإنْ عَمِلَها فاكتبوها عَشْراً"(١). وقال ﷺ: "قالتِ الملائكَةُ: ذلكَ عَبدُكَ يُرِيدُ أن يَعْمَلَ سَيِّئةً -وهو أبصرُ به- فقال: ارقُبُوهُ، فإنْ عَمِلَها فاكتبوها بِمِثْلِها، وإنْ تَرَكَها، فاكتُبوها لَهُ حَسنَةً، إنَّما ترَكها مِنْ جَرَّاي" متفق عليه.

قولُه: "ونُؤمِنُ بملَكِ الموتِ، الموَكَّلِ بقبضِ أَرواحِ العالَمينَ".

ش: قال تعالى: ﴿**قُل يتوَفَّاكُم مَّلَكُ الموتِ الذي وُكِّلَ بِكُم ثمَّ إِلى رَبِّكم تُرجَعونَ**﴾(٢)السجدة: ١١. ولا تُعارِضُ هذه الآيةُ قَولَه تعالى: ﴿**حَتَّى إذا جاءَ أحَدَكُمُ**

الموكلين بكتابة أعماله، وتذكر أن على يمينه مَلكاً وعلى يساره ملَكاً ينظرانه، ويكتبان كل ما يبدر منه من قولٍ أو عمل، فيستحي منهما ابتغاء مرضاة الله ﷻ..

(١) متفق عليه. هذا الحديث والذي بعده، مدعاة لأن يتفكر العبد بعظمة رحمة خالقه، وعظمة عدله وكرمه سبحانه وتعالى.

(٢) أقول: قد يُراود بعض ضعاف الإيمان تساؤل، وهو: كيف يستطيع ملك واحد أن يقوم بمهمة قبض أرواح مَن يتوفّ مِنْ جنٍّ وإنس وحيوان في آنٍ واحد؟!

ولهؤلاء نقول: هل فاتهم أنَّ الله على كل شيءٍ قدير، وأنَّ الله مِن صفاته وأسمائه الحسنى (**القدير**) الذي لا يعجزه شيء. وإذا كان الإنسان المخلوق الضعيف -بما مَنَّ الله عليه من نعمة العقل وما

الـمَوتُ تَوَفَّتهُ رُسُلُنا وهـم لا يُفَرِّطون﴾ الأنعام: ٦١. وقوله تعالى: **﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِهَا والتي لَمْ تَمُتْ في مَنامِها فيُمسِكُ التي قَضَى عَلَيها الموتَ ويُرسِلُ الأخرى إلى أجلٍ مُسَـمَّى﴾** الزمر: ٤٢. لأنَّ ملَكَ الموتِ يتولَّى قبضها واستخراجها، ثمَّ يأخذها منه ملائكةُ الرَّحمةِ، أو ملائكةُ العذاب، ويتولَّونَها بَعدهُ، كُلُّ ذلك بإذن الله وقضائه وقَدَرِهِ وحكمِهِ، فصحَّتْ إضافةُ التوفِّي إلى كُلٍّ بحسبِهِ.

–للإنسانِ نَفْسٌ واحِدَةٌ، لها صفات–

وقَعَ في كلامِ كثيرٍ مِنَ الناس أَنَّ لابن آدَمَ ثلاثَ أنفس: مُطمَئِنَّةٌ، ولَوَّامَةٌ، وأَمَّارَة، قالوا: وإنَّ منهم من تَغْلِبُ عليه هذه، ومنهم مَن تَغلِبُ عليه هذه، كما قال تعالى: **﴿يا أيَّتُها النَّفْسُ المطمئِنَّةُ﴾** الفجر: ٢٧. **﴿ولا أُقْسِمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامَةِ﴾** القيامة: ٢. **﴿إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ﴾** يوسف: ٥٣.

والتحقيقُ: أنَّها نَفْسٌ واحِدَةٌ، لها صفات، فهي أمَّارةٌ بالسُّوءِ، فإذا عارَضَها الإيمانُ، صارت لَوَّامَةً، تفعلُ الذنبَ، ثمَّ تَلومُ صاحِبَها، وتلومُ بين الفعلِ والترك، فإذا قوي الإيمانُ صارَت مُطمئنَّةً.

–الرُّوح بَعْدَ مفارَقَتِها للجَسَدِ لا تَموت–

اختلفَ الناسُ: هل تموتُ الروحُ أَم لا؟ والصوابُ أن يُقَالَ: موتُ النفوس هو مفارَقَتُها لأجسادِها، وخروجها منها، فإنْ أُريدَ بموتها هذا القَدْرُ، فهي ذائِقَةُ الموتِ، وإنْ أُريدَ أَنها تُعدَمُ وتَفنى بالكلية، فهي لا تموتُ بهذا الإعتبار، بل هي باقيةٌ بعدَ خلقها في نعيم أو في عذاب[1].

سخر له من وسائل وأدوات –استطاع أن يخترع قنابل نووية تدمر الحياة على الأرض بأكملها وفي ثوانٍ معدودة!! فما يكون ظنكم برب العالمين وخالق الخلق سبحانه وتعالى.

[1] وهو قول ابن القيم، والكلام له، انظره في "الروح"، ص ٤٣، ٤٤.

وقد أخبر سبحانه أَنَّ أَهْلَ الجنةِ: ﴿**لا يَذُوقونَ فيها الموتَ إلاَّ الموتةَ الأولى**﴾ الدخان: ٥٦. وتلكَ الموتَة هي مفارقةُ الروحِ للجسدِ، وأمَّا قولُ أَهْل النارِ: ﴿**رَبَّنا أَمَتَّنا اثنتينِ وأَحييتَنا اثنتينِ**﴾ غافر: ١١. وقوله تعالى: ﴿**كيفَ تكفرونَ باللهِ وكُنتم أمواتاً فأحياكُم ثمَّ يُميتُكُم ثمَّ يُحييكُم**﴾ البقرة: ٢٨. فالمرادُ أنهم كانوا أمواتاً وهم نُطَفٌ في أصلابِ آبائهِم وفي أَرحام أُمهاتهم، ثمَّ أحياهم بَعْدَ ذلك، ثم أماتهم، ثم يُحييهم يومَ النشور، وليس في ذلك إماتةُ أرواحهم قبلَ يومِ القيامةِ، وإلاَّ كانت ثلاثَ مَوتاتٍ.

وصعقُ الأرواحِ عندَ النفخِ في الصُّورِ لا يَلْزَمُ منه مَوْتُها، والذي يَدُلُّ عليه أنَّ نفخَةَ الصَّعقِ -والله أعلم- مَوتُ كُلِّ مَن لم يذقِ الموتَ قبلَها من الخلائق، وأمَّا مَنْ ذاقَ الموتَ أو لم يُكتَبْ عليه الموتُ مِنَ الحُورِ والوِلْدانِ وغيرِهم، فلا تَدلُّ الآية[1] على أنَّهُ يموتُ موتَةً ثانيةً، واللهُ أعلم.

قولُه: "وبِعَذابِ القبْرِ لِمَنْ كانَ له أَهْلاً[2]، وسؤالِ مُنكَر ونَكِير في قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ ودينِه ونبيِّهِ على ما جاءَتْ بهِ الأخبارُ عَنْ رسُولِ الله ﷺ وعنِ الصَّحابَةِ رِضوانُ اللهِ عليهم. والقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ الجنَّةِ، أو حُفرةٌ مِنْ حُفَرِ النيران".

ش: قال تعالى: ﴿**وحَاقَ بآلِ فِرْعَونَ سُوءَ العَذاب. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيها غُدُوًّاً وعَشِيّاً ويوم تَقومُ السَّاعَةُ أَدخِلوا ءَالَ فِرعَونَ أَشدَّ العذاب**﴾ [3]غافر: ٤٥-٤٦.

---

[1] وهي قوله تعالى: ﴿**ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَن في السماوات ومَن في الأرض إلاَّ مَن شاءَ اللهُ، ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى فإذا هم قِيامٌ يَنْظُرونَ**﴾ الزمر: ٦٨. قال ابن القيم في "الروح" ٤٤: قيل:هم الشهداء، هذا قول أبي هريرة، وابن عباس، وسعيد بن جبير. وقد نَصَّ الإمام أحمد على أن الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور ا-هـ.

[2] أي: مُستحقاً له.

[3] قال ابن كثير في التفسير: هذه الآية أصل كبير في استدلالِ أَهْل السُّنَّة على عذابِ البرزخ في القبور. ا-هـ

وعن البراءِ بنِ عازب ﷺ، قال: كُنَّا في جَنازةٍ في بقيعِ الغَرْقَد، فأتانا النبيُّ ﷺ، فقعَدَ وقعَدْنا حَوْلَهُ، كأنَّ على رؤوسِنا الطيرَ، وهو يُلْحَدُ له، فقال: "أعوذُ باللهِ مِن عذابِ القبْرِ"، ثلاثَ مَرَّاتٍ، ثمَّ قال: " إنَّ العَبدَ المؤمِنَ إذا كانَ في إقبالٍ مِنَ الآخرةِ وانقطاعٍ مِنَ الدُّنيا، نزلَتْ إليه الملائِكَةُ كأن على وجوههم الشمسَ، معهم كفنٌ من أكفانِ الجنَّة، وحَنوطٌ من حنوطِ الجَنَّةِ، فجلَسُوا مِنهُ مَدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ مَلَكُ الموتِ حَتَّى يجلِسَ عِندَ رأْسِهِ، فيقول: أَيَّتُها النَّفْسُ الطيبَةُ، اخرُجي إلى مَغفِرةٍ مِنَ اللهِ ورضوانٍ"، قال: "فَتخرُجُ تَسِيلُ كما تَسيلُ القطرَةُ مِنْ فِيّ السِّقاءِ، فَيأخُذُها، فإذا أَخذَهَا لَم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ، حتَّى يأخذوها فيجعلُوها في ذلك الكَفَنِ وذلِكَ الحَنُوطِ، ويَخرجُ منها كأطيبِ نَفحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وجهِ الأرضِ، قال: فَيصْعَدونَ بها، فلا يَمُرُّونَ بها -يعني على مَلأٍ مِنَ الملائِكَةِ- إلاَّ قَالوا: ما هذه الرُّوحُ الطيبةُ؟ فَيقولُونَ: فُلانُ بنُ فلانٍ، بأحسَنِ أسمائِه التي كانوا يُسمُّونَهُ بها في الدنيا، حتى يَنتهوا بها إلى السَّماءِ فَيَستفتحُونَ له، فَيُفتَحُ لَهُ، فَيُشيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوهَا، إلى السماءِ التي تَليها، حَتى يُنْتَهى بها إلى السماءِ السابعَةِ، فيقولُ اللهُ ﷻ: اكتُبوا كِتَابَ عبدي في عِلِّيين، وأَعيدوهُ إلى الأرضِ، فإني منها خَلقتُهُم، وفيها أعيدُهُم، ومنها أُخْرِجُهم تارَةً أُخرى.

قال: فَتُعادُ رُوحُه في جَسَدِهِ، فَيأْتيهِ مَلكانِ، فيُجْلِسانِهِ، فيقولان له: من ربُّكَ؟ فيقول: ربيَ اللهُ، فيقولان له: ما دينُكَ؟ فيقُولُ: دِينيَ الإسلامُ، فيقولانِ له: ما هذا الرَّجُلُ الذي بُعِثَ فيكُم؟ فيقولُ: هو رسولُ اللهِ، فَيَقُولانِ له: ما عِلْمُكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كِتابَ اللهِ، فآمَنتُ بهِ وصَدَّقتُ[1]، فينادي مُنادٍ مِنَ السماءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدي، فافرشُوهُ مِنَ الجنَّةِ،

[1] فيه أن القرآن الكريم حجة على كل إنسان، وسيسأل العبد عن علمه فيه، وأنه مُيسر للذكر إلى حَدٍّ أنه سيُسأل عنه كل مؤمن من دون استثناء، وعن مدى علمه وعمله بهذا الكتاب العظيم، وفي الحديث: "القرآن حجة لك أو عليك" سواء كنت عالماً أو من عامة الناس، وليس كما يصور البعض صعوبة فهم القرآن الكريم، وأنه لا يمكن أن يتعامل معه إلاَّ العلماء المجتهدين، وكأنَّ كتابَ اللهِ أُنزلَ لهم خاصة من دون الناس!!

وافتحوا له باباً إلى الجنَّةِ، قال: فيأتيهِ مِنْ رَوْحِها وطيبِها، ويُفْسَحُ له في قبرِهِ مدَّ بَصَرِه ويُفْسَحُ له في قبرِهِ مدَّ بَصَرِه، قال: ويَأْتيهِ رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثيابِ، طَيِّبُ الريحِ، فيقولُ: أَبشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقولُ له: مَنْ أنتَ؟ فوَجْهُكَ الوَجْهُ الذي يجيءُ بالخير، فيقول: أنا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فيقولُ: يارَبُّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أرجعَ إلى أَهْلي ومَالي.

قال: وإنَّ العَبْدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ مِنَ الدُّنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نزَلَ إليه مِنَ السماءِ ملائِكةٌ سُودُ الوجُوهِ، مَعَهُم المُسُوحُ[1]، فيجلسونَ مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثمَّ يجيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلسَ عِندَ رأْسِهِ، فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلى سَخطٍ من اللهِ وغضبٍ، قال: فتَتَفَرَّقُ في جَسَدِهِ، فينتزِعُها كما يُنْتَزَعُ السُّفُّودُ[2] مِن الصُّوفِ المبلولِ، فيأخُذُها، فإذا أخَذَها لَمْ يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ، حتى يجعَلُوها في تِلْكَ المسوحِ، ويَخرُجُ منها كَأَنْتَنِ ريحٍ وُجِدَتْ على وَجْهِ الأَرضِ، فيَصعَدُونَ بها، فلا يمرُّونَ بها على مَلأٍ مِنَ الملائكةِ إلاَّ قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فُلانُ بنُ فُلانٍ، بأقبحِ أسمائِه التي كانَ يُسَمَّى بها في الدُّنيا، حتى يُنْتَهى بها إلى السَّماءِ الدُّنيا، فَيُستَفتَحُ لهُ، فلا يُفتَحُ له، ثمَّ قرأَ رسول اللهِ ﷺ: ﴿**لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السَّماءِ، ولا يدخلونَ الجنَّةَ حتَّى يَلِجُ الجمَلُ في سَمِّ الخياطِ**﴾ الأعراف: ٤٠. فيقول الله ﷻ: اكتُبوا كِتَابَهُ في سِجِّينَ، في الأرضِ السُّفلى، فتُطرَحُ رُوحُه طَرْحاً، ثمَّ قرأ: ﴿**ومَن يُشْرِكْ باللهِ فكأَنَّما خرَّ مِنَ السَّماءِ فتخطَفُهُ الطَّيْرُ أو تهوي بهِ الريحُ في مكانٍ سَحيقٍ**﴾ الحج: ٣١.

فتُعادُ روحُهُ في جسَدِهِ، ويأتيهِ مَلكانِ فيُجلِسانِه، فيقولانِ له: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقولُ: هَاه، هاه، لا أَدْري، فيقولانِ لَهُ: ما هَذا الرجلُ الذي بُعِثَ فِيكُم، فيقولُ: هَاه، هاه، لا أدري، فيُنادي مُنَادٍ من السَّماءِ: أَنْ كَذَبَ، فافرشُوهُ مِنَ النارِ، وافتَحوا له باباً إلى النَّارِ، فيأتِيهِ مِنْ

---

[1] المسوح: كساء من الشعر.

[2] السفود: حديدة ذات شعب مُعَقَّفة.

حَرِّهَا وسَمُومِها، ويضيقُ عَليهِ قَبْرُهُ، حتَّى تَختَلِفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه رجُلٌ قَبيحُ الوجهِ، قَبيحُ الثيابِ، مُنتنُ الرِّيحِ، فيقُولُ: أبْشِرْ بالذي يسُوؤُكَ، هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعَدُ، فيقول: مَنْ أنتَ؟ فوجْهُكَ الوَجْهُ الذي يجيء بالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنا عَمَلُكَ الخَبيثُ، فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ الساعةَ"[1].

وذَهبَ إلى مُوجِبِ[2]هذا الحديثِ جَميعُ أَهْلِ السُّنَّةِ والحديثِ[3]، وفي الصحيح، قال رسول اللهِ ﷺ: "إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قَبرِهِ وتَولَّى عنهُ أَصحَابُهُ، إنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِم، فَيأْتيهِ مَلكانِ، فيُقعِدانه، فيقولانِ له: ما كُنتَ تَقُولُ في هذا الرجلِ، محمد ﷺ؟ فأَمَّا المؤمِنُ، فيقول: أَشْهَدُ أَنَّه عَبدُ اللهِ ورسولُه، فيقولُ له: انظُرْ إلى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبدَلَكَ اللهُ بهِ مقعداً مِنَ الجنَّةِ، فيراهما جميعاً"[4].

---

[1] صحيح، رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وغيرهم. وللحديث زيادة صحيحة ذكرها الشيخ الألباني في كتابه "أحكام الجنائز" وهي: "ثم يُقيَّضُ له أعمى أصم أبكم في يده مَرزَبة لو ضُرِبَ بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربةً حتى يصير بها تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه ضربةً أخرى، فيصيح صيحةً يسمعه كل شيء إلاَّ الثقلين، ثم يُفتح له باب مِنَ النار، ويُمهد من فرش النار، فيقول: رَبِّ لا تُقم الساعة".

[2] أي إلى مقتضى ومعنى هذا الحديث..

[3] عذاب القبر حق، وهو معلوم من الدين بالضرورة، وقد تضافرت الأدلة والأحاديث النبوية الدالة عليه، فمن الصحابة الذين رَووا أحاديث عذاب القبر عن النبيِّ ﷺ: البراء بن عازب، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت وغيرهم، وبعض أَحاديثهم في الصحيحين، والعجيب بعد ذلك أن يأتي نفر من شواذ الأمة حَكَّموا العقل على النقل!! فجحَدوا عذاب القبر بحجة أَنَّ الأخبار الدالة عليه آحاد لا تقوم بها حجة!!

[4] رواه البخاري.

وفي "الصحيحين" عن ابن عباس: أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فقال: "إنَّهُما ليُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبَان في كَبير، أمَّا أحَدُهُما، فكانَ لا يَسْتَبْرئُ[1] مِنَ البَوْلِ، وأما الآخَرُ، فكانَ يَمشي بالنميمةِ، فدَعا بجريدَةٍ رَطْبَةٍ، فشَقَّها نِصفَينِ، وقالَ: لعَلَّهُ يُخَفَّفُ عنهُما ما لَمْ يَيْبَسَا".

وعن أبي هريرةَ، قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: "إذا قُبِرَ أَحَدُكُمْ[2] أو الإنسانُ أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يُقالُ لأحَدِهما: المُنكَرُ، وللآخَرِ: النَّكيرُ.. "[3].

وقَدْ تواترتِ الأخبارُ عن رسولِ الله ﷺ في ثبوتِ عذابِ القبرِ ونعيمه لِمن كان لذلك أَهْلاً، وسؤال المَلَكين، فيجبُ اعتقادُ ثبوتِ ذلك، والإيمانُ به، ولا نتكلَّمُ في كيفيَّتِهِ، إذْ ليسَ للعقلِ وقوفٌ على كيفيتهِ، لِكونهِ لا عَهْدَ له به في هذا الدَّار.

-تَعَلُّقُ الرُّوحِ بالبَدَنِ-

فالروحُ لها بالبدَنِ خَمسَةُ أنواعٍ مِنَ التَّعَلُّقِ، مُتَغايِرَةِ الأحكامِ[1]:

---

[1] وفي رواية البخاري وأكثر الروايات "لا يَسْتَتِر"، بمعنى لا يَتوقَّى ولا يتحفظ منه، ولا يجعل بينه وبين بوله سترة، انظر فتح الباري: ١/٣٨٠.

[2] جاء في هامش نسخة مؤسسة الرسالة: "في الأصول: أحدكم، والمثبت من ابن حبان "إذا قُبِرَ الميت"، وهو في "صحيح ابن حبان" (٣٨٠)، ولفظه بتمامه: "إذا قُبر الميت.. " ا-هـ. وهو خطأ، والصواب المثبت عند ابن حبان في صحيحه: "إذا قُبِرَ أحَدُكُم.." وهو برقم (٣١١٧).

[3] حسن، أخرجه الترمذي، وابن حبان في صحيحه. وتمام الحديث عند ابن حبان (٣١١٧): "إذا قُبِرَ أَحَدُكُم أو الإنسانُ، أتاهُ مَلَكانِ أسوَدَانِ أَزرَقانِ، يُقالُ لأحَدِهما: المنكرُ، والآخرُ: النَّكيرُ، فيقولانِ له: ما كُنتَ تقولُ في هذا الرجل محمدٍ؟ فهو قائلٌ ما كان يقول. فإن كانَ مؤمناً، قال: هو عبدُ اللهِ ورسولُه، أشهدُ أَنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله. فيقولان له: إنْ كُنَّا لنَعْلَمَ إنَّكَ لتقول ذلك، ثمَّ يُفْسَحُ له في قبرِه سَبْعونَ ذراعاً في سبعينَ ذراعاً، ويُنَوَّرُ له فيه، فيُقالُ له: نَمْ فينامُ كنومَةِ العروس الذي لا يُوقِظُه إلاَّ أَحَبُّ أَهْلِه إليه حتى يَبْعَثَهُ الله مِن مَضجَعِهِ ذلك. وإن كان منافقاً، قال: لا أدري، كُنتُ أسْمَعُ الناسَ يقولونَ شيئاً، فَكُنتُ أَقولُه، فيقولان له: إنْ كُنَّا لنَعْلَمُ أنك تَقولُ ذلك، ثم يُقالُ للأرضِ: التئِمي عَليهِ، فتلتئِمُ عليه حتى تختلِفَ فيها أَضلاعُهُ، فلا يَزالُ مُعَذَّباً حتى يبعثَهُ اللهُ مِن مَضجَعِهِ ذلكَ".

أَحدُها: تَعَلُّقُها به في بَطنِ الأُمِّ جنيناً.

الثاني: تَعَلُّقُها بهِ بَعْدَ خُرُوجهِ إلى وجهِ الأرضِ.

الثالث: تعلُّقها به في حالِ النَّومِ، فَلَها به تَعَلُّقٌ من وَجْهٍ، ومُفارَقَةٌ مِن وجه[٢].

الرابع: تعَلُّقها به في البَرزَخِ، فإنَّها وإنْ فارقته، وتَجَرَّدَتْ عنه، فإنَّها لم تُفارِقْه فِرَاقاً كُليّاً بحيثُ لا يَبقَى لها إليه التِفاتٌ أَلَبَتَّةَ[٣].

الخامس: تَعلُّقها به يَومَ بَعْثِ الأجسادِ، وهو أَكْمَلُ أنواعِ تَعَلُّقِها بالبدَنِ، إذْ هو تَعَلُّقٌ لا يَقْبَلُ البدَنُ معه مَوْتاً ولا نَوْماً ولا فَسَاداً.

–السُّؤالُ في القَبْرِ للروحِ والبَدَنِ–

دَلَّت الأحاديثُ الصَّحيحةُ أنَّ السؤالَ في القبرِ يكونُ للروح والبَدَنِ، وكذلك عذابُ القبرِ يكون للنَّفسِ والبدنِ جميعاً، باتِّفاقِ أَهْل السُّنَّةِ والجماعة، تَنْعَمُ النفسُ وتُعَذَّبُ، مُفْرَدَةً عن البدَنِ ومُتَّصِلَةً به.

وهل يدومُ عذابُ القبرِ أو ينقطع؟ جوابه أنَّه نوعان: منه ما هو دائمٌ، كما قال تعالى: **﴿النَّار يُعْرَضُونَ عليها غُدُوَّاً وعَشِيَّاً ويومَ تقومُ السَّاعَةُ أدخِلُوا آلَ فِرعونَ أشَدَّ العذابِ﴾** غافر: ٤٦. وكذا في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: "ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى النارِ، فينظرُ إلى مَقعَدهِ فيها حَتَّى تَقومَ الساعةُ". والنوعُ الثاني: أنه مدةٌ، ثمَّ يَنقطعُ، وهو عذابُ بَعْضِ العُصاةِ الذين خَفَّت جرائِمُهُم، فيُعَذَّبُ بحسب جُرْمِه، ثمَّ يُخَفَّفُ عنه.

–مَن ماتَ مُسْتَحِقَّاً لعذابِ القبرِ، نالَهُ العذابُ قُبِرَ أَوْلَمْ يُقبَرْ–

---

[١] انظر "الروح" لابن القيم، ص٥٥. ومما يجدر التنبيه له، أن أكثر كلام الشارح في هذا الفصل، مأخوذ عن كتاب "الروح".

[٢] فالنوم شبيه الموت، وهو موت دون موت، وقد سماه القرآن وفاة، كما قال تعالى: **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلَمُ ما جرَحتُم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أَجَلٌ مُسَمًى ثمَّ إليه مرجِعُكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾** الأنعام: ٦٠.

[٣] فقد ثبت بالنص أن الروح تُرَدُّ إلى صاحبها في القبر عند حصول المساءلة، وغير ذلك.

اعلَمْ أَنَّ عذابَ القبر هو عذابُ البرزَخِ، فكُلُّ مَن ماتَ، وهو مُستحقٌّ للعذابِ نالَهُ نَصيبُهُ منه، قُبِرَ أو لم يُقْبَرْ، أَكَلَتْهُ السِّباعُ، أو احترَقَ حتَّى صارَ رَماداً، ونُسِفَ في الهواءِ، أو صُلِبَ أو غَرِقَ في البحرِ، وصَلَ إلى رُوحِه وبَدَنِه مِنَ العذابِ ما يَصِلُ إلى المَقبورِ.

-نارُ القبْرِ ونعيمُهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ نَارِ الدُّنيا ونعيمها-

يَجِبُ أن يُعْلَمَ أَنَّ النارَ التي في القبرِ والنَّعيمَ، ليسَ مِن جنسِ نارِ الدنيا ولا نعيمها، وإنْ كانَ اللهُ تعالى يُحَمِّي عليه التُّرابَ والحِجارَةَ التي فَوْقَهُ وتَحتَه حتى يكونَ أَعظَمَ حَرَّاً مِن جَمْرِ الدُّنيا، ولو مَسَّها أَهْلُ الدنيا لَمْ يَحِسُّوا بها، بل أعجبُ مِنْ هذا أَنَّ الرجلينِ يُدفنانِ أَحدُهما إلى جنبِ صاحبِهِ، وهذا في حفرَةٍ مِن حفرِ النارِ، وهذا في روضةٍ منْ رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيءٌ من حرِّ ناره[١]، ولا مِن هذا إلى جارِهِ شيء مِن نعيمِهِ، وقدرةُ الله أوسَعُ مِن ذلك وأعجب، ولكنِ النفوسَ مُولَعَةٌ بالتكذيب بما لم تُحِط به عِلماً!! وقَدْ أرانا اللهُ في هذه الدَّار مِن عجائبِ قدرَته ما هو أَبلَغُ مِن هذا بكثير، وإذا شاءَ اللهُ أن يُطلِعَ على ذلك بعضَ عبادِه أطلعهُ، وغَيَّبَهُ عن غيره، ولو أَطْلَعَ اللهُ على ذلك العِبادَ كُلَّهم، لزالَت حِكْمَةُ التكليفِ والإيمانِ بالغيبِ، ولما تدافنَ الناسُ، كما في الصحيح عنه ﷺ: "لو لا أن لا تَدافنوا، لَدعَوتُ اللهَ أن يُسْمِعَكُم مِن عذابِ القبرِ ما أَسْمَعُ"[٢].

-مُسْتَقَرُّ الأرواحِ بعدَ الموتِ-

الأرواحُ في البَرْزَخِ مُتفاوِتَةٌ أَعظَمَ تفاوت، **فمنها**: أرواحٌ في أَعلى عِلِّيينَ، في الملأِ الأعلى، وهي أرواحُ الأنبياء صلواتُ الله عليهم وسلامهُ، وهم مُتفاوَتونَ في منازلهم.

---

[١] وهذا من تمام قدرة الله تعالى، وفضله ورحمته بعباده المؤمنين، حيث قد اختلطت المقابر بالكفار والمؤمنين، ولم تعد قبور الكفار تميز عن قبور المؤمنين.. لأن قوانين الأرض لا تميز بينهم في الحياة الدنيا، ولكن هذا -ولله الحمد- لن يضير المؤمنين في شيء.

[٢] أخرجه مسلم.

ومنها: أَرواحٌ في حواصِلِ طَيرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ في الجنةِ حيثُ شاءَت(١).

ومنها: مَن يكونُ محبوساً على بابِ الجنة بسببِ دينٍ عليه، كما في الحديثِ: "رأيتُ صاحِبَكم مَحبوساً على بابِ الجنةِ". **ومنها**: مَنْ يكون طائِراً يَعْلَقُ في شَجَر الجنةِ، كما في الحديث: "إنَّ نَسَمَةَ المؤمنِ طائِرٌ يَعْلَقُ في شَجَرِ الجنة، حتى يرجِعَهُ اللهُ إلى جَسَدِه يومَ يَبْعَثُهُ".

ومنهم مَن يكونُ مَحْبوساً في قبرِهِ، ومنهم مَن يكونُ مَحبوساً في الأرض، ومنها أَرواحٌ تكونُ في تَنُّورِ الزُّناةِ والزَّواني، وأرواحٌ في نَهرِ الدَّمِ تَسبَحُ فيه، وتُلْقَمُ الحِجارَةَ، كُلُّ ذلك تشهَدُ له السُّنَّةُ(٢).

---

(١) وهي أرواح الشهداء كما قال تعالى: **﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزَقون﴾** آل عمران: ١٦٩. وفي الحديث، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ انه قال: "لما أُصيبَ إخوانكم -يعني يوم أُحُد- جَعلَ الله أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ خضرٍ تَرِدُ أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ مُذَلَّلةٍ في ظل العرش". وهو صحيح.

(٢) جاء في "صحيح البخاري": عن ثمرة بن جندب، قال: كان رسولُ الله ﷺ يعني مما يكثرُ أن يقول لأصحابه: هل رأى أَحدٌ منكم من رؤيا؟ قال: فيُقَصُّ عليه ما شاء الله أن يقصَّ. وإنه قال لنا ذاتَ غداةٍ: "إنه أتاني الليلةَ آتيان، وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: انطلق. وإني انطلقتُ معهما، وإنا أتينا على رجلٍ مُضطجع، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يَهوي بالصخرة لِرَأسه فَيَثْلَغْ رَأْسَهُ فيتدَهْدَه الحجر ها هنا، فيتبعُ الحجرَ فيأخُذُه فلا يرجعَ إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان، ثمَّ يعودُ فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى. قال: قلت لهما: سبحان الله، ما هذان؟ قال قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل مُستَلْقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: ثمَّ يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قال قلت: سبحان الله ما هذان؟ قال قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقا فأتينا على مثل التنور، فإذا فيه لغط وأصوات. قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك

-الأرضُ لا تأكلُ أجسادَ الأَنبياءِ-

حَرَّمَ اللهُ على الأرضِ أَنْ تأْكُلَ أجسادَ الأنبياءِ، كما رُويَ في "السنن"[١]، وأما الشهداءُ، فقد شُوهِدَ مِنهم بَعْدَ مُدَدٍ مِن دفنه كما هو لم يتغير[٢]، فَيُحتَملُ بَقاؤهُ كذلك في تُربَتِهِ إِلى

اللهب ضوضوا، قال قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال قالا لي: انطلق انطلق، قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجراً، فينطلق يسبح ثم يرجع إليه، كلما رجع إليه فغر فاه فألقمه حجراً. قال قلت لهما: ما هذان؟ قال قالا لي: انطلق انطلق. قال: فانطلقنا فأتينا على رجلٍ كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلاً مرآه، وإذا عنده نار يحشها ويسعى حولها... قال قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجباً، فما هذا الذي رأيت؟ قال قالا لي: أما إنّا سنخبرك: أمّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ بالقرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة. وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق. وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزواني. وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا. وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فإنه مالِك خازن جهنم".

[١] فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء".

[٢] عن جابر، قال: دُفن مع أبي رجل، فكان في نفسي من ذلك حاجة، فأخرجته بعد ستة أشهر، فما أنكرت منه شيئاً، إلاَّ شعيرات كُنَّ في لحيته مما يلي الأرض. صحيح سنن أبي داود (٢٧٨٧).

قلت: ومن ذلك ما تناقلته وسائل الإعلام، عن اكتشاف رجل في كهف تحت الأرض، قد مضى على موته أكثر من مائة عام من دون أن تُتلِف الأرض جثته، وقد تعرَّف عليه أقاربه في الجزائر من خلال ما يحمل من وثائق تثبت شخصيته وعمره.. والخبر ذُكِرَ -على وجه الطرفةوذكر الأمور المستغربة- من دون أدنى اعتبار أو استثمار!!.

يومِ مَحْشَرِه، ويُحتَملُ أَنَّهُ يَبْلى مع طول المدة، وكأنه -والله أعلمُ- كلما كانتِ الشَّهادَةُ أكملَ، والشهيدُ أَفضلَ، كان بَقاءُ جَسَدِهِ أَطوَلَ.

قولُـه: "ونُـؤمِنُ بالبَعْـثِ وجـزاءِ الأعمـالِ يـومَ القيامـة والعـرْضِ والحِسـابِ، وقِراءَةِ الكتابِ، والثَّوابِ والعقابِ، والصِّرَاطِ والميزَان".

ش: الإيمانُ بالـمَعَاد مما دلَّ عليه الكِتابُ والسُّنَّةُ، والعَقْلُ والفِطرَةُ السليمةُ، فأخبَرَ اللهُ سبحانه عنه في كتابهِ العزيز، وأَقامَ الدليلَ عليه، وردَّ على منكريه في غالبِ سُوَرِ القرآن.

-الأنبياءُ مُجْمِعُونَ على الإيمانِ بالبعثِ واليوم الآخرِ-

الأنبياءُ عليهم السلامُ كُلُّهم مُتَّفقونَ على الإيمانِ بالآخرةِ. فإنَّ القيامة الكُبرى هي معروفة عندهم، مِنْ آدَمَ إلى نوحٍ، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

وقد أخبرَ اللهُ بها مِن حين أُهبِطَ آدمُ، فقال تعالى: ﴿**قال اهبطُوا بَعْضُكُم لبَعْضٍ عَدَوٌّ ولَكُم في الأرضِ مُسْتَقَرٌّ ومَتاعٌ إلى حينٍ. قالَ فيها تَحْيَونَ وفيها تموتونَ ومنها تُخْرَجُونَ**﴾ الأعراف: ٢٤-٢٥. ولَمَّا قالَ إبليس اللعين: ﴿**رَبِّ فأَنظِرْني إلى يومِ يُبعثُونَ. قالَ فإنَّكَ مِنَ المنظرينَ. إلى يومِ الوقتِ المعْلُومِ**﴾ ص: ٧٩-٨١.

وأمَّا نوحٌ ، فقال: ﴿**واللهُ أنبَتكم مِنَ الأَرضِ نباتاً. ثمَّ يعيدُكُم فيها ويُخرِجكم إخراجاً**﴾ نوح: ١٧-١٨.

وقال إبراهيمُ : ﴿**والذي أَطمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لي خَطيئَتي يَومَ الدين**﴾ الشعراء: ٨٢. وقال: ﴿**رَبَّنا اغفر لي ولِوالِدَيَّ وللمؤمنين يومَ يقومُ الحِسَابُ**﴾ إبراهيم: ٤١.

وأمَّا موسى ، فقال اللهُ تعالى لما ناجاهُ: ﴿**إنَّ السَّاعةَ آتيةٌ أَكادُ أُخفِيها. لِتُجْزَى كُلُّ نفسٍ بما تَسْعى. فلا يَصُدَّنَّكَ عَنها مَنْ لا يؤمِنُ بها واتَّبَعَ هواهُ فَتَرْدَى**﴾ طه: ١٥-١٦.

وقال تعالى حكايةً عن مؤمن آلِ فرعون: ﴿**ويا قومِ إنِّي أخافُ عَليكُم يومَ التَّنَادِ**﴾ إلى قوله: ﴿**ياقَومِ إنما هذه الحياةُ الدُّنيا متاعٌ وإنَّ الآخِرةَ هي دَارُ القَرَارِ**﴾ غافر: ٣٢-٣٩.

وقد أخبرَ الله تعالى عَنْ أَهْل النارِ أنهم إذا قال لهم خزَنَتُها: **﴿أَلَمْ يَأْتِكُم رُسُلٌ مِنكم يتلونَ عليكم آياتِ رَبِّكُم يُنذرونَكُم لقاءَ يومِكُم هذا قالوا بَلَى ولكن حَقَّتْ كلمةُ العذابِ على الكافرين﴾** الزمر: ٧١.

وهذا اعترافٌ من أصناف الكفارِ الداخلين جهنمَ أنَّ الرسلَ أنذرتهم لِقاءَ يَومهم هذا، فجميع الرُّسلِ أنذروا بما أنذرَ به خاتَمُهُم[١].

وأَمَر نَبيَّهُ أَنْ يُقْسِمَ به على المعادِ، فقال: **﴿وقالَ الذينَ كفروا لا تأْتينا السَّاعةُ قل بلى وربِّي لتأتينكم عالِمِ الغيبِ﴾** سبأ: ٣. وقال تعالى: **﴿ويستنبِئونَكَ أَحَقٌّ هوَ قل إي وربِّي إنهُ لحقٌّ وما أنتُم بمُعْجزين﴾** يونس: ٥٣. وقال: **﴿زعمَ الذين كفروا أن لنْ يُبعَثوا قلْ بلى وربي لتبعَثُنَّ ثم لتُنَبَّؤنَّ بما عملْتُم وذلك على الله يسيرٌ﴾** التغابن: ٧.

وأخبر عن اقترابها، فقال: **﴿اقتربت السَّاعةُ وانشقَّ القمرُ﴾** القمر: ١. **﴿اقتربَ للناسِ حسابُهُم وهم في غَفْلَةٍ مُعْرِضونَ﴾** الأنبياء: ١. **﴿إنَّهم يرونه بعيداً. ونراهُ قريباً﴾** المعارج: ٦-٧.

-ذَمُّ المكذبين بالمعاد-

قال تعالى: **﴿قدْ خَسِرَ الذينَ كَذَّبوا بِلقاء اللهِ وما كانوا مُهتدين﴾** يونس: ٤٥. **﴿ألا إنَّ الذين يُمارونَ في السَّاعةِ لَفي ضلالٍ بعيدٍ﴾** الشورى: ١٨. **﴿حتى إذا جاءَتْهُم السَّاعةُ بَغْتَةً قالوا ياحَسْرَتنا على ما فرَّطنا فيها﴾** الأنعام: ٣١. **﴿وأقسموا باللهِ جَهْدَ أَيْمانهم لا يبعثُ اللهُ مَنْ يموتُ بلى وَعْداً عليهِ حقًّا﴾** النحل: ٣٨. **﴿إنَّ الساعة لآتيةٌ لا رَيبَ فيها ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يؤمنونَ﴾** غافر: ٥٩. **﴿ونحشُرُهم يومَ القيامةِ على وجوههم عُمْياً**

---

[١] وهذا الاعتراف منهم فيه دليل على أن جميع من في النار قد بلغتهم نذارة الرسل، وأن المرء لا يُعذب إلاَّ بعد بلوغ نذارة الرسل إليه، كما قال تعالى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾**. أما من مات ولم تبلغه نذارة الرسل، فحكمه حكم أَهْل الفترات، حيث يؤمرون وهم في عرصات يوم القيامة بدخول النار، فمن أطاع منهم دخل الجنة، ومن عصى وأبى أدخلوه النار، كما دلت على ذلك السُّنَّة.

وبكماً وصُمَّاً مأواهُم جهنمُ كُلَّما خبَت زِدْناهُمْ سَعيراً. ذلك جزاؤهُم بأنَّهم كَفروا بآياتِنا وقالوا أءِذا كُنَّا عِظاماً ورُفاتاً أَءِنَّا لَمبعوثونَ خَلْقاً جديداً. أو لَمْ يروا أنَّ اللهَ الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضَ قادِرٌ على أَنْ يخلُقَ مِثلَهم وجعلَ لهم أجلاً لا ريْبَ فيه فأَبى الظَّالمونَ إلاَّ كُفوراً﴾ الإسراء: ٩٧-٩٩. **﴿وقالُوا أَءِذا كُنَّا عِظاماً ورُفاتاً أءِنَّا لَمبعوثونَ خلْقاً جديداً. قُلْ كونوا حجارةً أو حديداً. أو خَلْقاً مما يكبرُ في صدورِكُم[1]فسيقولونَ مَن يُعيدُنا. قل الَّذي فطركُم أوَّلَ مرَّةٍ فسيُنْغِضُونَ إليكَ رُؤوسَهم ويقولون متى هوَ قُل عَسَى أنْ يكونَ قريباً. يَومَ يَدعوكم فتستجيبونَ بحمدِه وتظنونَ إنْ لبثتُم إلاَّ قليلاً﴾** الإسراء: ٤٩-٥٢. **﴿وضَرَبَ لنا مَثلاً ونسيَ خلْقَهُ قالَ مَن يُحْيِي العظامَ وهي رميمٌ. قل يُحيِيَها الذي أَنشَأَهَا أوَّلَ مرَّةٍ وهو بكلِّ خَلْقٍ عليم. الذي جعلَ لكم مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ ناراً فإذا أنتُم مِنه توقدون. أَو ليسَ الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضَ بقادِرٍ على أَنْ يخلُقَ مِثلَهُم بلى وهو الخلاَّقُ العليم﴾** يس: ٧٨-٨١.

فأخبر أنَّ الذي أبدَعَ السماواتِ والأرضَ على جلالتهما وعِظَمِ شأْنِهما، وكِبَرِ أجسامهما وسَعَتِهما، وعجيبِ خلْقِهما، أقْدرُ على أنْ يُحييَ عِظاماً قَد صارت رميماً، فيردَّها إلى حالتها الأولى، كما قال في مَوضعٍ آخر: **﴿لَخَلْقُ السماوات والأرضِ أكبرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ولكِنَّ أكثَرَ الناس لا يعلمون﴾** غافر: ٥٧.

---

[1] قوله تعالى: **﴿أو خلقاً مما يكبر في صدوركم﴾**، قيل: هو الموت. ومعنى ذلك أنكم لو فرضتم أنكم لو صرتم إلى الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فإنه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده، روي ذلك عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وغيرهم.

وقيل: يعني السماء والأرض والجبال، أو ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم. وقوله تعالى: **﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾**، قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاءً، وهذا الذي قالاه هو الذي تعرفه العرب من لغاتها لأن الانغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل. (تفسير ابن كثير: ٣/٤٨).

ومِن هذا قولُه سُبحانَه: ﴿أَيَحْسَبُ الإنسانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً. أَلَمْ يَكُ نُطفةً مِنْ مَنيٍّ يُمنى. ثم كانَ علَقةً فخلَقَ فسوىً. فجعلَ مِنهُ الزَّوجين الذَّكرَ والأُنْثى. أليسَ ذلك بقادرٍ على أن يُحيي الموتى﴾ القيامة: ٣٦-٤٠. فاحتَجَّ سبحانه على أنه لا يَترُكُهُ مُهمَلاً عنِ الأمرِ والنَّهيِ، والثوابِ والعِقابِ، وأنَّ حِكْمَتَهُ وقُدْرَتَهُ تأبى ذلك أَشَدَّ الإباء[١]، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُم أَنَّما خلقناكم عَبَثاً وأنكم إلينا لا تُرجَعون﴾ المؤمنون: ١١٥. فإنَّ مَنْ نَقَلَهُ مِنَ النُّطفةِ إلى العلقةِ، ثمَّ إلى المضْغَةِ، ثمَّ شَقَّ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ، وركَّبَ فيه الحواسَّ والقوى، والعِظامَ، وأَحكمَ خلْقَه غايةَ الإحكامِ، وأخرَجَهُ على هذا الشَّكلِ والصورةِ، التي هي أتمُّ الصُّوَرِ، وأَحْسَنُ الأشكالِ كيفَ يَعْجِزُ عن إعادَتِهِ وإنشائِهِ مَرَّةً ثانية؟

-الجزاءُ على الأعمال-

قال تعالى: ﴿مالكِ يَوْمِ الدينِ﴾ الفاتحة: ٣. ﴿يَومَئذٍ يُوفيهم اللهُ دينَهُمُ الحَقَّ ويعلَمونَ أنَّ اللهَ هو الحقُّ المبين﴾ النور: ٢٥. والدِّينُ: الجزاء[٢]، يُقال كما تَدِينُ تُدانُ، أي

---

[١] من تأمَّل جميع مسائل الدين يجدها مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بعقيدة الإيمان باليوم الآخر، وعقيدة الوعد والوعيد، فجحودها هو جحود لجميع مسائل الدين وتكذيب لجميع الأنبياء والرسل. وكذلك فإن عقيدة الإيمان باليوم الآخر، تعتبر حافزاً أساسياً لعبادة الله ﷻ، وفعل الخيرات والحسنات، والإنتهاء عن فعل السيئات والمنكرات، وواقع الحال خير شاهد على ذلك، حيث أن الظلم وفعل الجرائم والمنكرات لهي ألصق بمن لا يؤمن باليوم الآخر والجزاء مِنْ غيره. وغير ذلك فإن خلق العباد من دون يوم يُقتص فيه للمظلوم مِنَ الظالم، يتنافى مع عدل الله ﷻ ومعاني أسمائه الحسنى وصفاته العُليا.

[٢] الجزاء معنى من معاني كلمة "الدين"، ومن معانيها: طاعة الله ﷻ وإفراده بالعبودية والحاكمية، كما قال تعالى: ﴿هو الحيُّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصينَ له الدينَ الحمد لله رَبِّ العالمين﴾. وقال: ﴿قل إني أُمِرتُ أَنْ أَعبُدَ اللهَ مخلصاً له الدين﴾. وقال: ﴿وما أُمِروا إلاَّ ليعبدوا اللهَ مخلصينَ له الدينَ حُنفاء﴾. ومن معانيها أيضاً: المنهج الفكري والعقدي والعملي، أو بمعنى آخر الشريعة، كما قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍ من ديني فلا أعبُدُ الذين تعبدون

كما تُجازي تُجازى، وقال تعالى: **﴿جَزاءً بما كانوا يَعْمَلُونَ﴾** السجدة: ١٧. **﴿مَنْ جاءَ بالحسنةِ فلَهُ عَشْرُ أَمثالِها ومَنْ جاءَ بالسَّيئةِ فلا يُجْزى إلاَّ مِثْلَها وَهُم لا يُظلَمون﴾** الأنعام: ١٦٠. **﴿مَنْ جاءَ بالحسَنَةِ فَلَهُ خيرٌ منها وَهُم مِنْ فَزَعٍ يومئذٍ آمنونَ. ومَن جاءَ بالسيئةِ فكُبَّت وجوهُهُم في النارِ هلْ تُجزَونَ إلاَّ ما كُنتُمْ تعمَلُون﴾** النمل: ٨٩-٩٠. **﴿مَنْ جاءَ بالحسنةِ فلَهُ خيرٌ منها ومَنْ جاءَ بالسَّيئَةِ فلا يُجْزَى الذينَ عَمِلوا السَّيِّئاتِ إلاَّ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾** القصص: ٨٤.

من دون الله**﴾**. وقال: **﴿إن الحُكمُ إلاَّ للهِ أَمَرَ أن لا تَعبدوا إلاَّ إياهُ ذلك الدينُ القيِّمُ﴾**. وقال: **﴿الزانية والزاني فاجلِدوا كل واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَةٍ ولا تأخذْكم بهما رَأفةٌ في دينِ اللهِ﴾**. وقال: **﴿أم لهم شركاءُ شَرَعُوا لهم من الدينِ ما لم يأذن بهِ الله﴾**. وقال: **﴿لكم دينُكُم وليّ دينٌ﴾**. فمن كان في طاعة غير الله فيما يُشرع، فهو في دين هذا الغير، وإن ادعى بلسانه أنه من المسلمين، فلسان الحال يبطل لسان المقال، وهو من المشركين الذين يقولون لشركائهم وهم في جهنم قابعون: **﴿تالله إن كنا لفي ضلالٍ مبين إذْ نسويكم برب العالمين﴾**. وذلك في الطاعة والإتباع والموالاة، حيث يتبعونهم من دون الله، ويُطيعونهم فيما فيه مخالفة لشرع الله، كما جاء ذلك صريحاً في آيةٍ أُخرى: **﴿وإذْ يتحاجُّونَ في النارِ فيقولُ الضعفاءُ للذين استكبروا إنَّا كنا لَكم تَبَعاً فهل أنتم مغنونَ عنَّا نصيباً مِنَ النار. قال الذين استكبروا إنَّا كُلٌّ فيها إنَّ اللهَ قد حَكَمَ بين العِباد﴾**.

وكذلك فإن كلمة "الدين" تأتي بمعنى شامل لجميع معانيها الآنفة الذكر، وهي هنا تعني النظام الشامل لجميع شؤون الحياة الدينية والدنيوية. كما قال تعالى: **﴿هو الذي أرسَلَ رسولَهُ بالهدى ودينِ الحقّ ليظهرَهُ على الدينِ كُلِّه ولو كره المشركون﴾**. وقال: **﴿إن الدين عندَ اللهِ الإسلام﴾**. وقال: **﴿ومَن يبتغِ غيرَ الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾**. قال المودودي في كتابه "المصطلحات": المراد بـ"الدين" في جميع هذه الآيات هو نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها من الاعتقادية والفكرية والخلقية والعملية ا-هـ. والمودودي رحمه الله قد أوفى المسألة بحثاً في كتابه المفيد "المصطلحات الأربعة"، فليراجع. وانظر كتابنا "الطاغوت"، فصل كلمة "الدين".

وفي الحديث: " يا عِبادي، إنَّما هيَ أَعمالُكُم أُحصيها لَكُم، ثمَّ أُوَفِّيكم إياها، فمن وجدَ خيراً، فليحمدِ اللهَ، ومَن وجَدَ غيرَ ذلك فلا يَلُومَنَّ إلاَّ نفسَهُ"[١].

-العَرضُ والحِسابُ، وقراءةُ الكتابِ-

قالَ تعالى: **﴿يَومئذٍ تُعْرَضونَ لا تَخفى مِنكُم خافيةٌ﴾** الحاقة: ١٨. **﴿يا أيُّها الإنسانُ إنَّكَ كَادِحٌ إلى ربّكَ كَدْحاً فمُلاقيه. فأمَّا مَن أُوتيَ كِتابَهُ بيمينه فسوفَ يُحاسَبُ حِساباً يسيراً. ويَنقَلِبُ إلى أَهْلهِ مَسْروراً. وأما مَن أُوتيَ كتابَهُ وراءَ ظَهرْهِ فسوفَ يَدْعوا ثُبوراً. ويَصْلى سَعيراً﴾** الإنشقاق: ٦-١٢. **﴿وعُرِضوا على ربّكَ صَفَّاً لقد جئتمونا كما خلقناكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ﴾** الكهف: ٤٨. **﴿وَوُضِعَ الكتابُ فترى المجرمينَ مُشفقينَ مما فيهِ ويقولونَ يا ويلتَنا مالِ هذا الكِتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها ووجدوا ما عَمِلوا حاضِراً ولا يظلمُ ربُّكَ أحداً﴾** الكهف: ٤٩.

عن عائشة، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: "ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامَةِ إلاَّ هلَكَ" فقلت: يارسولَ اللهِ، أليسَ قد قال اللهُ تعالى: **﴿فأما مَنْ أُوتيَ كتابَهُ بيمينه فسوفَ يُحاسَبُ حِساباً يسيراً﴾**. فقال رسول الله ﷺ: "إنَّما ذلِكَ العَرْضُ، وليسَ أَحدٌ يُناقشُ الحِسابَ يومَ القيامةِ إلاَّ عُذِّبَ"[٢].

-الصراطُ حَقٌّ-

ونؤمِنُ بالصِّراطِ، وهو جِسْرٌ على جهنَّم، قالت عائشةُ، إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ: أَينَ الناسَ يومَ تُبَدَّلُ الأرض غيرَ الأرضِ والسماواتِ، فقال: "هم في الظلمةِ دونَ الجسرِ"[٣]. وفي هذا الموضعِ يفترِقُ المنافقونَ عن المؤمنين، ويتخلفونَ عنهم، ويَسبقهم المؤمنونَ.

---

[١] أخرجه مسلم وأحمد.

[٢] أخرجه البخاري وغيره.

[٣] رواه مسلم.

عن عبد الله بن مسعود، قال: "يجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامَةِ" إلى أن قال: "فَيُعْطَونَ نُورَهُم على قَدْرِ أعمالهم، قال: فمنهم مَن يُعطى نورهُ مِثلَ الجبلِ بين يديه، ومِنهُم مَن يُعطى نورَهُ فوقَ ذلك، ومنهم مَنْ يُعطى نوره مِثلَ النخلةِ بيمينهِ، ومِنهُم من يُعطى دونَ ذلك بيمينه، حتى يكونَ آخرُ ذلك مَن يُعطى نُورَهُ على إبهامِ قَدَمِهِ[1]، يُضيء مَرَّةً ويُطْفأُ مَرَّةً، إذا أَضاءَ قَدَّم قدمَهُ، وإذا طُفِئَ قامَ، قال: فيمرُّ ويَمرونَ على الصِّراطِ، والصِّراطُ كحَدِّ السيفِ، دَحْض مَزَلَّةٌ، فيقالُ لَهُم: امضوا على قَدْرِ نُورِكُم، فمنهم مَنْ يمرُّ كانقِضاض الكوكب، ومنهم مَنْ يمرُّ كالرِّيحِ، ومِنْهُم مَنْ يمرُّ كالطَّرْفِ، ومِنْهُم مَنْ يمرُّ كَشَدِّ الرَّحْلِ، ويَرمُلُ رمَلاً، فيمرون على قَدْرِ أعمالِهِم، حتَّى يمرَّ الذي نورُهُ على إبهامِ قدمِهِ، تُجَرُّ يَدٌ، وتَعْلَقُ يَدٌ، وتُجَرُّ رِجْلٌ وتَعْلَقُ رِجلٌ، وتُصيبُ جوانِبَهُ النارُ، قال: فيخلصونَ، فإذا خَلَصُوا قالوا: الحمدُ للهِ الذي نَجَّانا مِنْكِ بَعدَ أَنْ أَراناكِ، لَقَد أَعطانا اللهُ ما لَمْ يُعْطِ أَحداً"[2].

-المرادُ بورودِ جهنَّم بالنِّسبةِ للمؤمنينَ-

المرادُ من قوله: ﴿**وإن منكم إلاَّ وارِدُها**﴾ مريم: ٧١. أنَّه المرورُ على الصِّراطِ. في الصحيح أنه ﷺ قال: "والذي نفسي بيدِه، لا يَلِجُ النارَ أَحَدٌ بايعَ تحت الشجرة"، قالت حفصَةُ: فقلتُ يارسولَ اللهِ أليسَ اللهُ يقولُ: ﴿**وإنْ منكم إلاَّ وارِدُها**﴾، فقال: "ألم تسمعيهِ قال: ﴿**ثم ننجِّي الذينَ اتَّقوا ونَذَرُ الظالمينَ فيها جِثيَّاً**﴾"[3]. فقد بين النبيُّ ﷺ أنَّ الورودَ هو المرورُ على الصراطِ، وأنَّ ورودَ النارِ لا يَسْتَلزِمُ دُخولَها.

-الإيمانُ بالميزانِ الذي توزَنُ به الأعْمالُ يومَ القيامَةِ-

ونُؤمِنُ بالميزانِ، قال تعالى: ﴿**ونَضَعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً وإن كانَ مِثْقالَ حبَّةٍ مِنْ خرْدَلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾ الأنبياء: ٤٧. ﴿**فمن ثَقُلَت**

---

(١) كلٌّ بحسب إيمانه وعمله..

(٢) صحيح، أخرجه الحاكم وغيره.

(٣) صحيح، رواه مسلم وغيره.

موازينُهُ فأولئكَ همُ المفلحونَ. ومَنْ خفَّت موازينه فأولئكَ الذين خَسِروا أنفسهم في جهنَّمَ خالدونَ﴾ المؤمنون: ١٠٢-١٠٣.

قال القرطبي: وقولُه: ﴿ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليومِ القيامَةِ﴾. يحتملُ أن يكون ثَمَّ موازينُ متعددة تُوزَنُ فيها الأعمالُ، ويَحتملُ أن يكون المرادُ الموزونات، فَجُمعَ باعتبارِ تَنوّعِ الأعمالِ الموزونَةِ، والله أعلم.

-ميزانُ الأعمالِ حِسّيٌّ مُشاهَد-

الذي دَلَّتْ عليه السُّنَّة: أن ميزانَ الأعمالِ له كِفَّتانِ حِسِّيَّتانِ مُشَاهدتان، قال رسولُ الله ﷺ: "إنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجْلاً مِنْ أُمَّتي على رُؤوسِ الخلائِقِ يومَ القيامةِ، فينْشُرُ عليه تِسْعَةً وتسعينَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ البصرِ[1]، ثمَّ يقولُ له: أتنكِرُ مِن هذا شيئاً؟ أظلمكَ كَتَبتي الحافِظونَ؟ قال: لا، ياربِّ، فيقولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرجلُ، فيقول: لا يارَبِّ، فيقولُ: بلى، إنَّ لكَ عندَنا حسنةً واحِدةً، لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتُخرَجُ له بِطاقَةٌ فيها: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ، وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ[2]، فيقولُ: أحضروه، فيقول: يارَبِّ، ما هذه البطاقةُ معَ هذه السِّجِلاَّتِ؟! فيقولُ: إنَّكَ لا تُظْلَمُ، قال: فتوضَعُ السِّجِلاَّتُ في كِفَّةٍ، والبطاقةُ في

---

[1] ينبغي أن تحمل سعة هذه السجلات وضخامتها على أنها لا تحوي على الشرك الأكبر، ولو كانت تتضمن الشرك الأكبر لما نفع الرجل شيء، ولحبطت عنه مطلق حسناته وأعماله، كما قال تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبِطَ عنهم ما كانوا يعملون﴾. وقال تعالى: ﴿إنه من يُشرك بالله فقد حَرَّمَ الله عليه الجنة﴾. فنصوص الشريعة تصدق بعضها بعضاً، ولا تَعارض بينها ولله الحمد.

[2] قد تقدم أن شهادة أن لا إله إلا الله، محمداً رسول الله لها شروط ونواقض، وهي تنفع صاحبها، عندما يستوفي شروطها ويجتنب نواقضها، وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل انتفاع الرجل بشهادة التوحيد، المدونة في البطاقة التي ثقلت ورجحت على جميع السجلات، وليس كما يقول أَهْل الإرجاء أن الرجل لم يكن عنده من الحسنات سوى نطقه لشهادة التوحيد، فضلوا بذلك وأضلوا!!.

كفـةٍ، قـال: فطاشَـتِ السِّـجلاتُ، وثَـقُلَت البِطاقـةُ، ولا يَثْقُـلُ شـيءٌ بِسْـمِ اللـهِ الـرحمن الرحيم"[١].

ومِنَ الأحاديثِ الدالَّةِ على وزنِ الأعمالِ، قولُه ﷺ: "الطهورُ شَطرُ الإيمان[٢]، والحمدُ للهِ تَمْلأُ الميزانِ"[٣]. وقولُـه: "كَلِمتـانِ خفيفتـانِ على اللِّسـانِ، حبيبتـانِ إلى الـرحمن، ثقيلتـانِ في الميزانِ: سُبحانَ اللهِ وبحمدِهِ، سُبحانَ اللهِ العظيمِ"[٤].

-وَزْنُ العامِلِ مَعَ أَعمالِه-

العامِلُ يُوزَنُ معَ عَمَلِه، عَن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: "إِنَّهُ لَيَأتيَ الرجل العظيمُ السَّمينُ يومَ القيامةِ، لا يَزِنُ عِندَ الله جناحَ بعوضَةٍ، وقال: اقرَؤوا إن شِئْتُم: **﴿فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وزناً﴾**"[٥].

وَروى الإمـامُ أحمـد، عـن ابـنِ مَسعودٍ: أنَّـهُ كـان يَجتـني سِـواكاً مِـنَ الأراكِ، وكـانَ دقيـقَ السَّاقينِ، فجعَلَتِ الريحُ تَكفؤُهُ، فضَحِكَ القومُ مِنْهُ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مِمَّ تَضحكونَ؟" قـالوا: يانـبيَّ اللـهِ، مِـنْ دِقَّـةِ سَـاقيهِ، فقـال: "والـذي نَفْسـي بيـده لَهُمـا أَثقَـلُ في الميـزانِ مِـنْ أُحُدٍ"[٦].

---

[١] صحيح، رواه أحمد وغيره.

[٢] فيه أن الإيمان عمل. وفي صحيح سنن ابن ماجة (٢٢٤): قال رسول الله ﷺ: "لا يُحافِظُ على الوضوء إلاَّ مؤمن".

[٣] رواه مسلم وغيره.

[٤] متفق عليه.

[٥] متفق عليه.

[٦] حسن، رواه أحمد بسند حسن. وفي الحديث: أن ابن مسعود ﷺ، من أَهْل الجنة. وفيه: أن وزن الانسان يكون بحسب عمله، فإن كان في دنياه من أَهْل الإيمان والصلاح، ثقل وزنه في الميزان، وإن كان من أَهْل الكفر والفسق، خَفَّ وزنه بحسب درجة فسقه وعصيانه، وقد ثبت في السُّنَّة أَنَّ الطغاةَ المتكبرين يُحشرون يوم القيامةِ كالذَّرِّ، يغشاهم الذل والهوان من كل مكان، كما في الحديث

فَثَبَتَ وزنُ الأَعمالِ والعامِلِ وصَحائفِ الأعمال، وثبت أنَّ الميزانَ له كِفَّتانِ، والله تعالى أعْلَمُ بما وراء ذلك من الكيفياتِ، فعلينا الإيمانُ بالغيبِ كما أَخبرنا الصادِقُ ﷺ، مِن غَيرِ زيادَةٍ ولا نقصان.

-الصِّراطُ بعدَ الميزانِ-

الحوضُ قبلَ الميزان، والصراطُ بعدَ الميزان، ففي "الصَّحيحين" : "أنَّ المؤمنينَ إذا عَبَروا الصِّراطَ وقفوا على قَنْطَرَةٍ بينَ الجنةِ والنارِ، فيُقتصُّ لبعضهم مِن بَعْضٍ، فإذا هُذِّبُوا ونُقُّوا، أُذِنَ لَهُم في دُخولِ الجنةِ".

قولُه: "والجنَّةُ والنَّارُ مَخْلوقَتانِ، لا تَفْنيانِ أبَداً ولا تَبيدانِ، فإنَّ اللهَ تعالى خلقَ الجنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخلْقِ[1]، وخَلَقَ لَهُما أَهلاً، فَمَن شاءَ مِنْهُم إِلى الجنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ، ومَنْ شاءَ مِنْهُم إِلى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ، وَكُلٌّ يَعْمَلُ لِما قَدْ فُرِغَ له[2]، وصَائِرٌ إِلى ما خُلِقَ لَهُ، والخيْرُ والشَّرُّ مُقَدَّرانِ على العِبادِ".

ش: اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّة على أنَّ الجنَّةَ والنَّارَ مخلوقتانِ موجودتانِ الآن. قال تعالى عن الجنَّةِ: ﴿**أُعِدَّت للمتقين**﴾ آل عمران: ١٣٣. ﴿**أُعِدَّت للذين آمَنوا بالله ورسلِهِ**﴾ الحديد: ٢١. وعن النَّارِ: ﴿**أُعِدَّت للكافرين**﴾ آل عمران: ١٣١. ﴿**إنَّ جهنَّم كانت مِرصاداً. للطَّاغينَ مآباً**﴾ النبأ: ٢١-٢٢. وقال تعالى: ﴿**ولقد رآهُ نَزْلَةً أخرى. عندَ سِدْرَةِ المُنتهى.**

عن النبيِّ ﷺ قال: "يُحشَرُ المتكبرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجنٍ في جهنَّم يُسمى بُولُسَ، تعلوهم نارُ الأنيار، يُسقونَ من عصارَةِ أَهْلِ النارِ، طينة الخبال". رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع الصغير (٨٠٤٠).

[1] ليس على إطلاقه، فقد صح أَنَّ أَوَّلَ شيءٍ خلقه الله تعالى القلم.. ولَعَلَّ المراد بـ"الخلق" الإنس والجان، والله تعالى أعلَم.

[2] أي: لِما قَدْ فُرِغَ من كتابته له.

عِندها جنَّةُ المأْوى﴾ النجم: ١٣-١٥. وفي "الصحيحين" من قصة الإسراء: "ثمَّ انطلقَ بي جبريلُ حتى أتى سِدْرةَ المنتهى، فغشيَها أَلوانٌ لا أَدري ما هي، قال: ثمَّ دخلتُ الجنَّةَ، فإذا فيها جنابِذُ اللؤلؤِ، وإذا تُرابُها المِسْكُ".

وفي "الصحيحين" أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "إنَّ أَحدَكُم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغداةِ والعَشِيِّ، إنْ كانَ مِنْ أَهْل الجنَّة، فمن أَهْل الجنَّة، وإن كان من أَهْل النَّارِ، فمن أَهْل النَّارِ، يُقال: هذا مَقْعَدُكَ حتى يَبعثَكَ اللهُ يومَ القيامَةِ".

وتقدَّم الحديث: "ينادي مُنادٍ مِنَ السماءِ: أنْ صَدَقَ عَبْدي، فافرشوهُ مِنَ الجنَّةِ، وافتحوا له باباً إلى الجنَّةِ، قال: فيأتيهِ مِنْ رَوْحِها وطِيبِها..".

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: "رأيتُ في مَقامي هذا كُلَّ شيءٍ وُعِدْتُم به، حتى لقد رأيتُني آخذُ قِطْفاً مِنَ الجنَّةِ حينَ رأَيتموني أُقَدِّمُ[١]. ولقد رأيتُ جَهَنَّم يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضاً حِينَ رأيتموني تأَخَّرتُ"[٢].

وفي "الصحيحين"، عن ابن عباس، قال: انخَسَفَت الشَّمسُ على عهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فذَكَرَ الحديثَ، وفيه: فقالُوا: يارَسولَ اللهِ رأيناكَ تَناوَلتَ شيئاً في مقامِكَ، ثمَّ رأيناكَ تَكعْكَعْتَ[٣]؟ فقال: "إنِّي رَأيتُ الجنَّةَ فتناولتُ عُنقوداً، ولَو أَصَبْتُهُ لأَكلتُم مِنْهُ ما بقيتِ الدُّنيا، ورأيتُ النَّارَ، فَلَم أرَ منْظراً كاليومِ قَطُّ أَفظعَ، ورأَيْتُ أَكثرَ أَهْلَها النِّساء"، قالوا: بِمَ، يارسُولَ اللهِ؟ قال: "يَكْفُرْنَ"، قِيلَ: أَيكفرنَ باللهِ؟ قال: "يكفُرنَ العَشِيرَ[٤]، ويكفرنَ الإحسانَ، لو أَحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهرَ كُلَّه، ثمَّ رأَتْ مِنكَ شيئاً، قالَتْ: ما رأَيتُ خَيْراً قَطُّ!!".

---

[١] أي: أقدم نفسي أو رجلي.

[٢] أخرجه مسلم وغيره.

[٣] أي: تأخرت وتراجعت.

[٤] أي: يكفرن الزوج، ونعمته عليهن. وفي الحديث دلالة على أن الكفر أحياناً يُطلق، ويُراد به كفر النعمة الذي هو دون الكفر الأكبر المخرج عن الملة.

وفي "صحيح مسلم" مِن حديثِ أَنس: "وايمُ الذي نفسي بيدِه، لَو رأَيتُم ما رأيتُ، لَضَحِكْتُم قليلاً وبكيتم كثيراً". قالوا: وما رأيتَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: "رأيتُ الجنَّة والنَّارَ".

ومن حديثِ أبي هريرة، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجنَّةَ والنَّارَ، أَرسَلَ جبريلَ إلى الجنَّةِ، فقال: اذهبْ فانظر إليها، وإلى ما أَعدَدْتُ لأهلها فيها... "(١). ونظائِرُ ذلك في السُّنَّة كثيرةٌ.

-الجنَّةُ والنَّارُ باقيتانِ لا تفنيانِ أَبَداً ولا تبيدانِ-

هذا قولُ جمهور الأئمةِ مِنَ السَّلَفِ والخَلَف(٢). وهو مِمَّا يُعْلَمُ بالضرورةِ أنَّ الرسول ﷺ أخبرَ به، قال تعالى: ﴿**وأمَّا الذينَ سُعِدوا ففي الجنَّةِ خالدينَ فيها ما دامَتِ السماواتُ والأرضُ إلاَّ ما شاءَ ربُّكَ عَطاءً غيرَ مجذوذٍ**﴾ هود: ١٠٨. أي: غيرَ مقطوعٍ. وقد أَكَّد اللهُ خلودَ أَهْلِ الجنَّةِ بالتأبيد في عِدَّةِ مواضِعَ مِنَ القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿**إنَّ هذا لَرِزقُنا مالَهُ مِنْ نفادٍ**﴾ ص: ٥٤. وقوله: ﴿**أُكُلُها دائِمٌ وظِلُّها**﴾ الرعد: ٣٥. وقوله: ﴿**وما هم منها بِمُخرَجِينَ**﴾ الحجر: ٤٨.

والأدلَّةُ مِن السُّنَّة على أبديَّة الجنَّة ودوامها كثيرةٌ، كقوله ﷺ: "مَنْ يَدْخُلِ الجنَّة يَنْعَمُ ولا يَبْأَسُ، ويَخْلدُ ولا يَموتُ"(٣). وقوله: "يُنادي مُنادٍ: يا أَهْلَ الجنَّةِ إنَّ لكم أَنْ تصِحُّوا، فلا

---

(١) أخرجه مسلم وغيره.

(٢) لا يوجد دليل من الكتاب والسُّنَّة يدل على فناء النَّار، كما أَنه لا يصح عن أَحدٍ من السَّلَف أنه قال بفناء النَّار، وما نُقل عن بعضهم، فهو لا يصح من حيث السند، كما قال الشيخ ناصر: لم يثبت القول بفناء النَّار عن أَحدٍ من السَّلَف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صَحَّت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النَّار، وخروج الموحدين منها ا-هـ.

(٣) رواه مسلم.

تسْقَموا أبَداً"[1]. وكذلك ذبح الموت بين الجنَّة والنَّار، ويُقال: "يا أَهْلَ الجنَّة خلودٌ فلا مَوتَ، ويا أَهْلَ النَّارِ خُلودٌ فلا مَوْتَ"[2].

-الأَدلَّة على أبديَّة النَّارِ-

قال تعالى: ﴿**ولهم عذابٌ مُقيمٌ**﴾ المائدة: ٣٧. ﴿**لا يُفتَّرُ عنهم وهم فيه مُبلِسُونَ**﴾ الزخرف: ٧٥. ﴿**فَلَن نزيدكم إلاَّ عذاباً**﴾ النبأ: ٣٠. ﴿**خالدينَ فيها أبَدَاً**﴾ البينة: ٨. ﴿**وما هم بخارجينَ منَ النَّارِ**﴾ البقرة: ١٦٧. ﴿**لا يَدخلونَ الجنَّة حتى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخِياطِ**﴾ الأعراف: ٤٠. ﴿**لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهُم مِن عذابها**﴾ فاطر: ٣٦. ﴿**إنَّ عذابَها كانَ غَراماً**﴾ الفرقان: ٦٥. أي مقيماً لازِماً.

وقَدْ دَلَّتِ السُّنَّة المستفيضةُ أنه يَخْرُجُ مِنَ النارِ مَنْ قال: لا إله إلا الله، وأَحاديثُ الشفاعةُ صريحةٌ في خُروج عُصاةِ الموحِّدينَ مِنَ النَّار، وأَنَّ هذا حُكمٌ مختصٌّ بهم، فلو خَرَجَ الكُفَّارُ منها لكانوا بِمَنْزِلَتِهِم.

-خَلَقَ اللهُ تعالى لكلٍّ مِنَ الجنَّة والنارِ أهلاً-

قال تعالى: ﴿**ولقد ذَرأنا لجهنمَ كثيراً مِنَ الجِنِّ والإنس**﴾ الأعراف: ١٧٩. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دُعِيَ رسولُ الله ﷺ إلى جنازةِ صبيٍّ مِنَ الأنصارِ، فَقُلتُ: يارسولَ اللهِ، طُوبى لِهذا، عُصفورٌ مِنْ عصافيرِ الجنَّةِ، لَمْ يَعْمَلْ السُّوءَ ولم يُدْركه، فقالَ: "أَوَ غير ذلك ياعائشةُ، إنَّ اللهَ خَلَقَ للجنَّةِ أَهْلاً، خَلَقَهُم لها وَهُم في أَصلابِ آبائهم، وخَلَقَ للنَّارِ أَهْلاً، خَلَقَهُم لها وهم في أصْلابِ آبائهم"[3].

---

[1] رواه مسلم.

[2] متفق عليه.

[3] رواه مسلم وغيره. قلت: لعلمه سبحانه وتعالى المتقدم أن هؤلاء يعملون بعمل أَهْل الجنَّة بعد خلقهم ووجودهم في الحياة الدنيا، فجعلهم من أَهْل الجنَّة وهم في أصلاب آبائهم، والآخرون يعملون بعملِ أَهْل النَّار بعد خلقهم ووجودهم في الحياة الدنيا، فجعلهم من أَهْل النَّار وهم في أصلاب آبائهم.

-اللهُ تعالى مُنَزَّهٌ عنِ الظلم-

وقولُه: "فمن شاء منهم إلى الجنَّة فضلاً منه، ومنْ شاءَ منهم إلى النَّار عدْلاً منه". مِمَّا يَجِبُ أنْ يُعلَمَ: أَنَّ اللهَ تعالى لا يَمنعُ الثوابَ إلاَّ إذا مُنِعَ سبَبَهُ، وهو العملُ الصالحُ[1]، فإنه: **﴿مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصالِحاتِ وهوَ مؤمنٌ فلا يَخافُ ظلْماً ولا هَضْماً﴾** طه: ١١٢. وكذلك لا يُعاقِبُ أَحَداً إلاَّ بعدَ حصولِ سبَبِ العقاب[2]، فإنَّ اللهَ تعالى يقول: **﴿وما أَصابتكم مِنْ مُصيبةٍ فَبِما كسَبَت أيديكم ويعفو عن كَثيرٍ﴾** الشورى: ٣٠.

فإذا مَنَّ اللهُ على الإنسانِ بالإيمانِ والعمل الصالح، لا يمنَعه مُوجِبُ ذلك أَصلاً، بَلْ يُعطيه مِنَ الثوابِ والقُربِ ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشرٍ، وحيثُ منعهُ ذلك، فلانتفاءِ سبَبَه، وهو العَمَلُ الصالح.

قولُه: "والاستِطاعةُ التي يجبُ بها الفعلُ، مِنْ نَحو التَّوْفيقِ الذي لا يوصَفَ المخلوقُ بهِ تكونُ معَ الفِعْلِ[3]، وأمَّا الاسْتطاعةُ مِنْ جِهَةِ الصَّحَّةِ والوُسْعِ

---

[1] أي: إذا وجد العمل الصالح، وجد الأجر والثواب الجزيل، وافتراض غير ذلك لا يجوز نسبه لله ﷻ. انظر قاعدة "إنجاز الوعد وإرجاء الوعيد" من كتابنا قواعد في التكفير.

[2] يُجَوِّزُ البعض على الله تعالى -من غير عِلمٍ- أن يعذب المؤمنين الصالحين من غير سببٍ يقتضي العذاب! وهذا تجويز يفترض على الله الظلم، والله تعالى منزه عن الظلم، فقد حرم الظلم على نفسه وجعله بين العباد مُحرَّماً. وفيه أيضاً رَدٌّ للنصوص التي تدل على مقابلة الحسنة بالحسنات، كما قال تعالى: **﴿مَنْ جاءَ بالحسنة فله خيرٌ منها﴾** وقال: **﴿وأمَّا مَن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾**. هذا ما تقتضيه أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وعدله المطلق سبحانه وتعالى.

[3] هذه الاستطاعة قدرة كونية، متعلقة بالله ﷻ، فهو سبحانه يهدي مَن يشاء ويُضلُّ من يشاء، كما قال تعالى: **﴿مَن يهدِ اللهُ فهو المهتدِ ومَنْ يُضلِلْ فلَن تَجِدَ له وليّاً مرشدا﴾**. وفي الحديث: "مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلل فلا هادي له". وقال تعالى: **﴿الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري وكانوا لا يستطيعونَ سَمْعَاً﴾**. أي: لا يستطيعون أن يسمعوا السماع الذي يؤدي

والتمكينِ وسلامةِ الآلاتِ، فهيَ قَبْلَ الفِعْلِ[١]، وبها يتعَلَّقُ الخِطابُ[٢]، وهو كما قال تعالى: ﴿لا يُكلفُ اللهُ نفساً إلاَّ وسعها﴾ البقرة: ٢٨٦".

ش: الاستطاعةُ والطَّاقَةُ والقِدرَةُ والوسْعُ، أَلفاظٌ مُتقاربةٌ، وتقسيمُ الاستطاعةِ إلى قسمين -كما ذكر الشيخ رحمه الله- هو قَولُ عامَّةُ أَهْلِ السُّنَّة وهو الوسط.

-الاستطاعةُ التي يترتَّبُ عليها التكليف-

الذي قاله عامَّةُ أَهْلِ السُّنَّة: أَنَّ للعبدِ قُدْرَةً هي مَناطُ الأمر والنَّهي، وهي القدرةُ التي مِن جِهةِ الصَحَّةِ والوسعِ، والتَّمكُّنِ وسَلامَةِ الآلات[٣]، وهي تَتَقَدَّمُ الأفعالَ[٤]، كما في قوله تعالى: **﴿ولله على الناس حجُّ البيتِ مَنِ استطاعَ إليه سبيلاً﴾** آل عمران ٩٧. فأوجبَ الحجَّ على المستطيع، فلو لم يستطعْ إلاَّ مَنْ حَجَّ، لم يكن الحجُّ قد وَجَبَ إلاَّ على مَنْ حجَّ، ولم يُعاقَبْ أَحدٌ على تركِ الحجِّ! وهذا خلافُ المعلوم بالضرورة من الدين.

وكذلك قولُه تعالى: **﴿فاتَّقوا الله ما استطعتم﴾** التغابن: ١٦. وقوله: **﴿فمن لم يَستطعْ فإطعامُ ستينَ مسكيناً﴾** المجادلة: ٤. والمراد منه استطاعةُ الأسباب والآلات.

ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حُصَين: "صلِّ قائِماً، فإن لَم تَستطعْ فقاعِداً، فإنْ لم تَستطعْ فَعلى جَنْبٍ"[٥].

بهم إلى فهم الحق واعتقاده، وإن كانت آذانهم في الأصل سليمة من الأعطاب، وهي تسمع، لكنها لا تستفيد مما تسمع، فتكون هي والآذان الصَّماء سواء.

[١] هذه الاستطاعة متعلِّقة بالإنسان، وهي موجودة عند المسلم والكافر، وعليها مناط التكليف، وحصول الجزاء والعقاب.

[٢] أي التكليف الشرعي..

[٣] المراد سلامة الأعضاء والجوارح.

[٤] وهي أيضاً تكون مع الفعل حين حصوله، لأنه لا يجوز أَنْ يوجد الفعل بقدرة معدومة.

[٥] رواه البخاري وغيره.

-الاستطاعَةُ القَدَريَّةُ الكونيَّةُ-

وأمّا دليلُ ثبوت الاستطاعةِ التي هي حقيقة القُدْرَةِ، كما في قولهِ تعالى: **﴿ما كانوا يستطيعونَ السَّمْعَ وما كانوا يُبصِرونَ﴾** هود: ٢٠. والمرادُ نفيُ حقيقةِ القُدرَةِ، لا نَفي الأسبابِ والآلاتِ، لأنها كانت ثابتَةً(١). وكذا قَولُ صاحِبِ موسى: **﴿إنَّكَ لَنْ تستطيع معي صَبراً﴾** الكهف: ٧٦. وقوله: **﴿أَلَمْ أَقلْ إنَّكَ لن تستطِيع معيَ صَبراً﴾** الكهف: ٧٢. والمراد منه حقيقةُ قدرة الصبر، لا أسبابُ الصبر وآلاتِه، فإنَّ تلك كانت ثابتَةً له.

وأهلُ السُّنَّة والجماعةِ المثبتين للقَدَرِ، مُتَّفقونَ على أَنَّ للهِ على عبدِه المطيع نِعْمَةً دينيَّةً، خَصَّهُ بها دونَ الكافِرِ، وأَنَّهُ أعانَهُ على الطاعَةِ إعانَةً لم يُعِنْ بها الكافِرَ، كما قال تعالى: **﴿ولكنَّ اللهَ حبَّبَ إليكُم الإيمانَ وزَيَّنَهُ في قُلوبِكُم وكَرَّهَ إليكم الكُفْرَ والفسوقَ والعِصيانَ أُولئكَ هم الرَّاشِدونَ﴾** الحجرات: ٧. وقال تعالى: **﴿فمَن يُرِدِ اللهُ أن يهديَهُ يَشْرَحْ صدرهُ للإسلامِ ومَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدرَهُ ضَيِّقاً حرَجاً كأنَّما يَصَّعَّدُ في السماءِ كذلك يَجْعلُ اللهُ الرِّجسَ على الذينَ لا يؤمِنونَ﴾** الأنعام: ١٢٥. وقال تعالى: **﴿مَن يهدِ اللهُ فهو المُهتَدِ ومَنْ يُضللْ فلَنْ تجدَ لهُ وليّاً مُرشِداً﴾** الكهف: ١٧.

-الاستِطاعَةُ المشروطَةُ في الشَّرْعِ-

الاستطاعةُ المشروطَةُ في الشَّرعِ أَخَصُّ مِنَ الاستطاعة التي يَمتنِعُ الفعلُ معَ عَدَمِها(٢)، فالشَّارِعُ يُيَسِّرُ على عبادِه، ويُريدُ بهم اليُسْرَ، ولا يُريدُ بهم العُسْرَ، وما جعَلَ عليكم في الدِّينِ

---

(١) لكنها لا تقوم بوظيفتها التي خُلِقَت لأجلها على الوجه الصحيح، فكان وجودها وعدمها سواء.

(٢) أي أن الاستطاعة لدى الإنسان نوعان: استطاعة على القيام بالفعل من غير ضررٍ أو حرج ظاهر، وهي الاستطاعة المشروطة للقيام بالأعمال الشرعية، وعلى هذا النوع من الاستطاعة مدار التكليف والجزاء، واستطاعة أعم ممكنة لكنها تنتهي بصاحبها إلى الضرر الراجح، والحرج الشديد الذي قد يتعذر معه مواصلة العمل.. وحمل النفس على هذا النوع من الاستطاعة قد نهى الشارع عنه فضلاً ورحمة بعباده.

مِنْ حَرَجٍ، والمريضُ قد يستطيعُ القيامَ معَ زيادةِ المرضِ وتأخُّر بُرْئِه، فهذا في الشَّرعِ غيرُ مُستطيعٍ، لأجلِ حُصولِ الضَّرَرِ عليه، وإنْ كانَ يُسَمَّى مُستطيعاً، فالشَّارعُ لا ينظرُ في الاستطاعةِ الشرعيةِ إلى مجرَّدِ إمكانِ الفِعلِ، بَلْ يَنْظُرُ إلى لوازمِ ذلك، فإذا كانَ الفِعْلُ ممكناً مع المفسدَةِ الرَّاجحةِ، لم تكنْ هذه استطاعةً شرعيةً، كالذي يَقْدِرُ على الحجِّ مَعَ ضَرَرٍ يَلْحقُهُ في بدَنه أو ماله، أو يُصلي قائماً مع زيادَةِ مرضه، أو يصومُ الشهرين مع انقطاعه عن معيشتِهِ، فإذا كانَ الشَّارعُ قد اعتبر في المكنة عدَمَ المفسدَةِ الرّاجحةِ، فكيفَ يُكَلِّف معَ العجزِ[1]؟!

قولُه: "وأَفعالُ العبادِ خَلْقُ اللهِ وكَسْبٌ مِنَ العِبادِ".

ش: قال أَهْل الحقّ: أَفعالُ العبادِ بها صاروا مُطيعينَ وعصاةً، وهي مخلوقةٌ للهِ تعالى، والحَقُّ سبحانه وتعالى مُنفَردٌ بخلق المخلوقات، لا خالِقَ لها سواه. فالجبرية غَلَوْا في إثباتِ القَدَر، فَنَفَوا صُنْعَ العبدِ أَصلاً[2]، والقَدَريَّةُ نُفاة القَدَرِ جعلوا العِبادَ خالِقينَ معَ الله تعالى، ولهذا

---

(1) رفع التكليف عند العجز أو انعدام الاستطاعة، هو من جملة الأدلة الشرعية الدَّالة على مبدأ العذر بالجهل، سواء كان الجهل في الأصول أو الفروع، فإذا انعدمت الاستطاعة عند المرء على دفع جهله لسبب قاهر، كأن يكون حديث عهد بالإسلام، أو أنه يسكن في منطقة نائية عن العلم وهو لا يستطيع شد الرحال لطلب العلم، أو لتأويل مستساغ قد ألبس عليه أو غير ذلك، فجهله هنا يعذره لعجزه. أمَّا إذا وجدت القدرة على دفع الجهل، وصاحبه قصَّر في دفعه لا نشغاله بأمور الدنيا وزينتها، أو لكسل أو غير ذلك، فالجهل هنا لا يعذره، لأنه يستطيع ولكنه لم يفعل، وهو مسؤول عند الله على قدر وسعه وطاقته، كما قال تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾. ﴿**لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها**﴾. ومنه يُعلَمُ بطلان قول مَن لا يرى الجهل عذراً على الإطلاق، كما أنه يُعلم أيضاً بطلان قول مَن يرى الجهل عذراً على الإطلاق، والحق الذي لا ريب فيه هو الوسط، حيث أنه أحياناً يعذر وأحياناً لا يعذر، والمسألة قد تتبعت أدلتها في كتابي "العذر بالجهل" فليراجع.

(2) حيثُ اعتبروه مُسيَّراً في جميع أفعالِه وحركاته، ونفوا عنه مطلق الاختيار!

كانوا مجوسَ هذه الأُمَّة[1]، بَلْ أردأَ من المجوس، مِن حيثُ إنَّ المجوسَ أَثْبَتَتْ خالِقَيْنِ، وهم أثبتوا خالِقينَ[2]!!

فكلُّ دليلٍ صحيحٍ يُقيمُه الجبريُّ[3]، فإنَّما يَدُلُّ على أَنَّ اللهَ خالِقُ كُلِّ شيءٍ، وأنه على كُلِّ شيءٍ قدير، وأنَّ أَفعالَ العبادِ من جُملَةِ مَخلوقاته، وأنَّه ما شاء كانَ وما لم يشأ لم يكنْ، ولا يدُلُّ على أَنَّ العبدَ ليس بفاعِلٍ في الحقيقةِ ولا مُريدٍ ولا مختارٍ، وأَنَّ حركاته الاختيارية بمنزلة حَرَكَةِ المرتعشِ، وهبوبِ الرِّياحِ، وحركاتِ الأشجار.

وكلُّ دليلٍ صحيحٍ يُقيمُه القَدَرِيُّ، فإنَّما يَدُلُّ على أَنَّ العبدَ فاعِلٌ لِفِعْلِه حقيقةً، وأنه مُريدٌ له مختارٌ له حقيقةً، وأنَّ إضافتَهُ ونِسبتَهُ إليه إضافةُ حقٍّ، ولا يدل على أنه غير مقدورٍ لله تعالى، وانه واقعٌ بغيرِ مشيئتهِ وقدرته.

فإذا ضممتَ ما معَ كلِّ طائفةٍ منهما مِنَ الحقِّ إلى الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دلَّ عليه القرآن وسائِرُ كُتبِ اللهِ المنَزَّلةِ، من عمومِ قدرة اللهِ ومشيئتهِ لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعالِ، وأنَّ العبادَ فاعلونَ لأفعالِهم حقيقةً، وأنَّهم يستوجبونَ عليها المدْحَ والذَّمَّ.

-مِنَ الأدلَّةِ على خَلْقِ اللهِ لأفعالِ العِبادِ-

---

[1] كما قال ﷺ: "إنَّ لكلِّ أمة مجوساً، وإن مجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تُصلُّوا على جنائزهم إذا ماتوا". رواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة، وصححه الشيخ ناصر في التخريج.

[2] حيثُ اعتبروا كلَّ انسانٍ خالقاً لأفعاله، وبذلك يكونون قد جعلوا الإنسان نداً وشريكاً لله في الخَلْقِ!!، وهم من هذا الوجه شابهوا المجوس الذين جعلوا للخلق إلهين، إله للخير، وإله للشر!

[3] على إثبات أن الإنسان مسلوب الإرادة ولا حرية له ولا اختيار، فهو لا يعدو أن يكون دليلاً على أن الله خالق كل شيء، وأنه قادر على كل شيء، وأنه لا يكون إلاَّ ما يريد، وأن أفعال العباد من جملة خلقه سبحانه وتعالى. وكذلك القدرية نفاة القدر فإن أدلتهم لا تعدوا أن تكون دليلاً على أن إرادة الإنسان لما يفعل، ومسؤوليته عنه، واختياره له..

قال تعالى: ﴿اللهُ خالِقُ كُلِّ شيءٍ﴾ الرعد: ١٦. أَي: اللهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ مخلوق[١]، فدخَلَت أفعال العبادِ في عموم "كل". وقال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ الصافات: ٩٦. وقال تعالى: ﴿ونفْسٍ وما سَوَّاها. فأَلْهمها فجورها وتَقْواها﴾ الشمس: ٧-٨. فقوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ إثبات للقدر بقوله: فألهمها، وإثباتٌ لفعل العبدِ بإضافةِ الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنَّها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعدَ ذلك: ﴿قد أَفْلَحَ مَن زَكَّاها. وقدْ خاب من دَسَّاها﴾[٢] الشمس: ٩-١٠. إثباتٌ أيضاً لفعلِ العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

-شُبهَةٌ وَرَدٌّ-

يُقال: كيف يستقيمُ الحكمُ على قَولِكُم بأَنَّ اللهَ يُعذِّبُ المكلَّفينَ على ذُنوبهم وهو خلَقها فيهم؟ فأينَ العَدْلُ في تَعذيبِهم على ما هو خالِقُهُ وفاعِلُه فيهم؟[٣]

---

[١] وبالتالي لا يجوز إدخال صفات الله تعالى في عموم "كل" -كما فعلت المعتزلة، حيث قالوا: القرآن شيء، وبالتالي فهو مخلوق!- لأنَّ صفات الله كذاته سبحانه، فهي غير مُحدَثَةٍ ولا مخلوقة.

[٢] وقوله ﴿دَسَّاها﴾، أصله دَسَّسَها من التدسيسُ، وهو إخفاء الشيء، والمعنى ههنا: أهملها وأَخفى محَلَّها بالكفر والمعصية. قاله البغوي في التفسير.

[٣] قد تقدم أَن من لوازم الإيمان الاستسلام لحكم الله ﷻ، والرضى به، وعدم الاعتراض على حكمه وقضائه، وورَد النهي عن تتبع سر الله في قضائه وقدره -فالله يعلم ونحن لا نعلم، وما نعلمه قياساً لما نجهله مِن حكمة الله في خلقه وقضائه لا يعد شيئاً -لأن الانشغال في ذلك مما لا يعني الانسان. ومن جهة فهو مورد للمهالك والخذلان، وعرضة لأن يسيء المرءُ الظنَّ بالله ﷻ، وهو عين الكفر.

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم، يتعاظم عندهم أن يحدثوا أنفسهم بشيء من هذا القبيل، وإنَّ أحدهم ليتمنى أن يُلقى من الثريا ولا أن يتلفظ بشيء مما لا ينبغي في حق الله ﷻ، وعندما علم النبي ﷺ ذلك منهم، قال لهم: "ذاك صريح الإيمان". فهم قدوتنا، والإقتداء بهم فيه السلامة والنجاة، ومن حسن الاقتداء أن نمسك عَمَّا أمسكوا عنه، ونخوض فيما خاضوا فيه، وقد ثبت

الجواب الصحيح، أن يُقال: إنَّ ما يُبتلى به العبدُ مِنَ الذنوبِ الوجوديَّةِ، وإنْ كانت خَلْقاً لله تعالى، فهي عقوبةٌ له على ذنوبٍ قبلَها، فالذنبُ يُكْسِبُ الذنبَ، ومِنْ عقابِ السيئةِ السيئةُ بعدها، فالذنوبُ كالأمراضِ التي يُورِثُ بعضها بعضاً.

يبقى أن يُقال: فالكلامُ في الذنبِ الأوَّلِ الجالِبِ لِما بَعْدَه مِنَ الذنوب، يُقال: هو عقوبَةٌ أَيضاً على عدمِ فِعْلِ ما خُلِقَ له، وفُطِرَ عليه، فإنَّ اللهَ سبحانه خلقه لعبادَته وَحْدَهُ لا شريكَ له، وفطَرَهُ على محبَّتهِ، وتألهِهِ والإنابةِ إليه، كما قال تعالى: **﴿فأقِمْ وَجْهكَ للدينِ حنيفاً فِطرَتَ اللهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عليها﴾** الروم: ٣٠. فلما لم يفعلْ ما خُلِق له وفُطِرَ عليه، من مَحبَّةِ الله وعبوديته، والإنابَةِ إليه، عوقِبَ على ذلك بأنْ زَيَّنَ له الشيطانُ ما يفعلُهُ مِنَ الشرك والمعاصي، فإنَّه صادَفَ قلباً خالياً قابِلاً للخيرِ والشَّرِّ، ولو كانَ فيه الخيْرُ الذي يَمنعُ ضِدَّهُ لم يتمكَّن منه الشَّرُّ، كما قال تعالى: **﴿كذلك لِنَصْرِفَ عَنهُ السُّوءَ والفَحْشَاءَ إنَّه مِن عبادِنا المخلَصين﴾** يوسف: ٢٤. وقال: **﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغوِيَنَّهُم أجمعِينَ. إلاَّ عبادَكَ منهم المخْلَصينَ﴾** ص: ٨٢-٨٣. وقال تعالى: **﴿هذا صِراطٌ عَلَيَّ مُستقيمٌ. إنَّ عِبادي لَيسَ لك عَلَيْهم سُلطانٌ﴾** الحجر: ٤١-٤٢. والإخلاصُ: خلوصُ القَلْبِ مِنْ تَأَلُّهِ ما سوى اللهِ تعالى وإرادَتِهِ ومَحبَّتِهِ، فَخلُصَ لله، فلم يتمكَّنْ منه الشيطانُ.

فالحاصل: أَنَّ فِعْلَ العبدِ فعلٌ له حقيقةً، ولكنه مَخْلوقٌ لله تعالى، وإلى هذا المعنى أشارَ الشيخُ بقوله: "**وأَفعالُ العبادِ خَلْقُ اللهِ وكَسبٌ مِن العبادِ**" أَثبَتَ للعِبادِ فعلاً وكسباً، وأَضاف الخَلْقَ إلى اللهِ تعالى. والكسبُ: هو الفِعْلُ الذي يَعودُ على فاعِلِه منه نَفْعٌ أو ضَرَرٌ، كما قال تعالى: **﴿لها ما كسبتْ وعليها ما اكتسبَتْ﴾** البقرة: ٢٨٦.

عنهم رضوان الله عليهم أنهم لم يَسْألوا النبي ﷺ عن شيء من مثل هذه الأسئلة، ونحن يكفينا ما كفاهم.

قولُه: "ولَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تعالى إلاَّ ما يُطيقونَ[١]، ولا يُطيقونَ إلاَّ ما كَلَّفَهُمْ[٢]. وهو تفسيرُ: (لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ)، نقول: لا حيلةَ لأحَدٍ، ولا تَحوُّلَ لأحدٍ، ولا حَرَكَةَ لأَحدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ الله، إلاَّ بمعونَةِ اللهِ، ولا قُوَّةَ لأحدٍ على إقامة طاعةِ الله والثَّباتِ عَليها إلاَّ بتوفيقِ الله تعالى، وكُلُّ شَيءٍ يَجري بمشيئَةِ الله تعالى وعِلْمِهِ وقضائه وقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشيئَتُهُ المشيئاتِ كُلِّها، يفعلُ ما يشاءُ، وهو غيرُ ظالمٍ أبداً: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْألونَ﴾[٣]الأنبياء: ٢٣ ".

---

[١] المراد بالطاقة هنا الطاقة الشرعية التي لا تشمل الطاقة التي يترتب عليها لو بُذلت الضرر والأذى والحرج، وبالتالي فإن كل عبادة يتبعها أذى أو ضرر فهي مرفوضة في الإسلام، ولا يقال مثل ذلك في الجهاد، لأن ترك الجهاد في سبيل الله يترتب عليه ضرر أكبر وحرج أكبر، والقاعدة تقول: بتقديم أقل الضررين، ودفع أشدهما ضرراً. فإذا كان الجهاد يترتب عليه حصول جراحات وبعض الآلام، فإن تركه يترتب عليه ضياع الدين والدنيا معاً، كما قال ﷺ: "إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم". فالجهاد فيه بقاء وحياة، وحفاظ على الحرمات من الضياع..

[٢] فإن كان يريد بالطاقة هنا، القدر الكوني بمعنى التوفيق –وهو الظاهر– فإن "التكليف" يستعمل بمعنى الاستطاعة الشرعية المتعلقة بالإنسان. وإن كان يريد بالطاقة التكليف الشرعي بمعنى الأمر والنهي، فإنَّ الإنسان بمقدوره أن يطيق فوق ما كُلِّف به، لكن يكون معه أذى وضرر، لذلك قضت رحمة الله تعالى أن يخفف عنا، ويرفع عنا الحرج، كما قال تعالى: **﴿يريد الله بكم اليسرَ ولا يُريد بكم العسر﴾**. **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾**. **﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾**. فله ربي المنة والفضل وكل الشكر.

والشاهد هنا أن العبارة فيها اضطراب، والشارح قد أشار إلى ذلك.

[٣] أقول: مما يندهش له قلب المؤمن ويَعجب له أشد العجب، أنَّ الناسَ في هذا الزمان يحيطون المخلوق الإنسان بمجموعة من القوانين الكفرية ترفعه فوق المُساءَلة، ثمَّ هم بالمقابل لا يرون ضيراً

ش: قال تعالى: ﴿**لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلاَّ وسعها**﴾ البقرة: ٢٨٦. ﴿**لا نكلفُ نفساً إلاَّ وسعها**﴾ الأنعام: ١٥٢[١].

-القضاءُ يكونُ كَونياً وشرعيَّاً-

قوله: "**وكلُّ شيءٍ يجري بمشيئَةِ اللهِ وعلمه وقضائه وقَدَره**"، يريدُ بقضائه القضاءَ الكونيَّ لا الشَّرعيَّ، فإنَّ القضاءَ يكونُ كونيَّاً وشَرعياً، أمَّا القضاءُ الكونيُّ[٢]، ففي قولِه تعالى: ﴿**فقضاهنَّ سبعَ سماواتٍ في يومين**﴾ فصلت: ١٢. والقضاء الديني الشرعي[٣]، في قوله تعالى: ﴿**وقضى ربُّكَ إلاَّ تعبدوا إلاَّ إياه**﴾ الإسراء: ٢٣.

-يَفْعَلُ اللهُ ما يشاءُ، وهو غَيْرُ ظالمٍ-

الذي دلَّ عليه القرآنُ تنزيه الله عَنْ ظُلْمِ العبادِ، قال تعالى: ﴿**ومَنْ يَعْمل مِنَ الصالحاتِ وهو مؤمنٌ فلا يَخافُ ظلماً ولا هضماً**﴾ طه: ١١٢. ﴿**ما يُبَدَّلُ القولُ لديَّ وما أنا بظلاَّمٍ للعبيد**﴾ ق: ٢٩. وقال: ﴿**وما ظلمناهم ولكن كانوا همُ الظَّالمين**﴾ الزخرف: ٧٦. وقال: ﴿**ووجدوا ما عَمِلوا حاضِراً ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أَحداً**﴾ الكهف: ٤٩. وقال: ﴿**اليومَ تُجزى كُلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليومَ إنَّ الله سريعُ الحسابِ**﴾ غافر: ١٧.

في أن يَسألوا الخالقَ سبحانه وتعالى عما يفعل، معترضين على حكمه وقضائه وشريعته!! ساء ما يحكمون.

[١] والمراد بالآيتين التكليف الشرعي المستطاع..

[٢] القضاء الكوني كالإرادة الكونية، من حيث أنه لا يتخلف ولا يخضع لاختيار المكلفين.

[٣] القضاء الشرعي الديني، كالإرادة الشرعية، من حيث أن مشيئة الله قضت أن يتخلف، ويترك لعباده حرية الإختيار فيه، وكل ذلك يقع بمشيئة الله الكونية التي لا تتخلف، وعلى أساس هذا الإختيار يقع الجزاء والثواب، كما تقدم.

وعن النبي ﷺ قال: "أَنَّ اللهَ لو عَذَّبَ أَهْلَ سماواتِهِ وأرضِهِ، لَعَذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحِمَهم كانت رحمتُهُ خيراً لهم مِنْ أعمالِهِم"(١).

-الله تعالى حرَّم على نفسه الظلمَ وهو قادرٌ عليه-

جاء في الحديث القدسي: "يا عِبادِي إِنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي، وجَعَلْتُهُ بينَكُم مُحَرَّماً، فلا تظَّالَموا". أخبرَ أنه حَرَّمه على نفسه، كما أخبرَ أنه كَتَبَ على نفسِه الرَّحمة، وإنَّما حرَّمَ على نفسه وكَتبَ على نفسه ما هو قادِرٌ عليه لا ما هو ممتنعٌ(٢).

-الله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ العَبَثِ والوَصْفِ المُعيبِ المذموم-

الله تعالى مُنَزَّهٌ مُقدَّسٌ عن فِعْلِ السوءِ، والفِعْلِ المعيبِ المذموم، كما أَنَّهُ منَزَّهٌ مُقَدَّسٌ عن وصفِ السوءِ والوصفِ المُعيب المذموم، كما قال تعالى: ﴿**أَفحسبتُم أَنَّما خَلَقناكُمْ عَبَثاً وأنَّكُم إلينا لا تُرجَعون**﴾ المؤمنون: ١١٥. فإنه نَزَّه نفسه عن خَلْقِ الخلق عَبَثاً، وأَنكرَ على

---

(١) صحيح، رواه أبو داود، والحاكم في "المستدرك". فإن قيل: كيف التوفيق بين الحديث وبين أن المؤمن لا يخاف ظلماً ولا هضماً ولا يضيع شيء من حسناته؟

أقول: إذا حجب الله عونه وتوفيقه عن عباده وتركهم لأنفسهم، وقعوا حينها في التقصير وارتكبوا المعاصي والذنوب، فاستحقوا بذلك العذاب والعقاب، وهذا تمام العدل، فإن عفا عنهم فهو فضل منه ومِنَّة ورحمة، ثمَّ أَنَّ المؤمن إذْ آمن وعمل الصالحات، فهو بتوفيق الله وهدايته له، فإيمانه وفعله للخيرات، وعفو الله عن زلأَّته يوم القيامة، كل ذلك عائد إلى رحمة الله وفضله، وهذا زائدٌ عن العدل. ثمَّ إنَّ الإنسان لو قابل جميع حسناته -التي هي من فضل الله ورحمته- مع ما تفضل الله عليه مِن النعم والخيرات، لأدرك مدى تقصيره، ولعلم أنه لو ظلَّ طيلة حياته ساجداً لله ﷻ لما وفَّى شكر نعمة البصر والسمع، فكيف بك بنعمة الإيمان وبقية النِّعَم التي يصعب حصرها.. لذا فالسلامة أن ينشد العبد -مهما عظمت حسناته- رحمة الله وعفوه، فذلك خير له.

(٢) الظلم يعد من المثالب والعيوب، وصفات النقص، والله تعالى منزه عن كل ذلك. ومن الاطلاقات الخاطئة عند كثير من عوام الناس، قول أحدهم لمن ظلمه: الله يظلمك مثل ما ظلمتني..!

مَنْ حَسِبَ ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: **﴿أفَنَجعَلُ المُسلِمين كالمُجرمين﴾** القلم: ٣٥. **﴿أَمْ نَجْعلُ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالحات كالمفسدينَ في الأرضِ أم نجعَلُ المُتَّقينَ كالفجارِ﴾** ص: ٢٨. إنكارٌ منه على مَن جَوَّزَ أن يُسَوِّيَ اللهُ بين هذا وهذا. وكذا قوله: **﴿أَمْ حَسِبَ الذين اجترَحُوا السَّيئاتِ أَنْ نجعَلَهُم كالذين آمنُوا وعملوا الصالحات سواءً محياهُم ومَماتُهُم ساءَ ما يحكمون﴾** الجاثية: ٢١. إنكارٌ على مَنْ حَسبَ أنه يفعل هذا، وإخبارٌ أنَّ هذا حكمٌ سيءٌ قبيح، وهو مِمَّا يُنَزَّهُ الرَّبُّ عنه.

قولُه: "وفي دُعاءِ الأَحْياءِ، وصَدَقاتِهم مَنْفَعَةٌ للأَمواتِ".

ش: اتَّفَقَ أَهْل السُّنَّة أنَّ الأَمواتَ ينتفعونَ مِنْ سَعي الأحياء، ما تَسَبَّبَ إليه الميتُ في حياته، ودعاءُ المسلمين واستغفارُهُم له، والصَّدَقةُ والحجُّ، والصَّومُ وغير ذلك[١].

-إنتفاع الميّتِ فيما تَسبَّبَ إليه في حياتِه-

ثَبَتَ عَنِ النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: "إذا ماتَ ابنُ آدَمَ، انقطعَ عَمَلُه إلاَّ مِنْ ثلاثٍ: صَدَقَةٍ جارِيَةٍ، أو وَلدٍ صَالحٍ يَدْعو لَهُ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به مِن بَعْدِه"[٢]. رواه مسلم.

-انتفاعُ الميّتِ بدُعاءِ الآخرينَ واستغفارِهم له-

---

[١] على تفصيل سيُذكَرُ.

[٢] وكذلك قوله ﷺ: "إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً وَرَّثَه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيلِ بناه، أو نهراً أَجراه، أو صدقة أخرجها من مالهِ وحياته يلحقه من بعد موته". ومما يلحقه أيضاً، أجرَ سنة حسنة يحييها، ويُعمل بها من بعده، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى أن تندرس وينقطع العمل بها، كما في الحديث: "مَن سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، ومثل أجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ سنة في الإسلام سيئة كان عليه وزرها، ومثل وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، ثمَّ تلى هذه الآية: **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾**". أخرجه مسلم وغيره.

قال تعالى: **﴿والذينَ جاؤوا مِنْ بَعْدِهِم يقولونَ رَبَّنا اغفِرْ لَنا ولإخواننا الذينَ سبقونا بالإيمان﴾** الحشر: ١٠. فأثنى عليهم باستغفارِهم للمؤمنين قبلهم[١]. وقَدْ دَلَّ على انتفاع الميتِ بالدُّعاء إجماعُ الأمَّة على الدعاء له في صلاةِ الجنازةِ، والأدعيةُ التي وَرَدَتْ بها السُّنَّةُ في صلاةِ الجنازة مُستفيضةٌ[٢]، وكذا الدُّعاءُ له بَعْدَ الدَّفْنِ، فقد كان النبيُّ ﷺ إذا فَرَغَ مِن دَفْنِ الميِّتِ وقَفَ عليه، فقال: "استغفروا لأخيكم، واسألوا لَهُ التثبيتَ، فإنَّه الآنَ يُسْأَلْ"[٣] وكذلك الدعاءُ لهم عند زيارة قُبورهم، كما في "صحيح مسلم"، من حديث بُريدَةَ بن الحصيب، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُهم إذا خرجوا إلى المقابر أنْ يقولوا: "السلام عليكُم أَهْل الديارِ مِنَ المؤمنينَ والمسلمين، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُم لاحِقونَ، نَسْأَلُ اللهَ لنا ولكم العافيةَ".

-وصولُ ثوابِ الصَّدَقةِ للميتِ-

عن عائشةَ رضي الله عنها: أنَّ رَجُلاً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يارسولَ اللهِ، إنَّ أُمِّي افتُلِتَتْ[٤]نَفْسُها، ولَم توصِ، وأَظُنُّها لو تكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أفَلَها أَجرٌ إنْ تصَدَّقْتُ عنها؟ قال: "نعم"[١].

---

[١] مما يُستدل به أيضاً على وصول الدعاء للميت، نهي الشارع عن الدعاء للمشركين، فلو كان الدعاء لا يصل الموتى مطلقاً، لما خصَّ بالنهي المشركين دون المؤمنين. وكذلك من الأدلة قوله ﷺ: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل". رواه مسلم وغيره.

[٢] كما في قوله ﷺ: "ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلاَّ شُفِّعوا فيه" وفي حديث آخر: "غُفِرَ له". أخرجه مسلم وغيره. وفي الصحيح أيضاً: "ما مِن رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، **لا يشركون بالله شيئاً**، إلاَّ شفعهم الله فيه". وفي الحديث دلالة ما لأهل التوحيد البرآء من الشرك من ميزة حسنة ومقام حميد عند ربهم، فأربعون منهم يعادلون مئة ممن خالط إيمانهم شيء من الشرك الأصغر.

[٣] صحيح، أخرجه أبو داود وغيره.

[٤] أي: سُلبت روحها، فماتت فجأة.

وفي "صحيح البخاري"، عن ابن عباس، أنَّ سَعْدَ بن عُبادةَ توفِّيتْ أمُّه وهو غائِبٌ عنها، فأتَى النبيَّ ﷺ، فقال: يارسولَ اللهِ، إنَّ أُمِّي توفِّيتْ وأنا غائِبٌ عنها، فَهلْ ينفَعُها إنْ تَصَدَّقْتُ عنها؟ قالَ: "نعم"، قال: فإنِّي أُشهِدُكَ أَنَّ حائِطي المِخرافَ[٢] صَدَقةٌ عنها[٣].

---

[١] متفق عليه.

[٢] المخراف: الكثير الثمر.

[٣] قال الشيخ ناصر في كتابه "أحكام الجنائز": ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإنَّ لوالديه مثل أجره، دونَ أن ينقص من أجره شيء، لأنَّ الولد من سعيهما وكسبهما، والله ﷻ يقول: **﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى﴾**، وقال: رسول الله ﷺ: "إنَّ أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه".

قال الشوكاني في "نيل الأوطار" (٤/٧٩): "وأحاديث الباب تدل على أنَّ الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابها، فيخصص بهذه الأحاديث عموم قوله تعالى: **﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى﴾**. ولكن ليس في أحاديث الباب إلاَّ لحوق الصدقة من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه فلا حاجة إلى دعوى التخصيص، وأما من غير الولد فالظاهر من العموميات القرآنية أَنه لا يصل ثوابه إلى الميت، فيوقف عليها، حتى يأتي دليل يقتضي تخصيصها". قلت -والكلام للشيخ-: وهذا هو الحق الذي تقتضيه القواعد العلمية، أنَّ الآية على عمومها وأنَّ ثواب الصدقة وغيرها يصل من الولد إلى الوالد لأنه من سعيه بخلاف غير الولد.. وذهب بعضهم إلى قياس غير الوالد على الوالد، وهو قياس باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف للعموميات القرآنية، كقوله تعالى: **﴿ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾**، وغيرها من الآيات التي علقت الفلاح ودخول الجنَّة بالأعمال الصالحة، ولا شك أنَّ الوالد يزكي نفسه بتربيته لولده وقيامه عليه فكان له أجره بخلاف غيره.

الثاني: أَنه قياس مع الفارِق إذا تذكرت أَنَّ الشرع جعل الولد من كسب الوالد كما سبق في حديث عائشة فليس هو كسباً لغيره، والله ﷻ يقول: **﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾** ويقول: **﴿لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت﴾**. وقد قال ابن كثير في تفسير قوله ﷻ: **﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى﴾**: "أي كما لا يُحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلاَّ ما

-وصولُ ثوابِ الصَّوْمِ-

وأَمَّا وصولُ ثوابِ الصَّومِ، ففي "الصحيحين"، عَن عائشةَ رضي الله عنها، أنَّ رَسولَ الله ﷺ، قال: "مَنْ ماتَ وعليه صيامٌ صَامَ عنهُ وليُّهُ". وله نظائِرُ في "الصحيح"[1].

كسب هو لنفسه. ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أَنَّ القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثَّهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يُقتصرُ فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء".

وقال العز بن عبد السلام في "الفتاوى" (٢/٢٤): "ومن فعل طاعة لله تعالى، ثمَّ أهدى ثوابها إلى حيٍّ أو ميت، لم ينتقل ثوابها إليه، إذ ﴿**ليس للإنسان إلاَّ ما سعى**﴾، فإن شَرَعَ في الطاعة ناوياً أن يقع عن الميت لم يقع عنه، إلاَّ فيما استثناه الشرع.. ".

وما ذكره ابن كثير عن الشافعي هو قول أكثر العلماء وجماعة من الحنفية، كما نقله الزبيدي في "شرح الأحياء" (٣٦٩/١٠).

الثالث: أن هذا القياس لو كان صحيحاً، لكان من مقتضاه استحباب إهداء الثواب إلى الموتى، ولو كان كذلك لفعله السلف، لأنهم أحرص على الثواب منا بلا ريب، ولم يفعلوا ذلك كما سبق في كلام ابن كثير، فدَلَّ هذا على أنَّ القياس المذكور غير صحيح، وهو المراد.

قال ابن تيمية في "الاختيارات العلمية" (ص٥٤): "ولم يكن من عادة السَّلَف إذا صلوا تطوعاً أو صاموا تطوعاً أو حجوا تطوعاً، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك إلى أموات المسلمين، فلا ينبغي العدول عن طريق السَّلَف فإنه أفضل وأكمل" ا-هـ.

قلت: القول بوصول ثواب الأعمال الصالحة مطلقاً إلى الميت، هو مدعات للتواكل، وإهمال الفرائض والواجبات الشرعية، على أمل من يقوم بها بالنيابة عنه من الأحياء من بعده!!

[1] كما في حديث ابن عباس، قال: "أن امرأة ركبت البحر فنذرت، إنِ الله تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهراً، فأنجاها الله ﷻ، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت ابنتها إلى النبيِّ ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: "أرأيتك لو كان عليها دَين كنت تقضيه؟" قالت: نعم. قال: "فدَين الله أحق أن

ولكن أبا حنيفة رحمه الله قال بالإطعامِ عنِ الميت دون الصيام عنه، لحديثِ ابن عباس المتقدم[١].

يُقضى، فاقضِ عن أمك"". أخرجه أبو داود وغيره، وسنده صحيح. وعنه أيضاً: أن سعد بن عبادة ﷺ استفتى رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ أمي ماتت وعليها نذر؟ فقال: "اقضهِ عنها". متفق عليه.

[١] وهو قوله: "لا يُصَلِّي أحدٌ عن أحَدٍ، ولا يصومُ أحدٌ عن أَحدٍ، ولكن يُطعِمُ عنه مكان كلِّ يومٍ مُدَّاً مِنْ حِنْطَةٍ". موقوف على ابن عباس، وسنده صحيح.

قال الشيخ ناصر في كتابه "أحكام الجنائز" (ص ١٧٠): هذه الأحاديث صريحة الدلالة في مشروعية صيام الولي عن الميت صوم النذر، إلاَّ أن الحديث الأول -وهو حديث عائشة- يدل بإطلاقه على شيء زائد على ذلك وهو أنه يصوم عنه صوم الفرض أيضاً. وقد قال به الشافعية، وهو مذهب ابن حزم (٢/٧ و ٨) وغيرهم. وذهب إلى الأول الحنابلة، بل هو نص الإمام أحمد، فقال أبو داود في "المسائل" (٩٦): "سمعتُ أحمد بن حنبل قال: لا يُصام عن الميت إلاَّ في النذر". وحمل أتباعه الحديث الأول على صوم النذر، بدليل ماروت عمرة: "أَن أمها ماتت وعليها من رمضان، فقالت لعائشة: أَقضيه عنها؟ قالت: لا بل تصدقي عنها مكان كل يوم نصف صاع على كل مسكين". وعن ابن عباس قال: "إذا مرض الرجل في رمضان، ثمَّ مات ولم يصم، أطعم عنه ولم يكن عليه قضاء، وإن كان عليه نذر قضى عنه وليه". أخرجه أبو داود بسند صحيح على شرط الشيخين.

وهذا التفصيل الذي ذهبت إليه أم المؤمنين، وحبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، وتابعهما إمام السُّنَّة أحمد بن حنبل هو الذي تطمئن إليه النفس، وينشرح له الصدر، وهو أعدل الأقوال في هذه المسألة وأوسطها، وفيه إعمال لجميع الأحاديث دون رد لأي واحد منها، مع الفهم الصحيح لها خاصة الحديث الأول منها، فلم تفهم منه أم المؤمنين ذلك الإطلاق الشامل لصوم رمضان، وهي راويته، ومِن المقرر أَنَّ راوي الحديث أدرى بمعنى ما روى، لا سيما إذا كان ما فهم هو الموافق لقواعد الشريعة وأصولها، كما هو الشأن هنا.

-وصولُ ثَوابِ الحجّ-

عَن ابن عباس: أَنَّ امرأَةً مِنْ جُهينةَ جاءَت إلى النبي ﷺ، فقالت: إنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تحُجَّ، فلَم تحجَّ حتى ماتت أفأَحُجَّ عَنها؟ قالَ: نعم حُجِّي عَنها، أَرأيتِ لو كانَ على أُمِّكِ دَينٌ، أَكُنتِ قاضيتَهُ؟ اقْضُوا اللهَ، فاللهُ أَحَقُّ بالوَفَاءِ"(١).

-قَضَاءُ الدَّينِ عَن الميّتِ-

أَجمعَ المسلمونَ على أَنَّ قضاءَ الدَّيْنِ يُسْقِطُهُ مِنْ ذِمَّةِ الميت، ولو كان من أَجنبيٍّ، ومِنْ غَيرِ تَرِكَتِهِ، وقَدْ دَلَّ على ذلك حديثُ أبي قتادةَ، حيثُ ضَمِنَ الدينارَينِ عن الميتِ، فلَمَّا قَضَاهما، قالَ النبيُّ ﷺ: "الآن بَرَّدْتَ عليهِ جلدَتَهُ"(٢).

قال ابن القيم في "أعلام الموقعين" (٣/٥٥٤): "فطائفة حملت هذا على عمومه وإطلاقه، وقالت: يُصام عنه النذر والفرض. وأبت طائفة ذلك وقالت: لا يصام عنه نذر ولا فرض، وفصلت طائفة فقالت: يُصام عنه النذر دون الفرض الأصلي. وهذا قول ابن عباس وأصحابه، وهو الصحيح، لأن فرض الصيام جار مجرى الصلاة، فكما لا يصلي أحد عن أحد، ولا يُسلم أحد عن أحد، فكذلك الصيام، وأما النذر فهو التزام في الذمة بمنزلة الدين، فيقبل قضاء الولي له كما يقضي دينه، وهذا محض الفقه. وطرد هذا أنه لا يحج عنه، ولا يزكي عنه إلاَّ إذا كان معذوراً بالتأخير كما يطعم الولي عمن أفطر في رمضان لعذر، فأما المفرط من غير عذر أصلاً فلا ينفعه أداء غيره لفرائض الله التي فَرَّط فيها، وكان هو المأمور بها ابتلاء وامتحاناً دون الولي، فلا تنفع توبة أحد عن أحد، ولا إسلامه عنه، ولا أداء الصلاة عنه ولا غيرها من فرائض الله تعالى التي فَرَّط فيها حتى مات" ا-هـ.

(١) أخرجه البخاري وغيره. في الحديث، أن مَن نذر أن يحج ثمَّ مات قبل أن يتمكن من الحج، حَجَّ عنه وليه، وكذلك لو حبسه عذر شرعي عن الحج، ومات قبل أن يحج، جاز لوليه أن يحجَّ عنه، وما سوى ذلك لا يُشرع الحج عن الميت، كما تقدم، والله تعالى أعلم.

(٢) حسن، رواه الحاكم وغيره. وتمام الحديث: عن جابر بن عبد الله قال: مات رجلٌ منا فغسلناه، وكفناه، وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز عند مقام جبريل، ثمَّ آذنا رسولَ الله ﷺ بالصلاةِ عليه، فجاءَ معنا خطىً، ثمَّ قال: "لعل على صاحبكم دَيناً؟" قالوا: نعم ديناران، فتخلَّفَ، فقال له رجل منا يُقال له أبو قتادة: يارسول الله هما عليَّ، فجعل رسولُ الله ﷺ يقول:

-قِراءَةُ القرآنِ على الميّتِ-

أمَّا قِراءَةُ القرآنِ وإهداؤها له تطوُّعاً بغيرِ أُجرَةٍ، فهذا يَصِلُ إليه، كما يَصِلُ ثوابُ الصومِ والحجّ[١].

وأمَّا استئجارُ قَومٍ يقرَؤونَ القرآنَ، ويُهدُونَهُ للميتِ، فهذا لم يَفْعَلْهُ أحدٌ مِنَ السَّلَفِ[٢]، ولا أَمرَ به أَحدٌ مِن أئمةِ الدينِ، ولا رَخَّصَ فيه، والاستئجارُ على نَفْسِ التلاوَةِ غيرُ جائزٍ بلا خلافٍ.

-معنى قَوْله تعالى: ﴿وأَنْ لَّيْسَ للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى﴾[١]-

---

"هما عليك وفي مالك، والميت منها بريء" فقال: نعم، فصلَّى عليه، فجعلَ رسولُ الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: "ما فعلَ الديناران؟" حتى كان آخر ذلك، قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: "الآن بَرَّدت عليه جلده".

[١] هذا القياس باطل من وجهين: **الأول**، أنه يُحَمِّل الأحاديث التي تدل على وصول ثواب الصوم والحج للميت ما لا تحتمل. **والثاني**: أنَّ الصحابة -وهم قدوتنا- لم يسبقونا إلى هذا القياس فهماً وعملاً، ونحن يكفينا ما كفاهم. ثمَّ أن تلاوة القرآن ووهب ثوابها للأموات -في نظر المجيزين- هي عبادة يُتقرَّب بها إلى الله تعالى، فلو كانت كذلك لبينها لنا النبي ﷺ بنص صريح، كما في قوله: "ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله إلاَّ وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً يبعدكم عن الله ويقربكم من النَّار، إلاَّ وقد نهيتكم عنه". فإن قيل لم يرد حديثاً ينهي عن إهداء ثواب تلاوة القرآن للأموات، قيل: بلى، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "مَن أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رَدٌّ". فالأصل في العبادات المنع والحظر ما لم يرد نص يأمر أو يجيز، بخلاف الأمور الدنيوية البحتة، فإن الأصل فيها الإباحة ما لم يرد نص على التحريم. والشارح قد استدل ببعض الآثار لا يصح سندها، كما أشار إلى ذلك الشيخ، ونحن تعهدنا أن لا نثبت في هذا التهذيب إلاَّ ما يصح من جهة سنده ومتنه، الذي به تقوم الحجة.

[٢] كما استدل الشارح على بطلان الاستئجار بعدم فعل السلف، يُستدل على بطلان إهداء ثواب التلاوة بعدم فعل السَّلَف.

أجابَ العلماءُ بأجوبةٍ: أصَحُّها جوابان[2] **أحدهما**: أَنَّ الإنسانَ بسعيه وحُسْنِ عِشْرَتِهِ اكتسبَ الأَصدقاءَ، وأَولَدَ الأولادَ، وَنكحَ الأزواجَ، وأسدى الخيرَ، وتَودَّد إلى الناسِ، فترَحَّموا عليه، ودَعَوْا له، وأَهْدَوا له ثوابَ الطاعاتِ، فكانَ ذلك أَثَرَ سعيه، بل دخولُ المسلم مع جملَةِ المسلمين في عَهْدِ الإسلامِ مِن أَعظمِ الأسبابِ في وصولِ نَفْعِ كلٍّ مِنَ المسلمين إلى صاحبه في حياتِهِ وبعدَ مماتِهِ، ودعوةُ المسلمينَ تُحيطُ مِن ورائهم.

الثاني: أَنَّ القرآن لَمْ يَنفِ انتفاعَ الرَّجلِ بسعي غيره، وإنّما نَفَى مِلْكَهُ لغيرِ سعيهِ، وبينَ الأمرين مِنَ الفرقِ ما لا يخفى، فأخبرَ تعالى أَنَّهُ لا يملكُ إلاَّ سَعيَهُ، وأمَّا سَعيُ غيرِه، فهو مُلكٌ لساعيه، فإنْ شاءَ أن يَبذُلَهُ لغيرِهِ، وإنْ شاءَ أَن يُبقيَهُ لنفسه[3].

وأمَّا استدلالُهم[4] بقوله ﷺ: "إذا ماتَ ابنُ آدَمَ انقطَعَ عَمَلُهُ". فاستدلالٌ ساقط، فإنَّه لم يَقُلْ انقطعَ انتفاعُه، وإنَّما أخبرَ عن انقطاعِ عمله، وأمَّا عمَلُ غيرِه، فهو لعامِلِه، فإنْ وهبه له، وصَلَ إليه ثوابُ عملِ العاملِ[5] لا ثوابُ عملهِ هو، وهذا كالدَّين يُوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذِمَّتُه، ولكن ليس له ما وفَّ به الدَّين.

قولُه: "واللهُ تعالى يَسْتَجيبُ الدَّعواتِ، ويَقْضي الحاجاتِ".

---

(1) النجم: ٣٩.

(2) انظر كتاب "الروح" (ص ١٥٧ – ١٥٨)، لابن القيم.

(3) في هذا التفسير شيء من التكلف، والذي تستريح له النفس، أن يقال في مثل هذه المسائل: نقول بما قالت به السُّنَّة ودلت عليه النصوص، ونُمسك عما أمسكت عنه من دون تكلف أو تأويل.

قال ابن جرير في "التفسير" (١١/٥٣٤): أو لم يُنبأ أنه لا يجازى عامل إلاَّ بعمله، خيراً كان ذلك أو شراً ا–هـ.

(4) أي: استدلال الفريق الذي لا يرى انتفاع الميت بشيء من فعل الأحياء من بعده.

(5) انتفاع الميت بعمل الأحياء ليس على إطلاقه، وقد تقدم تفصيل ذلك.

ش: قال تعالى: **﴿وقالَ رَبُّكُم ادعوني أستجِبْ لكُم﴾** غافر: ٦٠. **﴿وإذا سألَكَ عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أُجيبُ دَعْوَة الداعي إذا دَعان﴾** البقرة: ١٨٦. والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائرِ أَهْل الملل: أَنَّ الدعاءَ من أقوى الأسباب في جلب المنافعِ، ودفعِ المضارِ[١]، وقد أَخبرَ تعالى عن الكفار أَنَّهم إذا مَسَّهم الضُّرُّ في البحر دَعَوا الله مخلصينَ له الدينَ، وأَنَّ الإنسانَ إذا مَسَّهُ الضُّرُّ دعاه لجنبهِ، أو قاعِداً، أو قائِماً. وإجابةُ اللهُ لِدُعاءِ العبدِ، مسلماً كانَ أو كافِراً، وإعطاؤهُ سُؤلَه، مِنْ جنسِ رِزقِهِ لهم، ونَصْره لهم، وهو مما تُوجبُه الربوبيَّة للعبدِ مُطلَقاً. ثمَّ قد يكونُ ذلك فتنةً في حَقِّهِ[٢] ومَضَرَّةً عليه، وإذْ كانَ كفرهُ وفسوقُه يقتضي ذلك.

-غَضَبُ الله على مَنْ لا يَسْأَله-

---

١ فإن قيل: كيف التوفيق بين كون الدعاء يدفع الضر وبين أَنَّ كل شيء بقدر؟ الجواب: أَن الدعاء وما يحصل بسببه هو من جملة ما يكون قد قدر، فالدعاء يغير المقدور إلى مقدور آخر، وكل ذلك يكون بإذن الله ومشيئته، وفي الحديث: "لايردُّ القدرَ إلاَّ الدعاء". فيرده بقدرٍ آخر.

٢ أحياناً يكون الخير فتنة لصاحبه، كما قال تعالى: **﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة﴾**. ولربما تكون فتنة الخير أشد على قلوب الرجال من فتنة الشر. وفي الحديث: "إذا رأيت اللهَ تعالى يُعطي العبدَ من الدنيا ما يُحبُّ، وهو مقيم على معاصيه، فإنما ذلك منه استدراج"، فالخير إذا أَلهى وأَطغى لا شكَّ أنه بلاء ووباء على صاحبه، وهو خسران له يوم القيامة، كما قال النبيُّ ﷺ: "ما قَلَّ وكَفى، خيرٌ مما كَثُرَ وأَلْهى". وقال: "اللهمَّ مَن آمن بك، وشَهِدَ أَني رسولك، فحبب إليه لقاءَكَ، وسَهِّل عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومن لم يؤمن بك، ويشهد أني رسولك فلا تحبب إليه لقاءكَ، ولا تسهل عليه قضاءك، وكَثِّر له من الدنيا". رواه أحمد وابن حبان، صحيح الجامع الصغير: (١٣١١). وكذلك جاء في الحديث أَنَّ فقراء المسلمين يدخلون الجنَّة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام، فتأمَّل.

قال رسولُ الله ﷺ: "مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عليه"[١]. وقَد نَظَمَ بَعْضُهم هذا المعنى، فقال:

الربُّ يَغضَبُ إنْ تركتَ سُؤالَهُ ... وبنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ[٢]

-مَعانٍ مُسْتَخْلَصَة مِنْ نَّدْبِ اللهِ تعالى إِلى الدعاءِ-

---

[١] صحيح، رواه ابن ماجة. وفي صحيح مسلم: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون فيغفرَ لهم". والله تعالى غيور على عبده، كما في الحديث: "لا أحد أَغير من الله" فإذا رأى عبده انصرف عنه وعن عبادته، وتعلق قلبه بالمخلوق الذي لا يملك ضراً ولا نفعاً، غار عليه الله، وغضب عليه لانصرافه عنه إلى غيره، ولربما يُنزل به بلاء يذكره أنَّ له رَبّاً بيده الأمر كله، لا ينبغي الإنشغال عنه بغيره، كما قال تعالى: **﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرَّعون﴾**. فالله تعالى يأخذهم بالعذاب حتى يعودوا إلى ربهم، فيتضرَّعوا إليه ويسألوه، حتى يُعطيهم.

فالله تعالى كما يغضب على من لا يسأله، فهو يغضب على من يسأل غيره من غير ضرورة مُلزمة؛ لأن سؤاله المخلوق في حقيقته يتضمن شكوى الخالق -الذي أَحَلَّ به الفقر والبلاء- للمخلوق ليكشف عنه ما أصابه من بلاء وفقر بقدَرٍ من الله تعالى، فهو يشكو الخالق للمخلوق. لذا فإن الشارع نهى عن سؤال الناس شيئاً، ولأهمية الأمر فإن النبي ﷺ أخذ من أصحابه بيعة مستقلة على أن لا يسألوا الناس شيئاً، كما في الحديث عن أبي ذرٍّ قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: "هل لك إلى البيعة ولك الجنة؟" قلت: نعم، وبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ وهو يشترط: "على أن لا تسأل الناس شيئاً"، قلت: نعم، قال: "ولا سوطك إن سقط منك حتى تنزل فتأخذه".

وقال ﷺ: "من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة".

[٢] عجيب لمن يُؤاثر المخلوق الضعيف البخيل، الذي يغضب من سؤال الناسِ له، على الخالق القدير الكريم، مالك الملك، الذي يحب من العباد أن يسألوه، لكي يُجازيهم على سؤالهم خيرا!! وقد قال تعالى: **﴿قل لو أنتم تملكون خزائِنَ رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشيَةَ الإنفاق وكان الإنسانُ قَتُوراً﴾**. فمن نعم الله على خلقه أن تصريف الأرزاق بيده وحده.

أَحَدُها: الوجودُ، فإنَّ مَنْ ليسَ بموجودٍ لا يُدْعى.

الثاني: الغِنى، فإنَّ الفقيرَ لا يُدعى.

الثالث: السَّمْعُ، فإنَّ الأصَمَّ لا يُدْعى.

الرَّابع: الكَرَمُ، فإنَّ البخيلَ لا يُدْعى.

الخامس: الرَّحمةُ، فإنَّ القاسيَ لا يُدْعى.

السادس: القدرةُ، فإنَّ العاجِزَ لا يُدْعى.

-التَّعَلُّقُ بالأَسبابِ شِرْكٌ، والإعراضُ عنها نَقْصٌ في العَقْلِ وقَدحٌ في الشَّرْعِ-

مِمَّا ينبغي أَنْ يُعلَمَ أَنَّ الالتفاتَ إِلى الأَسبابِ شِرْكٌ في التوحيد(١)، ومحو الأسبابِ أَنْ تكونَ أسباباً، نَقْصٌ في العَقْلِ(٢)، والإعراضُ عن الأسباب بالكُلِّيةِ قدْحٌ في الشَّرْع، ومعنى التوكل والرجاء، يتألف مِن مُوجبِ التوحيدِ والعقل والشرع(٣).

وبيانُ ذلك: أَنَّ الالتفات إِلى السببِ هو اعتمادُ القلبِ عليه، ورجاؤه، والإستناد إليه، وليس مِنَ المخلوقاتِ ما يَستحقُّ هذا، لأنَّه ليس بمستقلٍّ(٤)، ولا بُدَّ له من شُركاء وأَضدادٍ، ومعَ هذا كُلِّه فإنْ لم يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الأسباب(١)لم يُسَخَّر.

---

(١) هو شرك لتعلق القلب بالسبب، والنظر إليه على أنه مصدر الرزق، أو الجهة التي يركن إليها لتفريج الكروب عند حدوث الملمات والمصائب.. فهو ينظر إلى الأسباب ولا يتعداها، ونسي خالق الأسباب ومسخرها الذي بيده ملك كل شيء. وهذا معنى قوله ﷺ: "عليك بالإياس مِمَّا في أيدي الناس" ليخلص تعلق القلب بخالقه سبحانه وتعالى.

(٢) هو نقص في العقل، لأن الأشياء لا تُدرك وتُنال إلاَّ بمراعاة أسبابها التي تؤدي إليها، فمن طلب الأشياء من دون أن يسلك الطرق والأسباب التي تؤدي إليها فهو متواكل، وصنيعه يدل على نقصٍ في دينه وعقله.

(٣) أي: ما يوجبه التوحيد والشرع والعقل: التوكل والرجاء معاً، وليس أحدهما دون الآخر.

(٤) أي: ليس بغني عن غيره، وهو محتاج إلى غيره.

-استجابَةِ الدُّعاءِ-

يوجدُ سؤالٌ، وهو: أنَّ من الناسِ مَن قد يسأل اللهَ شيئاً فلا يُعطى، أو يُعطى غيرَ ما سألَ، فأُجيبَ عنه بأجوبةٍ:

أحدها: أن الآية[٢] لم تتضمَّن عطِيَّةَ السؤال مطلقاً، وإنما تضمَّنَتْ إجابةَ الداعي، والداعي أعمُّ من السائل، وإجابةَ الداعي أعمُّ من إعطاءِ السائل.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: "ينزلُ ربُّنا في كلِّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا، فيقولُ: من يدعوني فأستجيبَ لهُ؟ من يسألُني فأُعطيَه؟ مَنْ يستغفِرُني فأغفرَ لَه؟"[٣] ففَرَّقَ بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرقٌ بين العمومِ والخصوص، كما أتبعَ ذلك بالمستغفِر، وهو نوعٌ من السائل، فذكرَ العامَّ، ثمَّ الخاصَّ، ثمَّ الأخصَّ.

الجواب الثاني: أن إجابةَ دعاءِ السؤالِ أعمُّ من إعطاءِ عين السؤال. كما فسَّرَهُ النبيُّ ﷺ بقوله: "ما من رجل يدعو اللهَ بدعوةٍ ليست فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلاَّ أعطاهُ بها إحْدى ثلاثِ خِصالٍ: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَهُ، أو يَدَّخِرَ له من الخير مِثلَها، أو يَصرِفَ عنه من الشرِّ مِثلها"، قالوا: يارسولَ اللهِ إذاً نُكثِرُ، قال: "الله أكثَرُ"[٤].

---

[١] وهو الله سبحانه وتعالى، فالأمر كله إليه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

[٢] وهي قوله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ﴾** البقرة: ١٨٦.

[٣] صحيح متواتر. وصفة النزول لربنا سبحانه وتعالى الواردة في الحديث، هي حق نؤمن بها من غير تأويل، ولا تعطيل، أو تشبيه، فهو نزول يليق بجلال عظمته، وعظيم كبريائه. والغاية من الحديث حث النفوس للنهوض في الثلث الأخير من الليل، ليعبدوا اللهَ تعالى في الدعاء والطلب، والرجاء.. ثمَّ هو شعور ما أعظمه، فالله تعالى بعظمته وكبريائه وجلاله، وصفاته العليا ينزل إلى السماء الدنيا ليقول لعبده الضعيف الفقير المحتاج، قم من فراشك فاسأل لأعطيك، وادعو لأُجيبك...

[٤] صحيح، أخرجه أحمد وغيره.

الجواب الثالث: أن الدعاءَ سببٌ مقتضٍ لنيل المطلوبِ، والمسبَبُ له شروطٌ وموانع، فإذا حصلَت شروطُه[١]، وانتفت موانِعُه[٢]، حصلَ المطلوب، وإلاَّ فلا يَحصُلُ ذلك المطلوبُ، بل قد يحصُلُ غيرُه.

فإذا كان الدعاءُ في نفسه غيرَ صالحٍ، أو الداعي لم يجمع بين قلبهِ ولسانِه في الدعاء، أو كان ثمَّ مانِعٌ من الإجابةِ، لم يحصُلُ الأثَرُ[٣].

قولُه: "ويملكُ كلَّ شيءٍ[١]، ولا يَملِكُهُ شَيءٌ. ولا غِنى عَنِ الله تعالى طرفةَ عينٍ، ومَنِ استغنى عَنِ الله[٢] طَرفةَ عينٍ، فقَدْ كفَرَ، وصارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ".

---

[١] من شروط الدعاء المقبول: موافقة القلب للسان، والإخلاص في الدعاء والتوجه، وأن لا يكون في الدعاء قطيعة رحم أو إثم، وأن لا يستعجل على الله القبول..

[٢] من موانع قبول الدعاء: انتفاء شروط الدعاء الآنفة الذكر، وكذلك الكسب الحرام، والمأكل الحرام، والمشرب الحرام، وغير ذلك من الأخلاق السيئة التي تمنع من قبول الدعاء، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "ثلاثة يدعون اللهَ ﷻ فلا يُستجابُ لهم، رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجلٍ مال فلم يُشهد عليه، ورجلٌ آتى سفيهاً مالَه، وقال الله تعالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾**" رواه الحاكم وغيره، صحيح الجامع: (٣٠٧٥).

ويروى أن إبراهيم بن أدهم قد مرَّ بسوق البصرة، فاجتمع الناسُ حوله، فقالوا يا أبا اسحاق: ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ فقال: لأن قلوبكم ميتة بعشرة أشياء. فقالوا: وما هي؟ قال: **عرفتم اللهَ فلم تؤدوا حقه. وزعمتم أنكم تحبون رسول الله وتركتم سنته. وقرأتم القرآن ولم تعملوا به. وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها. وقلتم أن الشيطان عدوكم ووافقتموه. وقلتم أن الجنَّة حق ولم تعملوا لها. وقلتم أن النَّار حق ولم تهربوا منها. وقلتم أن الموت حق ولم تستعدوا له. واشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم. ودفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.. فأنّى يُستجاب لكم.**

[٣] خلاصة القول: أن عدم اعطاء السائل ما سأل، فهو إما لخيرٍ يُدَّخر له يوم القيامة، وإما لدفع شرٍّ عنه هو يجهله يكون أعظم مِمَّا سأل، وإما لِعلة موجودة في السائل أو السؤال، والله تعالى أعلم.

ش: كَلامٌ حقٌّ ظاهِرٌ لا خَفاءَ فيه. والحَيْنُ: الهلاكُ.

قولُه: "واللهُ يَغْضَبُ ويَرْضى، لا كأَحَدٍ مِنَ الورى".

ش: قالَ تعالى: ﴿**رضيَ اللهُ عَنْهُم**﴾ التوبة: ١٠٠. ﴿**لقد رَضِيَ اللهُ عنِ المؤمنينَ إذْ يُبايعونَكَ تحتَ الشجرَةِ**﴾ الفتح: ١٨. وقال تعالى: ﴿**من لَعَنَه اللهُ وغَضِبَ عليهِ**﴾ المائدة: ٦٠. ﴿**وغَضِبَ اللهُ عليه ولعنهُ**﴾ النساء: ٩٣. ﴿**وباؤوا بِغَضَبٍ مِنَ الله**﴾ البقرة: ٦١.

ومذهبُ السَّلَف وسائِرُ الأئمَّةِ إثباتُ صِفَةِ الغَضَبِ، والرِّضى، والعَدَاوَةِ، والولاية، والحُبِّ، والبُغْضِ، ونحو ذلك من الصِّفات التي وردَ بها الكتابُ والسُّنَّةُ، ومَنْعُ التأويلِ الذي يصرفها عن حقائقها اللائِقَةِ باللهِ تعالى، كما يقولون مثلَ ذلك في السَّمعِ والبَصَرِ والكلامِ وسائِرِ الصِّفاتِ.

وفي حديث الشفاعة: "إنَّ ربي قد غضِبَ اليومَ غضباً لَمْ يَغضبْ قبلَهُ مِثْلَهُ، ولنْ يغضبَ بعدَهُ مِثْلَهُ"[٣].

وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد الخدري، عن النبيِّ ﷺ: "إنَّ الله تعالى يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أَهْلَ الجنَّةِ، فيقولونَ: لبيك رَبَّنا وسَعْديكَ والخيرُ في يديكَ، فيقول: هل رضيتُم؟

---

[١] لذا من حقه سبحانه وتعالى أن يحدد لعباده سياسة الكسب والإنفاق -وفق ما أمر وشرَّع- فيما استؤمنوا عليه من رزق الله وملكه.. لأن المالك الحقيقي لما بين أيدي الناس هو الله سبحانه وتعالى، يهب الملك لمن يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

[٢] أي: من ادعى أَنَّه غنيٌّ عن الله ﷻ، فقد كفر. لأنَّ في دعواه المزعوم قد جعل من نفسه نداً لله ﷻ، حيث أنه وصف نفسه بصفة الربوبية التي هي من خصوصيات الله ﷻ وحده، وبالتالي يكون قد جحد ربوبية الله وفضله عليه، فليحذر الذين غَرَّتهم الحياة الدنيا والمادَّة التي بين أَيديهم أن يظنوا أنهم أغنياء عن الله ﷻ.

[٣] متفق عليه.

فيقولونَ: وما لَنا لا نرضى يارَبُّ؟ وقد أعطيتنا ما لم تُعْطِ أحداً من خلْقِكَ، فيقول: ألا أُعْطِيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يارَبُّ، وأي شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أَسْخَطُ عليكم بَعْدَه أبداً". فيُستدَلُّ به على أنَّه يُحِلُّ رضوانَهُ في وقتٍ دونَ وقتٍ، وأنَّهُ قد يُحِلُّ ثمَّ يَسْخَطُ[١]، كما يُحِلُّ السخط ثمَّ يَرضى، لكن هؤلاء أَحَلَّ عليهم رضواناً لا يتعقَّبُهُ سَخَطٌ[٢].

قولُه: "ونُحِبُّ أَصْحابَ رسُولِ اللهِ ﷺ، ولا نُفْرِطُ[٣] في حُبِّ أحدٍ منهمْ، ولا نتبرَّأُ مِن أَحدٍ مِنهم[٤]. ونُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهم، وبغير الخيرِ يَذْكُرُهُمْ. ولا نَذْكُرُهُم إلاَّ بخير. وحُبُّهمْ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفاقٌ وطُغيانٌ[٥]".

---

[١] بحسب حال العبد، فإن كان في حال عبادة وتقوى رضي الله عنه، فإن بَدَّل إلى المعصية والفسوق حَلَّ عليه غضبُ الله وسخطه، فإن تاب وعادَ إلى الحق، عاد الله عن سخطه ليتوب عليه ويرضى عنه.

[٢] لأنهم لا يبدلون إلى حالٍ يستلزمُ السخط –وذلك من فضل الله عليهم– فإن الله تواب غفور رحيم. فهم في حالة لا يشوبها أدنى معصية، لذا يظلون متنعمين برضوان الله عليهم، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن لا يحرمنا رضاه يوم نلقاه.

[٣] أي: لانغالي في حبِّهم فنرفعهم فوق درجتهم التي يستحقونها، كما فعلت الشيعة الاثنى عشرية بأئمَّتهم حيث غالوا في موالاتهم، ورفعوهم إلى درجة فوق درجة الأنبياء والرسل، ووصفوهم بصفات الألوهية والربوبية، التي هي من صفات الله ﷻ وحده.

[٤] مخالفة للرافضة الشيعة الذين يتبرأون من أكثر الصحابة، ويلعنونهم ويكفرونهم.. ويجعلون ذلك من الدين الذي يُتقرب به إلى الله !!

[٥] فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال في الأنصار: "لا يحبهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق، مَنْ أَحَبَّهم أَحبه الله، ومنْ أبغضهم أبغضه الله". وفي رواية: "لا يبغضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمن بالله واليومِ الآخرِ". وإذا كان هذا حكم من يبغض الأنصار، فما يكون القول فيمن يبغض الأنصار والمهاجرين معاً؟! لا شك أنَّه أغلظ كفراً ونفاقاً. وهذا ينقلنا للحديث عن الرافضة الاثنى عشرية

-أحقد الناس على أَهْل السُّنَّة، وأشدهم كرهاً لصحابة رسول الله ﷺ، ولمن يترضى عليهم من بعدهم- وأن نبين حكم الإسلام فيهم؟

وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كفانا مؤنة الجواب، عند ما سُئل عنهم: عمن يزعمون أنهم يؤمنون بالله ﷻ، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، ويعتقدون أنَّ الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ، هو علي بن أبي طالب، وأنَّ رسولَ الله ﷺ نصَّ على إمامته، وأن الصحابة ظلموه ومنعوه حَقَّه، وأنهم كفروا بذلك.

فهل يجب قتالهم؟ ويكفرون بهذا الاعتقاد أَم لا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. أَجمع علماء المسلمين على أَنَّ كل طائفة ممتنعة عن شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله..

وقد ثبت عن علي في "صحيح البخاري" وغيره من نحو ثمانين وجهاً، أنه قال: خيرُ هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر وعمر. وثبت عنه أَنه حرَّق غالية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية. وروي عنه بأسانيد جيدة، أَنَّه قال: لا أُوتى بأحدٍ يفضلني على أبي بكرٍ وعمر، إلاَّ جلدته جلد المفتري..

وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شرَّاً مِنَ الخوارج المنصوصين -أي المنصوص على قتالهم ومروقهم من الدين -فليسوا دونهم، فإنَّ أولئك إنما كفَّروا عثمان وعلياً وأتباع عثمان وعلي فقط، دون مَن قعد عن القتال أو مات قبل ذلك. والرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين.

فيكفّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم، أو يستغفر لهم كما أمرَ الله بالاستغفار لهم، **ولهذا يكفرون أعلام الملة، مثل: سعيد بن المسيب، وأبي مسلم الخولاني، وأويس القرني، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم النخعي، ومثل مالك والأوزاعي وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن أبي سلمة، والثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني**..

ويستحلون دماء مَن خرج عنهم، ويرون في أَهْل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد الإسلام أنه لا يحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم، وأنَّ المائعات التي عندهم من

المياه والأدهان وغيرها نجسة، **ويرون أنَّ كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى** لأنَّ أولئك عندهم كفار أصليون، وهؤلاء مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي.

ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين، **فيعاونون التتار على الجمهور، وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان ملك الكفار، إلى بلاد الإسلام، وفي قدوم هولاكو إلى بلاد العراق، وفي أخذ حلب، ونهب الصالحية**. وبهذا السبب يقطعون الطرقات علىالمسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك لما فتح المسلمون الساحل –عكة وغيرها– **ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم**..

وقد أظهروا الرفض، ومنعوا أن نذكر على المنابر الخلفاء الراشدين، وذكروا علياً وأظهروا الدعوة للاثنى عشر، الذين تزعم الرافضة أنهم أئمة معصومون، **وأن أبا بكر وعمر وعثمان كفار وفجار ظالمون، لا خلافة لهم ولا لمن تبعهم**..

والرافضة تحب التتار ودولتهم، لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. **والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين، وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام**، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم.

وقضية ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة، وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب مشهورة يعرفها عموم الناس. وكذلك في الحروب التي بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام، وقد عرف أَهْل الخبرة أنَّ الرافضة **تكون مع النصارى على المسلمي**ن، وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار، وعَزَّ على الرافضة **فتح عكة** وغيرها من السواحل، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصَّة عند الرافضة، **وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيداً ومسرَّة عند الرافضة**..

فهم أشد ضرراً على الدين وأهله وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، **ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة. فليس في الطوائف المنتسبةِ إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم**، وسيما النفاق فيهم أَظهر منه في سائر الناس، وهي التي قال

فيها النبيُّ ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". وكل من جرَّبهم يعرف اشتمالهم على هذه الخصال، ولهذا يستعملون التقية التي هي سيما المنافقين، واليهود يستعملونها مع المسلمين: **﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾**. وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود: يشبهونهم في دعوة الإمامة في شخص أو بطن بعينه، والتكذيب لكل من جاء بحق غيره يدعونه، وفي اتباع الأهواء أو تحريف الكلم عن مواضعه، وتأخير الفطر وصلاة المغرب وغير ذلك، وتحريم ذبائح غيرهم، ويشبهون النصارى في الغلو في البشر والعبادات المبتدعة، وفي الشرك وغير ذلك.

وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين، وهذه شيم المنافقين..، وليس لهم عقل ولا نقل، **ولا دين صحيح، ولا دنيا منصورة**، وهم لا يصلون جمعة ولا جماعة، والخوارج كانوا يصلون جمعة وجماعة، وهم لا يرون جهاد الكفار مع أئمة المسلمين، ولا الصلاة خلفهم، ولا طاعتهم في طاعة الله، ولا تنفيذ شيءٍ من أحكامهم لاعتقادهم أَنَّ ذلك لا يسوغ إلاَّ خلف إمام معصوم، **ويرون أنَّ المعصوم قد دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، وهو إلى الآن لم يخرج، ولا رآه أحد، ولا عَلَّم أحداً ديناً ولا حصل به فائدة بل مضرة. ومع هذا فالإيمان عندهم لا يصح إلاَّ به ولا يكون مؤمناً إلاَّ من آمن به، ولا يدخل الجنَّة إلاَّ أتباعه..!!**

وأكثر محققيهم عندهم يرون أنَّ أبا بكر وعمر، وأكثر المهاجرين والأنصار، وأزواج النبيِّ ﷺ، مثل عائشة وحفصة وسائر أئمة المسلمين وعامَّتهم، **ما آمنوا بالله طرفة عين..!!**

ومنهم مَن يرى أنَّ فرج النبيِّ ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة **لا بدَّ أن تمسه النَّار**، ليطهر من وطئ الكوافر على زعمهم، لأن وطئ الكوافر حرام عندهم.

ومع هذا يردون أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة المتواترة عنه عند أَهْل العلم، **مثل أحاديث البخاري ومسلم**، ويرون أنَّ شعر شعراء الرَّافضة، مثل: الحميري، وكوشيار الديلمي، وعمارة اليمني خير من أحاديث البخاري ومسلم. وقد رأينا في كتبهم من الكذب والإفتراء على النبي ﷺ وصحابته وقرابته أكثر مِمَّا رأينا من الكذب في كتب أَهْل الكتاب من التوراة والإنجيل.

ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتخذونها مشاهد. وقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ المساجد على القبور، ونهى أمَّته عن ذلك.. ويرون أن حجَّ هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات، **حتى أن من مشايخهم من يفضلها على حج البيت الذي أمر الله به ورسوله..!!**

فبهذا يتبين أنهم شَرٌّ من عامَّةِ أَهْل الأهواء، **وأحق بالقتال من الخوارج**، وهذا هو السبب فيما شاع في العرف العام: أن أَهْل البدع هم الرافضة، فالعامة شاع عندها أنَّ ضد السني هي الرافضة فقط، لأنهم أظهر معاندة لسنة رسول الله ﷺ، وشرائع دينه من سائِر أَهْل الأهواء..

وأيضاً فالخوارج كانوا يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم، وهؤلاء إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذي لا وجود له، فمستند الخوارج خيرٌ مِن مستندهم.

وأيضاً فالخوارج لم يكن منهم زنديق ولا غالٍ، **وهؤلاء فيهم من الزنادقة والغالية من لا يحصيه إلاَّ الله.. فغالب أئمتهم زنادقة**، إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام..

وأمَّا ذكر المستفتي أنهم يؤمنون بكل ما جاء به محمد ﷺ، **فهذا عين الكذب**، بل كفروا بما جاء به بما لا يحصيه إلاَّ الله، فتارة يكذبون بالنصوص الثابتة عنه، وتارة يكذبون بمعاني التنزيل. وما ذكرنا وما لم نذكره من مخازيهم يعلم كل أحدٍ أَنَّه مخالف لما بعث الله به محمداً ﷺ. **فإنهم مشركون**، لأنهم أشدُّ الناس تعظيماً للمقابر التي اتخذت أوثاناً من دون الله، وهذا باب يطول..

وهم يقاتلون لعصبية شر من عصبية ذوي الأنساب، **وهي العصبية للدين الفاسد**، فإنَّ في قلوبهم من الغلِّ والغيظ على كبار المسلمين وصغارهم وصالحيهم وغير صالحيهم ما ليس في قلب أحد. **وأعظم عبادتهم عندهم لعن المسلمين من أولياء الله**، مستقدمهم ومستأخرهم، وأمثلهم عندهم الذي لا يلعن ولا يستغفر!!

وأما خروجهم يقتلون المؤمن والمعاهد فهذا أيضاً حالهم، مع دعواهم أنهم هم المؤمنون وسائر الأمة كفار! وروى مسلم في "صحيحه" عن محمد بن شريح، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنه ستكون هنأة وهنأة، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائن مَن كان". وهؤلاء أشد الناس حرصاً على تفريق جماعة المسلمين.. أعظم أصولهم عندهم **التكفير**

ش: يُشِيرُ الشيخُ إلى الرَّدِّ على الروافض. وقد أَثنى اللهُ على الصحابَة هو ورسُولُه، ورَضيَ عنهم، ووعدَهُم الـحُسْنى.

-ثَنَاءُ اللهِ ورسُولِه على الصحابَة-

قال تعالى: ﴿**والسَّابقونَ الأوَّلونَ مِن المهاجرينَ والأنصار والذينَ اتَّبعُوهم بإحسانٍ رضيَ اللهُ عَنْهُم ورَضُوا عنه وأَعَدَّ لهم جنَّاتٍ تجري تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبَداً ذلك الفوزُ العظيم**﴾ التوبة: ١٠٠. ﴿**محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معَهُ أشدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحماءُ بينَهم تَراهم رُكَّعاً سُجَّداً**﴾ الفتح: ٢٩. ﴿**لقد رَضيَ اللهُ عنِ المؤمنين إذْ يُبايعونك تحت الشجرَةِ**﴾ الفتح: ١٨. ﴿**إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهَدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيلِ**

واللعن والسب لخيار ولاة الأمور، كالخلفاء الراشدين، والعلماء المسلمين ومشايخهم، لاعتقادهم أنَّ كل من لم يؤمن بالإمام المعصوم -الذي لا وجود له- فما آمن بالله ورسوله..!!

الخروج والمروق يتناول كل من كان في معنى أولئك -أي الرافضة- **ويجب قتالهم بأمرِ النبي ﷺ** كما وجب قتال أولئك -أي الخوارج- وإن كان الخروج عن الدين والإسلام أنواعاً مختلفة، وقد بينا أن خروج الرَّافضة ومروقهم أعظم بكثير..

وأمَّا تكفيرهم وتخليدهم، ففيه للعلماء قولان مشهوران: وهما روايتان عن أحمد، والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية والرافضة وغيرهم.

والصحيح: أن هذه الأقوال التي يقولونها التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول **كفر**، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين، **هي كفر أيضاً**. وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع، **لكن تكفير الواحد المعين منهم والحكم بتخليده في النَّار موقوف على ثبوت شروط التكفير وانتفاء موانعه** ا-هـ. (الفتاوى: ٢٨/٥٦٨-٥٠٠ و ٥٢٧).

أقول: مراد الشيخ أننا نقول بكفرهم كفراً عامَّاً، بحيث نقول: أقوالهم كفر، وأفعالهم كفر، وعقائدهم كفر، ومن اعتقد عقيدتهم أو قال بقولهم أو فعل فعلهم فهو كافر. أمَّا تكفير "المعين" منهم نتوقف عن تكفيره، إلى أن تثبت شروط التكفير بحقه، وتنتفي عنه موانعه. وهذا هو الحق، والله تعالى أعلم.

الله والذينَ آوَوا ونَصَروا أولئكَ بعضُهُم أولياءُ بعْضٍ﴾ الأنفال: ٧٢. **﴿لقد تَّابَ اللهُ على النبيّ والمهاجرينَ والأنصارِ الذينَ اتَّبعُوهُ في ساعَةِ العُسْرَةِ﴾** التوبة: ١١٧. **﴿لا يستوي مِنكم مَنْ أَنفَقَ مِن قبل الفتحِ وقاتلَ أولئك أَعظمُ درجَةً من الذينَ أنفقوا مِن بعْدُ وقاتَلُوا وكُلاً وعَدَ اللهُ الحُسْنى واللهُ بما تعملونَ خبيرٌ﴾** الحديد: ١٠. **﴿للفقراءِ المُهاجرين الذينَ أُخرجُوا مِنْ ديارِهم وأموالِهم يبتغونَ فضلاً مِنَ اللهِ ورِضواناً وينصرون اللهَ ورسولَهُ أولئك همُ الصادقون. والذين تَبَوَّؤوا الدار والإيمان مِن قبلهم يُحبونَ مَن هاجَرَ إليهم ولا يجدونَ في صدورهم حاجَةً مِمَّا أُوتوا ويُؤثِرونَ على أنفسِهِم ولَو كانَ بهم خَصَاصَةٌ ومن يوقَ شُحَّ نفسهِ فأولئك هم المفلِحُونَ. والذين جاؤوا مِنْ بعْدهم يَقُولونَ ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سَبَقونا بالإيمانِ ولا تَجْعلْ في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا رَبَّنا إنَّكَ رؤوفٌ رَحيمٌ﴾** الحشر: ٨-١٠.

وهذه الآياتُ تتضمَّن الثناءَ على المهاجرينَ والأنصارِ، وعلى الذينَ جاؤوا مِنْ بعدهم، يستغفرونَ لهم، ويسْألونَ الله أَنْ لا يجعَلْ في قلوبِهم غِلاً لهم.

وفي "الصحيحين" عن أبي سعيد الخدري، قال: كانَ بين خالِدِ بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شَيءٌ، فَسَبَّهُ خالدٌ، فقال رسول الله ﷺ: "لا تَسُبُّوا أَحداً من أصحابي، فلو أَنَّ أَحدكم أَنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذهَبَاً، ما أَدركَ مُدَّ[1]أَحَدِهم ولا نَصِيفَهُ". فالنبيُّ ﷺ يقولُ لخالد ونحوه: "لا تَسُبُّوا أَصحابي"، يعني عبد الرحمن وأمثالَهُ، لأَنَّ عبدَ الرحمن ونحوه هم السَّابقونَ الأَوَّلون، وهم الذينَ أَسلَموا مِن قبلِ الفَتْحِ، وقاتلوا، وهم أَهْلُ بَيْعَةِ الرضوان، فهم أَفضل، وأَخصُّ بصحبته ممن أَسلمَ بعدَ بيعةِ الرضوان، وهم الذين أسلموا بعدَ الحديبيَةِ، وبعد مُصالحَةِ النبيِّ ﷺ أَهْلَ مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبقُ مِمَّن تأَخَّرَ إسلامُهم إلى فتح مَكَّة، وسُمُّوا الطُّلَقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيدُ ومعاوية. والمقصودُ أَنَّه نَهى مَنْ لَهُ صِحبةٌ آخِراً أَنْ يَسُبَّ مَن له صحبةٌ أَوَّلاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يُمكِنُ أَنْ يَشْرَكُوهم فيه، حتى لو

[1] المد: هو مكيال معروف تقدر به الأشياء، والنصيف: هو النصف.

أَنفقَ أحَدُهُم مِثْلَ أُحُدٍ ذَهباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصيفهُ. فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبيةِ، وإن كانَ قبلَ فتح مكة فكيفَ حالُ مَن ليس مِنَ الصحابةِ[١]؟!

والسابقونَ الأوَّلونَ، مِنَ المهاجرينَ والأنصار، هُمُ الذينَ أنفقوا مِنْ قَبْلِ الفتحِ وقاتَلوا، وأَهْلُ بيعةِ الرِّضوانِ كُلُّهم منهم، وكانوا أكثَر مِن ألفٍ وأربَع مئة.

وعن ابن عباسٍ، أنَّهُ قال: (لا تَسُبُّوا أصحابَ محمَّدٍ، فَلَمقامُ أَحَدِهِم ساعةً -يعني معَ النبيِّ ﷺ- خَيرٌ مِن عَمَلِ أَحَدِكُم أربعينَ سَنَةً)[٢]. وفي رواية: (خيرٌ مِنْ عبادَةِ أحَدِكُم عُمُرَهُ).

وفي "الصحيحين"، قال رسولُ الله ﷺ: "خيرُ النَّاسِ قَرْني، ثمَّ الذين يلونَهُم، ثمَّ الذينَ يلونَهُم"[٣].

وقال ﷺ: "لا يدخُلُ النارَ أَحدٌ بايعَ تحتَ الشجرةِ"[٤].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: إنَّ اللهَ نظرَ في قلوب العِباد، فوجدَ قَلْبَ محمدٍ خَيْرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاهُ لِنَفْسِه، وابتعثَهُ برسالَتِهِ، ثمَّ نظرَ في قلوبِ العبادِ بَعْدَ قَلْبِ محمدٍ ﷺ، فوجَدَ قُلُوبَ أصْحابهِ خَيْرَ قلوبِ العبادِ، فجعَلَهُم وزراءَ نبيِّهِ، يُقاتِلونَ على دينهِ، فما رآهُ

---

[١] فأولى لهم أن يُمسكوا عن الخوض فيهم بما لا يليق بجنابهم وقَدْرهم، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: " إذا ذُكِرَ أَصحابي فَأَمْسِكُوا".

[٢] صحيح، أخرجه أحمد وغيره.

[٣] فيه: أن القرون المشهود لها بالخيرية، هي القرون الثلاثة الأولى، وبالتالي من يُرد الحقَّ فعليه أن يلتمسه في هذه القرون.

[٤] رواه مسلم وغيره، وصَحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: "لن يدخُلَ النارَ رجلٌ شهِدَ بدراً والحديبية". وقال: "إنَّ الله تعالى اطَّلعَ على أَهْل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم". وفي هذه الأحاديث وغيرها دلالة على فضل الصحابة على مَن بعدَهم من الأجيال والقرون.

المسلمون حَسَناً، فهو عند اللهِ حَسَنٌ، وما رأوْهُ سَيِّئاً، فهو عِندَ الله سَيِّءٌ[١]. وفي رواية: وقدْ رأى أَصحابُ محمدٍ جميعاً أنْ يَسْتَخلِفوا أَبا بكر.

فمن أَضلُّ مِمَّن يكونُ في قلبهِ غلٌّ لخيار المؤمنين، وساداتِ أَولياءِ اللهِ تعالى بعد النبيين؟! بَلْ قد فَضَلَتْهُمُ اليهودُ والنصارى بِخَصْلَةٍ، قيلَ لليهود: مَنْ خَيرُ أَهْلِ مِلَّتِكُم؟ قالوا: أَصحابُ موسى، وقيلَ للنَّصارى: مَنْ خيرُ أَهْلِ مِلَّتِكُم؟ قالوا: أَصحابُ عيسى، وقيلَ للرَّافضةِ: مَنْ شَرُّ أَهْلِ ملتكم؟ قالوا: أصحابُ محمدٍ!! لَمْ يستثنوا منهم إلاَّ القليل، وفيمن سَبُّوهم مَنْ هو خيرٌ مِمَّن استثنوهم بأضعافٍ مُضاعَفَةٍ[٢].

وقوله: "**ولا نُفْرِطُ في حُبِّ أَحَدٍ منهم**" أي: لا نتجاوزُ الحَدَّ في حُبِّ أَحدٍ منهم، كما تفعل الشيعةُ، فنكون مِنَ المعتدين، قال تعالى: **﴿يا أَهْلَ الكتابِ لا تَغْلُوا في دينِكُم﴾**[٣] النساء: ١٧١.

–عِنْدَ الرَّوافض الشيعةِ مِنْ لَوازم مُوالاة أَئِمَّتِهم، البَراءُ مِنَ الصَّحابَة!!–

قوله: "**ولا نتبرأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم**" كما فعلتِ الرَّافضةُ، فعندهم لا ولاء إلاَّ بِبَرَاء، أي: لا يَتَولَّى أَهْلَ البيتِ حتَّى يَتبرأَ من أَبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما!! وأَهْلُ السُّنَّةِ يوالونَهم كُلَّهم، ويُنزِلونَهم منازِلَهُم التي يَسْتَحِقونَها، بالعَدْلِ والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

–حبُّ الصَّحابَةَ دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ–

لأنَّه امتثالٌ لأَمرِ اللهِ فيما تَقَدَّمَ مِنَ النُّصوصِ[٤].

---

[١] حسنٌ موقوفاً، أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن.

[٢] يشير إلى سبهم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهما بلا خلاف أفضل من علي بن أبي طالب ﷺ، وكان علي يعزر بالضرب من يفضله على أبي بكر وعمر.

[٣] أقول: الغلو في الأشخاص وراء كل شرك، والسلامة في الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط.

[٤] وقد تقدم قول النبي ﷺ في "الأنصار": "لا يحبهم إلاَّ مؤمن، ولا يبغضهم إلاَّ منافق، مَنْ أَحَبَّهم أحبه الله، ومَنْ أبغضَهم أبغضه الله". رواه مسلم.

قولُه: "ونُثْبِتُ الخِلافَةَ بَعْدَ رسولِ اللهِ ﷺ أَوَّلاً لأبي بَكْرٍ الصديقِ ﷺ، تفْضيْلاً[1] وتقديماً على جَميعِ الأمَّة".

ش: ذهبَ الحسنُ البَصْريُّ وجماعةٌ مِنْ أَهْلِ الحديثِ إلى أَنَّها ثَبَتَتْ بالنصِّ الخفيِّ والإشارةِ، ومنهم مَنْ قالَ بالنَّصِّ الجليِّ، ومنهم مَنْ قال أنَّها ثَبَتتْ بالاخْتيارِ.

-الدَّلِيلُ على إثْباتِها بالنَّصِّ-

مِنْ ذلك، أنَّ امرأَةً أَتتِ النبيَّ ﷺ، فأَمَرَها أَن تَرجِعَ إليهِ، قالَتْ: أَرأَيْتَ إنْ جِئْتُ فلمْ أَجِدْكَ؟ كأَنَّها تُريدُ الموتَ، قالَ: "إنْ لم تجديني فأْتِي أبا بكرٍ"[2]. وذلك نَصٌّ على إمامَته.

وقال رسولُ اللهِ ﷺ: "اقتَدوا باللَّذينِ مِن بَعْدي: أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ"[3].

وفي "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها وعَنْ أبيها، قالَتْ: دخَلَ عَلَيَّ رسولُ اللهِ ﷺ في اليَوْمِ الذي بُدِئَ فيه[4]، فقالَ: "ادعِي لي أَبَاكِ وأَخاكِ، حتَّى اكتُبَ لأَبي بَكْرٍ كِتَاباً"، ثمَّ قالَ: "يأبَى اللهُ والمسلِمونَ إلاَّ أبا بَكْرٍ". وفي رواية: "فلا يَطْمَعْ في هذا الأمرِ طَامعٌ". وفي رواية: قال: "ادعي لي عبدَ الرَّحمن بن أبي بكرٍ، لأكتُبَ لأبي بكرٍ كتاباً لا يُخْتَلَفُ عليه"، ثمَّ قال: "مَعاذَ اللهِ أَنْ يَخْتَلِفَ المؤمنونَ في أَبي بكرٍ"[5].

---

[1] في صحيح البخاري وغيره، عن ابن عمر، قال: كُنَّا نقولُ في زمن النبيِّ ﷺ: لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أصحابَ النبي ﷺ لا نُفاضِلُ بينهم.

[2] متفق عليه.

[3] صحيح، أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد.

[4] أي: مرضه ﷺ الذي مات فيه.

[5] فيه إشارَةٌ صريحة على استخلاف أبي بكر ﷺ، ورواية البخاري بلفظ: "هممت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثمَّ قلت: يأبى اللهُ ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون".

وأحاديثُ تقديمِه في الصلاةِ مَشْهورةٌ معروفَةٌ، وهو يقول: "مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ"(١).

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "بَيْنَا أَنا نائِمٌ رَأَيتُني على قَلِيبٍ، عليها دَلْوٌ، فَنَزَعتُ منها ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أَخَذَها ابنُ أبي قُحافَةَ، فنَزَعَ منها ذَنوباً أو ذَنوبين، وفي نَزْعِه ضَعْفٌ، والله يَغفِرُ لَهُ، ثمَّ استحالَتْ غَرْباً، فأخذها ابنُ الخطَّابِ(٢)، فلَمْ أرَ عبقريَّاً مِنَ الناسِ يَفْري فَرِيَّهُ، حتى ضرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ"(٣).

وقالَ ﷺ: "لو كُنتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأرضِ خليلاً، لاتَّخَذْتُ أَبا بكرٍ خليلاً، لا يبقيَنَّ في المَسجدِ خَوْخَةٌ إلاَّ سُدَّت، إلاَّ خَوخَةُ أبي بكرٍ"(٤).

وعن أبي بكرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يومٍ: "مَنْ رأى منكم رُؤيا؟" فقال رَجُلٌ أنا رَأَيْتُ كَأَنَّ ميزاناً أُنزلَ مِنَ السماءِ، فَوُزِنتَ أَنتَ وأَبو بكرٍ، فرجَحْتَ أنتَ بأبي بكرٍ، ثمَّ وزِنَ عُمَرُ وأبو بكرٍ، فرجحَ أَبو بكرٍ، ووزِنَ عُمَرُ وعُثمانُ، فرَجَحَ عُمَرُ، ثمَّ رُفِعَ الميزانُ، فرأيتُ الكراهَةَ في وجهِ النبيِّ ﷺ، فقال: "خِلافَةُ نُبوَّةٍ، ثمَّ يُؤتي اللهُ المُلكَ مَنْ يشاءُ"(٥).

---

(١) متفق عليه.

(٢) ورواية مسلم، لفظه في بعضها: "ثم أخذها عمر، فاستحالت غرباً" ومن حديث ابن عمر: "ثم أَخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غرباً". وفي الحديث إشارة إلى استخلاف عمر بعد أبي بكر.

(٣) قوله: "على قليب" أي: على بئر، وقوله: "ذنوباً أو ذنوبين" الذنوب: الدلو الممتلئة. قال الشافعي في "الأم": ومعنى قوله: "وفي نزعه ضعف": قصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والازدياد الذي بلغه عمر في طول مدته. وقوله: "يفري فريه" أي: يعمل عمله، ويقطع قطعه، "والعطن" ما يعد للشرب حول البئر من مبارك الإبل.

(٤) متفق عليه.

(٥) صحيح، رواه أبو داود.

وقال ﷺ: "خِلافَةُ النُّبوَّةِ ثلاثُونَ سنةً[١]، ثمَّ يُؤتِي اللهُ مُلْكَهُ مَنْ يشاءُ أو الملك"[٢].

وفي "الصحيحين" عن عمرو بن العاص: أَنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَهُ على جيشِ ذات السَّلاسِلِ، فأتيتُه، فقلت: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إليكَ؟ قال: "عائِشَةُ"، قُلْتُ: مَنَ الرِّجالِ؟ قال: "أبوها"، قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قال: "عمر".

وعن أَبي الدَّرداءِ، قال: كُنتُ جالِساً عندَ النبيِّ ﷺ، إذْ أَقبَلَ أَبو بكرٍ آخذاً بطَرَفِ ثوبهِ، حتى أَبدى عَنْ رُكبَتَيْهِ، فقالَ النبيُّ ﷺ: "أمَّا صاحِبُكُم، فقد غامَرَ[٣]"، فسَلَّمَ، وقال: إنَّه كانَ بيني وبينَ ابن الخطاب شيءٌ، فأسرَعتُ إليهِ، ثمَّ نَدِمْتُ، فسألتُه أنْ يغفرَ لي، فأبى عَلَيَّ، فأَقْبَلْتُ إليك، فقال: "يَغْفِرُ اللهُ لكَ يا أبا بَكرٍ" ثلاثاً، ثمَّ إنَّ عُمرَ نَدِمَ، فأَتى مَنْزِلَ أبي بكرٍ، فسأَلَ: أثَمَّ هو؟ فقالوا: لا، فأتى النبيَّ ﷺ، فسَلَّمَ عليه، فجعلَ وجهُ النبيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حتى أَشفقَ أَبو بكرٍ[٤]، فجثا على رُكبَتَيْهِ، فقال: يا رسولَ الله، واللهِ أنا كُنتُ أَظْلَمُ مرَّتين، فقالَ النبيُّ ﷺ: "إنَّ اللهَ بَعَثَني إليكم، فقُلْتم: كَذَبتَ، وقال أَبو بكرٍ: صَدَقْتَ، وواسَاني بنفسِهِ ومالِه، فَهَلْ أَنتُم تارِكُو لي صاحِبِي؟". مرَّتين، فما أُذيَ بَعْدَها[٥].

-حُجَّةُ مَنْ قال: لَمْ يَسْتَخْلِفْ بالنَّصِّ-

واحتجَّ مَنْ قالَ: لَمْ يَستخلِفْ بالخبرِ المأثورِ، عنْ عبدِ الله بن عمر، عن عمرَ رضي

---

[١] وهي المدة التي استُخلِفَ فيها الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، حيث استمرت خلافة أبي بكر سنتين، وخلافة عمر عشر سنين، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي ست سنين.

[٢] حسن.

[٣] قال ابن حجر في "الفتح": والمعنى دخل في غمرة الخصومة، والغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره ا-هـ.

[٤] أي أشفق على عمر لِما رأى من غضب النبي ﷺ عليه..

[٥] أخرجه البخاري.

الله عنهما، أَنَّه قالَ: إنْ أَسْتَخْلِف، فقد استخلَفَ مَنْ هو خَيرٌ مني، يعني أبا بكرٍ، وإنْ لا أسْتَخْلِف، فلم يَستخلِفْ مَنْ هو خَيْرٌ مني، يعني رسولَ الله ﷺ[1].

وبما رُويَ عن عائشة رضي الله عنها أَنَّها سُئِلتْ مَنْ كان رسولُ اللهِ ﷺ مُستخلفاً لو استخلَف[2].

والظاهرُ -والله أعلم- أَنَّ المرادَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَخلِفْ بعهدٍ مكتوبٍ[3]، ولو كَتَبَ عهداً، لكتبه لأبي بكر، بَلْ أَرادَ كتابَتَهُ ثمَّ تَرَكَهُ، وقال: "يأْبى اللهُ والمسلمونَ إلاَّ أبا بكرٍ". فكانَ هذا أَبْلَغَ

---

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم وغيره.

(٣) ويمكن أَنْ يُقال أيضاً: أنَّ عمر ﷺ، لم تبلغه مجموع الأحاديث التي تُفيد استخلاف أبي بكر فالتجأ إلى هذا القياس، كما فعل يوم أنْ همَّ أبو بكر ﷺ بمقاتلة مانعي الزكاة، فقال له: كيف تقاتلُ الناسَ وقد قال رسول الله ﷺ: "أمِرتُ أَنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عَصمَ مني مالُه ونفسه إلاَّ بحقه وحسابه على الله". فلو كان قد بلغه قول النبي ﷺ: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة.." لما سأل هذا السؤال وكذلك أبو بكر لو بلغه الحديث لَما التجأ إلى قياس الزكاة على الصلاة، بقوله: والله لأقاتلنَّ من فرَّقَ بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال.. كما قال ابن حجر في "الفتح" (١٢/٢٩٠): وهذا يوضح أنَّه لو كانَ سمع في الحديث: "ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة" لما احتاج إلى هذا الاستنباط. ا-هـ.

ويمكن أَن يُقال: أن عمر ﷺ لمَّا قال مقولته كان في مرض موته، ولربما آلام المرض حالت بينه وبين استحضار تلك الأحاديث، كما حصل له يوم وفاة النبيّ ﷺ، ولشدة المصيبة عليه أخذ يهدد بقتل من يقول أن محمداً قد مات، فخرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، وقال: اجلس يا عمر، أمَّا بعد مَنْ كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت، قال الله تعالى: **﴿وما محمد إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن ماتَ أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يَضُرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾**.

مِنْ مجرَّدِ العهدِ، فإنَّ النبيَّ ﷺ دَلَّ المسلمين على استخلافِ أبي بكرٍ، وأرشدهم إليه بأمورٍ متعدِّدةٍ، مِنْ أقوالِه وأَفْعالِه، وأَخبرَ بخلافَتِه إخبارَ راضٍ بذلك، حامِدٍ له، وعَزمَ على أنْ يكتبَ بذلك عَهداً، ثمَّ عَلِمَ أنَّ المسلمينَ يجتمعونَ عليه، فتركَ الكِتابَ اكتفاءً بذلك.

فلو كان التعيينُ مِمَّا يَشْتَبِهُ على الأُمَّةِ، لبيَّنه بياناً قاطعاً للعُذرِ، لكن لما دلَّهم دلالاتٍ متعدِّدَةً على أنَّ أبا بكرٍ المتعَيِّنُ، وفهموا ذلك، حصلَ المقصودُ، ولهذا قال عمرُ في خطبتهِ التي خطبها بمحضَرٍ منَ المهاجرينَ والأنصار: أنتَ خَيْرُنا وسيِّدُنا وأحبُّنا إلى رسولِ الله ﷺ. ولم ينكر ذلك منهم أَحَدٌ، ولا قالَ أحَدٌ مِنَ الصَّحابةِ: إنَّ غير أبي بكر من المهاجرين أحقُّ بالخلافةِ منه، ولم يقلْ أحَدٌ منهم قَطُّ: إنَّ النبيَّ ﷺ نصَّ على غير أبي بكر، لا عليٌّ، ولا العباسُ، ولا غيرهما، كما قَدْ قالَ أَهْلُ البدَعِ[1].

-ما حَصَلَ في سَقيفَةِ بني ساعِدَة-

عَن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رسولَ الله ﷺ مات وأَبو بكر بالسُّنْحِ[2]-فذَكرَتِ الحديثَ- إلى أَنْ قالَتْ: واجتمعَ الأنصارُ إلى سَعْدِ بن عُبادَةَ، في سَقيفَةِ بني ساعِدَة، فقالوا:

قال عمر: "والله ما هو إلاَّ أن سمعت أبا بكر تلاها فعرقت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض" وكأنه ﷺ لم يسمعها من قبل.

والشاهد: أن قول عمر الآنف الذكر، لا يمكن أن نرد به أحاديث النبيِّ ﷺ الدالة على استخلاف أبي بكر، والله تعالى أعلم.

[1] إشارة إلى الشيعة الروافض، حيث أوَّلوا النصوص، وحملوها ما لا تحتمل، من ذلك تأويلهم لقوله تعالى: **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾**. قال الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية" ص٨١: يبدي الإمام أنّ المقصود من هذه الآية نحن الأئمة، فقد أمر الله الرسول ﷺ برد الأمانة -أي الإمامة- إلى أَهْلها وهو أمير المؤمنين رضي الله عنه وعليه هو أن يردها إلى مَن يليه وهكذا.. ا-هـ. وكتبهم مليئة بالتحريفات والتأويلات الخاطئة لنصوص الكتاب والسُّنَّة.

[2] طرف من أطراف المدينة بعواليها، كان بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل، وكان بها منزل أبي بكر.

مِنَّا أَميرٌ، ومِنكُم أَميرٌ، فَذَهبَ إليهم أبو بكرٍ، وعمرُ بن الخطاب، وأبو عبيدَةَ بنُ الجَرَّاح، فذهب عُمَرُ يتكلم، فأسكتهُ أبو بكرٍ، وكانَ عمرُ يقول: والله ما أَرَدتُ بذلك إلاَّ أَنِّي هيَّأتُ في نفسي كلاماً قد أعجبني، خَشِيتُ أَنْ لا يَبْلُغَهُ أبو بكر، ثمَّ تكلَّمَ أبو بكر، فتكلَّمَ أبلغَ الناسِ، فقال في كلامِه: نحنُ الأُمراءُ، وأنتمُ الوزراءُ، فقالَ حبابُ بنُ المنذر: لا والله لا نَفْعَل، مِنَّا أَميرٌ ومنكم أميرٌ[١]، فقالَ أبو بكرٍ: لا ولكِنَّا الأُمراءُ، وأَنتمُ الوزراءُ، هم أَوسطُ العرب، وأعَزُّهم أحساباً، فبايعوا عُمرَ أو أبا عبيدَةَ بن الجرَّاح، فقال عمر: بل نبايعُكَ، فأَنْتَ سَيِّدُنا، وخيْرُنا، وأَحبُّنا إِلى رسولِ الله ﷺ، فأخذَ عُمَرُ بيده فبايَعَهُ، وبايَعَهُ النَّاسُ، فقالَ قائلٌ: قتلتم سعداً، فقالَ عُمَرُ: قتلَهُ اللهُ[٢].

قولُه: "ثمَّ لِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ ".

ش: أي ونُثْبِتُ الخلافَةَ بعد أبي بكر، لعمرَ رضي الله عنهما. وذلك بتفويضِ أبي بكر الخلافةَ إليه، واتِّفاقِ الأُمَّةِ بعدَه عليه.

-من فضائل عمر ﷺ-

عن محمد بن الحنفية أَنَّه قال: قلتُ لأبي: يا أبتِ، مَن خَيْرُ النَّاسِ بعدَ رسولِ الله ﷺ؟ فقال: يا بُنَيَّ، أَوَ ما تَعْرِف؟ فقلتُ: لا، قال: أبو بكرٍ، قلتُ: ثمَّ مَنْ؟ قالَ: عمرُ، وخَشيتُ أنْ يقولَ: ثمَّ عثمان فقلتُ: ثمَّ أنتَ؟ فقال: ما أَنا إلاَّ رجُلٌ من المسلمين[٣].

---

[١] فيه أنَّ الصحابي يمكن أن يفوته بعض العلم، فلو كان ممن اعترض من الأنصار بادئ ذي بدء على أن تكون الإمامة في قريش، يعلمون بأحاديث النبي ﷺ المتواترة الدالة على أنَّ "الأئمة من قريش ما بقي منهم اثنان"، لما حصل منهم ذلك الاعتراض، ولما قالوا مقولتهم تلك، وكذلك أبو بكر ﷺ لو كان يعلم بقول النبي ﷺ "الأئمة من قريش"، لما استبدله بكلام آخر، لما في كلام النبيِّ ﷺ من الحجة المُلزمة ما ليس في كلام غيره من البشر. ويحتمل أنَّ أبا بكر ﷺ كان يعلم بقول النبيّ ﷺ، لكنه صاغه باسلوبه من دون أن يرفعه إلى النبيِّ ﷺ، والله تعالى أعلم.

[٢] صحيح، أخرجه البخاري وغيره.

[٣] صحيح، أخرجه البخاري وغيره.

وتقدَّمَ قَوْله ﷺ: "اقتَدُوا باللَّذينَ مِنْ بعدِي: أبي بكرٍ وعُمرَ".

وفي "صحيح مسلم" عن ابن عباس، قال: وُضِعَ عُمرُ على سريرِهِ، فتكنفَهُ النَّاسُ يدعون ويُثنُونَ، ويُصَلُّونَ عليه قبل أَن يُرْفَعَ، وأنا فيهم، فَلم يَرُعْني إلاَّ برَجُلٍ قد أَخذَ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ إليهِ، فإذا هو عَليٌّ، فترَحَّمَ على عُمرَ، وقال: ما خَلَّفتَ أحداً اَحَبَّ إليّ أَن أَلقى اللهَ بمثلِ عَمَلِه مِنْكَ، وايْمُ اللهِ، إنْ كُنتُ لأظنُّ أن يَجْعَلَكَ اللهُ مع صاحبيكَ، وذلك أَنِّي كُنتُ كثيراً ما أَسْمعُ رسولَ الله ﷺ يقول: "جئتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، ودخلتُ أنا وأَبو بكر وعمرُ، وخرجتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، فإنْ كنتُ لأرجو، أو لأظنُّ ان يجعلكَ اللهُ معَهُما".

وفي "الصحيحين"، من حديث سَعْدِ بنِ أَبي وقاصٍ: قال: استأذَنَ عمرُ بنُ الخطاب على رسولِ الله ﷺ، وعِنده نِساءٌ مِنْ قُريَشٍ، يُكلمْنَهُ عاليةً أصواتُهُنَّ... وفيه، فقال النبيُّ ﷺ: "إِيْهَاً يا ابنَ الخَطَّابِ! والَّذي نَفْسِي بيدِهِ، ما لَقِيَكَ الشَّيطانُ سالِكاً فجّاً[1] إلاَّ سلكَ فجّاً غيْرَ فجِّكَ".

وقالَ ﷺ: "قَدْ كانَ في الأُممِ قَبلَكُم مُحَدَّثُونَ، فإنْ يَكُنْ في أُمَّتي منهم أحَدٌ، فإنَّ عُمرَ بن الخطَّابِ منهم"[2].

قال ابنُ وهب: تفسيرُ مُحَدَّثون: مُلْهَمُونَ.

قولُه: "ثمَّ لِعُثمانَ ﷺ".

ش: أي ونُثْبتُ الخلافَةَ بعد عمر لعثمانَ رضي الله عنهما.

-قصَّةُ مَقتل عمر، ومُبايعة عثمان-

عن عمرو بنِ ميمون، قال: رَأيتُ عُمَرَ ﷺ قبلَ أَنْ يُصابَ بأيامٍ بالمدينةِ.. قال: إني لقائمٌ ما بيني وبينَهُ إلاَّ عبدُ الله بنُ عباس غداةَ أُصيبَ، وكان إذا مرَّ بينَ الصَّفَّينِ قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهنَّ خَلَلاً تقدَّمَ فكبَّرَ، وربَّما قَرأَ سورَةَ يوسف، أو النحل أو نحو ذلك في

---

[1] أي: طريقاً.

[2] متفق عليه.

الرَّكعةِ الأولى، حتَّى يَجتمِعَ النَّاسُ، فما هو إلاَّ أَن كَبَّرَ، فسمعتُه يَقولُ: قتلني أو أكلني الكلبُ، حينَ طعَنَهُ، فطارَ العِلْجُ بسكينٍ ذاتِ طرَفين، لا يمُرُّ على أحَدٍ يَميناً ولا شِمالاً إلاَّ طعَنَهُ، حتى طعَنَ ثلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، ماتَ منهم سبعةٌ، فلمَّا رأى ذلك رَجُلٌ مِنَ المسلمينَ، طَرَحَ عليه بُرْنُساً، فلمَّا ظنَّ أنَّه مأخوذٌ نَحَرَ نَفسَهُ، وتناولَ عُمرُ يدَ عبد الرَّحمن بن عوف، فقَدَّمَهُ[1]، فمن يلي عمرَ فقد رأى الذي أرى، وأمَّا نواحي المسجد، فإنَّهم لا يدرونَ غيرَ أَنَّهم قد فقدوا صوتَ عمرَ، وهُم يقولون: سُبْحانَ الله، سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظرْ مَن قتَلَني؟ فجالَ ساعَةً ثمَّ جاءَ، فقال: غُلامُ[2]المغيرَةِ، قال: الصَّنَعُ[3]؟ قال: نَعَم، قال: قاتله اللهُ، فلَقد أَمَرْتُ به معروفاً! الحمدُ الله الذي لم يجعَلْ مَنيَّتي على يدِ رَجُلٍ يَدَّعي الإسلامَ، قَدْ كُنتَ أَنتَ وأَبوكَ تُحِبَّانِ أَن تكثُرَ العُلُوجُ[4]بالمدينةِ، وكانَ العباسُ أكثرَهُم رَقيقاً، فقال: إنْ شِئْتَ فعَلْتُ، أي: إنْ شِئْتَ قَتَلْنا، فقال: كذَبتَ[5]، بعد ما تكلَّموا بلسانِكُم، وَصَلُّوْا قِبْلَتَكم، وحَجُّوا حَجَّكُم[6]! فا حتُمِلَ إلى بيته، فانطلقنا معه، وكَأَنَّ النَّاسَ لم تُصِبْهُم مُصيبةٌ قَبْلُ يومئذٍ، فقائلٌ يقولُ: لا بَأسَ عليه، وقائلٌ يقولُ: أخافُ عليه، فأُتِيَ بنبيذٍ[7]فشرِبَهُ، فخرجَ مِنْ جَوْفِه، ثمَّ أُتِيَ بلبنٍ فَشَرِبَه، فخرَجَ مِن جَوفِه،

---

[1] أي: قدمه إلى إمامَة النَّاس في الصلاة، وهذا يكون في حال تعسر عودة الإمام ثانية إلى الإمامة..

[2] وهو أبو لؤلؤة المجوسي لعنه الله.

[3] الصنع: صاحب الصنعة الذي يعمل بيده.

[4] العلوج: هم العبيد الخدم.

[5] أَهْلُ الحجاز يقولون: "كذبت" في موضع "أخطأت". (هامش نسخة مؤسسة الرسالة).

[6] فيه بيان لمدى انصاف عمر وعظمة عدله، وأنَّ أحكامه لم تكن تصدر عن هوى وردة فعل، علماً أن الذي حصل له لو حصل لكثير من الولاة غيره، لوجد لنفسه مبرراً أن يبيد جميع أقارب الجاني، والبلدة التي ينتمي إليها!!

[7] هو ماءٌ يُنقع فيه تمر.

فَعرفُوا أَنَّهُ ميت[1]. فدَخَلْنا عليه، وجاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ عليه، وجاء رجلٌ شابٌّ، فقال: أبشِرْ يا أميرَ المؤمنين ببُشرَى الله لكَ، مِنْ صُحْبَةِ رسول اللهِ، وقَدَمٍ[2]في الإسلام ما قَدْ علِمْتَ، ثمَّ وَلِيتَ فَعَدَلْتَ، ثمَّ شهادَة، قال: وَدِدْتُ أنَّ ذلك كان كِفافاً، لا عَليَّ ولا لِيَ[3]، فلمَّا أَدبَرَ إذا إزارُه يَمَسُّ الأرض، قال: رُدُّوا عَليَّ الغلامَ، قالَ: يا ابن أَخي، ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فإنَّه أَنقى لِثوبِكَ، وأَتقى لِرَبِّكَ[4]، يا عبدَ الله بنَ عمر، انظر ما عَلَيَّ مِنَ الدَّيْنِ، فحَسَبُوهُ، فوجدوهُ سِتَّةً وثمانينَ أَلفاً أو نحوَه، قال: إنْ وَفَى له مالُ آلِ عمر، فأَدِّهِ مِنْ أموالِهِم، وإلاَّ فَسَلْ في بني عدي بنِ كعب، فإنْ لم تَفِ أَموالُهم، فَسَلْ في قريشٍ، ولا تعْدُهُم إِلى غيرِهم، فأَدِّ عني هذا المالَ. انطلِقْ إلى عائشة أمِّ المؤمنينَ فقل: يقرأ عليكِ عمرُ السَّلامَ، ولا تقلْ: أمير المؤمنين، **فإني لَسْتُ اليومَ للمؤمنينَ أَميراً**، وقل: يستأذِنُ عمرُ بنُ الخطابِ أَنْ يُدفَنَ مع صاحبيهِ، فَسَلَّمَ واستأذَنَ،

[1] ومن رواية عبد الرزاق في مصنفه (٩٧٧٥): فقال رجلٌ: إنكم لن تُفزعوه بشيءٍ إلاَّ بالصلاة، قال: فقلنا: الصلاة يا أمير المؤمنين! قال: ففتح عينيه، ثمَّ قال: أَصلَّى الناسُ؟ قلنا: نعم، قال: **أمَا إنَّه لاحظَّ في الإسلامِ لأحدٍ تركَ الصلاة**، ثمَّ صلَّى وجرحه يثعبُ دماً.

فتأمل كم للصلاة من أهمية عظيمة في الإسلام، وكلام عمر ﷺ يُستفاد منه أن تارك الصلاة كافر، إذ لا حظَّ له في الإسلام.

[2] أي: المكانة والفضل.

[3] أقول: إذا كان عمر الفاروق العادل، أفضل النَّاس بعد رسولِ الله وأبي بكر، المبشر بالجنة، يرجو أن يكون حسابه يوم القيامة كفافاً لا له ولا عليه، فمن باب أولى من هم دونه شأناً وفضلاً –مما لا يُعلم حالهم عند الله– أن لا تغرهم الأماني، وأن لا يُزكوا أنفسهم على الله، وهو كذلك مدعاة لأن يمسك النَّاس عن التوسل بالصالحين والأولياء، ظنَّاً منهم أنَّ لهم جاهاً عند ربهم، يخولهم التوسط والتشفع..!! وكأنهم قد اضطلعوا على الغيب وعرفوا مكانتهم عند ربهم، وما لهم أو عليهم!!

[4] أقول: رغم مرضه ﷺ وأنه على فراش الموت، وتزاحم النَّاس عليه ليسمعوا منه ما يوصي به.. فكل ذلك لم يمنعه من أن ينهى الرجل عن إطالة ثوبه، هذه المسألة التي تهاون بها كثير من النَّاس بحجة أنها من المسائل الفرعية، ومن القشور التي لا ينبغي الانشغال بها..!!

ثمَّ دخلَ عليها، فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يَقرأُ عليكِ عمرُ بنُ الخطابِ السلامَ، ويَستأذِنُ أن يُدْفَنَ مع صاحبيه، قالت: كُنتُ أُريدُه لنفسي، ولأُوثِرَنَّ به اليومَ على نفسي، فلَمَّا أَقبلَ، قيل: هذا عَبدُ اللهِ قدْ جاءَ، قال: ارفعوني، فأسندَهُ رجلٌ إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذي تُحِبُّ يا أميرَ المؤمنين، أَذِنَتْ، قال: الحمدُ لله، ما كانَ شيءٌ أَهمَّ إليَّ مِن ذلك، فإذا أَنا قَضيتُ، فاحملوني، ثُمَّ سَلِّم، فقُلْ: يَسْتَأذِنُ عمرُ بنُ الخطاب، فإنْ أَذِنَتْ لي، فأدخلوني، وإنْ رَدَّتني فردُّوني إلى مقابر المسلمين. وجاءَتْ أُمُّ المؤمنينَ حَفصةُ والنساءُ تسيرُ معها، فلَمَّا رأَيْناها قُمنا، فوَلَجَت عليه، فبكت عنده ساعةً[١]، واستأذَنَ الرِّجالُ، فوَلَجَت داخلاً لهم، فَسمِعنا بُكاءَها من الداخل، فقالوا: أَوصِ يا أميرَ المؤمنين، استخلِفْ، قال: ما أَجِدُ أَحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرَّهط، الذين تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ، فَسَمَّى عليَّاً، وعثمانَ، والزُّبَيْرَ، وطلحةَ، وسَعْداً، وعبدَ الرَّحمن، وقال: يَشْهَدُكُمْ عبدُ الله بنُ عمر، وليس له مِنَ الأمر شيءٌ، كهيئةِ التعزيةِ له، فإنْ أَصابت سعداً فهو ذاكَ، وإلاَّ فليَسْتَعِنْ به أَيُّكم ما أُمِّر، فإنِّي لم أَعْزِلْهُ من عَجزٍ ولا خيانَةٍ[٢].

---

[١] ذكر ابن سعد ٣٦١/٣ بإسنادٍ صحيح عن المقدام بن معد يكرب أنها قالت: يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين، فقال عمر لابن عمر: يا عبد الله أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع، فأسنده إلى صدره، فقال لها: إنِّي أُحرِّج عليك بما لي عليك من الحق أن تند بيني بعد مجلسكِ هذا، فأمَّا عينك فلا أملكها. (هامش نسخة مؤسسة الرسالة). فتأمَّل كيف أَنَّ أحدهم كان لا يسكت على خطأ أو منكر يراه إلاَّ ويغيره، حتى لو كان على فراش الموت..!! فلمثل هذا اصطفاهم الله لصحبة محمد ﷺ.

[٢] ومن جملة وصاياه لأصحاب الشورى الذين اختارهم للإمارة من بعده، قوله: أمهلوا فإن حدث بي حدث فليصلِّ لكم صُهيب -مولى بني جدعان- ثلاثَ ليالٍ، ثمَّ أجمعوا أمركم، فمن تأمر منكم على غير مشورة من المسلمين فاضربوا عنقه.

وأرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال: كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت، فقم على الباب بأصحابك فلا تترك أحداً يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا

وقال: أُوصي الخليفَةَ مِنْ بَعْدي بالمهاجرين الأولين: أَن يَعْرفَ لهم حَقَّهم، ويَحفَظَ لهم حُرْمَتَهم، وأُوصيه بالأنصارِ خَيْراً، الذين تبوَّؤوا الدَّارَ والإيمانَ مِن قبلهم، أَنْ يقبلَ مِنْ محسنهم، ويتجاوَزَ عن مُسيئهم[1]، وأُوصيه بأهلِ الأمصارِ خيراً، فإنَّهم رِدءُ الإسلامِ، وجُباةِ الأموالِ، وغيظُ العدو، وأَن لا يُؤخذَ منهم إلاَّ فضلهم عن رِضاهم، وأُوصيه بالأعرابِ خَيراً، فإنَّهم أَصلُ العَرَبَ، ومادَّةُ الإسلامِ، أن يُؤخَذَ من حواشي أَموالهم، وأَن يُرَدَّ على فقرائهم، وأُوصيه بذمَّة اللهِ وذمَّةِ رسولِهِ أن يوفى لهم بعهدهم، وأنْ يُقاتَل مِن ورائهم، ولا يُكَلَّفوا إلاَّ طاقتهم.

فلما قُبِضَ خَرَجنا به، فانطلقنا نمشي، فسَلَّمَ عبدُ اللهِ بنُ عمر، قال: يَستأذِنُ عمرُ بن الخطاب، قالَت: أَدخلوهُ، فأُدخِلَ، فوضِعَ هناكَ معَ صاحبيه، فلما فُرِغَ مِنْ دَفنهِ، اجتمعَ هؤلاء الرَّهْطُ، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمرَكم إلى ثلاثَةٍ منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى عليٍّ، وقال طلحةُ: قد جعلتُ أَمري إلى عثمان، وقال سَعْدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمن، فقالَ عبد الرحمن: أَيُّكما تَبَرَّأَ مِنْ هذا الأمرِ فنجعله إليه[2]، واللهُ عليه والإسلام لينظرَنَّ أَفضلَهم في نفسه، فأسكِتَ الشيخان، فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونَه إليَّ؟

أحدهم. وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً، فحكموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس! ولا يحضر اليوم الرابع إلاَّ وعليكم أمير منكم، اللهم أنت خليفتي فيهم.

فوافى أبو طلحة في أصحابه ساعة قُبر عمر فلزم أصحاب الشورى، فلما جعلوا أمرهم إلى ابن عوف يختار لهم لزم باب ابن عوف في أصحابه حتى بويع عثمان بن عفان. (أخبار عمر، للطنطاوي، ص ٤١٤).

(١) فيه أن الحسنات يذهبن السيئات، وأن تُقال عثرات مَن كان له سابقة إسلام وجهاد، وأن يُتأوَّل له عند وقوعه في الشبهات..

(٢) أي: نجعل إليه مهمة تعيين الخليفة، وأن يُطاع فيما يشير إليه.

واللهُ عليَّ أَنْ لا آلوَ عن أفضلِكم؟ قالا: نعم، فأَخَذَ بيدِ أحدِهما فقال: لكَ قرابةٌ مِن رسولِ اللهِ ﷺ والقِدَمَ في الإسلامُ ما قَدْ علمت، فبالله عليكَ، لئن أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، ولئن أَمَّرتُ عليكَ لتسمعَنَّ ولتُطيعَنَّ، ثمَّ خَلا بالآخرِ، فقال له مثلَ ذلك، فلَمَّا أَخَذَ الميثاقَ، قال: ارفع يدَك يا عُثمانُ، فبايَعَه، وبايَعَ له عليٌّ، وولجَ أَهْلُ الدَّارِ فبايعوه[١].

-من فضائل عثمان بن عفان ﷺ-

عن عائِشةَ، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ مُضطجعاً في بيته، كاشِفاً عن فخِذَيْهِ أو ساقيه، فاستأذَنَ أبو بكرٍ، فأَذِنَ له وهو على تلكَ الحالةِ، فتحَدَّث، ثمَّ استأذَنَ عمرُ، فأذنَ له وهو على تلك الحالة، فتحدَّثَ، ثمَّ استأذَنَ عُثمانُ، فجلسَ رسولُ اللهِ وسَوَّى ثِيابَه، فدخَلَ فتحدَّثَ، فلمَّا خَرَجَ، قالت عائِشَةُ: دخَلَ أَبو بكرٍ، فلم تَهَشَّ[٢]له ولم تُبَالِه، ثمَّ دَخَلَ عمرُ،

---

[١] صَحَّ عن النبيِّ ﷺ عدة أحاديث تشير إلى استخلاف عثمان بن عفان ﷺ، وما حصل له يومَ حوصِر في داره، منها: عن عائشة، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: "يا عثمانُ! إن وَلاَّكَ اللهُ هذا الأمرَ يوماً، فأرادَكَ المنافقون أن تخلَعَ قَميصَكَ الذي قَمَّصَكَ الله، فلا تخلَعْهُ" يقولُ ذلك ثلاث مَرَّاتٍ. قال النعمان: فقلت لعائشة: ما منعكِ أن تُعلمي الناسَ بهذا؟ قالت: أُنْسِيتُهُ. صحيح سنن ابن ماجة: (٩٠). وعن عثمان بن عفان ﷺ قالَ يوم الدَّار: إن رسولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إليَّ عهداً، فأَنا صائِرٌ إليه، وأنا صابرٌ عليه. صحيح سنن ابن ماجة: (٩١). وفي صحيح البخاري، عن أبي موسى أنَّه كان مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل يستفتح، فقال النبيُّ ﷺ: "افتح له وبشره بالجنة" ففتحت، فإذا أبوبكر، فبشرته بالجنة، ثمَّ استفتح رجل آخر، فقال: "افتح له وبشره بالجنة" فإذا عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة، ثمَّ استفتح رجلٌ آخر وكان متكئاً فجلس فقال: "افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه أو تكون" فإذا عثمان ففتحت له وبشرته بالجنة، فأخبرته بالذي قال: فقال: الله المُستعان.

[٢] تَهَشّ: من الهشاشة، وهي طلاقة الوجه، وحسن اللقاء.

فلم تَهَشَّ له ولم تُبالِه، ثمَّ دخَلَ عثمانُ فجلست وسوَّيْتَ ثيابَك؟ فقال: "ألا أَسْتَحِي مِنْ رجُلٍ تستحِي منه الملائِكَةُ"[١].

وفي "الصحيح": لَمَّا كانَ يومُ بيعَةِ الرِّضوان، وأنَّ عثمانَ ﷺ كانَ قد بعثَهُ النبيُّ ﷺ إلى مكَّة، وكانت بيعَةُ الرِّضوان بعدَما ذهب عثمانُ إلى مكة، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه اليُمنى: "هذِهِ يَدُ عُثمانَ"، فضرَبَ بها على يدِه، فقال: "هذه لعثمان"[٢].

قولُه: "ثُمَّ لِعَلِيّ بن أَبي طالِبٍ ﷺ ".

ش: أي: ونُثبتُ الخلافةَ بعدَ عثمانَ لعليٍّ رضي الله عنهما. وهو الخليفَةُ في زمانِه خِلافَةَ نبوَّةٍ، لِقولِه ﷺ: "خلافَةُ النُبوَّةِ ثلاثُونَ سنَةً، ثمَّ يؤتِي اللهُ مُلكَهُ مَنْ يَشاءُ"[٣].

فالخلافَةُ ثَبَتَتْ لأميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعدَ عثمانَ ﷺ، بمبايَعَةِ الصحابةِ، سوى معاوية معَ أَهْلِ الشامِ[٤].

---

[١] أخرجه مسلم وغيره.

[٢] رواه البخاري من حديث ابن عمر.

[٣] حسن، وقد تقدم.

[٤] امتناع أَهْل الشام عن مبايعة علي بن أبي طالب ﷺ كان بتأويل واجتهاد منهم، لظنهم أنَّ قتلة عثمان ﷺ هم من أنصار علي، وأنه لا بد مِن القصاص منهم أولاً، ولشعورهم أيضاً بظهور حركات باطنية تدعو إلى ألوهية علي بن أبي طالب، كان على رأسهم اليهودي عبد الله بن سبأ، وهؤلاء كانوا من جملة مَنْ تظاهروا بنصرة علي بن أبي طالب على مَن سواه..

وخلاصة القول: أنَّ امتناعهم لم يكن خروجاً على عليٍّ وعدم الرضى به إماماً، وإنما كان لشبهة وتأويل، بزواله تزول المعارضة، لِذا عندما أراد عليٌّ قتالهم لإخضاعهم لسلطته، تخلف عن القتال معه عدد من الصحابة منهم ابن عمر وغيره، على اعتبار أنَّه قتال فتنة يجب اعتزاله، آخذين بنصيحة النبي ﷺ: "كَسِّرُوا قَسِيَّكم -يعنى في الفتنة- وقَطِّعوا أوتاركم، والزموا أجوافَ البيوت، وكونوا فيها كالخير من ابني آدم". (السلسلة الصحيحة). وقال ﷺ: "إنه ستكون فرقة واختلاف، فإذا كان كذلك فاكسر سيفك واتخذ سيفاً من خشب، واقعد في بيتك حتى تأتيكَ يد خاطئة أو

والحقُّ معَ عليٍّ ﷺ[1].

-مِنْ فضائِلِ عَليّ بنِ أَبي طالب ﷺ-

منية قاضية". (رواه أحمد والترمذي، صحيح الجامع الصغير: ٢٣٩٢). وعن عُدَيسةَ بنت أهبان قالت: لما جاء علي بن أبي طالب ههنا (البصرة) دخل على أبي، فقال: يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال: بلى، قال فدعى جارية له، فقال: يا جارية أخرجي سيفي، قال: فأخرجته فسلَّ منه قدر شبر فإذا هو خشب! فقال: إنَّ خليلي وابن عمك عهد إليَّ: "إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفاً من خشب"، فإن شئت خرجت معك، قال: لا حاجة لي فيك، ولا في سيفك. (أخرجه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد، السلسلة الصحيحة: ١٣٨٠).

وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: "أُريتُ ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض، فأحزنني وشقَّ ذلك عليَّ، وسبق كما سبق ذلك في الأمم قبلها، فسألت الله تعالى أن يوليني شفاعتهم فيهم يوم القيامة، ففعل".

وفي صحيح البخاري وغيره، عن أبي بكرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ، للحسن بن علي: "إنَّ ابني هذا سيِّد، وإني أرجو أنْ يُصلح الله به بين فئتين من أمتي، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين". فدلَّ أنَّ معاوية ومن معه، من المسلمين المغفور لهم يوم القيامة، لا يجوز لعنهم وتكفيرهم كما يفعل الشيعة الرّوافض!!

ونحن إذْ حفظ الله أيدينا عن تلك الفتنة، نسأله تعالى أن يحفظ ألسنتنا عنها، وعن أن نقول في صحابة رسول الله ﷺ ما لا ينبغي ولا يصح. وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: "إذا ذكر أصحابي فأمسكوا".

[1] كون الحق هو بجانب علي بن أبي طالب ﷺ، ففي ذلك نص، وهو قول النبي ﷺ في صحيح مسلم وغيره: "تمرق مارقةٌ عندَ فرقة من المسلمين يَقْتُلُها أَوْلى الطائفتين بالحق". وهذه المارقة هي مارقة الخوارج، وأوَّل من قاتلهم علي بن أبي طالب ﷺ، فدلَّ أنَّه أولى الطائفتين بالحق. ومما يجدر ذكره هنا: أن قتال علي للخوارج لم يُخالفه أحدٌ من الصحابة ممن كانوا معه، بخلاف ما حصل له عندما أراد قتال معاوية وأَهْلَ الشام.

عن سَعْدِ بن أبي وقّاص، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: "أنتَ مِنِّي بمنزلَةِ هارونَ مِنْ موسى، إلاَّ أنَّه لا نبيَّ بَعْدي"(١).

وقال ﷺ يوم خيبر: "لأعطيَنَّ الراية غداً رجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُه" قال: فتَطَاوَلنا لها(٢)، فقال: "ادعُوا لي عليّاً، فأُتِيَ به أَرْمَدَ، فبصَقَ في عينَيْهِ، ودفعَ الرَّايةَ إليه، ففتَحَ اللهُ عليه"(٣).

ولـمَّا نزلت هذه الآية: ﴿**فقُلْ تعالوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم**﴾ آل عمران: ٦١، دعا رسولُ اللهِ ﷺ علياً وفاطِمَةَ وحسناً وُحسيناً، فقال: "اللهمَّ هؤلاءِ أَهْلي"(٤).

قولُه: "وهُمُ الخُلَفاءُ الرَّاشِدُونَ، والأئمَّةُ المَهْدِيُّونَ".

ش: عنِ العِرْباضِ بنِ سارية، قال: وعظنا رسولُ اللهِ ﷺ موعِظَةً بليغَةً، ذرَفَت منها العيونُ، ووجِلَتْ منها القلوبُ، فقالَ قائِلٌ: يا رسولَ الله، كأنَّ هذه موعظَةُ مودِّعٍ، فماذا تعْهدُ إلينا؟ فقال: "أُوصيكُمْ بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكم بعدِي، فَسَيَرَى اختلافاً كَثيراً، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدين المهديِّينَ مِنْ بَعْدِي، تمسَّكُوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحْدَثات الأمورِ، فإنَّ كُلَّ بدعة ضلالة"(٥).

-ترتيبُ الخلفاءِ الرَّاشدين في الفَضْلِ كترتيبِهم في الخلافةِ-

عن ابن عُمرَ، قال: كنا نقولُ ورسولُ اللهِ ﷺ حيٌّ: أَفضَلُ أُمَّةِ النبيِّ ﷺ بعدَه: أبو بكرٍ، ثمَّ عُمرُ، ثمَّ عُثمانُ(٦).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أي: استشرفنا لها، وأَرَدناها.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم وغيره.

(٥) صحيح، وتقدم.

(٦) صحيح، أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح عنه، وهو عند البخاري بنحوه.

وفي "صحيح البخاري" قول عبد الرَّحمن بن عوف لعليٍّ رضي الله عنهما: إِنِّي قد نظرتُ في أمرِ الناسِ فلم أرَهم يَعْدلونَ بعثمان.

قال أيوبُ السَّخْتياني: مَنْ لم يُقَدِّمْ عثمانَ على عليٍّ، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

قولُه: "وأَنَّ العشْرَةَ الذين سَمَّاهم رسولُ اللهِ ﷺ وبَشَّرَهُم بالجنة، نَشْهَدُ لهم بالجنةِ[١]، على ما شَهِدَ لهم رسولُ الله ﷺ، وقَوْلُهُ الحَقَّ، وهُم: أَبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطَلْحَةُ، والزُّبيرُ، وسَعْدٌ، وسَعيدٌ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ، وأبو عُبيدةَ بنُ الجراحِ، وهو أمينُ هذِهِ الأُمَّةِ، رضي الله عنهم أجمعينَ".

ش: عن سعيد بن زيدٍ ﷺ، قال: أشهدُ على رسولِ اللهِ ﷺ أَنِّي سمعتُه يقول: "عشرةٌ في الجنَّة: النبيُّ في الجنَّة، وأبو بكرٍ في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعُثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطَلْحَةُ في الجنَّة، والزبير في الجنَّة، وسَعْدُ بنُ مالك في الجنَّة، وعبدُ الرحمن بن عَوْفٍ في الجنَّة"، ولو شِئْتُ لسمَّيتُ العاشِرَ، قال: فقالوا: مَنْ هو؟ قال: سعيدُ بنُ زَيدٍ، قال: لَمَشهَدُ رَجلٍ منهم مع رسولِ الله ، يَغبَرُّ منه وَجْهُهُ، خيرٌ مِن عَملِ أَحدِكُم ولو عُمِّرَ عُمُرَ نوحٍ[٢].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: "أبوبكرٍ في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وعثمانُ في الجنَّة، وطلحةُ في الجنَّة، والزبير بن العوام في الجنَّة، وعبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ في الجنَّة، وسعيدُ بنُ زَيْدِ بن عمرو بن نُفَيلٍ في الجنَّة، وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنَّة"[٣].

---

(١) مقتضى هذا الكلام أننا لا نشهد لغيرهم بالجنة ممن لم يرد فيهم نص، لأن الجزم للمعينين بأسمائهم بالجنة هو من خصوصيات النبي ﷺ وليس لأحدٍ بعده. ولو جاز لغير النبي ﷺ أن يشهد على أحدٍ بالجنة لما كانت لهذه الشهادة ميزة، ولا للصحابة المبشرين بالجنة خاصية تميزهم عن غيرهم..

(٢) صحيح، رواه أبو داود، وابن ماجة، والترمذي، وغيرهم.

(٣) صحيح، رواه أحمد وغيره.

وعن أبي هريرة، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ على حِرَاء، هو وأبو بكرٍ وعُمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبير، فتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "اهْدَأْ، فما عليك إلاَّ نبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيدٌ"(١).

-مِنْ فضائِلِ أَبي عُبيدَةَ بنُ الجرَّاح-

عن أنسِ بنِ مالك، قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَميناً، وإنَّ أمينَنَا أَيَّتُها الأُمَّةُ: أَبو عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ"(٢).

وعن حُذَيْفَةَ بن اليمانِ، قال: جاءَ أَهْل نجرانَ إلى النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعثْ إلينا رجلاً أميناً، فقال: "لأبعَثَنَّ إليكم رَجُلاً أَميناً حقَّ أمين"، قال: فاستشرفَ لها النَّاسُ، قال: فبعثَ أبا عبيدَةَ بن الجرَّاح. متفق عليه.

قولُه: "ومَنْ أَحْسَنَ القولَ في أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأَزواجِهِ الطاهراتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وذُرِّيَّاتِهِ المقَدَّسين مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فقد برئَ مِنَ النِّفاقِ(٣)".

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) متفق عليه.

(٣) يُشير الشيخ إلى الشيعة الرَّوافض، لأنهم عُرِفوا عن غيرهم بطعنهم وشتمهم للصحابة ولأزواج النبيّ ﷺ، وبحقدهم الشديد على أَهْل السُّنَّة. وقوله **"برئ من النفاق"**، لأنَّ النصَّ دلَّ -كما تقدم- أنَّ حبهم دين وهو من الإيمان، وبغضهم من النفاق، وبالتالي فإنه لا يجتمع ادعاء حب الدين، وبغض مَن نقل إلينا هذا الدين مباشرة عن النبيّ ﷺ إلاَّ في منافق زنديق صريح النفاق، فكيف يدعي حُبَّ الشيء ثمَّ يُظهر ضده ونقيضه في آن واحد..؟!

وإلى جانب ذلك فإنَّ الطعن بالصحابة الكرام، وبأزواج النبي ﷺ الطاهرات، فيه طعن بمربيهم ومعلمهم وهو النبي ﷺ، وكأنَّ لسان حالهم يقول: رجل هؤلاء هم أصحابه فهو لا يعدو أن يكون مثلهم، والصاحب يُعرف بصاحبه..

ش: في "صحيح مسلم"، عن زيد بنِ أرقم، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ خطيباً بماءٍ يُدعى: خُمًّا[(١)] بين مكَّةَ والمدينةِ، فقال: "أمَّا بَعْدُ، أَيُّها النَّاسُ، إنما أنا بشَرٌ يوشِكُ أَنْ يأتيني رسولُ رَبِّي[(٢)]، فأجيبُ ربي، وإنِّي تاركٌ فيكم ثَقَلينِ: أَوَّلُهُما كِتابُ اللهِ، فيهِ الهدى والنُّورُ،

وكذلك فإن طعنهم للصحابة ولأزواج النبيِّ ﷺ، فيه تكذيب لله ﷻ الذي أنزل في كتابه رضاه عنهم، وأمر بحبهم وموالاتهم..

لذا كانَ شتم الصحابة وبغض نساء النبي ﷺ نفاقاً صريحاً لا يعلوه نفاقاً.

قال ابن تيمية في الصارم: من سبَّهم سباً لايقدحُ في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أَهْل العلم.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام إلاَّ نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، **فهذا لا ريب أيضاً في كفره**، لأنه كذب لما نصه القرآن في غير موضع: من الرضى عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسُنَّة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها، **وكفر هذا مِمَّا يعلم بالاضطرار من دين الإسلام**. ولهذا تجد عامة من ظهر عليهم شيء من هذه الأقوال، **فإنه يتبين أَنَّه زنديق** ا–هـ.

وقال القاضي عياض في الشفا (٢/٦١٠): **وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولاً يتوصل به إلى تضليل الأمة، وتكفير الصحابة**، فهؤلاء قد كفروا من وجوه، لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها، إذ انقطع نقلها ونقل القرآن، إذ ناقلوه كفرة على زعمهم ا–هـ.

(١) يُقال عنه: غدير خُم.

(٢) يريد ملك الموت.

فَخذوا بكتابِ اللهِ واستَمْسِكُوا به" فَحَثَّ على كِتابِ اللهِ ورَغَّبَ فيه، ثمَّ قال: "وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ في أَهْل بيتي، ثلاثاً"[١].

وخَرَّجَ البُخاريُّ عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، قال: ارقُبوا محمَّداً في أَهْل بيتهِ[٢].

قولُه: "وعُلماءُ السَّلفِ مِنَ السَّابقين، ومَنْ بَعْدَهُم مِنَ التابعينَ –أَهْلِ الخيْرِ والأثرِ، وأهْلِ الفِقْهِ والنَّظَرِ– لا يُذْكَرونَ إلاَّ بالجميل، ومَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ، فهو على غيرِ السَّبيلِ[١]".

---

[١] أَهْل بيت النبيّ ﷺ يشمل نساءَه التي منهنَّ أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، وليس كما يَدَّعي الشيعة الإمامية، أن المراد من أَهْل البيت هم الأئمة الاثنى عشر فقط، وهم: عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ثمَّ الحسن رضي الله عنه، ثمَّ الحسين رضي الله عنه، ثمَّ عليُّ بن الحسين زين العابدين، ثمَّ محمد بن علي الباقر، ثمَّ جعفر بنُ محمد الصادق، ثمَّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمَّ علي بن موسى الرِّضى، ثمَّ موسى بن جعفر الكاظم، ثمَّ علي بن موسى الرِّضى، ثمَّ محمد بن علي الجواد، ثمَّ علي بن محمد الهادي، ثمَّ الحسن بن علي العسكري، ثمَّ محمد بن الحسن صاحب السرداب. ويلحقون بهم فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ. والدليل على أن نساء النبي ﷺ هنَّ من أَهْل البيت، قوله تعالى: **﴿يا نساءَ النبيِّ: لستُنَّ كأحدٍ منَ النساءِ إنِ اتقيتُنَّ فلا تخضَعْنَ بالقولِ فيطمعَ الذي في قلبهِ مرضٌ وقُلْنَ قولاً معروفاً. وقَرْنَ في بيوتِكُنَّ ولا تبرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهلية الأولى وأقمنَ الصلاةَ وآتينَ الزَّكاةَ وأَطِعْنَ اللهَ ورسولَه إنَّما يريدُ الله ليُذْهِبَ عنكم الرِّجسَ أَهْلَ البيت ويُطهِّرَكم تطهيرا﴾** الأحزاب: ٣٢ – ٣٣. قال ابن كثير في التفسير: وهذا نصٌّ في دخول أزواج النبيّ ﷺ في أَهْلِ البيت ههنا لأنهُنَّ سبب نزول هذه الآية ا–هـ. وهذا لا يعني أنَّ غيرهنَّ لا يدخل في أَهْل البيت، فقد دَلَّت السُّنَّة على أنَّ فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم هم أيضاً من أَهْل البيت. اللهم صلِّ على محمد النبيِّ الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين.

[٢] ارقبوا: أي احفظوه في أَهْل بيته فلا تؤذوهم في شيء.

ش: قال تعالى: ﴿**ومَنْ يُشاقِقِ الرسولَ مِنْ بعدِ ما تَبيَّنَ له الهُدى ويتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين نُوَلِّهِ ما تَولَّى ونُصْلِهِ جَهنَّمَ وساءتْ مصيراً**﴾[٢] النساء: ١١٥. فيجب على كُلِّ مسلم بعدَ موالاة اللهِ ورسولِه موالاة المؤمنين، كما نطَقَ به القرآنُ، خصوصاً الذين هم ورثةُ الأنبياءِ، الذين جَعَلَهُم اللهُ بمنزلَةِ النُّجومِ، يُهدَى بهم في ظلماتِ البَرِّ والبحرِ، فإنَّهم خلفاءُ الرسولِ من أُمَّتهِ، والمحيونَ لِما ماتَ من سنتهِ[٣].

---

[١] كانوا من قبل يَعْرِفون أَهْل البدع والأهواء، من كُرْهِهِم لعلماء السُّنَّة، فإنَّ بغض العلماء مؤداه إلى بغض علمهم وما هم عليه من الحق، ومَن كان هذا وضعه لا شكَّ أنَّه على غير السبيل، وأنَّ دينه على خطر.

[٢] في الآية دلالة على وجوب اتباع السَّلَف الصالح وعدم الخروج عما أجمعوا عليه، وهم الذين عاشوا في القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخيرية، بنص النبي ﷺ: "احفظوني في أصحابي، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ يفشوا الكذب" وقال: "خيرُ القرون قرني، ثمَّ الثاني، ثمَّ الثالث". لذا مَن أراد الخير فليطلبه في القرون الثلاثة الأولى، ولا يحيد.

[٣] قد جاء في فضل العلماء العاملين أحاديث عِدَّة، منها قوله ﷺ: "فضل العالم على العابِد، كفضلِ القمر ليلة البدرِ على سائر الكواكب".

وعن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إن العالِمَ ليستغفرُ له من في السماوات ومَن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثةُ الأنبياء، إن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلمَ، فمن أخذه أخذَ بحظٍ وافرٍ".

وقال رسول ﷺ: "فضلُ العالم على العابدِ كفضلي على أدناكم. إن اللهَ وملائكتَهُ وأهلَ السماوات والأرضِ حتى النملَةَ في جُحرها، وحتى الحوتَ، ليصلون على مُعلِّمي النَّاس الخيرَ".

هذا في العالم العامل الصادق، أما العالم الذي لا يعمل بما يعلم، أو يعمل بخلاف ما يعلم، فهذا علمه يكون وبالاً عليه، وهو ممن توقد بهم النَّار يوم القيامة.

وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق، فيقول: ما عملتَ فيما علمتَ؟

فلهم الفَضْلُ علينا والمنَّةُ بالسَّبقِ، وتبليغِ ما أُرْسِلَ به الرسولُ ﷺ إلينا، وإيضاحِ ما كان منه يَخْفى علينا، فَرضيَ الله عنهم وأرضاهم. ﴿**رَبَّنا اغْفِرْ لنا ولإخوانِنا الذين سَبقونا بالإيمانِ ولا تَجْعَلْ في قلوبِنا غِلاًّ للذينَ آمنوا ربنا إنكَ رَؤوفٌ رَّحيمٌ**﴾ الحشر: ١٠.

قولُه: "ولا نُفَضِّلُ أحَداً مِنَ الأولياءِ على أحَدٍ مِنَ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ، ونَقول: نبيٌ واحِدٌ أَفضَلُ مِنْ جميعِ الأَوْلياءِ".

ش:يشيرُ الشيخُ إلى الرَّدِّ على الاتِّحادية وجَهَلَةِ المتصوِّفة[١]، وكثير من هؤلاءِ يَظُنُّ أنَّه يَصِلُ برياسَتِهِ واجتهاده في العبادة، وتصفيةِ نفسِهِ، إلى ما وصلت إليه الأنبياءُ مِنْ غَيرِ اتِّباعٍ لطريقَتهم!

---

[١] وكذلك فيه رَدٌّ على الشيعة الرَّوافض، حيث يعتقدون أنَّ لأئمتهم مقاماً عند الله أَعلى من مقام الأنبياء والرسل، وأن أئمتهم أعلم من الأنبياء، وأنَّ لهم مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل!! كما جاء في كتابهم "أصول الكافي" للكليني، ١/٢٢٢: قال أبو جعفر عليه السلام: إنَّ الله عزّ وجلّ جمع لمحمد ﷺ سنن النبيين مِن آدَم وهلمَّ جَرَّاً إلى محمد ﷺ، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وإن رسولَ الله ﷺ صيَّر ذلك كله عند أَمير المؤمنين عليه السلام. فقال له رجلٌ: يا ابن رسول الله فأمير المؤمنينَ أعلم أَم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: اسمعوا ما يقول؟! إنَّ الله يفتح مسامعَ ما يشاء، إني حدثته أَنَّ اللهَ جمعَ لمحمدٍ ﷺ علم النبيين وأنَّه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين؟!

وقال أبو عبد الله عليه السلام (٤٠٢/١): إنَّ عندنا والله سِرَّاً من سرِّ الله، وعلماً من علم الله، والله ما يحتمله ملك مُقرَّب ولا نبيٌّ مرسل!!.

والكتاب مليء بمثل هذه النصوص الباطلة المكذوبة، يقول الخميني في كتابه "الحكومة الإسلامية"، ص٥٢: "وبموجب مالدنيا من الروايات والأحاديث فإنَّ الرسول الأعظم ﷺ والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلاَّ الله، وقد ورد عنهم (ع) -أي الأئمة- أنَّ لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل!! ومثل هذه المنزلة موجودة لفاطمة الزهراء عليها السلام"! وقال: "إنَّ من ضروريات مذهبنا أَنَّ لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبيٌ مرسل" ا-هـ.

ومنهم مَنْ يظن أَنَّه قد صار أَفضل من الأنبياءِ!! ومنهم من يقول: إنَّ الأنبياءَ والرسلَ إنما يأخذون العلْمَ بالله من مِشكاةِ خاتَمِ الأولياءِ!! ويدَّعي لنفسهِ أَنَّه خاتمُ الأولياءِ!!

كما قال ابن عربي[١]:

مقام النبوة في بَرزخٍ فُوَيْقَ الرَّسولِ ودونَ الوَلي!!

قال أبو عثمان النيسابوري: مَنْ أَمَّرَ السُّنَّة على نفسهِ قولاً وفِعلاً، نطقَ بالحِكمةِ، ومَن أَمَّرَ الهوى على نفسِهِ، نَطَقَ بالبدعَةِ.

قولُه: "ونؤمِنُ بما جاءَ مِن كراماتهم، وصَحَّ عن الثِّقاتِ مِنْ رواياتهم".

ش: المعجزةُ في اللُّغةِ تَعُمُّ كُلَّ خارِقٍ للعادةِ، وكذلك الكرامةُ في عُرْفِ أئمَّةِ أَهْلِ العلمِ المتقدمينَ، ولكن كثيرٌ مِنَ المتأخرين يُفَرِّقُون في اللَّفظِ بينهما، فيجعلونَ المعجزة للنبيِّ والكرامَةَ للولي، وجماعهما الأمرُ الخارِقُ للعادةِ.

-مَرَدُّ الإعجازِ إلى اللهِ وَحْدَه-

صِفاتُ الكمالِ ترجِعُ إلى ثلاثةٍ: العلمُ، والقدرةُ، والغنى، وهذه الثلاثةُ لا تَصْلُحُ على وَجْهِ الكمال إلاَّ لله وحدَهُ، فإنَّه الذي أَحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْماً، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، وهو غنيٌّ عن العالمين، ولهذا أمرَ النبيَّ ﷺ أنْ يبرأَ مِنْ دَعْوى هذه الثلاثة بقوله: **﴿قُلْ لا أقولُ لكم عِندي خزائنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكم إني مَلَكٌ إن أتَّبعُ إلاَّ ما يُوحى**

فتأمل الغلو والكفر!!

وفيمن يساوي بين النبي ﷺ وبين غيره من الناس، يقول الشيخ محمد ابن عبد الوهاب: من رفع رجلا في رتبة النبي ﷺ كَفَرَ وحلَّ مالُه ودمه، ولم تنفعه الشهادتان، ولا الصلاة ا-هـ. (مجموعة التوحيد، ٨٣).

قلت: إذا كان هذا حال وحُكم من يساوي أحداً من الرجال مع النبي ﷺ، فما يكون القول فيمن يرفع الرجال إلى رتبة تعلو رتبة النبي ﷺ، ويجعل له مقامات فوق مقام ودرجة النبي ﷺ.. لا شكَّ أنَّه أغلظ كفراً ونفاقاً.

[١] ابن عربي وأمثاله منافقون زنادِقة، اتحاديَّة، في الدَّركِ الأسفلِ من النار.

إِلَيَّ﴾ الأنعام: ٥٠. وإنَّما ينال من تِلكَ الثلاثةِ بقَدَرِ ما يُعْطيهِ اللهُ، فيعلم ما علَّمه اللهُ إيَّاه، ويقْدِرُ على ما أَقدَرَهُ عليه، ويستغني عما أغناه عنه مِنَ الأمورِ المخالفةِ للعادةِ المطَّرِدَةِ، أو لعادَةِ غالب الناسِ، فجميعُ المعجزاتِ والكراماتِ ما تَخرجُ عَنْ هذه الأنواع.

-الإستقامةُ أَعْظَمُ الكراماتِ[١]-

لم يُكْرِمْ اللهُ تعالى عبداً بكرامةٍ أعظمَ مِن موافَقتِه فيما يُحِبُّهُ ويَرضاه، وهو طاعته وطاعةُ رسولِه، ومُولاةُ أوليائه، ومُعاداةُ أَعدائه، وهؤلاء هم أَولياءُ الله[٢]الذين قال فيهم: **﴿ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هم يَحزنُونَ﴾** يونس: ٦٢.

-إذا صَحَّ الدينُ، حَصَلَت الكرامةُ-

---

[١] فإن مَن يستقيم على السُّنَّة، ويسلم بدينه، رغم أَنَّه يعيش في جوٍّ تسود فيه الفتن والمغريات، ويقل فيه الإخوان والأعوان على الخير، لا شكَّ أن استقامته هذه من أعظم الكرامات التي يمن الله بها عليه.

[٢] قد تقدم أن من الأخطاء الشائعة بين الناس، أنهم يعتبرون المهابيل والمجانين الذين ينامون على المزابل والشوارع أنهم أولياء ولهم كرامات!! وهذا كفر واستهانة بدين الله وأوليائه، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: "أولياء الله الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله". لِما يتحلون من صفات حميدة تُذَكِّر بالله ﷻ المتفضل عليهم بهذه الصفات. أمَّا أولئك المهابيل لا يُذَكِّرون الرَّائي إلاَّ بنعمة العقل، وما يستهجن ذكره.

وأيضاً فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إنَّ أولى النَّاس بي المتقون، مَن كانوا وحيث كانوا". وهؤلاء أنَّ لهم بتقوى الله، وقد رُفِعَ القلم عنهم بسبب جنونهم، كما في الحديث: "رُفِع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشبَّ، وعن المعتوه حتى يعقل". وإذا كان جنونه قبل أن يشبَّ ويبلغ الحلم، ثمَّ مات على جنونه، فمن كان هذا حاله، فعلى الغالب أنَّه يكون من أَهْل الأعذار الذين يُجرى لهم اختبار في عرصات يوم القيامة، حيث يؤمرون بدخول النَّار، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها سُحِبَ إليها..

إنَّ الدينَ إذا صَحَّ عِلماً وعملاً، فلا بدَّ أنْ يوجبَ خَرْق العادَةِ، إذا احتاجَ إلى ذلك صاحِبه، قال تعالى: ﴿**ومَنْ يَتَّقِ اللهَ يجعل له مَخْرَجاً، ويَرْزُقْهُ مِنْ حيثُ لا يحتسِبُ**﴾ الطلاق: ٢-٣. ﴿**إنْ تتَّقوا اللهَ يَجْعلْ لكم فُرْقاناً**﴾ الأنفال: ٢٩. ﴿**ولَوْ أَنَّهم فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بهِ لكانَ خيراً لَهُم وأَشدَّ تَثْبيتاً. وإذاً لآتيناهُم مِنْ لَّدُنَّا أجْراً عَظيماً. ولَهَديناهُمْ صِراطاً مستقيماً**﴾ النساء: ٦٦-٦٨. ﴿**ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيهم ولا هُمْ يَحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتَّقونَ. لهُم البُشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ يونس: ٦٢-٦٤.

وقال تعالى فيما يَروي عنه رسولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ عادى لي وَليّاً، فَقَد بارَزَني بالمحارَبةِ، وما تَقَرَّبَ إليَّ عَبدي بمثلِ ما افترَضْتُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ، حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذي يَسمَعُ بهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورجلَهُ التي يَمشي بها، ولَئِنْ سألَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنْ استعاذني، لأُعيذَنَّهُ، وما تردَّدْتُ في شيءٍ أَنا فاعِلُه تَرَدُّدِي في نَفْسِ عبدي المؤمِنِ، يكرهُ الموتَ، وأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ولا بُدَّ له منه"(١).

-أنواعُ الفِراسَةِ-

الفراسةُ ثلاثةُ أنواعٍ: **إيمانيّة**: وسَبَبُها نُورٌ يَقْذِفُه اللهُ في قَلْبِ عبده، وهذه الفِراسَةُ على حَسْبِ قُوَّةِ الإيمان، فمن كانَ أقوى إيماناً، فهو أحَدُّ فراسَةً، والفِراسَةُ مكاشَفَةُ النَّفْسِ ومُعايَنَةُ الغيبِ، وهي مِنْ مقامات الإيمان(٢).

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) كما قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لآيات للمتوسمين**﴾ الحجر: ٧٥. قال مجاهد في قوله ﴿**المتوسمين**﴾: أي المتفرسين.

وعن أبي سعيد مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله" ثمَّ قرأ النبي ﷺ: ﴿**إن في ذلك لآيات للمتوسمين**﴾. وقال ﷺ: "احذروا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وبتوفيق الله". وعن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: "إن لله عباداً يعرفون النَّاس بالتوسم". (عن تفسير ابن كثير).

وفراسةٌ ريَّاضية: وهي التي تحصل بالجوعِ والسَّهر والتخلِّي، وهذه فِراسَةٌ مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدُلُّ على إيمانٍ ولا على ولايَةٍ، وهي مِنْ جنسِ فِراسَةِ الولاةِ، وأصحابِ عبارَةِ الرُّؤيا ونحوهم.

وفراسةٌ خَلْقيَّةٌ: وهي التي صَنَّفَ فيها الأطباءُ وغيرُهم، واستدلُّوا بالخَلْقِ على الخُلُق، لِما بينهما مِنَ الارتباط.

قولُه: "ونؤمِنُ بأَشْراطِ السَّاعةِ: مِنْ خروجِ الدَّجالِ، ونزولِ عيسى ابنِ مَريمَ عليهِ السَّلامُ مِن السماءِ، ونؤمنُ بطلوعِ الشمس مِن مغربِها، وخروج دابَّة الأرضِ مِنْ موْضِعها".

ش: عن عَوفِ بن مالكٍ الأشْجَعيِّ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غَزوَةِ تَبوكٍ، وهو في قُبَّةٍ من أَدَمٍ[١]. فقال: "اعْدُدْ سِتّاً بينَ يدي السَّاعَةِ: موْتِي، ثمَّ فَتْحُ بيت المقدس، ثمَّ مُوْتانٌ[٢]يأخذُ فيكم كقُعاص[٣]الغنمِ، ثمَّ استِفاضَةُ المالِ حتَّى يُعْطى الرَّجلُ مِئَةَ دينارٍ فيَظلُّ ساخِطاً، ثمَّ فتنة لا يَبْقى بيتٌ مِنَ العربِ إلاَّ دَخَلَتْهُ، ثمَّ هُدنَةٌ تكونُ بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرونَ فيأتونَكُم تَحْتَ ثمانينَ غايَةً، تحت كلِّ غايةٍ اثنا عَشَرَ أَلفاً"[٤].

وعن حُذَيفةَ بن أَسيدٍ، قال: اطَّلعَ النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكرُ السَّاعة، فقال: "إنَّها لَنْ تقومَ حتى ترون قبلها عَشْرَ آياتٍ: الدُّخانُ[٥]، والدَّجالُ، والدَّابَّةُ، وطُلوعُ الشَّمسِ مِنْ مغربِها،

---

[١] الأدم: الجلد المدبوغ المنزوع عنه لحمه وشحمه.

[٢] بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت. وقال غيره الموت الكثير الوقوع. انظر "فتح الباري": ٣٢/٦.

[٣] القعص: أن يُضْرَب الإنسان فيموت مكانه. يُقال قعصْتُه وأقعصتُه إذا قَتَلْتَه سريعاً. وقعاص الغنم: داء يأخذ الغنم لا يُلبثُها أن تموت. "النهاية لابن كثير".

[٤] أخرجه البخاري.

[٥] عن أبي مالك الأشعري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة

ونُزول عيسى ابن مريمَ، ويأجوجُ ومأجوجُ، وثلاثةُ خُسوفٍ[1]: خَسْفٌ بالمشرقِ، وخَسْفٌ بالمغربِ، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، وآخِرُ ذلك نارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليمن تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم[2]" مسلم.

وعن ابن عمرَ قال: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، فقال: "إنَّ اللهَ لا يَخفَى عليكم، وإنَّ اللهَ ليسَ بأَعْوَرَ، وأشارَ بيدِهِ إلى عَيْنِهِ، وإنَّ المسيحَ الدَّجالَ أَعْورُ عَيْنِ اليُمْنى، كأنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافيةٌ[3]"[4].

وعن أنسِ بن مالِكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما مِنْ نبيٍّ إلاَّ أنذَرَ قَوْمَهُ الأَعْوَرَ الدَّجَّال، أَلا إنَّه أعْورُ، وإنَّ رَبَّكُم ليسَ بأَعْورَ، ومكتوبٌ بينَ عينيه كَ فَ رَ"[5]، فَسَّرَهُ في رواية: "أي: كافِر[6]".

الدجال". رواه الطبراني، قال ابن كثير: إسناده جيد. ومثل هذا قال عدد من الصحابة كعلي، وعبد الله بن عمر، وأبي سعيد الخدري وغيرهم. انظر تفسير ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماءُ بدخان مبين. يَغْشى النَّاسَ هذا عذابٌ أليم﴾** الدخان: ١٠-١١.

(١) خسَفَت الأرض، خَسْفاً وخُسُوفاً: غارت بما عليها. ويقال: خَسَفَ اللهُ الأرضَ: غيَّبهُم فيها. وفي التنزيل العزيز: **﴿فخَسَفْنا بهِ وبداره الأرضَ﴾**. (المعجم الوسيط).

(٢) والمحشر يكون يومئذٍ في الشام، كما في قوله ﷺ: "الشام أرض المحشر والمنشر". وعن معاوية القشيري قال: قلت يارسول الله أين تأمرني؟ فقال: "ها هنا" وأومأ بيده نحو الشام. قال: "إنكم محشورون رجالاً وركباناً وتُجُرَون على وجوهكم". أخرجه أحمد وغيره، وكلا الحديثين صَحَّحهما الشيخ ناصر في تحقيقة لأحاديث فضائل الشام للربعي، فانظره.

(٣) طافية: أي بارزةٌ.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

(٦) هذه الكلمة المكتوبة بين عينيه، يقرأها مَن يحسن القراءة ومن لا يقرأ من المسلمين، ولعل الحكمة من ذلك، حتى لا يخفى كفره على أحد، وحتى لا يختلف على كفره اثنان، وحتى لا

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيدهِ لَيُوشِكَنَّ أن يَنْزِلَ فيكم ابنُ مريمَ حكَماً عَدْلاً، فيكْسِرُ الصَّليبَ، يَقْتُلُ الخنزيرَ، ويضَعُ الجِزْيَةَ[1]، ويفيض المال حتى لا

ينبري وقتها مشايخ الإرجاء فيتأوَّلون كفره إلى الكفر العملي أو الكفر الأصغر، كما يفعلون ذلك -في زماننا- مع طواغيت لا يقل كفرهم عن كفر المسيح الدجال!!

وقد جاءت أحاديث صحيحة عدة في الدجال، منها ما رواه مسلم في كتاب الفتن، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "يخرج الدجال، فيتوجه قِبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح، مسالح الدجال فيقولون له أين تعمد؟ فيقول إلى هذا الذي خرج، قال فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول ما بربنا خفاء، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال. فإذا رآه المؤمن قال هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ، قال: فيأمر الدجال به فيشبح، فيقول: خذوه وشبحوه، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً، قال: فيقول أوما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب، قال: فيؤمر به فينشرُ بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال ثمَّ يمشي الدجال بين القطعتين ثمَّ يقول له: قم، فيستوي قائماً، قال: ثمَّ يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلاَّ بصيرة، قال: ثمَّ يقول: يا أيها النَّاس إنَّه لا يَفعل بعدي بأحد من الناس، قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب النَّاس إنما قذفه إلى النَّار وإنما أُلقي في الجنَّة، فقال رسول الله ﷺ: "هذا أعظم النَّاس شهادة عند رب العالمين".

قلت: والسُّنَّة لم تحدثنا سوى عن هذا الرجل المؤمن الذي يصدع بالحق في وجه الطاغية الدجال، وهذا مِمَّا يدل على عِظم فتنة الدجال، وحجم الخور والجبن الذي يصيب النَّاس يومذاك.

ونحن في زمن ما قبل الدجال نستسهل الحديث عن الدجال وفتنته وكفره، بينما نغض الطرف -رهبةً أو رغبة- عن دجاجلة طواغيت معاصرين لنا، لا يقلون كفراً وفجوراً عن المسيح الدجال..!!

[1] أي لا يقبل الجزية من الكفار، حيث أنهم يكونون بين خيارين لا ثالث لهما، إما أن يؤمنوا به وبالإسلام وإمَّا القتال، وحال أَهْل الكتاب ينتهي إلى إيمانهم جميعاً بعيسى عليه السلام، دَلَّ على ذلك

يقبله أحدٌ، حتَّى تكونَ السَّجْدَةُ خيْراً مِنَ الدنيا وما فيها"[1]. ثمَّ يقولُ أبو هريرة: اقرؤوا إنْ شِئْتُمْ: **﴿وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ به قبلَ موتهِ ويوم القيامَةِ يكونُ عليهم شَهيداً﴾** النساء: ١٥٩.

وأمَّا خروج الدابَّةِ وطلوعُ الشمسِ مِنَ المغْرِبِ، فقال تعالى: **﴿وإذا وقَعَ القولُ عليهم أَخْرَجنا لهم دَابَّةً مِنَ الأرضِ تُكلِّمُهم أَنَّ النَّاسَ كانوا بآياتِنا لا يوقنونَ﴾** النمل: ٨٢.

وقالَ تعالى: **﴿هل ينظرونَ إلاَّ أنْ تأْتيَهُم الملائكَةُ أو يأتيَ ربُّكَ أو يأتيَ بَعْضُ آياتِ ربِّكَ يومَ يأتي بَعْضُ آياتِ ربِّكَ لا ينْفَعُ نَفْساً إيمانُها لم تَكُن آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانِها خيراً قُلِ انتظروا إنَّا منتظرونَ﴾**[2] الأنعام: ١٥٨.

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقومُ السَّاعةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ مِنْ مغرِبِها، فإذا رآها النَّاسُ آمَنَ مَنْ عليها[3]، فذلك حينَ لا يَنفَعُ نفساً إيمانُها لم تكُنْ آمَنَتْ من قَبْلُ"[4].

وقال ﷺ: "إنَّ أوَّلَ الآياتِ خروجاً طُلُوعُ الشمسِ مِنْ مَغرِبِها، وخُروجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحَىً، وأَيهما ما كانتْ قبلَ صاحِبَتِها فالأُخرى على إثْرِها قريباً"[5]. أي: أوَّلُ الآياتِ التي ليسَت مَألوفَة.

قوله تعالى: **﴿وإنْ مِنْ أَهْلِ الكتابِ إلاَّ ليُؤمِنَنَّ به قبل موته﴾**. قال ابن حجر في "الفتح" ١٤٥/٥: وليس ذلك منه نسْخاً لشرع نبينا محمد ﷺ، بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره ا-هـ.

[1] متفق عليه.

[2] والمراد من الآيات في قوله: **﴿يومَ يأتي بعض آيات ربك﴾**، هي: طلوع الشمس من مغربها، ودابة الأرض. (انظر تفسير ابن كثير).

[3] أي مَن على الأرض من الناس.

[4] متفق عليه.

[5] رواه مسلم وغيره.

قولُـه: "ولا نُصَـدِّقُ كاهِنـاً ولا عَرَّافـاً، ولا مَـنْ يَـدَّعي شَـيئاً يُخـالِفُ الكِتـابَ والسُّنَّةَ وإجماعَ الأُمَّةِ".

ش: قـال رسـول اللـه ﷺ: "مَـنْ أَتـى عَرَّافـاً فَسَـأَلَهُ عَـنْ شـيءٍ، لَمْ تُقْبَـلْ لـه صـلاةُ أربعـينَ لَيلةً"[١].

وقال: "مَنْ أتى عَرَّافاً أو كاهناً، فصَدَّقَهُ بما يَقولُ، فقد كَفَرَ[٢]بما أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ"[٣]. فإذا كانت هذه حالَ السَّائلِ، فكيفَ بالمسؤولِ؟

-الكهانُ والمنَجِّمونَ لَيْسوا بشيءٍ-

عَنْ عائشـةَ، قالـت: سُـئِلَ رسـول اللـه ﷺ عـن الكُهَّـان؟ فقـال: "لَيْسـوا بشـيءٍ"، فقـالوا: يارسول اللهِ، إنَّهُم يُحدِّثونَ أحياناً بالشيءِ فيكون حقَّاً؟ فقالَ رسول الله ﷺ: "تلك الكَلمةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُها الجِنِّيُّ فيُقَرْقِرُها[٤]في أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ معها أَكثرَ مِنْ مائَةِ كَذْبَةٍ"[٥].

-كَسْبُ الكاهِنِ[٦]حَرَامٌ-

---

[١] صحيح، رواه مسلم وغيره.

[٢] يُراد بالكفر هنا الكفر الأصغر، أو الكفر دون كفر، للحديث المتقدم الذي ينصُّ على أنَّ من صدَّقَ عرافاً في شيء مِمَّا يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً، فلو كان كفراً أكبر لحبط عمله كله، وما قُبل منه لو صَلَّى الدَّهرَ كُلَّه، حتى يتوب.

[٣] صحيح، رواه أحمد.

[٤] أي: يُرَدِّدُها.

[٥] متفق عليه.

[٦] الكاهِنْ: هو الذي يتكهن ويُخبر عن أمورٍ غيبية، من غير طريق شرعي.

ولا شك أن من يدعي لنفسه خاصية علم الغيب أَنَّه كافر لادعائه خاصية من خصوصيات الله تعالى وحده.

قال تعالى: ﴿**وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلاَّ هو**﴾ الأنعام: ٥٩. وقال: ﴿**فقل إنما الغيب لله**﴾ يونس: ٢٠. وقال: ﴿**قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيبَ إلاَّ الله**﴾ النمل: ٦٥.

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "ثَمَنُ الكَلْبِ خَبيثٌ، ومَهْرُ البَغِيِّ خَبيثٌ، وحُلْوانُ الكاهِنِ خبيثٌ"(١).

ويدخلُ في هذا المعنى ما يُعطاهُ المنجّمُ، وصاحبُ الأَزلامِ التي يُستَقْسَمُ بها، مثل الخشبَةِ المكتوبة عليها "ا ب ج د"، والضَّارب بالحصى، والذي يخطُّ في الرَّملِ، وما يُعطاهُ هؤلاء حَرَامٌ، وقد حَكى الإجماعَ على تحريمه غيرُ واحدٍ مِنَ العلماء.

وعن عائِشةَ رضي الله عنها قالَتْ: كانَ لأبي بكر غُلامٌ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجه، فجاءَ يوماً بشيءٍ، فأكَلَ منه أبو بكرٍ، فقال له الغُلامُ: تَدْري مِمَّ هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كُنتُ تَكَهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهلية وما أُحْسِنُ الكِهانَةَ، إلاَّ أَنِّي خَدَعْتُه، فَلَقِيَني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أَكَلْتَ منه، فأدْخلَ أَبو بكرٍ يَدَهُ، فقاءَ كُلَّ شيءٍ في بَطْنِهِ"(٢).

–التنجيمُ وادِّعاء أَنَّ للنّجومِ أَثَراً!!–

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: الطواغيت كثيرة ورؤوسهم خمسة، منهم: الذي يدعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحدا**﴾ ا–هـ.

ومما يدخل في مسمى الكهانة والكاهن، ضارب الفنجان والكف، والرمل، وكذلك علم الأبراج والكواكب الذي تُصدَّر به الصحف، ووسائل الإعلام المرئية وغيرها، فكل ذلك من الطغيان والكهانة الذي يعتبر ضرب في الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله.

(١) صحيح، أخرجه مسلم. وقوله: "مهر البغي"، هو ما تأخذه الزّانية على الزنى. وقوله: "حلوان الكاهن"، هو ما يأخذه كأجرٍ على تكهنه وشعوذته. وهو حرام بالإجماع لما فيه من أخذ العوض على أمر باطل، والحلوان أيضاً الرشوة، وهو أيضاً أخذ الرجل مهر ابنته لنفسه. انظر "الفتح": ٤٩٨/٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه. وفي الحديث دلالة على شدة حرص الصحابة على الكسب والطعام الحلال.

صناعَةُ التنجيم -التي مضمونها الإحكامُ والتأثيرُ، وهو الاستدلالُ على الحوادِثِ الأرضية بالأحوال الفلكية، أو التمزيجُ بينَ القوى الفلكية والغوائل الأرضية-: صِناعةٌ مُحَرَّمَةٌ بالكتابِ والسُّنَّة.

قال تعالى: **﴿ولا يُفلِحُ الساحِرُ حيثُ أتى﴾** طه: ٦٩. **﴿ألَم تَرَ إلى الذين أُوتوا نَصيباً مِنَ الكِتابِ يُؤمنون بالجبت والطَّاغوتِ﴾** النساء: ٥١.

قال عمر بن الخطاب ﷺ وغيره الجِبتُ: السِّحْرُ.

وفي "الصحيحين" قال رسول الله ﷺ: "أتَدرونَ ماذا قالَ ربُّكُم اللَّيلَةَ"؟ قلنا: الله ورسولُه أَعلم، قال: "أَصبحَ مِنْ عبادي مؤمِنٌ بي وكافِرٌ بي، فمن قالَ: مُطِرْنا بفضلِ اللهِ ورحمتِه، فذلك مؤمنٌ بي، كافرٌ بالكوكَبِ، ومَنْ قالَ: مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا، فذلك كافِرٌ[1]بي، مؤمِنٌ بالكوكَبِ".

وقال: "أربَعٌ في أُمَّتي مِنْ أمر الجاهِلية، لا يتركونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأحسابِ، والطَّعْنُ في الأَنسَابِ، والاسْتِسقاءُ بالأَنواءِ، والنياحَةُ"[2].

-حُكْمُ الإسلامِ فيمن يَتعاطى السحر، وفيمن يَسْتعين ويستعيذ بغيرِ الله ﷻ-

جمهورُ العلماء يُوجِبونَ قَتْلَ السَّاحرِ، كما هو مذهبُ أَبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثورُ عن الصَّحابةِ، كعمر وابنه، وعثمان وغيرهم ﷺ. ثمَّ اختلفَ هؤلاء: هل يُستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسِّحرِ؟ أم يُقتل لِسَعيه في الأرض الفسادِ؟

---

(١) المراد بالكفر هنا كفر النعمة وليس الكفر الأكبر، بدليل قوله ﷺ: "أربع من أمتي من أمر الجاهلية" منها: "الاستسقاء بالأنواء". فلو كانوا كفاراً خارجين عن الملة، لما عَدَّهم النبي ﷺ من أمته. وقد صَحَّ عنه ﷺ أَنَّه قال: "أمتي كلها في الجنة". (صحيح الجامع الصغير: ٥٦٩٣). ويحتمل أن الكفر يُراد منه نوعي الكفر الأكبر والأصغر، بحسب اعتقاد المستسقي بالأنواء، والله تعالى أعلم.

(٢) صحيح، رواه مسلم وغيره.

قالت طائفةٌ: إنْ قَتَلَ بالسحر قُتِلَ، وإلاَّ عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قولِه وعملِه كفرٌ، وهذا هو المنقولُ عن الشافعي، وهو قولٌ في مذهب أحمد رحمهما الله[1].

---

[1] قال ابن تيمية في الفتاوى (٣٨٤/٢٩): أكثر العلماء على أن الساحر كافر يجب قتله، وقد ثبت قتل الساحر عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وحفصة بنت عمر، وعبد الله بن عمر، وجندب بن عبد الله. قال تعالى: ﴿**واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون النَّاس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحدٍ إلاَّ بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم**﴾ ا-هـ.

وقال القرطبي في التفسير (٤٣/٣، ٤٧-٤٨): قوله تعالى: ﴿**وما كفر سليمان**﴾، تبرئة من الله لسليمان، ولم يتقدم في الآية أن أحداً نسبه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولكن لما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر، ثمَّ قال: ﴿**ولكن الشياطين كفروا**﴾ فأثبت كفرهم بتعليم السحر.

وقال: فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يُستتاب ولا تقبل توبته، لأنه أمر يستسرُّ به كالزنديق، ولأن الله تعالى سمى السحر كفراً بقوله: ﴿**وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾، وهو قول أحمد بن حنبل، وأبي ثور، وإسحاق، والشافعي، وأبي حنيفة، وروي قتل الساحر عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وأبي موسى، وقيس بن سعد، وعن سبعة من التابعين.

وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلاَّ أن يقتل بسحره، ويقول: تعمدت القتل، وإن قال لم أتعمده لم يُقتل، وكانت فيه الدية كقتل الخطأ، وإن أضرَّ به أدب على قدر الضرر!.

قال ابن العربي: وهذا باطل من وجهين: **أحدهما**، أنَّه لم يعلم السحر، وحقيقته أنَّه كلام مؤلف يُعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه المقادير والكائنات.

واتَّفقوا كُلُّهم على أَنَّ ما كانَ مِنْ جنسِ دَعْوة الكواكبِ السَّبعةِ، أو غيرها أو خِطابِها، أو السُّجودِ لها، والتَّقَرُّبِ إليها بما يُناسبُها مِنَ اللباسِ والخواتم والبخُّورِ ونحو ذلك، فإنَّه كُفْرٌ، وهو مِنْ أَعْظَمِ أبوابِ الشركِ، يجبُ غَلقُه وسَدُّه.

واتَّفقوا كُلُّهم أيضاً على أَنَّ كُلَّ رُقْيَةٍ، أو قَسَمٍ فيه شِرْكٌ بالله، فإنَّه لا يجوز التكلم به، وإِن أَطاعَتهُ به الجِنُّ أو غيرهم، وكذلك كُلُّ كلامٍ فيه كفر لا يجوزُ التكلم به، وكذلك الكلامُ الذي لا يُعرَفُ معناهُ لا يُتكَلَّمُ به، لإمكانِ أَن يكونَ فيه شِركٌ لا يُعرَفُ. ولهذا قال النبي ﷺ: "لا بأسَ بالرُّقى ما لَمْ تَكُنْ شِرْكاً"(١).

ولا يجوزُ الاستعاذَةُ بالجنِّ، فقَدْ ذمَّ اللهُ الكافرين على ذلك، فقال تعالى: ﴿**وأَنَّه كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برجالٍ من الجنِّ فزادوهم رَهَقاً**﴾ الجن: ٦. قالوا: كان الإنسيُّ إذا نَزَلَ بالوادي يقول: أعوذُ بعظيمِ هذا الوادي مِنْ سُفَهائِه، فيبيتُ في أَمْنٍ وجوارٍ حتى يُصبح، ﴿**فزادوهم رَهَقاً**﴾ يعني: الإنسَ للجنِّ، باستعاذَتِهم بهم، رهقاً أي إثماً وطغياناً وجَرَاءَةً وشَرَّاً،

الثاني، أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر فقال: ﴿**وما كفر سليمان**﴾ بقول السحر، ﴿**ولكن الشياطين كفروا**﴾ به وبتعليمه. وهاروت وماروت يقولان: ﴿**إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾ وهذا تأكيد للبيان ا-هـ.

قلت: لا يتأتى السحر إلاَّ بالشرك والكفر، من استغاثة بشياطين الجن وتعظيمهم ورجائهم، وزعم التأثير بالأشياء، والإتيان بما يعتبر من خوارق العادة وغير ذلك، ومن فعل السحرة المعهود عليهم الاستهانة بكلام الله تعالى استرضاءً لشياطينهم، قال ابن تيمية فيهم في الفتاوى (٣٥/١٩): كثير من هذه الأمور يكتبون فيها كلام الله بالنجاسة -وقد يقلبون حروف كلام الله ﷻ- إما دم وإما غيره، وإما بغير نجاسة، أو يكتبون ما ترضاه غير ذلك بما يرضاه الشيطان، أو يتكلمون به بذلك، فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم ا-هـ. فأي كفر بعد هذا الكفر..

وقد عدَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب من جملة نواقض الإيمان التي تخرج صاحبها من الملة: السحر والعمل به. وقد تابعه على ذلك أبناؤه وأحفاده، وغيرهم من علماء التوحيد في الجزيرة العربية.

(١) رواه مسلم وغيره.

وذلك، أنهم قالوا: قَد سُدْنا الجنَّ والإنسَ! فالجنُّ تُعاظِمُ في أَنْفُسِها، وتزداد كُفراً إذا عاملتها الإنسُ بهذه المعاملة: **﴿ويومَ نَحْشُرُهُم جميعاً ثمَّ نقولُ للملائكةِ أَهؤلاءِ إياكُم كانوا يَعبدونَ. قالوا سُبحانَكَ أَنتَ وليُّنا مِنْ دونِهم بل كانوا يعبدون الجنَّ أكثرُهم بهم مؤمنونَ﴾** سبأ: ٤٠-٤١.

-فيمن يعتقِدُ في البُلْهِ الولايَةَ!!-

فَمَنِ اعتقدَ في بعضِ البُلْهِ -مع تركهِ لِمُتابَعَةِ الرَّسولِ في أقوالِه وأفعالِه وأَحوالِه - أَنَّه مِنْ أولياءِ اللهِ، ويُفَضِّلُه على متبعي طريقَةِ الرسولِ ﷺ، فهو ضالٌّ مُبتدعٌ[١]، مخطئٌ في اعتقاده، فإنَّ ذاكَ الأبْلَهُ، إمَّا أنْ يكونَ شيطاناً زنديقاً متحايلاً، أو مجنوناً مَعْذوراً، فكيفَ يُفَضَّلُ على مَنْ هو مِنْ أَولياءِ الله، المتبعينَ لرسوله؟! أو يُسَاوى به؟!

وأمَّا ما يقولُه بعضُ النَّاس عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: "اطَّلَعْتُ على الجنَّة فرأيتُ أكثرَ أَهْلِها البُلْهَ"[٢]، فهذا لا يَصِحُّ عن رسولِ اللهِ ﷺ، ولا ينبغي نِسْبَتُهُ إليه، وإنَّما قال النبيُّ ﷺ: "اطَّلَعْتُ في الجنَّةِ فرَأيتُ أكثَرَ أهلها الفقراءَ"[٣]. ولم يقُلِ البُلْهَ!.

---

[١] بل هو كافر خارج عن الملة، لما يتضمن اعتقاده هذا من ردٍّ صريح لنصوص الشريعة، والتكذيب بها..

[٢] ضعيف. وقد صحت أحاديث بخلافهِ، منها قوله ﷺ في "صحيح مسلم": "أهلُ النَّار خمسةٌ" منهم "الضعيفُ الذي لا زَبْرَ له، الذين هم فيكم تَبَعاً، لا يبغونَ أَهْلاً ولا مالاً". والذي لا زَبْرَ له هو الذي لا عقل له يَزْبُره ويمنعه عن المشين، فتراه لا يسعى في تحصيل ما ينفعه في دينه ودنياه، وهو لا يُبالي لشيءٍ، فالشرُّ والخيرُ عنده سواء!!

وفي هذا الحديث ردٌّ على من يعذرون عوام النَّاس وسفلتهم -الذين لا يكترثون لدنيا ولا دين- بالجهل لكونه من العوام، وأن الجهل لهم مانع من موانع التكفير، أو لحوق الوعيد بهم..!.

[٣] أخرجه مسلم وغيره. والمراد بالفقراء: فقراء المسلمين الموحدين، وإلاَّ فالفقر من دون التوحيد لا ينفع صاحبه في شيء.

قولُه: "ونرى الجماعةَ حقاً وصواباً، والفُرقَةَ زيغاً وعذاباً".

ش: قال تعالى: **﴿واعتصموا بحبلِ اللهِ[1]جميعاً ولا تفرَّقوا﴾** آل عمران: ١٠٣. **﴿ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعدِ ما جاءَهُم البيناتُ وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾** آل عمران: ١٠٥. **﴿إنَّ الذين فرَّقوا دينَهم وكانُوا شِيعاً لسْتَ منهم في شيءٍ إنما أمرهم إلى اللهِ ثمَّ ينبئُهم بما كانوا يفعلون﴾** الأنعام: ١٥٩. **﴿ولا يزالون مختلفين إلاَّ من رحِمَ ربُّكَ﴾** هود: ١١٨-١١٩. فجعل أَهْل الرحمة مُستثنينَ من الاختلاف.

وقد تقدمَ قولُه ﷺ: "إن أَهْلَ الكتابَيْنِ افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين مِلَّةً، وإن هذه الأُمَّةَ ستَفترِقُ على ثلاثٍ وسبعينَ مِلةً، يعني الأهواءَ، كُلُّها في النارِ إلاَّ واحدَةً، وهي

وقد صَحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إنَّ فقراءَ المؤمنين يدخلون الجنَّة قبل أغنيائهم بنصف يوم: خمسمائة عام" صحيح الجامع: (٧٩٧٦). فتأمل كيف نسبهم للإيمان والمؤمنين.

[1] الأمر بالاعتصام بحبل الله فيه ذكرى لدعاة الوحدة والاتحاد، الذين ينشدون الوحدة بين المسلمين ويطالبون بها بغض النظر عن الأسس والمبادئ والعقائد التي على أساسها يتم الاجتماع والاتحاد، المهم عندهم تحقيق الاتحاد ولو كان على حساب حبل الله ودينه، وهؤلاء -بسبب تجاهلهم لحبل الله المتين- إذا تحقق على أيديهم أي نوع اتحاد، فسرعان ما ينقلب اتحادهم واجتماعهم إلى نزاعات وفرقة هي أشد مِمَّا كانوا عليه قبل اتحادهم، وهي نتيجة متوقعة لكل من يبني بنيانه على غير الأسس والمبادئ التي تؤدي إلى تماسكه وقيامه. ولنا رسالة متواضعة بعنوان "تنبيه الدعاة المعاصرين إلى الأسس والمبادئ التي تعين على وحدة المسلمين"، ذكرنا فيها أهم الأسس والمبادئ التي لا يمكن تجاهلها عند القيام بأي عمل يستهدف جمع كلمة المسلمين، فلتُراجع.

الجماعة". وفي روايةٍ: قالوا: من هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي" فبيَّنَ أن عامة المختلفين هالكون إلاَّ أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعةِ، وأنَّ الاختلافَ واقعٌ لا محالةَ[1].

وعن النبي ﷺ، لما نزلَ قولُه تعالى: **﴿قل هو القادِرُ على أن يبعثَ عليكم عذاباً من فوقِكُم﴾** قال: "أعوذ بوجهكَ[2]" **﴿أو من تحت أرجلِكُم﴾** قال: "أعوذ بوجهكَ" **﴿أو يَلبِسَكُم شيعاً ويُذيقَ بعضَكُم بأسَ بعضٍ﴾** قال: "هاتانِ أهوَنُ"[3]. فدلَّ على أَنَّه لابدَّ أن يَلبِسَهُمْ شيَعَاً، ويُذيقَ بعضهم بَأسَ بعضٍ.

-وجوبُ رَدُّ النِّزاع إلى اللهِ ورسوله-

الأمور التي تتنازَعُ فيها الأمَّةُ، في الأصولِ والفروع، إذا لم تُردّ إلى اللهِ والرسولِ لم يتبيَّن فيها الحقُّ، بَلْ يَصيرُ فيها المتنازعونَ على غيرِ بينَةٍ مِنْ أَمْرِهم، فيقعُ بينهم الاختلافُ المذموم،

---

(1) كون هذا الاختلاف واقع لا محالة، فهو من وجه لا يستلزم الاستسلام له، أو عدم تغييره، أو عدم التخفيف من حدته ما أمكن. ومن وجه آخر فإن وقوعه لا يمنع لحوق الوعيد بمن يكون سبباً في وقوع الفرقة بين المسلمين.

(2) اعلم أنَّه لا يُستعاذ ولا يُسأل بوجه الله إلاَّ في الأمور العظيمة الهامة جداً، إجلالاً وإعظاماً وإكراماً لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث الذي يرويه أبو داود: "لا يُسأل بوجه الله إلاَّ الجنَّة".

قال الحافظ العراقي: وذكر الجنَّة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص، فلا يُسأل بوجهه في الأمور الدنيئة، بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً، كما يشير إليه استعاذة النبي ﷺ به ا-هـ.

(3) أخرجه البخاري. قالت: رغم تضافر الأدلة من الكتاب والسُّنَّة التي تحض على وجوب الاجتماع والاتحاد، ونبذ الفرقة والخلاف، فإنه ينبري من المسلمين من يقول: إن الإسلام يُقر بتعدد الأحزاب السياسية، بل ويأمر بها!!، وبعضهم من قيدها بقيد الإسلام، وبعضهم من تركها دعوة مفتوحة -لجميع الأحزاب على اختلاف عقائدها ومشاربها وانتماءاتها -من دون أي قيد أو شرط..!!.

ويبغي بَعضُهم على بعضٍ، إمَّا بالقولِ مثل تكفيرِه وتفسيقِه، وإمَّا بالفعلِ مثل حَبْسِه وضَرْبِه وقَتْلِه[1]!

-اختلافُ التنوّعِ لا يستدعي التنازع والشَّحناء-

اختلافُ التنوّعِ على وجوهٍ، منه ما يكونُ كُلُّ واحدٍ مِنَ القَوْلين أو الفعلين حَقَّاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلفَت فيها الصَّحابة ﷺ، حتى زَجَرَهُم النبي ﷺ، وقال: "كلاكُما مُحْسِنٌ"[2].

---

[1] عدم رد التنازع إلى الله والرسول؛ أي الكتاب والسُّنَّة، يترتب عليه المزالق والمخاطر التالية:

١- فقدان الحكَم والمرجعية التي يحتكم إليها النَّاس في منازعاتهم ومشاكلهم، والكفيلة بايجاد الحلول لجميع المنازعات الدينية والدنيوية، وهذا مؤداه إلى استمرار الفرقة والمنازعات من دون حلٍّ أو معالجة.

٢- عدم رد المنازعات إلى الله والرسول يستلزم بالضرورة ردها إلى الطاغوت، وهو كل حكم غير حكم الله ورسوله.. إذ لا بد للناس من حكَم.

٣- إن عدم رد التنازع إلى الله والرسول، يستلزم انتفاء الإيمان والخروج من الملة، كما قال تعالى: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مِمَّا قضيت ويُسلموا تسليماً﴾** النساء: ٦٥.

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** النساء: ٥٩.

قال ابن القيم في الأعلام (١/٥٠): جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء الآخر ا-هـ.

٤- عدم رد التنازع والخلافات إلى الله وإلى الرسول، يستلزم حصول الظلم والبغي، وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وضياع الحقوق.. وهذا هو المشاهَد في زمن غياب حكم الشريعة، وتحكيم شريعة الغاب بدلاً عنها.

[2] أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود.

ومثلُهُ اختلافُ الأنواعِ في صفةِ الأذانِ، والإقامةِ، والاستفتاحِ، ومَحلِّ سجود السَّهو، والتَّشهُّدِ، وصلاة الخَوفِ، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، ممَّا قَدْ شُرِعَ جَميعُهُ، وإنْ كانَ بَعْضُ أنواعِه أرْجَحُ أو أفْضَلَ.

ثمَّ تَجِدُ لِكثيرٍ مِنَ الأُمَّةِ في ذلك مِنَ الاختلافِ ما أَوجبَ اقتتالَ طوائفَ منهم على شَفْعِ الإقامةِ وإيتارها ونحو ذلك!! وهذا عينُ المحرَّمِ[١].

ومنه ما يكون كُلٌّ من القَوْلَين هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتانِ مُختلِفَتان. ثمَّ الجهلُ أو الظُّلمُ يحمِلُ على حَمْدِ إحْدى المقَالتين، وذَمِّ الأُخرى والاعتداءِ على قائِلِها!

بَلْ أَكثَرُ الاختلافِ الذي يَؤولُ إلى الأهواءِ بينَ الأُمَّةِ، هو من هذا النوعِ، وكذلك إلى سفكِ الدِّماء، واستباحةِ الأَموالِ والعداوَةِ والبغضاءِ، لأنَّ إحدى الطائفتينِ لا تَعْتَرِفُ للأخرى بما معها مِنَ الحقِّ، ولا تُنْصِفُها، بل تزيدُ على ما مع نَفْسِها مَنَ الحقِّ زياداتٍ مِنَ الباطلِ، والأُخرى كذلك. ولذلك جَعَلَ اللهُ مَصْدَرَهُ البغيَ، في قَوْله: ﴿**وما اختَلَفَ فيه إلاَّ الذينَ أوتوهُ مِنْ بعدِ ما جاءَتْهُمُ البيِّناتُ بَغْياً بَيْنَهم**﴾ والبغي مجاوزَةُ الحدِّ.

وقالَ رسول الله ﷺ: "ذَروني ما تَركْتكم، فإنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلكُم بكَثرَةِ سُؤالِهِم واختلافهم على أَنبيائهم، فإذا نهيتكُم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتُكُم بأمرٍ، فأْتوا منه ما استطعتُم"[٢]. فأمَرَهم بالإمساكِ عَمَّا لم يُؤْمَرُوا به، مُعَلِّلاً بأنَّ سَبَبَ هلاكِ الأوَّلينَ إنَّما كان كثرة السُّؤالِ ثمَّ الاختلافَ على الرُّسُلِ بالمعصية.

-ثناءُ الشَّارِع خيراً على المختلفينَ اختلافَ تنوُّعٍ، إذا لم يَحْصَلْ بَغْيٌ-

---

[١] لأن اجتماع الكلمة ووحدة الصف مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، لا يُهدر أو يُفَرَّطُ به من أجل اختلافات حول مسائل هي دونه في الأهمية، ولا أرى مقصداً يعلو مقصد الاجتماع ووحدة الصف سوى مقصد التوحيد غاية الغايات، فإن تعارض مقصد الاجتماع والوحدة مع مقصد التوحيد، قُدم مقصد التوحيد الذي لا يعلوه مقصد، ويهون في سبيله كل مقصد.

[٢] متفق عليه.

قال تعالى: ﴿**ما قَطعْتُم منْ لِينَةٍ**[١]**أو تركتموها قائِمةً على أُصولِها فبإذنِ الله**﴾[٢] الحشر: ٥. وقد كانوا اختلفوا في قَطْعِ الأشجارِ، فقَطَعَ قَوْمٌ، وتَرَكَ آخَرونَ.

وكما في إقرار النبي ﷺ يومَ بني قُرَيظَةَ لمن صلَّى العَصْرَ في وقتها، ولِمَن أَخَّرَها إلى أنْ وصلَ إلى بني قريظةَ[٣].

-اختلافُ التَّضادِّ لا يَمْنعُ مِنْ إنصافِ المخالِفين-

أمَّا اختلافُ التضادّ: فهو القَوْلانِ المتنافيان، إمَّا في الأصولِ وإمَّا في الفروعِ، والمصيبُ واحدٌ، والخطْبُ في هذا أشدُّ، لأنَّ القولين يتنافيان، لكن نَجِدُ كثيراً مِنْ هؤلاء قد يكونُ القوْلُ الباطلُ الذي معَ منازِعه فيه حقٌّ ما، أو معه دليلٌ يقتضي حَقَّاً ما، فَيَرُدُّ الحقَّ مَعَ الباطِلِ، حتى يَبقى هذا مُبطلاً في البَعْضِ، كما كانَ الأوَّلُ مبطلاً في الأَصلِ، وهذا يجري كثيراً لأَهْلِ السُّنَّةِ.

-في هذا الاختلاف، يُمْدَحُ فيه أَهْلُ الحَقِّ فقط-

قال تعالى: ﴿**ولو شاءَ الله ما اقْتَتَلَ الذينَ مِنْ بَعْدِهم مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ البيناتُ ولكن اختلَفوا فمِنْهُم مَّن آمَنَ ومِنْهُم مَنْ كَفَرَ**﴾ البقرة: ٢٥٣. وقال: ﴿**هذانِ خَصْمانِ اختصموا في رَبِّهِم فالَّذينَ كَفَروا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثيابٌ مِن نارٍ**﴾[٤]الحج: ١٩.

---

[١] قال ابن كثير: اللين نوع من التمر، وهو جيد. قال أَبو عبيد: وهو ما خالف العَجْوَة، والبرني مِنَ التمر، وقال ابن جرير: هو جميع النخل، ونقله عن مجاهد ا-هـ.

[٢] قال ابن عباس: أمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال المسلمون: قطعنا بَعْضاً وتركنا بَعْضاً فلنسألنَّ رسولَ الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا مِن وزر؟ فأنزل الله ﴿**ما قطعتم من لينَة**﴾. والآية نزلت في يهود بني النضير. انظر تفسير ابن كثير.

[٣] متفق عليه. أقول: مِنَ الأخطاء الشائعة بين النَّاس استشهادهم بهذا الحديث على جواز اختلاف التضاد!!

[٤] هذه الآية نزلت في الذين بارزوا يوم بَدْر علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، انظر تفسير ابن كثير.

-ذمُّ الاختلافِ في الكتابِ وضَرْبِ بَعْضِهِ ببَعْضٍ-

عن عمرو بن شُعيب، عَن أَبيه، عن جَدِّه، قال: خَرَجَ رسولُ الله ﷺ على أَصحابه ذاتَ يَومٍ وهم يختصمونَ في القَدَرِ، هذا يَنْزِعُ بآيةٍ وهذا يَنْزِعُ بآيةٍ، فكأنَّما فُقِئَ في وجههِ حَبُّ الرُّمان، فقال: "أبهذا أُمِرتُمْ؟ ما أُمِرْتُم به فاتَّبِعُوهُ، وما نُهيتم عَنْهُ فانتَهوا"[١].

وفي روايةٍ: "يا قومُ بهذا ضَلَّتِ الأممُ قَبْلَكُم، باختلافِهم على أَنبيائِهم وضَربِهِم الكتابَ بَعْضَهُ ببَعْضٍ، وإنَّ القرآنَ لم يَنْزِلْ لتَضربُوا بَعْضَهُ ببعضٍ، ولكن نَزَل القرآنُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضَاً، ما عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فاعملوا به، وما تشابَهَ، فآمِنُوا به".

وفي رواية: "فإنَّ الأُممَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنوا حَتَّى اختَلَفوا، وإنَّ المِراءَ في القُرآنِ كُفْرٌ"[٢].

وعن عبد اللهِ بن عمرو قال: هَجَّرْتُ[٣]إلى رسول الله ﷺ يوماً، فَسمعَ أصواتَ رجلينِ اختلَفا في آيَةٍ، فخَرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ يُعْرَفُ في وجههِ الغضَبُ، فقال: "إنَّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبلكم باختلافهِمْ في الكتاب"[٤].

وقال: "فما عرفتُمْ منه فاعملوا به، وما جَهلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إلى عالِمِه"[٥].

قولُه: "ودينُ اللهِ في الأرضِ والسَّماءِ واحدٌ، وهو دينُ الإسلامِ، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ﴾ آل عمران: ١٩. وقالَ تعالى: ﴿ورَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ ديناً﴾ المائدة: ٣. وهو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وبَيْنَ التَّشبيهِ والتَّعطيلِ، وبَيْنَ الجَبْرِ والقَدَر، وبَيْنَ الأَمْنِ والإياسِ".

---

[١] صحيح، وتقدم.

[٢] صحيح.

[٣] هَجَّرتُ: أي بَكَّرْتُ.

[٤] صحيح، أخرجه مسلم.

[٥] صحيح، رواه أحمد.

ش: ثَبَتَ عن النبي ﷺ أَنَّه قال: "إنَّا مَعَاشِرَ الأنبياءِ دينُنا واحِدٌ"[١]. وقولُه: تعالى: **﴿ومَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً فَلَن يُقْبَلَ مِنه﴾** آل عمران: ٨٥. عامٌّ في كلِّ زمانٍ، ولكنَّ الشَّرائعَ تتنَوَّع، كما قال تعالى: **﴿لِكُلٍّ جَعَلنا مِنكُم شِرْعَةً ومِنْهاجاً﴾** المائدة: ٤٨.

فدين الإسلامِ: هو ما شرعهُ اللهُ سبحانه وتعالى لِعبادِهِ على أَلْسنَةِ رُسُلِه، وهو ظاهِرٌ غايَةَ الظُّهورِ، يُمكِن كُلُّ مُميزٍ مِن صغير وكبير، وفصيحٍ وأَعجم، وذكيٍّ وبليد أَن يَدخُلَ فيه بأقصر زمانٍ[٢]، وإنه يقعُ الخروجُ منه بأسرعَ من ذلك، مِنْ إنكارِ كلمةٍ أو تكذيبٍ، أو معارَضَةٍ، أو كَذِبٍ على اللهِ، أو ارتيابٍ في قولِ اللهِ، أو رَدٍّ لِما أنزَلَ، أو شَكٍّ فيما نَفَى اللهُ عنهُ الشَّكَّ، أو غيرَ ذلك مِمَّا في مَعْناه[٣].

-الإسلامُ بينَ الغُلُوِّ والتَّقصير[٤]-

---

[١] متفق عليه.

[٢] يوجد فرق بين الشيء الذي يدخل المرء به الإسلام، وبين القرائن التي ترفع عن صاحبها السيف عند القتال لمظنة إسلامه، وبين الصفة التي ينبغي أن يحافظ عليها ليستمر له إسلامه، وقد تقدم تفصيل كل ذلك.

[٣] قد تقدمت الأدلة على كفر من يأتي بشيء من ذلك، عند الحديث عن أنواع الكفر وبواعثه وأسبابه، ما يغني عن إعادتها هنا، فانظرها.

[٤] قال ابن القيم في مدارج السالكين (١٠٢/٢): قال بعض السلف: ما أمر الله بأمرٍ إلاَّ وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان ا-هـ.

وقال ابن تيمية في الواسطية: فإن الفرقة الناجية أَهْل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أَهْل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم. وفي باب وعيد الله بين المرجئة

قالَ تعالى: ﴿**يا أَهْلَ الكتابِ لا تَغلُوا في دينكُم ولا تَقولوا على اللهِ إلاَّ الحقَّ**﴾ النساء: ١٧١. ﴿**قل يا أَهْل الكتابِ لا تغلوا في دينكم غيرَ الحقِّ**﴾ المائدة: ٧٧. ﴿**يا أيها الذينَ آمنوا لا تُحَرِّموا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لكم ولا تَعْتَدوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المعتدين. وكُلوا مِمَّا رزَقَكُم اللهُ حَلالاً طيباً واتَّقوا اللهَ الذي أنتم به مُؤمِنونَ**﴾ المائدة: ٨٧-٨٨.

وعَن عائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ ناساً مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ سَأَلُوا أزواج النبيِّ ﷺ عن عمله في السِّرِّ؟ فقالَ بَعْضُهم: لا آكلُ اللحمَ، وقالَ بَعْضُهم: لا أَتزوجُ النساءَ، وقال بعضهم: لا أنامُ على فِراشٍ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: "ما بالُ أَقْوامٍ يَقولُ أَحَدُهُم كَذا وكذا؟! لكني أصومُ وأُفطِرُ، وأنامُ وأَقومُ، وآكلُ اللحمَ، واتزوجُ النساء، فمن رغبَ عن سُنَّتي فَلَيسَ مِنّي"[١].

-الإسلام بينَ التَّشْبيهِ والتَّعطيلِ-

قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، نفي للتَّشبيهِ، ورَدٌّ على المُشَبِّهَةِ. ﴿**وهو السميعُ البصير**﴾، اثباتٌ، وَرَدٌّ على المعطِّلَة. وقد تقدمَ الكلامُ على هذا المعنى.

-الإسلامُ بين الجَبْرِ والقدَرِ-

أي أنَّ العَبْدَ غير مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأنَّها ليست بمنزلة حركات المرتعش وحَركات الأشجار بالرياح، وليسَت مخلوقَةً للعبد، بل هي فعلُ العَبْدِ وكسبه، وخَلْقُ الله تعالى. وقد تقدَّم الكلام عن هذا.

وقولُه: "**بين الأمْنِ والإياسِ**" أي يجب على العَبْدِ أن يكون حالُه بين الخَوْفِ والرَّجاءِ، وقد تقَدَّمَ.

والوعيدية من القدرية وغيرهم. وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج اـهـ.

[١] متفق عليه. وهذا السياق من حديث أنس، وليس مِن حديث عائِشة.

قولُه: "فهذا دِيننا واعتقادِنا ظاهِرَاً وباطناً، ونَحنُ بُرآءُ إلى الله تعالى مِنْ كُلِّ مَنْ خالَفَ الذي ذَكَرناهُ وبَيَّنَّاهُ[١]، ونسأل اللهَ تعالى أنْ يُثَبِّتَنا على الإيمانِ، ويَخْتِمَ لَنَا بهِ، ويَعْصِمَنا مِنَ الأَهواءِ المخْتَلِفةِ، والآراءِ المتَفرِّقَةِ، والمذاهبِ الرَّديَّةِ، مِثْلُ المشَبِّهَةِ، والمعتَزلةِ، والجهميةِ، والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّةِ، وغيرِهم، مِنَ الذينَ خالَفوا الجماعَةَ، وحالَفُوا الضَّلالَةَ، ونحنُ مِنْهُم بَراءٌ[٢]، وهم عندنا ضُلاَّلٌ وأَردِياءُ، وباللهِ العِصْمَةُ والتَّوفِيقُ".

ش: الإشارَةُ بقوله: "فهذا" إلى كُلِّ ما تَقَدَّم من أَوَّل الكتابِ إلى هنا.

-تعريف ببعض الفرق الضالَّة-

المُشَبِّهَةُ: هم الذين شَبَّهوا الخالِقَ بالمخلوقِ، كداود الجواربي وأشباهه.

المُعتزلة: نسبةً إلى عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، سُمُّوا بالمعتزلةِ لاعتزالِهِم مَجالِس المسلمين في المسجد. يقوم مذهبهم على خمسة أصول لَبَّسُوا فيها الحقَّ بالباطل:

---

[١] ولو قال: "ونحن برآء إلى الله تعالى من كلٍّ من خالف الحق الذي يرتضيه الله ورسوله" بدلاً من قوله: "**من خالف الذي ذكرناه وبيناه**" لكان أصوب وأدق، لما تقدم أن في بعض ما ذكره في باب الإيمان والكفر وغيره هو بخلاف الحق، وبخلاف ما كان عليه السلف..

[٢] من لوازم وشروط متابعة الحق التبرؤ من الباطل وأهله، إذ لا يجتمع متابعة الحق مع الرضى أو السكوت على ضده من الباطل، كما قال تعالى: ﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده**﴾ الممتحنة: ٤. وقال تعالى: ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مِمَّا تعبدون. إلاَّ الذي فطرني فإنه سيهدين**﴾ الزخرف: ٢٦، ٢٧. هذه هي الأسوة الحسنة التي أمرنا بالاقتداء بها، وهذه هي ملة إبراهيم التي لا يرغب عنها إلاَّ من سفه نفسه: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاَّ من سفه نفسه**﴾ البقرة: ١٣٠.

١- **العدْلُ**: ستَروا تحته نفي القَدَر، وقالوا: كيفَ يخلقُ اللهُ الشرَّ ثمَّ يُعذِّب عليه؟ فمن لوازِمِ العَدْلِ عِنْدَهم نفي خلق اللهِ للشَّرِّ!!

٢- **التوحيد**: ستروا تحته القولَ بخلق القرآن، إذْ لو كان غيْرَ مَخْلوقٍ، لَزَمَ تَعدُّدُ القدماء!!

٣- **الوعيد**: قالوا مَن وعَدَه اللهُ بالنار، فلا بُدَّ أن ينفذ فيه وعيدَه، فلا يَغفِرُ لمن يريدُ، ولا يعفو عَمَّن يشاءُ!!

٤- **المنزِلَةُ بين المنزلتين**: فعندهم أَنَّ مَن ارتكبَ كبيرَةً يَخرجُ من الإيمان، ولا يدخُلُ الكفرَ، وهو بينَ المنزلتين!!

٥- **الأمر بالمعروف**: وهو الدعوة إلى باطلهم ومعتقداتهم. والنهي عن المنكر، ضَمَّنوه الخروج على أئمة المسلمين بالقتال إذا جَاروا!!

وهم يُقدِّمونَ العَقْلَ على النَّقل، والكتاب والسُّنَّة عندهم بمنزلةِ الشُّهودِ الزائِدينَ علا النِّصابِ[1]!! وإذا استدَلُّوا بأدِلَّةٍ سَمعيَّةٍ، إنَّما يذكرونها للاعتضادِ بها[2]، لا للاعتماد عليها، ومنهم مَنْ يَذْكُرُهَا ليبيِّن مُوافقَةَ السَّمعِ للعقْلِ، ولإيناسِ الناسِ بها..!!

الجهميَّة: نسبَةً إلى جهْمِ بنِ صفوان، أظهرَ نفيَ الصِّفات والتعطيل. وقال بنفي الجنَّة والنار، وأنَّ الإيمانَ هو المعرفةُ فقط، والكفر هو الجهلُ فقط، وأنه لا فِعْلَ لأحدٍ في الحقيقة إلاَّ لله وحده، وأنَّ النَّاس إنما تُنْسَبُ إليهم أَفعالُهم على سبيل المجاز!!

الجبرية: أَصْل قولِهم من جهم بن صفوان، وقالوا: إنَّ العَبْدَ مُسَيَّرٌ، وفعله بمنزلةِ طُولِه ولونِهِ، وهم عكسُ القدريَّة نُفاةُ القدر. فالجبرية غالوا في إثبات القدر، والقَدَريَّةُ غالُوا في نفي القدر!!

وقد تقدَّمَ الردُّ على مبادئ هذه الفِرقِ الضالَّةِ كُلِّها.

-سَبَبُ الضَّلالِ العُدولُ عَن صِراطِ الله المستقيم-

---

[1] أي النصاب الذي تقوم به الحجة عندهم هو العقل، وما زاد عنه -من أدلة النقل- يكون زيادة عن المطلوب، وإن ذكر منها شيء فهي تذكر للاستئناس لا للاعتماد..!!.

[2] أي للاستشهاد بها على مذهبهم..

سببُ ضلالِ هذه الفِرقِ وأَمثالهم، عُدولهم عن الصِّراطِ المستقيمِ، الذي أمرَنا اللهُ باتِّباعِه، فقال تعالى: **﴿وأنَّ هذا صِراطي مُستقيماً فاتَّبِعوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سبيلِهِ﴾** الأنعام: ١٥٣. وقال تعالى: **﴿قُلْ هذهِ سبيلي أَدْعو إِلى اللهِ على بصيرَةٍ أَنا ومَن اتَّبعني﴾** يوسف: ١٠٨.

وقال ابن مسعود ﷺ: خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خَطّاً، وقال: "هذا سبيلُ اللهِ"، ثمَّ خطَّ خطُوطاً عن يمينه وعن يَسارِهِ، وقال: "هذه سُبُلٌ، على كُلِّ سبيل شيطانٌ يَدْعوا إليه، ثمَّ قَرأ: **﴿وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بِكُم عن سبيلِهِ ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتَّقون﴾**"[1].

لهذا شرعَ الله تعالى في الصلاة قِراءَةَ أُمّ القُرآن في كُلِّ ركعةٍ، المشتملة على أَشرَفِ المطالبِ وأجلِّها، فقد أمَرَنا اللهُ تعالى أن نقول: **﴿اهدنا الصراط المستقيمَ. صِراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرَ المغضوبِ عليهم ولا الضالين﴾** [2]. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال:

---

[1] صحيح، رواه الحاكم وغيره.

[2] قال ابن جرير في التفسير: (٦/٢): إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أَهْل غلوّ فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أَهْل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أَهْل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها ا-هـ.

وفي معنى الاستقامة:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب.

وقال الحسن: استقاموا على أمر الله، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معاصيه.

وقال ابن تيمية: استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنةً ولا يسرة.

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٢/١٠٤-١٠٥): فالاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد. والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: **وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله**.

"اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالُّون"(١).

سبحان ربِّك رَبِّ العِزَّة عما يَصِفُون. وسلامٌ على المرسَلِينَ. والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ(٢)

وصلَّى الله على محمدٍ النبي الأُمي، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبها

عبد المنعم مصطفى عبد القادر حليمة

أَبو بصير الطرطوسي

عفا الله عنه وعن أَهْلِ بيته ووالديه بمَنِّهِ ورحمته

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة ا-هـ.

وقال ابن كثير في التفسير (١/٢٩): اختلفت عبارات المفسرين من السَّلَف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، **وهو المتابعة لله ولرسوله** ا-هـ.

(١) صحيح، رواه الترمذي وغيره.

(٢) **انتهيت من تهذيبه والتعليق عليه -بفضل الله تعالى ومِنَّته- صبيحة يومِ الجمعةِ، في التاسِعِ عشرَ من شهر رمضان المبارك، لِسَنَةِ ١٤١٣ من هجرة النبي المصطفى ﷺ. الموافق للثاني عشرَ من آذار، لِسَنَةِ ١٩٩٣ ميلادي.**

وقد انتهيت من مراجعته، وإجراء بعض التعديلات عليه -حذفاً وإضافةً- قبل إحالته للطبع عصرَ يومِ الخميس، في الثالثِ من شهر ذي الحجة، لِسَنَةِ ١٤١٧ من هجرة النبي المصطفى ﷺ.

راجياً من الله تعالى القبولَ، إنَّه سميعٌ قريب مجيب.

. هذا ملحقٌ يتضمن ذكر بعض الأسئلة التي تمكن طالب العلم أو القارئ من تقييم نفسه، ومعرفة مدى استيعابه وفَهمه لمادة الكتاب، كما وتساعد مدرس المادة في تحديد الأسئلة عند إجراء الاختبارات للطلاب..

وتسهيلاً على الطالب في الرجوع إِلى الجواب، نشير بجانب كل سؤال إِلى الصفحة التي يكمن فيها الجواب.

السؤال: ماهو أشرفُ العلومِ وأقدسها؟ ولماذا؟

الجواب: "١٢".

س٢: لماذا أرسل اللهُ الرسلَ؟

الجواب: "١٢، ١٣".

س٣: مَن أعرفُ الناسِ بالله ﷻ؟

الجواب: "١٣".

س٤: لماذا سمى اللهُ ما أنزل على رسوله روحاً؟ واذكر دليلاً على ذلك.

الجواب: "١٣".

س٥: ما هي العِلَّةُ في عدم انتفاع غير المؤمنين بآيات الله ﷻ؟

الجواب: "١٤".

س٦: هل يجب على العامة ما يجب على الخاصة، ولماذا؟

الجواب: "١٤".

س٧: تتفاوت الواجبات بحسب تفاوت القدرات، وضح ذلك.

الجواب: "١٤، ١٥".

س٨: ما هو سبب ضلال الناس عن الحقِّ والهدى؟ واذكر دليلاً على ذلك.

الجواب: "١٥".

س٩: لصحة العمل شروط، اذكرها مع الدليل.

الجواب: "١٥".

س١٠: لماذا سمى أَهْل البدع والأهواء تحريفهم تأويلاً؟

الجواب: "١٦".

س١١: اذكر مذاهب الناس في التأويل، مع الإشارة إلى المذهب الحق منها.

الجواب: "١٦، ١٧".

س١٢: متى يكون الإنحراف والتحريف، كفراً ومتى يكون فسقاً وخطأ؟

الجواب: "١٧".

س١٣: انقطعت بالنبي ﷺ حجة العباد على الله، وضح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٧، ١٨".

س١٤: يقول بعض المتملكة والمتأمِّرة: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، وضح مرادهم مع ذكر الرد عليهم. **الجواب: "١٨، ١٩".**

س١٥: ما معنى الأمة الوسط في قوله تعالى:)**وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً**(؟

الجواب: "٢٠، ٢١".

س١٦: قال أبو يوسف -رحمه الله- لبشر المريسي: "العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلمُ"، وضح ذلك. **الجواب: "٢١، ٢٢".**

س١٧: ما معنى الزنديق، وما حكمه، وهل تُقبل له توبة؟

الجواب: "٢١".

س١٨: ما هو حكم الإمام الشافعي -رحمه الله- في أَهْل الكلام؟

الجواب: "٢٢".

س١٩: نبينا ﷺ أوتي "جوامع الكلم"، ما المراد من ذلك؟

الجواب: "٢٢".

س٢٠: ناقش المقولة التالية: "الخلف أحكم وأعلم من السلف".

الجواب: "٢٣".

س٢١: التوحيدُ دعوة جميع الرسل، اذكر الأدلة على ذلك.

الجواب: "٢٤، ٢٥".

س٢٢: أول ما يجب على المسلم تعلمه، والعمل به، التوحيد. وضح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٢٤".

س٢٣: ما معنى الطاغوت؟ وما هي الأشياء التي تأخذ معناه؟

الجواب: "٢٥، ٢٦".

س٢٤: اذكر تعريف ابن القيم –رحمه الله– للطاغوت.

الجواب: "٢٥".

س٢٥: بما يصير المرء مسلماً؟

الجواب: "٢٦، ٢٧".

س٢٦: التوحيد أول واجب وآخر واجب، وضح ذلك.

الجواب: "٢٧".

س٢٧: عدد أنواع التوحيد.

الجواب: "٢٧".

س٢٨: هل كان المشركون يقرون ويأتون بجميع معاني الربوبية؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٢٨، ٢٩".

س٢٩: ما معنى توحيد الإلهية؟

الجواب: "٢٨".

س٣٠: أصل الشرك عند العرب وغيرهم يكمن في الغلو في تعظيم الصالحين والأولياء. وضح ذاك، مع موقف الإسلام من هذا الغلو والشرك.

الجواب: "٢٩، ٣٠".

س٣١: كيف صار العرب إلى عبادة الأصنام؟

الجواب: "٣٠".

س٣٢: اذكر الأدلة على وجوب طمس التماثيل، وتسوية القبور، وبين الحكمة من ذلك.

الجواب: "٣٠".

س٣٣: ما معنى "الفطرة" التي فطر اللهُ الناسَ عليها؟

الجواب: "٣١".

س٣٤: توحيد الربوبية مستلزمٌ لتوحيد الألوهية ودليلٌ عليه، وضح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٢، ٣٣، ٣٤".

س٣٥: تمانع أن يكون للكون صانعان متكافئان، دليل على تمانع أن يكون للكون إلهان معبودان بحق أو أكثر، وضح ذلك.

الجواب: "٣٤".

س٣٦: توحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية، وضح ذلك.

الجواب: "٣٥".

س٣٧: فسر الآية الكريمة:)**قل لو كان معه، ءالهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرشِ سبيلاً**(الإسراء: ٤٢.

الجواب: "٣٥".

س٣٨: التوحيد الذي دعت إليه الرسل نوعان، اذكرهما مع ذكر الدليل على كلٍّ منهما.

الجواب: "٣٥، ٣٦".

س٣٩: ما معنى توحيد الطلب والقصد؟

الجواب: "٣٦".

س٤٠: اذكر بعض الأعمال التي تعتبر شرطاً لصحة الإيمان، وبعض الأعمال التي تعتبر من مكملات الإيمان. **الجواب: "٣٦"**.

س٤١: اذكر نوع التوحيد الذي يكمن في قوله تعالى:)**الحمد لله رب العالمين**(.

الجواب: "٣٧".

س٤٢: اذكر عبارات السلف في معنى الشهادة الواردة في قوله تعالى:)**شهد الله أنه لا إله إلا هو**(آل عمران: ١٨. **الجواب: "٣٨، ٣٩"**.

س٤٣: شهادة الله ﷻ بتوحيده تكون بالقول والفعل، وضح ذلك.

الجواب: "٣٩".

س٤٤: ما معنى شهادة التوحيد لا إله إلا الله؟

الجواب: "٣٩".

س٤٥: وضح معنى العبادة، والأشياء التي تدخل في مسماها.

الجواب: "٤٠".

س٤٦: ما حق الله على العباد؟ مع ذكر الدليل.

الجواب: "٤٠، ٤١".

س٤٧: بين الله التوحيد، بطرق السمع والبصر والعقل، اشرح ذلك.

الجواب: "٤١، ٤٢".

س٤٨: إلى من تنتسب "الجهمية"؟ واذكر قولها في الإيمان والكفر.

الجواب: "٤١".

س٤٩: اذكر نسبة المعتزلة، وأبرز أقوالهم ومعتقداتهم.

الجواب: "٤١، ٤٢".

س٥٠: هل يتعارض العقل مع النقل؟ وفي حال افتراض التعارض كيف يكون التوفيق؟

الجواب: "٤٢، ٤٣".

س٥١: ما من نبي إلاَّ ومعه آية تدلُّ على صدق نبوته، ما الحكمة من ذلك؟

الجواب: "٤٣، ٤٤".

س٥٢: إقامة الحجة على الجاهل تتعلق بثلاثة ضوابط، اذكر هذه الضوابط الثلاثة.

الجواب: " ٤٣".

س٥٣: كيف تكون صفة البراءة من المشركين..؟

الجواب: "٤٤".

س٥٤: كيف كانت آية هود لقومه؟ مع ذكر الدليل.

الجواب: "٤٤، ٤٥".

س٥٥: من أسماء الله تعالى: المؤمن، والشهيد. اشرحهما وبين دلالتهما على صدق الأنبياء والرسل. **الجواب: "٤٥، ٤٦".**

س٥٦: أسماء الله الحسنى تدل على الوحدانية، وبطلان الشرك. اشرح ذلك مع ذكر الأدلة. **الجواب: "٤٦، ٤٧، ٤٨".**

س٥٧: من هم أكمل الناس إيماناً وتوحيداً، ولماذا؟

الجواب: "٤٨، ٤٩".

س٥٨: ما الفرق بين النبي والرسول؟

الجواب: "٤٨".

س٥٩: كان ﷺ يعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: "أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمةِ الإخلاص، ودينِ نبينا محمدٍ ﷺ، ومِلَّةِ أبينا إبراهيمَ حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين". اشرح الحديث، ووضح معاني كلماته.

الجواب: "٤٩، ٥٠".

س٦٠: فسِّر العبارة التالية: "ولا شيء مِثلُه".

الجواب: "٥٠".

س٦١: تسمية المخلوق ووصفه ببعض أسماء الخالق وصفاته سبحانه وتعالى، هل يستلزم التشبيه، وهل يستدعي نفي صفات الخالق بدعوى نفي التشبيه؟ أجب مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٥١، ٥٢، ٥٣".

س٦٢: النفي في صفات الله ﷻ يأتي لثبوت كمال ضده. وضح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٥٣، ٥٤".

س٦٣: منهج السلف الإثبات المفصل للصفات، والنفي المجمل. اشرح ذلك.

الجواب: "٥٤، ٥٥".

س٦٤: لشهادة التوحيد شروط لا يصح التوحيد إلاَّ بها، اذكر هذه الشروط، واذكر على كل شرطٍ منها دليلاً من الكتاب أو السُّنَّة.

الجواب: "٥٦ إلى ٦٣".

س٦٥: هل اسم "القديم" من أسماء الله الحسنى؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٦٣، ٦٤".

س٦٦: إرادة الله: إرادة قدريَّة كونية خلقيَّة، وإرادة دينية أمرية شرعية. اشرح ذلك، مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٦٥، ٦٦".

س٦٧: ما هي الغاية من الإيمان بعقيدة القضاء والقدر؟

الجواب: "٦٧".

س٦٨: قول الماتن: "ولا يشبههُ الأنامُ"، فيه رد على التشبيهين: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق. وضح ذلك.

الجواب: "٦٨".

س٦٩: ما حكم من شبه الخالق بالمخلوق؟ وهل إثبات الصفات يعني التشبيه أو يستلزمه؟

الجواب: "٦٩، ٧٠".

س٧٠: من صفاته تعالى أنه: "حيٌّ لا يموت، قيومٌ لا ينام"، اشرح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٧٠، ٧١".

س٧١: اذكر دليلاً واحداً يبين عظمة وفضل هذين الإسمين: "الحيُّ، القيوم".

الجواب: "٧١، ٧٢".

س٧٢: فسر قوله تعالى:)**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**(.

الجواب: "٧٢".

س٧٣: فسر قوله تعالى:)**وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون**(، مع بيان معنى العبادة. **الجواب: "٧٢، ٧٣".**

س٧٤: هل الصفة زائدة على الذات، أم أنها عين الذات؟

الجواب: "٧٥، ٧٦".

س٧٥: ما هو الفارق: بين الصفات غير الذات، وبين صفات الله غير الله؟

الجواب: "٧٦، ٧٧".

س٧٦: اشرح قول الماتن: "ليس منذ خلق الخلق استفادَ اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفادَ اسم الباري". **الجواب: "٧٨، ٧٩".**

س٧٧: اشرح قول الماتن: "له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق".

الجواب: "٨٠".

س٧٨: تفسيرات السلف لقوله تعالى:)**ولله المثلُ الأعلى**(تدور على عدة معاني، اذكر ثلاثة منها. **الجواب: "٨٢".**

س٧٩: هل لصلة الرحم أثر في زيادة العمر؟ أجب مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٨٤، ٨٥".

س٨٠: هل للدعاء أثر في زيادة العمر ونقصانه؟

الجواب: "٨٥، ٨٦".

س٨١: ما هي الغاية التي لأجلها خُلِقَ الإنسان؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٨٧، ٨٨".

س٨٢: أجب بشيء من التفصيل وذكر الأدلة على من يحتج بالقدر على ممارسة الكفر والمعاصي. **الجواب: "٨٨، ٨٩".**

س٨٣: القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعايب. وضح ذلك.

الجواب: "٨٩، ٩٠".

س٨٤: من صفاته تعالى: "أنه متعالٍ عن الأضداد والأنداد". اشرح ذلك، وبين معنى الضدِّ والندِّ. **الجواب: "٩١، ٩٢".**

س٨٥: فسر قوله تعالى:)**والله يحكم لا معقب لحكمه**(الرعد: ٤١.

الجواب: "٩٢، ٩٣".

س٨٦: كمال المخلوق في كمال عبوديته لله ﷻ، اشرح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٩٣، ٩٤".

س٨٧: صدق الأنبياء دليل على صدق نبوتهم، وضح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٩٤، ٩٥".

س٨٨: يُعلم صدق الرسل من وجوهٍ متعددة، اذكر ثلاثة منها.

الجواب: "٩٦، ٩٧".

س٨٩: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الربِّ تبارك وتعالى. كيف يكون ذلك؟

الجواب: "٩٧، ٩٨".

س٩٠: ما هو الفرق بين النبي والرسول؟

الجواب: "٩٨".

س٩١: اذكر آيةً وحديثاً يدلان على أن النبيَّ ﷺ هو خاتم الأنبياء، وأن لا نبي بعده.

الجواب: "٩٨، ٩٩".

س٩٢: الاتباع والانقياد الظاهر والباطن، وحب الله ورسوله، كلٌّ منهما لازم للآخر، وانتفاء أحدهما لازم لانتفاء الآخر. اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٩٩، ١٠٠".

س٩٣: كيف توفق بين كون النبي ﷺ سيد ولد آدم، وبين النهي عن التفاضل بين الأنبياء؟ **الجواب: "١٠١، ١٠٢".**

س٩٤: اذكر دليلاً يبين أن النبي ﷺ خليل الله، ثم وضح معنى الخلة.

الجواب: "١٠٢، ١٠٣".

س٩٥: الخلة خاصة بإبراهيم ونبينا محمدٍ صلوات الله عليهما، أما المحبة فهي عامة لجميع المؤمنين. وضح ذلك، مع ذكر الأدلة.

الجواب: "١٠٣، ١٠٤".

س٩٦: خلة النبي ﷺ لنا ممتنعة، وخِلتنا له ثابتة. وضح ذلك.

الجواب: "١٠٣، ١٠٤".

س٩٧: هل يجوز أن يُوصَف العبد بالعشق في محبته لربه، ولماذا؟

الجواب: "١٠٤".

س٩٨: ما حكم من يدعي النبوة بعد النبي ﷺ؟

الجواب: "١٠٤، ١٠٥".

س٩٩: اذكر بعض ضلالات القاديانية.

الجواب: "١٠٥".

س١٠٠: هل بعث النبي ﷺ للجن والإنس، أم للإنس دون الجن؟ أجب مع ذكر الدليل. **الجواب: "١٠٥، ١٠٦".**

س١٠١: اذكر الدليل الذي يبين أن النبي ﷺ أُرسل لجميع الناس، على اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، وأجناسهم. **الجواب: "١٠٦".**

س١٠٢: اذكر بعضاً من الأدلة التي تبين أن القرآن كلام الله تعالى.

الجواب: "١٠٧، ١٠٨".

س١٠٣: ما حكم من يجحد صفة الكلام لله تعالى، ويقول: أن القرآن مخلوق؟

الجواب: "١٠٨، ١٠٩، ١١٢".

س١٠٤: إضافة الأعيان إلى اللهِ تعالى غير إضافة المعاني. وضح ذلك.

الجواب: "١٠٩".

س١٠٥: اذكر الدليل الذي يبين أن التكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص والعجز. **الجواب: "١٠٩".**

س١٠٦: كيف توفق بين أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وبين قوله تعالى:)**إنه لقولُ رسولٍ كريم**(؟ **الجواب: "١١٠، ١١١".**

س١٠٧: وضح المراد من قول الماتن: "ولا يشبه قول البشر".

الجواب: "١١١، ١١٢".

س١٠٨: ما حكم من يصف الله بشيء من صفات البشر أو العكس؟

الجواب: "١١٢، ١١٣".

س١٠٩: اذكر دليلاً من الكتاب والسُّنَّة، يبين أن رؤية أَهْل الجنة لربهم يوم القيامة حقٌّ.

الجواب: "١١٣، ١١٤".

س١١٠: اذكر مذاهب الناس في التأويل.

الجواب: "١١٣، ١٣٣، ١٣٤".

س١١١: ما المراد من قوله تعالى:)**لا تدركه الأبصار**(، وهل هذا النفي يستلزم نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة؟ **الجواب: "١١٥، ١١٦".**

س١١٢: هل رأى النبيُّ ﷺ ربه؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "١١٦، ١١٧، ١١٨".

س١١٣: متى يكون التأويل صحيحاً، ومتى يكون فاسداً؟

الجواب: "١١٨، ١١٩".

س١١٤: متى يُصرف الكفر عن ظاهره المكفر إلى الكفر الأصغر، أو الكفر دون الكفر؟ **الجواب: "١١٩".**

س١١٥: من لوازم وشروط الإيمان الانقياد والتسليم لأمر النبي ﷺ من دون معارضة أو تعقيب. اشرح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "١١٩ إلى ١٢٣".

س١١٦: اتباع الهوى منه ما يكون كفراً، ومنه ما يكون معصية دون الكفر، اشرح ذلك مع ذكر الأدلة. **الجواب: "١٢٤، ١٢٥".**

س١١٧: أصل فساد العالَم من ثلاث فِرَق، اذكرها مع التعليل.

الجواب: "١٢٥، ١٢٦".

س١١٨: متى تكون طاعة النبي ﷺ واجبة، ومتى تكون شرطاً لصحة الإيمان، ومتى تكون مندوبة؟ **الجواب: "١٢٧".**

س١١٩: اذكر تفسير ابن القيم لقوله تعالى:)**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم**..(الآية. **الجواب: "١٢٧".**

س١٢٠: صف حال من يعدل عن الكتاب والسُّنَّة إلى علم الكلام.

الجواب: "١٢٨، ١٢٩".

س١٢١: ما المراد من تمني بعض علماء الكلام من أن يكونوا على دين أو عقيدة العوام والعجائز؟ وهل يجوز للمرء أن ينشد عقيدة العوام والعجائز؟

الجواب: "١٢٩، ١٣١".

س١٢٢: ما حكم أَهْل العلم في أَهْل الكلام؟

الجواب: "١٣٠، ١٣١".

س١٢٣: ما المراد بالصراط المستقيم الذي أمرنا باتباعه وانتهاجه؟

الجواب: "١٣١، ١٣٢".

س١٢٤: ما المراد من قول الماتن: "تأويل كلِّ معنى يُضاف إلى الربوبية، ترك التأويل ولزوم التسليم"؟ **الجواب: "١٣٢، ١٣٣".**

س١٢٥: أذكر أبرز ما يترتب على التأويل الفاسد من محاذير ومزالق.

الجواب: "١٣٥، ١٣٦".

س١٢٦: عرف القرامطة، وإلى من نسبتهم؟

الجواب: "١٣٥".

س١٢٧: مرض القلوب نوعان، اذكرهما، واذكر أشدهما خطراً على الإنسان، ولماذا؟

الجواب: "١٣٦، ١٣٧".

س١٢٨: التشبيه نوعان، اذكرهما، واذكر أكثرهما انتشاراً وشيوعاً بين الناس، مع التعليل والتفصيل. **الجواب: "١٣٧، ١٣٨".**

س١٢٩: قوله تعالى:)**ليس كمثله شيء**(أكمل في التنزيه من قول الماتن: "ليس في معناه أحد من البريَّة"، لماذا؟ **الجواب: "١٣٨، ١٣٩".**

س١٣٠: ما مراد الماتن من قوله: "وتعالى عن الحدود والغايات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"؟ **الجواب: "١٣٩ إلى ١٤٢".**

س١٣١: اذكر صفة الإسراء والمعراج الذي تحقق لنبينا ﷺ، مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٤٣، ١٤٤، ١٤٥".

س١٣٢: مَن المرئي في قوله تعالى:)**ما كذب الفؤاد ما رأى**(، وقوله:)**ولقد رآه نزلة أخرى**(؟ **الجواب: "١٤٥".**

س١٣٣: اذكر ثلاث صفات لحوض النبيِّ ﷺ.

الجواب: "١٤٥، ١٤٦".

س١٣٤: ما معنى الكوثر في قوله تعالى:)**إنا أعطيناك الكوثر**(؟

الجواب: "١٤٥، ١٤٦".

س١٣٥: من هم أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؟

الجواب: "١٤٨، ١٤٩".

س١٣٦: هل شفاعة الأنبياء والصالحين يوم القيامة، شفاعة شركاء أم شفاعة عباد الرحمن لا يشفعون إلاَّ بإذن الله، ولمن ارتضى؟ أجب بشيء من التفصيل مع ذكر الأدلة.

الجواب: "١٤٨، ١٤٩".

س١٣٧: هل أَهْل الشرك تنالهم شفاعة الشافعين يوم القيامة؟

الجواب: "١٤٩".

س١٣٨: ما المراد من قوله ﷺ: "يخرج من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط"؟

الجواب: "١٥١".

س١٣٩: ما حكم التوسل بذات النبي ﷺ، أو بذوات غيره من الصالحين؟ ولماذا؟

الجواب: "١٥١، ١٥٢".

س١٤٠: التوسل يكون بالدعاء لا بالذات، اشرح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "١٥٢، ١٥٣".

س١٤١: اذكر أنواع التوسل المشروع.

الجواب: "١٥٢، ١٥٣".

س١٤٢: هل شفاعة الأنبياء والصالحين يوم القيامة، كالشفاعات التي تحصل بين الناس في الدنيا، ولماذا؟ **الجواب: "١٥٤، ١٥٥".**

س١٤٣: الميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته، حجة عليهم يُحاجون به يوم القيامة، لكن قضت حكمة الله تعالى ورحمته أن لا يكون العذاب على أساسه. اشرح ذلك مع ذكر الأدلة. **الجواب: "١٥٥، ١٥٦".**

س١٤٤: التوحيد أمر فطري، والشرك مكتسب طارئ، اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٥٧، ١٥٨".

س١٤٥: هل يجوز اتباع الآباء وطاعتهم فيما هو مخالف لشرع الرسل؟ أجب مع ذكر الدليل. **الجواب: "١٥٧، ١٥٨".**

س١٤٦: كل مُيسر لما خُلق له. اشرح ذلك، مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٥٨، ١٥٩".

س١٤٧: العبرة بالخواتيم. اشرح ذلك، مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٥٩، ١٦٠".

س١٤٨: ما حكم من يرد حكم الكتاب؟

الجواب: "١٦١، ١٧٤، ١٧٥".

س١٤٩: اذكر عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في القدر.

الجواب: "١٦١، ١٦٢".

س١٥٠: الله تعالى يشاء الكفر كوناً، ولا يرضاه ديناً. اشرح ذلك.

الجواب: "١٦١، ١٦٢".

س١٥١: ما الفرق بين المشيئة والمحبة، مع ذكر الدليل على كلٍّ منهما.

الجواب: "١٦٢، ١٦٣".

س١٥٢: كيف يريد الله أمراً لا يرضاه ولا يحبه، وكيف يجتمعُ إرادته له وبغضه وكراهته؟

الجواب: "١٦٣، ١٦٤، ١٦٥".

س١٥٣: اذكر بعض الحكَم المترتبة على نزول البلاء، مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٦٦".

س١٥٤: كيف ترد على الشبهة التالية: إن قيل الكفر يكون بقضاء الله وقدره، ونحن مأمورون بأن نرضى بقضاء الله وقدره، فكيف ننكر الكفر ونكرهه؟

الجواب: "١٦٦، ١٦٧".

س١٥٥: ما هي الغاية من دراسة عقيدة القضاء والقدر؟

الجواب: "١٦٧، ١٦٨".

س١٥٦: من سنن اليهود والنصارى الخوض في القدر، وضح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٦٩، ١٧٠".

س١٥٧: هل الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة الظاهرة. وما الفرق بينهما؟ مع ذكر الأدلة فيما تُقرر.

الجواب: "١٧١، ١٧٢، ١٧٣".

س١٥٨: تعظيم الأمر يمر بمراتب ومراحل، اذكر هذه المراتب.

الجواب: "١٧٤، ١٧٥".

س١٥٩: قال الماتن: "إنكار العلمِ الموجود كفرٌ، وادعاء العلمِ المفقود كفر"، اشرح ذلك.

الجواب: "١٧٥، ١٧٦".

س١٦٠: أيهما خُلق أولاً القلم أم العرش؟ واذكر الدليل على الراجح منهما.

الجواب: "١٧٧، ١٧٨".

س١٦١: قال الماتن: "جفَّ القلمُ بما هو كائن إلى يوم القيامة"، اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب: "١٧٩، ١٨٠".**

س١٦٢: دلت السُّنَّة على وجود عدة أقلام لكتابة الأعمال والمقادير، اذكر ثلاثة منها.

الجواب: "١٧٩، ١٨٠، ١٨١".

س١٦٣: تفرد الله بالملك والتصرف نفعاً وضراً يستلزم إفراده سبحانه بالتقوى والخشية. اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب: "١٨١، ١٨٢".**

س١٦٤: لا بد للإنسان من معبود يتقيه. فمن لم يتق الله يتقي غيره. اشرح ذلك.

الجواب: "١٨٢".

س١٦٥: لا شيء أفضل للمرء من طاعته لله، ولا شيء أخطر عليه من معاصيه وذنوبه. اذكر ثمار التقوى، وبعض آثار الذنوب والمعاصي على صاحبها.

الجواب: "١٨٢، ١٨٣، ١٨٤".

س١٦٦: التوكل لا يتنافى مع تعاطي الأسباب، ولكن يتنافى مع تعلق القلب بالأسباب. اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب: "١٨٥، ١٨٦".**

س١٦٧: قال ﷺ: "القدرية مجوس هذه الأمة"، أين تكمن جوانب الشبه واللقاء بين القدرية والمجوسية. **الجواب: "١٨٨".**

س١٦٨: الرضى بالكفر كفر، اشرح ذلك مع ذكر الأدلة.

الجواب: "١٨٩".

س١٦٩: مرض القلب نوعان، اذكرهما، واذكر أشدهما أثراً على القلب، ولماذا؟

الجواب: "١٩٠".

س١٧٠: متى يكون الهوى طاغوتاً ومعبوداً من دون الله؟

الجواب: "١٩٠، ١٩١".

س١٧١: اذكر أنفع الأغذية والأدوية للقلب.

الجواب: "١٩١، ١٩٢".

س١٧٢: بما تُعرف جماعة الحق، وما هي صفتها؟ استعن بذكر الأدلة وأقوال السلف.

الجواب: "١٩٢، ١٩٣".

س١٧٣: اذكر الأدلة التي تدل على أن العرش والكرسي حق.

الجواب: "١٩٤، ١٩٥".

س١٧٤: قال الماتن: "محيط بكل شيء وفوقه". اشرح ذلك.

الجواب: "١٩٦، ١٩٧".

س١٧٥: في حال ظهر تعارض بين المحكم والمتشابه، كيف السبيل إلى التوفيق والترجيح.

الجواب: "١٩٦، ١٩٧".

س١٧٦: أين الله؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٩٨، ١٩٩".

س١٧٧: يأتي معنى الاستواء في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه، اذكر الأوجه الثلاثة مع ذكر الدليل.

الجواب: "١٩٨، ١٩٩".

س١٧٨: ما حكم من ينكر صفة العلو لله ﷻ؟

الجواب: "١٩٨، ١٩٩".

س١٧٩: من الذي قتل جعد بن درهم، ولماذا؟

الجواب: "٢٠١".

س١٨٠: من الذي قتل جهم بن صفوان، ولماذا؟

الجواب: "٢٠١".

س١٨١: قال تعالى:)**ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**(. قال الشارح: فجعل الله الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمَّى من آمن بهذه الجملة مؤمنين ا–هـ. ناقش هذا القول وبين وجه الإشكال فيه.

الجواب: "٢٠٢، ٢٠٣".

س١٨٢: وكلت إلى الملائكة مهام وأعمال عديدة: فمنهم المدبرات أمراً، ومنهم الناشرات نشراً، والفارقات فرقاً، والملقيات ذكراً، ومنهم النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، والسابقات سبقاً، ومنهم الصافات صفاً، فالزاجرات زجراً.. اشرح ذلك مبيناً طبيعة هذه الأعمال. **الجواب: "٢٠٤، ٢٠٥"**.

س١٨٣: وضح العلاقة بين الملائكة وخالقهم سبحانه وتعالى.

الجواب: "٢٠٥، ٢٠٦".

س١٨٤: من هم رؤساء الأملاك؟

الجواب: "٢٠٦".

س١٨٥: أيهما أفضل، الملائكة أم صالحي البشر، ولماذا؟

الجواب: "٢٠٦، ٢٠٧".

س١٨٦: ما جزاء من يكتم العلم، مع ذكر الدليل؟

الجواب: "٢٠٨".

س١٨٧: من هم أُلو العزم من الرسل؟ ولماذا سموا بذلك؟

الجواب: "٢٠٩".

س١٨٨: ما هي صفة المسلم الذي له حقوق المسلمين؟

الجواب: "٢١٠".

س١٨٩: قال الماتن: "ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله". اشرح ذلك.

الجواب: "٢١١، ٢١٢".

س١٩٠: ما هي صفة جماعة المسلمين التي يجب الالتحاق بها وتكثير سوادها، وما حكم من يخالفها؟ **الجواب: "٢١٣، ٢١٤".**

س١٩١: ما المراد من الذنب الوارد في قول الماتن: "لا نكفِّر أحداً من أَهْل القبلة بذنبٍ ما لم يستحله"؟ ومَن المراد من قوله؟

الجواب: "٢١٤، ٢١٥".

س١٩٢: اذكر ثلاثة أحاديث قيلت في ذم الخوارج.

الجواب: "٢١٥، ٢١٦".

س١٩٣: قال الشارح: النَّاس في التكفير على طرفين ووسط. من المراد بالطرفين والوسط؟ **الجواب: "٢١٦، ٢١٧".**

س١٩٤: ما حكم من يشهد أن لا إله إلا الله، وهو في المقابل يُظهر ضدها من الكفر والشرك؟ **الجواب: "٢١٧، ٢١٨".**

س١٩٥: لماذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأنا لا نكفر أحداً بذنب، وما هي الصيغة الأخرى التي استحسنوها؟ **الجواب: "٢١٨، ٢١٩".**

س١٩٦: ما حكم من ينكر شيئاً من الواجبات الشرعية أو المحرمات الظاهرة المتواترة؟

الجواب: "٢١٩، ٢٢٠".

س١٩٧: المرجئة هم الطرف النقيض للخوارج، اذكر مذهبهم في الإيمان والوعد والوعيد.

الجواب: "٢٢٠، ٢٢١".

س١٩٨: اذكر بعض الآثار السلبية لمذهب الإرجاء في الإيمان على الأمة.

الجواب: "٢٢١، ٢٢٢".

س١٩٩: اذكر قولاً واحداً لأهل العلم في ذم المرجئة.

الجواب: "٢٢١، ٢٢٢".

س٢٠٠: عرف قول الخوارج في الإيمان والوعد والوعيد؟

الجواب: "٢٢٢".

س٢٠١: ما الفرق بين الخوارج والمعتزلة في مسألة الوعيد، بالنسبة لأهل الكبائر؟

الجواب: "٢٢٢".

س٢٠٢: هل تكفير العام كتكفير المعين، ولماذا؟

الجواب: "٢٢٢، ٢٢٣".

س٢٠٣: متى يلحق حكم الكفر بالمعين؟

الجواب: "٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦".

س٢٠٤: متى يكون المانع من التكفير مانعاً شرعياً معتبراً؟

الجواب: "٢٢٣".

س٢٠٥: هل الشهادة على المعين بأنه من أَهْل النَّار، كالشهادة عليه بالكفر، وما الفرق بينهما؟ **الجواب: "٢٢٤".**

س٢٠٦: متى يمكن الحكم على المعين بأنه من أَهْل النار؟

الجواب: "٢٢٤".

س٢٠٧:متى يكون الحكم فيه تألِّياً على الله؟

الجواب: "٢٢٥".

س٢٠٨: ما الفرق بين المنافق والزنديق؟ وما حكم الزنديق؟

الجواب: "٢٢٦، ٢٢٧".

س٢٠٩: وضح المراد من قول الشارح: من عيوب أَهْل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن ممادح أَهْل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون.

الجواب: "٢٢٨".

س٢١٠: متى يكون الكفر كفراً عملياً أصغر؟

الجواب: "٢٢٨".

س٢١١: فيمن نزل قوله تعالى:)**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.. الظالمون.. الفاسقون**(. **الجواب: "٢٢٩".**

س٢١٢: متى يكون الحكم بغير ما أنزل الله كفراً أكبر، ومتى يكون كفراً أصغر؟

الجواب: "٢٢٩، ٢٣٠".

س٢١٣: متى يكون سباب المسلم وقتاله فسقاً أكبر وكفراً أكبر؟

الجواب: "٢٣١".

س٢١٤: يكون تكفير المسلم كفراً أكبر، وأحياناً يكون كفراً أصغر. وضح ذلك.

الجواب: "٢٣١، ٢٣٢.. ".

س٢١٥:ما حكم تارك الصلاة؟ أجب بشيء من التفصيل مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٢٣٢ إلى ٢٣٥".

س٢١٦: ما المراد في الكفر الوارد في قوله ﷺ: "من حلف بغير الله فقد كفر"؟

الجواب: "٢٣٦".

س٢١٧: ما حكم أَهْل الكبائر؟

الجواب: "٢٣٧، ٢٣٨".

س٢١٨: ما هي صفة الحاكم بغير ما أنزل الله الذي يكفر كفراً أكبر، والحاكم الذي يكفر كفراً أصغر؟ **الجواب: "٢٣٨ إلى ٢٤٤".**

س٢١٩: ذكر محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ستة أنواع من الحكام الذين يكفرون كفراً أكبر، اذكر أربعة منها. **الجواب: "٢٤١، ٢٤٢".**

س٢٢٠: مخالفة من، أراد الماتن بقوله: "ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله"؟

الجواب: "٢٤٤".

س٢٢١: لا يدخل أحد الجنَّة بعمله إلاَّ أن يتغمده الله برحمته، اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب: "٢٤٦، ٢٤٧".**

س٢٢٢: الاستخفاف بالصغائر قد يلحقها بالكبائر، وضح ذلك.

الجواب: "٢٤٨، ٢٤٩".

س٢٢٣: توجد عدة أسباب تمنع من لحوق الوعيد بالمعين. اذكر خمسة منها.

الجواب: "٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١".

س٢٢٤: قال الماتن: "والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام"، اذكر الدليل على ذلك. **الجواب: "٢٥٢، ٢٥٣".**

س٢٢٥: الإسلام بين الأمن والإياس. اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٢٥٢، ٢٥٣".

س٢٢٦: قال الماتن: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلاَّ بجحود ما أدخله فيه"، ناقش هذا القول، وبين وجه الانحراف فيه، مع ذكر الدليل.

الجواب: "٢٥٣ إلى ٢٥٧".

س٢٢٧: اذكر مذهب أَهْل السُّنَّة والجماعة في تعريف الإيمان، مع ذكر الدليل الذي يدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان. **الجواب: "٢٥٧ إلى ٢٥٩".**

س٢٢٨: قال الماتن: "والإيمان واحدٌ، وأهله في أصله سواء"، ناقش هذا القول، وبين وجه الإنحراف فيه، مع ذكر الدليل. **الجواب: "٢٦٠".**

س٢٢٩: ناقش التعريف التالي للإيمان: بأنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان؟ **الجواب: "٢٦١".**

س٢٣٠: اذكر مذهب الماتريدية في الإيمان، وناقشه، واذكر الفارق بينه وبين مذهب جهم بن صفوان في الإيمان. **الجواب: "٢٦٢، ٢٦٣".**

س٢٣١: اذكر مذهب الكرَّامية في الإيمان، وناقشه.

الجواب: "٢٦٣".

س٢٣٢: ما حكم من ينتفي عنه مطلق العمل بواجبات الدين؟ ولماذا؟

الجواب: "٢٦٥ إلى ٢٦٧".

س٢٣٣: هل الإيمان شيء واحد في جميع نفوس المؤمنين، أم انهم يتفاوتون فيه زيادة ونقصاناً؟ ولماذا؟ **الجواب: "٢٦٧، ٢٦٨".**

س٢٣٤: الإيمان يزداد بزيادة الطاعات. اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٢٦٩ إلى ٢٧١".

س٢٣٥: يتفاوت الإيمان عند النَّاس بحسب تفاوت قدراتهم على القيام بواجبات الدين. اشرح ذلك. **الجواب: "٢٧٠، ٢٧١".**

س٢٣٦: وضح صفة انتفاء الإيمان الوارد في قوله ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن". **الجواب: "٢٧٢، ٢٧٣".**

س٢٣٧: ما هو اللفظ المضاد المقابل للإيمان، وماذا يُستفاد منه؟

الجواب: "٢٧٤".

س٢٣٨: أذكر حديثاً واحداً يدلُّ على دخول الأعمال في مسمى الإيمان.

الجواب: "٢٧٤، ٢٧٥".

س٢٣٩: التصديق يكون بالعمل الظاهر كما يكون بالقلب، اشرح ذلك مع الاستدلال. **الجواب: "٢٧٦".**

س٢٤٠: صلاح الظاهر من صلاح الباطن، وفساده من فسادِه. اشرح ذلك موضحاً علاقة الظاهر بالباطن وأثر كل منهما على الآخر، ثمَّ بين أوجه خلاف أهل السُّنَّة مع جهم ومن تابعه من غلاة المرجئة في المسألة. **الجواب: "٢٧٧ إلى ٢٨٠".**

س٢٤١: اذكر ثلاثة أدلة تدل على أن الإيمان يزداد وينقص.

الجواب: "٢٨١، ٢٨٢".

س٢٤٢: وضح المراد من نفي الإيمان الوارد في قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين".

الجواب: "٢٨١، ٢٨٢".

س٢٤٣: هل يتضمن الإيمانُ الإسلامَ، والعكس، أم لكل منهما معناً مغاير للآخر؟ أجب بشيء من التفصيل مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٢٨٣ إلى ٢٨٩".

س٢٤٤: ما حكم الاستثناء في الإيمان؟

الجواب: "٢٨٩، ٢٩٠".

س٢٤٥: وضح موقف أَهْل السُّنَّة من خبر الآحاد الصحيح، مع ذكر الدليل.

الجواب: "٢٩١، ٢٩٢".

س٢٤٦: بماذا ترد على منكري حجية خبر الآحاد في العقائد.

الجواب: "٢٩٢ إلى ٢٩٤".

س٢٤٧: اذكر بعض الأدلة والآثار التي تبين صفة تعامل أَهْل السُّنَّة مع النص الصحيح. **الجواب: "٢٩٤، ٢٩٥".**

س٢٤٨: وضح معنى "الولاية"، وهل ولاية الخالق سبحانه وتعالى كولاية المخلوق للمخلوق؟ **الجواب: "٢٩٧، ٢٩٨".**

س٢٤٩: من هم أولى النَّاس بولاية الله ﷻ، وهل ولاية الله سبحانه لعباده سواء وعلى درجة واحدة؟ **الجواب: "٢٩٦، ٢٩٧".**

س٢٥٠: قد يجتمع في المؤمن ما يستلزم موالاته من وجه، ومعاداته من وجه. اشرح ذلك. **الجواب: "٢٩٨، ٢٩٩".**

س٢٥١: التفاضل بين النَّاس يكون على أساس التقوى والدين. اشرح ذلك، مبيناً فساد المعايير الأخرى للتفاضل. **الجواب: "٣٠٠، ٣٠١".**

س٢٥٢: كيف توفق بين قوله تعالى:)**كلٌ من عند الله**(، وبين قوله تعالى:)**فمن نفسك**(؟ **الجواب: "٣٠٤".**

س٢٥٣: التكذيب برسول واحد يستلزم التكذيب بجميع الأنبياء والرسل. اشرح ذلك.

الجواب: "٣٠٤".

س٢٥٤: اذكر عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في أَهْل الكبائر، مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٠٥ إلى ٣٠٧".

س٢٥٥: اذكر أصح الأقوال في تعريف الكبيرة ؟

الجواب: "٣٠٨".

س٢٥٦: قال الماتن: "ونرى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر من أَهْل القبلة.. "، اشرح ذلك. **الجواب: "٣١٠، ٣١١".**

س٢٥٧: هل من شروط الصلاة خلف الإمام أن يعلم المأموم عقيدة إمامه؟ ولماذا؟

الجواب: "٣١١، ٣١٢".

س٢٥٨: ما هي الحالات التي تُترك فيها الصلاة خلف المبتدع؟

الجواب: "٣١٢".

س٢٥٩: هل يتحمل المأموم خطأ إمامه في الصلاة؟ ولماذا؟

الجواب: "٣١٣".

س٢٦٠: ما هي شروط تغيير المنكر؟

الجواب: "٣١٣، ٣١٤".

س٢٦١: ما هي الحالات التي تُترك فيها الصلاة على الميت؟

الجواب: "٣١٤، ٣١٥".

س٢٦٢: متى يُشهدُ للمعيَّنِ بالجنة أو النار؟ مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣١٦، ٣١٧".

س٢٦٣: ثناء النَّاس على المرء خيراً بشرى خيرٍ له يوم القيامة، وكذلك ثناؤهم عليه شراً بشرى شرٍّ له يوم القيامة. اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣١٧، ٣١٨".

س٢٦٤: اعتماد الظاهر في الحكم على المرء، كفراً أو إيماناً. اشرح ذلك مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣١٨، ٣١٩".

س٢٦٥: متى يحل دم المسلم؟ مع ذكر الأدلة التي تبين حرمة دم المسلمين.

الجواب: "٣٢٠ إلى ٣٢٢".

س٢٦٦: متى يجوز الخروج على ولاة الأمور؟

الجواب: "٣٢٢ إلى ٣٢٥".

س٢٦٧: قال الماتن: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا". ناقش هذا القول بشيء من التفصيل. **الجواب: "٣٢٢ إلى ٣٢٥"**.

س٢٦٨: طاعة الأئمة فرض ما لم يأمروا بمعصية. اشرح ذلك، مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٢٥، ٣٢٦".

س٢٦٩: ما هي الحكمة من عدم الخروج على أئمة الجور؟

الجواب: "٣٢٩، ٣٣٠".

س٢٧٠: عدم الخروج على أئمة الجور هل يستلزم عدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؟ أجب مع ذكر الدليل. **الجواب: "٣٣٠"**.

س٢٧١: ما هي صفة الإجماع الذي يكفر مخالفة، ولماذا؟

الجواب: "٣٣١، ٣٣٢".

س٢٧٢: لا يُحَبُّ أحد لذاته إلاَّ الله تعالى. اشرح ذلك.

الجواب: "٣٣٤".

س٢٧٣: عقد الموالاة والمعاداة في المخلوق شرك. وضح ذلك.

الجواب: "٣٣٤، ٣٣٥".

س٢٧٤: من لوازم الإيمان وشروطه أن تحب ما يحبه الله، وتكره ما يكرهه الله. اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب: "٣٣٦، ٣٣٧"**.

س٢٧٥: من يفتي النَّاس بغير علمٍ يأثم من وجهين، اذكرهما.

الجواب: "٣٣٨، ٣٣٩".

س٢٧٦: علام أقحم الماتن قوله: "ونرى المسح على الخفين .. " في متنٍ عقدي، علماً أن المقولة فقهية ولها علاقة بحكم المسح على الخفين؟

الجواب: "٣٤٠".

س٢٧٧: ما هي الحكمة من وراء مشروعية الجهاد والغزو مع الأمير المسلم الفاجر؟

الجواب: "٣٤١".

س٢٧٨: نسبة العصمة للأئمة كما هو عند الروافض يترتب عليه مزالق عقدية عدة، اذكر ثلاثة منها. **الجواب: "٣٤٢، ٣٤٣"**.

س٢٧٩: اذكر دليلاً من القرآن والسُّنَّة على أن عذاب القبر حق.

الجواب: "٣٤٧ إلى ٣٥١".

س٢٨٠: اذكر عقيدة أَهْل السُّنَّة في عذاب القبر، مع ذكر الأدلة على ما تقرر.

الجواب: "٣٤٨ إلى ٣٥١".

س٢٨١: اذكر ثلاث حالات من تعلُّق الروح بالبدن.

الجواب: "٣٥٢".

س٢٨٢: سؤال الميت في قبره يكون لروحه أم لروحه مع البدن؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٥٢".

س٢٨٣: أين مستقر الأرواح بعد الموت؟

الجواب: "٣٥٣ إلى ٣٥٥".

س٢٨٤: عمَّا يُسأل الميت في قبره؟

الجواب: "٣٤٨ إلى ٣٥١".

س٢٨٥: هل الأرض تأكل أجساد الشهداء والأنبياء؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٥٥، ٣٥٦".

س٢٨٦: اذكر دليلاً من القرآن الكريم على أن السَّاعة حق وأن منكرها كافرٌ.

الجواب: "٣٥٦ إلى ٣٥٩".

س٢٨٧: ترد كلمة "الدين" بعدة معانٍ، اذكر هذه المعاني، مع ذكر الأدلة.

الجواب: "٣٦٠".

س٢٨٨: اذكر دليلاً يدل على أن الصراط حق.

الجواب: "٣٦٢".

س٢٨٩: ما المراد من قوله تعالى:)**وإن منكم إلاَّ واردها**(؟

الجواب: "٣٦٢، ٣٦٣".

س٢٩٠: اذكر دليلاً على أن الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة حق.

الجواب: "٣٦٣".

س٢٩١: أيهما قبل الآخر الصراط أم الميزان؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٦٥".

س٢٩٢: اذكر الأدلة التي تدل على أن النَّار والجنَّة مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان. **الجواب: "٣٦٦ إلى ٣٦٨".**

س٢٩٣: ما هو حد الاستطاعة المشروطة في الشرع والتي يترتب عليها التكليف؟

الجواب: "٣٧٠ إلى ٣٧٢".

س٢٩٤: الاستطاعة نوعان. اذكرهما مع ذكر الدليل عليهما.

الجواب: "٣٧٠، ٣٧١".

س٢٩٥: قال الماتن: "أفعال العباد خلق الله وكسب من العباد". اشرح ذلك.

الجواب: "٣٧٣، ٣٧٤".

س٢٩٦: التكليف المشروط بالاستطاعة من جملة الأدلة الدالة على مبدأ العذر بالجهل. اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب: "٣٧٢، ٣٧٣".**

س٢٩٧: اذكر عقيدة أَهْل السُّنَّة بالنسبة لأفعال العباد، مع المقارنة بينها وبين عقيدة القدرية والجبرية. **الجواب: "٣٧٣، ٣٧٤".**

س٢٩٨: كيف تجيب على الشبهة التالية: كيف يعذب اللهُ النَّاسَ على ذنوبهم وهو قد خلقها فيهم؟ **الجواب: "٣٧٥، ٣٧٦".**

س٢٩٩: قضاء الله يكون كونياً وشرعياً، اشرح ذلك مع بيان الفارق بينهما.

الجواب: "٣٧٧، ٣٧٨".

س٣٠٠: هل ينتفع الميت بما تَسبب إليه في حياته؟ أجب مع ذكر الدليل.

الجواب: "٣٧٩، ٣٨٠".

س٣٠١: ما هي الأعمال التي تصل الميت من الأحياء، وممن من الأحياء؟ أجب مع ذكر الدليل. **الجواب: "٣٨٠ إلى ٣٨٥"**.

س٣٠٢: هل تصل قراءة القرآن إلى الميت؟

الجواب: "٣٨٥، ٣٨٦".

س٣٠٣: توجد عدة معانٍ مستخلصة من ندب الله تعالى إلى الدعاءِ، اذكر ثلاثة منها.

الجواب: "٣٨٩".

س٣٠٤: التعلق بالأسباب شرك، والإعراض عنها نقص في العقل وقدح في الشرع، اشرح ذلك. **الجواب: "٣٩٠"**.

س٣٠٥: بماذا تجيب عن سؤالٍ يقول: إنَّ من النَّاس من يسأل الله فلا يُعطى، أو يُعطى غير ما سأل؟ **الجواب: "٣٩٠ إلى ٣٩٢"**.

س٣٠٦: لقبول الدعاء شروط، وله موانع تمنع من قبوله، فما هي شروطه وموانعه؟

الجواب: "٣٩١".

س٣٠٧: قال الماتن: "من استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر". اشرح ذلك.

الجواب: "٣٩٢".

س٣٠٨: اذكر دليلاً على صفتي الغضب والرضى لله ﷻ.

الجواب: "٣٩٣".

س٣٠٩: ما حكم الإسلام في الشيعة الروافض ومن يقول بقولهم؟

الجواب: "٣٩٤ إلى ٣٩٩".

س٣١٠: اذكر دليلاً من الكتاب والسُّنَّة يدلُّ على ثناء الله ورسوله على الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم– بالخير. **الجواب: "٣٩٩، ٤٠٠"**.

س٣١١ اذكر الدليل الذي يرجِّح ثبوت خلافةِ أبي بكر الصديق بالنص.

الجواب: "٤٠٣، ٤٠٤".

س٣١٢: كيف آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟

الجواب: "٤٠٨".

س٣١٣: كيف آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان ﷺ، وتمت مبايعته؟

الجواب: "٤٠٩ إلى ٤١٤".

س٣١٤: لماذا امتنع أَهْل الشام برآسة معاوية عن مبايعة علي ﷺ؟

الجواب: "٤١٥، ٤١٦".

س٣١٥: اذكر الدليل الذي يبين أن الحق أولى بعلي بن أبي طالب ومن معه، في خلافه مع معاوية ومن معه. **الجواب: "٤١٧".**

س٣١٦: اذكر أفضل الصحابة بالترتيب بعد الرسول ﷺ، مع ذكر الدليل.

الجواب: "٤١٨".

س٣١٧: اذكر أسماء العشرة المبشرين بالجنة.

الجواب: "٤١٨، ٤١٩".

س٣١٨: ما حكم من يشتم الصحابة رضوان الله عليهم؟

الجواب: "٤٢٠، ٤٢١".

س٣١٩: اذكر من هم الذين يدخلون في أَهْل بيت رسول الله ﷺ مع ذكر الدليل.

الجواب: "٤٢١، ٤٢٢".

س٣٢٠: ما حكم من يسوي بين النبي ﷺ وبين غيره من الرجال ويجعل مرتبتهما واحدة؟ **الجواب: "٤٢٤".**

س٣٢١: اذكر خمس علامات من أشراط السَّاعة، مع ذكر الدليل على كل علامةٍ من تلك العلامات. **الجواب: "٤٢٧ إلى ٤٣١".**

س٣٢٢: ما حكم من يأتي عرَّافاً فيصدقه فيما يقول؟ مع ذكر الدليل.

الجواب: "٤٣١".

س٣٢٣: ما معنى "الكاهن"، وما حكم الإسلام فيمن يتعاطى الكهانة والتنجيم؟

الجواب: "٤٣٢، ٤٣٣".

س٣٢٤: ما حكم الإسلام في السحر، وفيمن يتعاطى العمل به؟

الجواب: "**٤٣٤ إلى ٤٣٦**".

س٣٢٥: ما هي المزالق والمخاطر التي تترتب من عدم ردِّ المنازعات إلى الله ورسوله؟

الجواب: "**٤٣٩**".

س٣٢٦: الاختلاف نوعان: تنوّع، وتضاد. عرّف كلاً منهما مع بيان الموقف الصحيح من كل نوع منهما. **الجواب**: "**٤٤٠ إلى ٤٤٢**".

س٣٢٧: اشرح كلاً من العبارات التالية شرحاً موجزاً:

١- الإسلام بين الغلوِّ والتقصير.

٢- الإسلام بين التشبيه والتعطيل.

٣- الإسلام بين الجبر والقدَر.

٤- الإسلام بين الأمن والإياس.

الجواب: "**٤٤٣ إلى ٤٤٥**".

س٣٢٨: عرِّف كلاً من الفِرَق التالية:

المشبهة، المعتزلة، الجهمية، الجبرية. **الجواب**: "**٤٤٦، ٤٤٧**".

س٣٢٩: اذكر أصول المعتزلة مع التعريف بها.

الجواب: "**٤٤٦**".

س٣٣٠: العدول عن صراط الله المستقيم، سبب كل ضلالة. اشرح ذلك مع ذكر الدليل. **الجواب**: "**٤٤٧، ٤٤٨**".

س٣٣١: وضِّح معنى الاستقامة الوارد في قوله تعالى:)**اهدنا الصراط المستقيم**(.

الجواب: "**٤٤٨**".

"تَمَّت الأسئلة"

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
– المقدمة	٧
– مقدمة ابن أبي العز الحنفي	١٢
– أشرف علوم الدين	١٢
– مهمة الرسل	١٢
– الطريق الموصل إلى الله	١٣
– تعريف السالكين ما لهم من النعيم	١٣
– أعرف الناس بالله عز وجل	١٣
– ما أنزله الله تعالى على رسوله، فهو روح وشفاء	١٣
– يجب على العامة أن يؤمنوا إيماناً مجملاً بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم	١٤
– ما يجب على الأعيان يتنوع بتنوع قُدرهم	١٤
– أصل الضلال التفريط بما جاء به الرسول	١٥
– شروط صحة العبادة وقبولها	١٥
– وصف الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به الرسل	١٦
– مذاهب الناس في التأويل	١٦
– مراتب الانحراف	١٧
– الواجب اتباع الرسل	١٧
– اكتمال الدين	١٨
– من قرائن النفاق الأكبر، إرادة التحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم	١٨
– الحكم على الأشياء بالحسن أو القبح من خصوصيات الله تعالى	

وحده ١٨
- غاية المسلم أن يظهر الحق ويعلو، وإن جاء ذلك عن غير طريقه .. ١٩-٢٠
- العجز يرفع التكليف .. ٢٠
- الأمة الوسط .. ٢٠
- علم الكلام هو الجهل، وهو سبب للزندقة .. ٢١
- الفرق بين المنافق والزنديق .. ٢١
- حكم الزنديق .. ٢١
- حكم الشافعي في أَهْل الكلام .. ٢٢
- الرد على من يقول الخلف أفقه من السَّلَف .. ٢٣
- التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل طريق طلب العلم .. ٢٤
- الحكمة من تقديم جانب النفي والبراء على جانب الإثبات في شهادة التوحيد .. ٢٤
- معنى الطاغوت وما يدخل في معناه .. ٢٥
- الدعوة إلى التوحيد والكفر بالطاغوت، وهي دعوة الأنبياء والرسل. ٢٦
- ما يصير المرء به مسلماً .. ٢٦
- أنواع التوحيد.. ٢٧
- توحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفة من بني آدم .. ٢٨
- المشركون كانوا يقرون ببعض معاني الربوبية، وليس جميعها .. ٢٨
- توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية .. ٢٨
- التحذير من اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد .. ٢٩
- الأمر بتسوية القبور، وطمس التماثيل .. ٣٠

- كل مولود يولد على فطرة الإسلام .. ٣١
- توحيدُ الربوبية يستلزم توحيد الألوهية .. ٣٢
- توحيد الإلهية يتضمن توحيدَ الربوبية .. ٣٥
- معنى قوله تعالى:)**إذاً لابتغوا إلى ذي العرشِ سبيلاً**(.. ٣٥
- التوحيد الذي دعت إليه الرسل .. ٣٥
- القرآن كله يدور حول التوحيد ومتطلباته، وحقوقه، وجزائه .. ٣٦
- شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .. ٣٨
- عبارات السَّلَف في معنى شهادة الله .. ٣٨
- من أقر الشرك، أو دعى إليه، ليس عالماً مهما اتسع صيته .. ٣٨
- شهادة الله ﷻ بتوحيده يكون بالقول والفعل .. ٣٩
- بطلان ألوهية غير الله .. ٣٩
- الكفر بالطاغوت الركن الأول من ركني التوحيد .. ٣٩
- معنى العبادة، وما يدخل في مسماها .. ٤٠
- بين الله تعالى التوحيد بطرق ثلاث: السمعِ، والبصرِ، والعقل .. ٤١
- حق الله على العباد .. ٤١
- الجهمية، ونسبتهم .. ٤١
- المعتزلة، ونسبتهم .. ٤١
- لا تعارض بين العقل السليم، والنقل الصحيح .. ٤٢
- ما من نبي إلاَّ ومعه آية تدلُّ على صدق نبوته .. ٤٣
- ضوابط قيام الحجة .. ٤٣
- آية هود عليه السلام .. ٤٤
- من أسمائه تعالى الحسنى: المؤمن والشهيد .. ٤٥
- الاستدلال بأسماء الله تعالى وصفاته على وحدانيته، وعلى

بطلان الشرك. ٤٦
- أكمل النَّاس توحيداً الأنبياء والمرسلون .. ٤٨
- الفرق بين النبي والرسول .. ٤٨
- تفسير حديث: "أصبحنا على فطرة الإسلام ..". ٤٩
- الاشتغال بأقوال أَهْل الكلام ومصطلحاتهم، يوقع في الشكوك والحيرة. ٥٠
- قوله: "ولا شيء مِثلُهُ". ٥٠
- تسمية العبد ووصفه ببعض أسماء الله وصفاته لا يبرر نفي صفات الله بدعوى التشبيه .. ٥١
- تسمية المخلوق ببعض أسماء الخالق سبحانه لا يستلزم التشبيه. ٥٢
- قوله: "ولا شيء يعجزه". ٥٣
- النفي في صفات الله ﷻ يأتي لثبوت ضده .. ٥٣
- منهج السَّلَف الإثبات المفصَّل للصفات، والنفي المجمل. ٥٤
- التعبير عن الحق بالألفاظ الواردة في الكتاب والسُّنَّة. ٥٥
- قوله: "ولا إله غيره". ٥٥
- معنى لا إله إلا الله .. ٥٦
- شروط شهادة التوحيد .. ٥٦
١- شرط النطق. ٥٦
٢- شرط الكفر بالطاغوت. ٥٧
٣- شرط العلم. ٥٨
٤- شرط الصدق والإخلاص. ٥٩
٥- شرط انتفاء الشك. ٥٩
٦- شرط حصول اليقين. ٥٩

٧- شرط الحب وانتفاء ضده. ٥٩
٨- شرط الرضى والتسليم والانقياد التام. ٦١
٩- شرط العمل بها وبلوازمها. ٦١
١٠- شرط الموافاة عليها. ٦٢
- قوله: "قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء". ٦٣
- اسم القديم ليس من أسماء الله الحسنى .. ٦٣
- قوله: "لا يفنى ولا يبيد". ٦٤
- قوله: "ولا يكون إلاَّ ما يُريدُ". ٦٤
- عقيدة أَهْل السُّنَّة في القدر .. ٦٥
- الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية.. ٦٥-٦٦
- الغاية من الإيمان بعقيدة القضاء والقدر.. ٦٧
- قوله: "لا تبلُغُه الأوهامُ، ولا تدركه الأفهامُ". ٦٨
- قوله: "ولا يُشبهُهُ الأنامُ". ٦٨
- فيمن يشبِّه المخلوق بالخالق .. ٦٨
- أقوال أَهْل العلم في المشبهة، وفيمن يجحد الصفات بحجة عدم الوقوع في التشبيه .. ٦٩
- قولُه: "حي لا يموت، قيوم لا ينام". ٧٠
- الحي القيوم من أعظم أسماء الله الحسنى. ٧١
- معنى قوله تعالى:)**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**(. ٧٢
- قوله: "خالق بلا حاجةٍ، رازق بلا مؤونة". ٧٢
- معنى قوله تعالى:)**وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون**(. ٧٢
- قوله: "مميت بلا مخافةٍ، باعث بلا مشقةٍ". ٧٤
- قوله: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه .. ". ٧٤

- مباشرة الله ﷻ لفعل في وقت دون وقت، لا يستلزم أن الله لم يكن متصفاً بهذا الفعل قبل فعله .. ٧٥
- هل الصفة زائدة على الذات أم لا .. ٧٥
- الفرق بين الصفاتُ غيرُ الذات وبين صفات الله غير الله . ٧٦
- الصفات لا يصحُّ تصورُها منفصلةً عن الذات .. ٧٧
- من صفاته تعالى، أَنَّه يفعل ما يشاء وقت يشاء، وكل ما سواه فهو محدثٌ كائن بعد أن لم يكن .. ٧٧
- خلاصة القول .. ٧٨
- قوله: "ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق .. ". ٧٨
- أول شيء خلقه تعالى القلم .. ٧٩
- للحوادث بداية .. ٧٩ - ٨٠
- قوله: "له معنى الربوبية ولا مربوب .. ". ٨٠
- قوله: "وكما أَنَّه محي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم .. ". ٨٠
- قوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير .. ". ٨٠
- من لوازم وشروط الإيمان بربوبية الله الإيمان بأنه على كل شيء قدير .. ٨٠
- تفسير قوله تعالى:)**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**(. ٨٠
- ما يلزم على العبد تجاه ربه .. ٨١
- حكم من ينفي صفة من صفات الله ﷻ .. ٨١
- لله المثل الأعلى. ٨١
- تفسير السَّلَف وعباراتهم في المثل الأعلى. ٨٢
- حكم من يجحد شيئاً من خصائص الله تعالى، أو يدعيها لنفسه. ٨٢

- قوله: "خلق الخلق بعلمه". ٨٣
- علم الغيب من خصائص الله تعالى وحده. ٨٣
- قوله: "وقدَّر لهم أقداراً". ٨٣
- قوله: "وضرب لهم آجالاً". ٨٤
- تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه .. ٨٤-٨٥
- أثر الدعاء في زيادة العمر ونقصانه .. ٨٥
- قوله: "ولم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم .. ". ٨٦
- الطاعة نوعان: نوع يكون شرطاً لصحة الإيمان، ونوع يكون دون ذلك .. ٨٧
- المعاصي نوعان: منها ما يخرج من الملة، ومنها ما دون ذلك.. ٨٧
- الغاية من خلق الجن والإنس عبادة الله .. ٨٧
- شبهة احتجاجهم بالقدر على المعصية .. ٨٨- ٨٩
- حديث احتجاج آدم على موسى .. ٨٩
- الحكمة من الاستشهاد بالقدر على المصائب .. ٨٩
- قوله: "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً .. ". ٩٠
- نوع الهداية المثبتة والمنفية عن نبينا ﷺ .. ٩٠
- قوله: "وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله". ٩١
- لا مثل لله تعالى في شيء من صفاته وخصائصه .. ٩١
- قوله: "لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، ولا غالِبَ لأمره". ٩٢
- معنى التعقيب .. ٩٢-٩٣
- قوله: "آمنا بذلك كلِّه، وأيقنا أن كلاًّ من عنده". ٩٣
- قوله: "وإن محمداً عبده المصطفى .. ". ٩٣
- كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى وحده.. ٩٣

- الإنسان مفطور على العبودية، ولا بد له من معبود .. ٩٣
- صدق الأنبياء دليل على صدق نبوَّتِهم .. ٩٤
- يُعلم صدق الرسل من وجوه متعددة .. ٩٦
- إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى.. ٩٧
- الفرق بين النبي والرسول .. ٩٨
- قوله: "وأنه خاتم الأنبياء". ٩٨
- قوله: "وإمام الأتقياء". ٩٩
- المتابعة دليل على صدق الحب، وكل منهما لازم للآخر .. ٩٩
- قوله: "وسيد المرسلين". ١٠٠
- التوفيق بين أحاديث تنص على أن النبي ﷺ سيد ولد آدم، وبين الأحاديث التي تنهي عن التفاضل بين الأنبياء .. ١٠١
- قوله: "وحبيب رب العالمين .. ". ١٠٢
- معنى الخلة .. ١٠٢
- الخلة خاصة بإبراهيم ونبينا محمد صلوات الله عليهما، أمَّا المحبة فهي عامة لجميع المؤمنين .. ١٠٣
- الخلة من النبي ﷺ لمن دونه من الصحابة ممتنعة لورود النص، بخلاف العكس .. ١٠٣-١٠٤
- لا يصح أن يوصف العبد بالعشق في محبته لربه .. ١٠٤
- قوله: "وكل دعوى النبوة بعده فغيٌّ وهوى". ١٠٤
- حكم من يدعي النبوة بعد النبي ﷺ .. ١٠٤-١٠٥
- القاديانية طائفة من الباطنية الملحدة .. ١٠٥
- قوله: "وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى .. ". ١٠٥-١٠٦
- قوله: "وإن القرآن كلام الله .. ". ١٠٧

- إضافة الأعيان إلى الله تعالى غير إضافة المعاني.. ١٠٩
- الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال .. ١٠٩
- مناظرة بين عبد العزيز المكي وبِشْر المريسي ١٠٩
- شبهة ورد .. ١١٠
- كلام الله صفة من صفاته، نؤمن بها بلا كيفية ولا تشبيه .. ١١١
- كفر من زعم أنَّه يأتي بنظم كالقرآن، أو بحكمٍ كحكم القرآن .. ١١١
- حكم من أنكر أن القرآن كلام الله .. ١١٢
- قوله: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر .. ". ١١٢
- قوله: "والرؤية حق لأهل الجنَّة .. ". ١١٣
- معنى التأويل .. ١١٣
- متى يبلغ التأويل الفاسد درجة الكفر .. ١١٣
- الأدلة على الرؤية وأقوال السَّلَف .. ١١٤
- المراد من قوله تعالى:)**لا تدركه الأبصار**(. ١١٥
- لا يرى اللهَ تعالى أحد في الدنيا بعينه .. ١١٦
- إثبات الرؤية القلبية لنبينا ﷺ .. ١١٧-١١٨
- كل تأويل مخالف للسنة فهو فاسد .. ١١٨
- لا تعارض بين العقل السليم والنقل الصحيح .. ١١٩
- الأحكام الشرعية لا تصرف عن ظاهرها إلاَّ بقرينة شرعية تقتضي هذا الصرف والتأويل .. ١١٩
- فيمن يخالف الرسول ﷺ، ويعترض عليه .. ١١٩
- من لوازم الإيمان وشروطه التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره .. ١٢١
- قوله: "ولا تثبت قدم الإسلام إلاَّ على ظهر التسليم والاستسلام .. ". ١٢٢

- قوله: "فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه .. ". ١٢٣
- على قدر التسليم للرسول ﷺ يكون التوحيد .. ١٢٤
- طاعة الهوى واتباعه، منه ما يكون كفراً أكبر .. ١٢٤
- أصل الفساد في العالَم من ثلاث فِرق: الملوك، والأحبار، والرهبان .. ١٢٥-١٢٦
- طاعة النبي ﷺ على ثلاثة أقسام .. ١٢٧
- تفسير ابن القيم لقوله تعالى:)**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك** .. (. ١٢٧
- قوله: "فيتذبذَب بين الكفر والإيمان .. ". ١٢٨
- شهادة علماء الكلام في علم الكلام .. ١٢٨
- حكم أَهْل العلم في أَهْل الكلام .. ١٣٠
- معنى الصراط المستقيم، الوارد في قوله تعالى:)**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه**(. ١٣١
- قوله: "ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم .. ". ١٣٢
- معنى التأويل ومذاهب النَّاس فيه .. ١٣٣
- ما يترتب على التأويل الفاسد من مزالق ومحاذير .. ١٣٥
- القرامطة ونسبتهم .. ١٣٥
- مرض الشبهة أشد خطراً من مرض الشهوة .. ١٣٦
- التشبيه نوعان .. ١٣٧
- سعة انتشار تشبيه المخلوق بخصائص وصفات الخالق .. ١٣٧
- قوله: "فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية .. ". ١٣٨

- قوله: "وتعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء
والأدوات .. ". ١٣٩
- تعليق الشيخ ابن باز على قول الماتن .. ١٣٩
- الإعتصام بالألفاظ الواردة في الكتاب والسُّنَّة .. ١٤٠
- الله تعالى لا تُحدُّ صفاته بشيء، وهو بائن عن خلقه .. ١٤٠
- لفظ الأركان والأعضاء والأدوات .. ١٤١
- قوله: "والمعراج حق، وقد أسري بالنبي .. ". ١٤٣
- ثبوت الإسراء والمعراج لنبينا ﷺ باليقظة بروحه وجسده .. ١٤٣
- ترجيح رؤية النبي ﷺ لربه بقلبه دون عينه .. ١٤٥
- قوله: "والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غِياثاً لأمته حق". ١٤٥
- صفات الحوض .. ١٤٦
- قوله: "والشفاعة التي ادخرها لهم حق .. ". ١٤٦
- الشفاعة لا تكون إلاَّ بإذن الله، ولمن ارتضى .. ١٤٨
- حكم التوسل بالأنبياء والصالحين إلى الله تعالى .. ١٥١
- المراد بقوله ﷺ: "لم يعملوا خيراً قط". ١٥١
- فيمن يحلف بغير الله .. ١٥٢
- التوسل المشروع .. ١٥٣
- الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر.. ١٥٤
- قوله: "والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته حق." . ١٥٥
- الميثاق حجة على بني آدم يوم القيامة .. ١٥٦
- التوحيد أمر فطري، والشرك مكتسب طارئ .. ١٥٧
- اتباع الرسل في الدين دون الآباء .. ١٥٧
- قوله: "وقد علم اللهُ تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل

الجنَّة .. ". ١٥٨
- قوله: "وكل مُيسر لما خلق له .. ". ١٥٩
- الإمساك عن تزكية النفس والآخرين .. ١٥٩
- قوله: "وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه". ١٦٠
- العبرة بالخواتيم .. ١٦٠
- حكم من يرد حكم الكتاب .. ١٦١
- عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في القدر .. ١٦١
- الدليل من الكتاب والسُّنَّة على الفرق بين المشيئة والمحبة. ١٦٢
- كيف يريد الله أمراً لا يرضاه ولا يحبه .. ١٦٣
- الحكمة من الابتلاء .. ١٦٦
- المبالغة في الكلام في القدر وسيلة إلى الخذلان. ١٦٧
- قوله: "فالحذر كلَّ الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة". ١٦٨
- اتباع سنن اليهود والنصارى، والخوض بما خاضوا .. ١٦٩
- صفة الفرقة الناجية .. ١٧٠
- الفرق بين الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .. ١٧١
- من رد حكم الكتاب من غير شبهة أو تأويل فقد كفر.. ١٧٤-١٧٥
- قوله: "فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر .. ". ١٧٥
- قيام الحجة وبلوغ الخطاب الشرعي شرط للتكفير .. ١٧٥
- قوله: "ونؤمن باللوح والقلم، وبجميع ما فيه قد رُقم". ١٧٦
- أول ما خلق الله تعالى القلم .. ١٧٧
- أيهما خُلق أولاً القلم أم العرش .. ١٧٨
- وجود أقلام غير القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ .. ١٧٩
- الأقلام أربعة .. ١٨٠

- النفور إلى تعلم التوحيد في الصغر.. ١٨٠
- إفراد الله سبحانه بالخشية والتقوى .. ١٨١
- ثمار تقوى الله .. ١٨٢
- لا بد للإنسان من معبود يتقيه .. ١٨٢
- آثار المعاصي والذنوب .. ١٨٣-١٨٤
- تعاطي الأسباب والاكتساب لا ينافي التوكل .. ١٨٤-١٨٥
- التوكل يتنافى مع تعلق القلب بالأسباب .. ١٨٥
- قوله: "وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه .. ". ١٨٦
- قوله: "وعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن .. ". ١٨٦
- من خصائصه تعالى انتفاء المعقب عليه .. ١٨٦
- قوله: "وذلك من عقد الإيمان .. ". ١٨٧
- قوله: "فويل لمن صار لله تعالى في القدر خصيماً .. ". ١٨٨
- القدرية مجوس الأمة .. ١٨٨
- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ١٨٩
- مرض القلب نوعان: مرض شهوة، ومرض شبهة .. ١٩٠
- متى يكون الهوى طاغوتاً معبوداً من دونه الله .. ١٩٠
- علامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة .. ١٩١
- أنفع الأغذية والأدوية الإيمان، والقرآن .. ١٩١
- صفة جماعة الحق التي يجب أن تُتبع .. ١٩٢
- غربة الإسلام وأهله .. ١٩٣
- قوله: "والعرش والكرسي حق". ١٩٤
- قوله: "وهو مُستغنٍ عن العرش وما دونه .. ". ١٩٦

- قوله: "محيط بكل شيءٍ وفوقه". ١٩٦
- عند التعارض يرد المتشابه إلى المحكم .. ١٩٦-١٩٧
- اثبات صفة العلو والفوقية لله ﷻ .. ١٩٨
- قول أبي حنيفة فيمن ينكر صفة العلو .. ١٩٨
- معنى الاستواء .. ١٩٨
- إثبات صفة العلو بالفطرة .. ١٩٩
- قوله: "ونقول إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلَّم موسى تكليماً .. ". ٢٠٠
- مقتل جعد بن درهم .. ٢٠١
- مقتل جهم بن صفوان تلميذ جعد .. ٢٠١
- قوله: "ونؤمن بالملائكة والنبيين، والكتب المنزلة على المرسلين .. ".٢٠٢
- أصل الدين الإيمان بما جاء به الرسول .. ٢٠٣
- أصناف الملائكة وما وكلوا به من أعمال ومهام .. ٢٠٤
- الملائكة عباد الله وجنده يفعلون ما يؤمرون .. ٢٠٥
- رؤساء الأملاك .. ٢٠٦
- في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر .. ٢٠٦
- وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل .. ٢٠٧
- ضريبة العلم البلاغ والتبين .. ٢٠٨
- فيمن يستغل علمه للذود عن الطواغيت .. ٢٠٨
- أُلو العزم من الرسل .. ٢٠٩
- الإيمان بجميع الكتب المنزلة على المرسلين .. ٢٠٩
- كفر من يتولى عن العمل .. ٢٠٩
- قوله: "ونسمي أَهْل قبلتنا مسلمين مؤمنين .. ". ٢١٠

- صفة من يتعين الإمساك عن تكفيره وقتله .. ٢١٠
- كفر من ينتفي عنه مطلق العمل .. ٢١٠-٢١١
- قوله: "ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله". ٢١١
- قوله: "ولا نجادل في القرآن، ونشهد أَنَّه كلام رب العالمين .. ". ٢١٢
- قوله: "ولا نخالف جماعة المسلمين .. ". ٢١٣
- صفة الجماعة التي يتعين تكثير سوادها .. ٢١٣
- فيمن يخالف الجماعة أو يفارقها .. ٢١٣
- قوله: "ولا نكفر أحداً من أَهْل القبلة بذنب ما لم يستحله .. ". ٢١٤
- المراد من الذنب الوارد في قول الماتن .. ٢١٤
- الخوارج وغلوهم، وما قيل فيهم .. ٢١٥
- التكفير بين الغالي والجافي .. ٢١٦
- القول بأنا لا نكفر من أَهْل القبلة أحداً لا يصح على إطلاقه .. ٢١٧
- فيمن يجتمع فيه كفر وإيمان .. ٢١٧
- امتناع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأنا لا نكفر أحداً بذنب .. ٢١٨
- خطأ الشيخ ناصر في هذه المسألة والرد عليه .. ٢١٨
- إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة كفر .. ٢١٩
- استتابة المرتد مذهب الجمهور .. ٢١٩
- الفرق بين الاستتابة وإقامة الحجة .. ٢١٩
- البدع والفجور مظنتان للنفاق والردة .. ٢٢٠
- المرجئة في الطرف النقيض للخوارج .. ٢٢٠
- العلاقة بين المرجئة والطواغيت .. ٢٢١
- قول أَهْل العلم في المرجئة .. ٢٢١

- الفرق بين الخوارج والمعتزلة في مسألة الوعيد .. ٢٢٢
- تكفير العام غير تكفير المعين .. ٢٢٢-٢٢٣
- ضابط موانع التكفير .. ٢٢٣
- متى يشهد على المعين بالكفر وأنه من أَهْل النَّار .. ٢٢٤
- صفة التألي على الله .. ٢٢٥
- حفظ اللسان عما لا يعنيه .. ٢٢٥
- الفرق بين المنافق والزنديق .. ٢٢٦
- حكم الزنديق .. ٢٢٧
- من عيوب أَهْل البدع تكفير بعضهم بعضاً بالظن والشبهات .. ٢٢٨
- كفر عملي أصغر، أو كفر دون كفر .. ٢٢٨-٢٢٩
- المراد من قوله تعالى:)**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**(. ٢٢٩
- صفة الحكام الذين يكفرون كفراً أكبر أو كفراً أصغر .. ٢٣٠
- فيمن يسب المسلم ويقاتله لدينه .. ٢٣١
- فيمن يكفر المسلم .. ٢٣١-٢٣٢
- حكم تارك الصلاة .. ٢٣٢
- فيمن يحلف بغير الله .. ٢٣٦
- حكم أَهْل الكبائر .. ٢٣٧
- تقييد الكفر العملي بكلمة الأصغر .. ٢٣٨
- الحاكم الذي يكفر كفراً أكبر .. ٢٣٨-٢٣٩
- أقوال أَهْل العلم في صفة الحاكم الذي يكفر كفراً أكبر .. ٢٣٩
١- ابن كثير .. ٢٣٩
٢- أحمد شاكر .. ٢٤٠

٣- ابن تيمية .. ٢٤٠
٤- محمد بن عبد الوهاب .. ٢٤١
٥- محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ .. ٢٤١
٦- الشنقيطي .. ٢٤٢
٧- عبد العزيز بن باز .. ٢٤٣
- خطأ من قال: لا يضر مع الإيمان ذنب .. ٢٤٤
- قصة قدامة بن مظعون وما يستنبط منها من فقه .. ٢٤٥
- قوله: "ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم .. ". ٢٤٦
- اليأس من رحمة الله كفر ينقل عن الملة .. ٢٤٦
- لا أحد يدخل الجنَّة بعمله .. ٢٤٦
- لوازم الرجاء .. ٢٤٨
- الاستخفاف بالصغائر قد يُلحقها بالكبائر .. ٢٤٨
- الأسباب التي تمنع من لحوق الوعيد بالمعين .. ٢٤٩
- قوله: "والأمن والإياس ينقلان عن الملة .. ". ٢٥٢
- قوله: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلاَّ بجحود ما أدخله فيه". ٢٥٣
- خطأ حصر الكفر في الجحود والتكذيب، والرد عليه .. ٢٥٣
- قوله: "والإيمان هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان .. ". ٢٥٧
- مذهب أَهْل السُّنَّة والجماعة في الإيمان .. ٢٥٧
- قوله: "والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء .. ". ٢٦٠
- مناقشة قول الماتن المتقدم .. ٢٦٠
- مناقشة تعريف الإيمان: بأنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان،
وعمل بالأركان. وبيان خطئه من وجهين .. ٢٦١
- خطأ من يحصر الإيمان بالتصديق .. ٢٦١

- مذهب أَبو حنيفة في الإيمان .. ٢٦٣
- مذهب الكرامية في الإيمان .. ٢٦٣
- مذهب جهم بن صفوان في الإيمان .. ٢٦٤
- خلاف أبي حنيفة مع أئمة السُّنَّة في الإيمان ليس خلافاً صورياً لفظياً .. ٢٦٤
- كفر من ينتفي عنه مطلق العمل، أو من لا يعمل بالتوحيد .. ٢٦٥
- فساد قول من لا يدخل الأعمال في مسمى الإيمان .. ٢٦٧
- زيادة الإيمان بزيادة الطاعات .. ٢٦٩
- العلم يتقدم العمل، وهو شرط له .. ٢٦٩
- تفاوت إيمان العباد بحسب تفاوت قدراتهم على امتثال أوامر الشريعة .. ٢٧٠
- يرتفع الإيمان عن صاحبه بسبب معاصيه، فإن أقلع عاد إليه .. ٢٧١
- التصديق الجازم لا يمنع صاحبه عن المعاصي بخلاف الإيمان الجازم.. ٢٧١
- صفة ارتفاع الإيمان عن الزاني .. ٢٧٢
- الإيمان لفظ يقابله الكفر .. ٢٧٤
- أحاديث تدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان .. ٢٧٤
- الموالاة والمعاداة في الله ولله، شرط لصحة الإيمان .. ٢٧٥
- قاعدة من قواعد التكفير: "كل شيء فعله من شروط التوحيد فتركه من نواقض الإيمان، والعكس كذلك .. ". ٢٧٦
- التصديق يكون بالعمل وعلى الجوارح كما يكون بالقلب .. ٢٧٦
- صلاح الظاهر من صلاح الباطن .. ٢٧٧
- علاقة الظاهر بالباطن وأثر كل منهما على الآخر .. ٢٧٧
- الرد على قول للشيخ ناصر يفيد احتمال كفر الظاهر والجوارح،

مع إيمان الباطن والقلب .. ٢٧٨
- الإيمان يزداد وينقص .. ٢٨٠-٢٨١
- المراد من نفي الإيمان في قوله ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده ..". ٢٨١
- مسمى الإيمان أحياناً يتضمن العمل ويشمل الإسلام .. ٢٨٣
- أحياناً يكون الإيمان له معنى مغاير للإسلام .. ٢٨٧
- مسألة الاستثناء في الإيمان .. ٢٨٩
- حجية خبر الآحاد إن صح .. ٢٩١
- قول الشافعي في مسألة خبر الآحاد .. ٢٩١
- الرد على من ينكر حجية خبر الآحاد في العقائد .. ٢٩٢
- موقف أَهْل السُّنَّة من النص الصحيح .. ٢٩٤
- قوله: "والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن". ٢٩٦
- معنى الولاية .. ٢٩٧
- ولاية الخالق ليست كولاية المخلوق للمخلوق .. ٢٩٧
- قد يجتمع في المؤمن ما يستلزم موالاته من وجه، وعداوته من وجه .. ٢٩٨
- يجتمع في المؤمن ولاية من وجه وعداوة من وجه .. ٢٩٩
- قوله: "وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن". ٣٠٠
- فوائد مستنبطة من قوله ﷺ: "لا فضل لعربي على عجمي ..". ٣٠٠
- قوله: "والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .. ". ٣٠٢
- لا تعارض بين حديث جبريل في الإيمان وحديث وفد عبد قيس.. ٣٠٣
- الإيمان بالقدر خيره وشره على أنَّه من عند الله .. ٣٠٣
- شبهة ورد .. ٣٠٤

- قوله: "ونحن نؤمن بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله .. ". ٣٠٤
- فيمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض .. ٣٠٥
- قوله: "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النَّار لا يخلدون .. ". ٣٠٥
- عقيدة أَهْل السُّنَّة والجماعة في أَهْل الكبائر .. ٣٠٧
- الرحمة تنال أَهْل الكبائر من جميع الأمم .. ٣٠٧
- تعريف الكبيرة .. ٣٠٨
- تنبيه .. ٣٠٩
- الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك قبل التوبة. ٣٠٩
- الدعاء بالثبات وحسن الختام .. ٣٠٩
- قوله: "ونرى الصلاة خلف كل برٍّ وفاجر من أَهْل القبلة .. ". ٣١٠
- الصلاة خلف مستور الحال .. ٣١١
- اشتراط معرفة عقيدة الإمام من خلق الخوارج الغلاة .. ٣١١
- الحالات التي تترك فيها الصلاة خلف الفاسق المبتدع .. ٣١٢
- إذا أخطأ الإمام فلا إعادة على المأموم .. ٣١٣
- شروط تغيير المنكر .. ٣١٣
- طاعة الأئمة في موارد الاجتهاد .. ٣١٤
- الصلاة على موتى المسلمين وإن كانوا فجاراً .. ٣١٤
- ترك الصلاة على من عُرف بالنفاق أو مات مرتداً .. ٣١٥
- قوله: "ولا ننزل أحداً منهم جنةً أو ناراً". ٣١٦
- متى يشهد على المعين بأنه من أَهْل النَّار .. ٣١٦
- فيمن يثني النَّاس عليه خيراً أو شراً .. ٣١٧
- قوله: "ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ما لم يظهر منهم شيء من ذلك .. ". ٣١٨

- اعتماد الظاهر عند الحكم على المرء بالكفر أو الإيمان .. ٣١٨
- قوله: "ولا نرى السيفَ على أحدٍ من أمة محمد ﷺ إلاَّ من
وجب عليه السيف". ٣٢٠
- الحالات التي يحل فيها دم المسلم .. ٣٢٠
- حرمة المسلم على المسلم .. ٣٢١
- قوله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا .. ". ٣٢٢
- الصبر على جور الحكام ما لم يظهروا كفراً بواحاً .. ٣٢٣-٣٢٨
- طاعة الولاة المسلمين فيما ليس فيه معصية .. ٣٢٥
- المطاع لذاته هو الله سبحانه وتعالى .. ٣٢٦
- الحكمة من عدم الخروج على أئمة الجور .. ٣٢٩
- طاعة الولاة لا تتنافى مع أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .. ٣٣٠
- قوله: "ونتبع السُّنَّة والجماعة .. ". ٣٣١
- الإجماع الذي يكفر مخالفه .. ٣٣١
- الخير كل الخير في التزام هدي السَّلَف .. ٣٣٢
- قوله: "ونحب أَهْل العدل والأمانة ونبغض أَهْل الجور والخيانة". ٣٣٣
- فيمن يحب المخلوق كحب الله .. ٣٣٤
- المحبوب لذاته هو الله وحده .. ٣٣٤
- من لوازم الإيمان أن تحب ما يحبه الله، وتكره ما يكرهه .. ٣٣٦
- الموالاة والمعاداة بحسب خصال الخير والشر .. ٣٣٧
- قوله: "ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه". ٣٣٨
- فيمن يفتي بغير علمٍ .. ٣٣٨
- قوله: "ونرى المسح على الخفين .. ". ٣٤٠
- قوله: "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين .. ". ٣٤١

- الحكمة من مشروعية الغزو مع المسلم الفاجر .. ٣٤١
- فيمن ينسب العصمة للأئمة كالشيعة الروافض .. ٣٤٢
- قوله: "ونؤمن بالكرام الكاتبين .. ". ٣٤٤
- الملائكة تكتب القول والفعل والنية .. ٣٤٥
- قوله: "ونؤمن بملك الموت .. ". ٣٤٥
- للإنسان نفس واحدة لها صفات .. ٣٤٦
- الروح بعد مفارقتها للجسد لا تموت .. ٣٤٦
- قوله: "وبعذاب القبر لمن كان له أَهْلاً، وسؤال منكر ونكير .. ". ٣٤٧
- تعلق الروح بالبدن .. ٣٥١
- السؤال في القبر للروح والبدن .. ٣٥٢
- من مات مستحقاً لعذاب القبر، ناله العذاب قبر أو لم يقبر. ٣٥٣
- نار القبر ونعيمه ليس من جنس نار الدنيا ونعيمها .. ٣٥٣
- مستقر الأرواح بعد الموت .. ٣٥٣
- الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء .. ٣٥٥
- قوله: "ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب .. ". ٣٥٦
- الأنبياء مجمعون على الإيمان بالبعث واليوم الآخر .. ٣٥٦
- ذم المكذبين بالمعاد .. ٣٥٨
- الجزاء على الأعمال .. ٣٥٩
- معنى كلمة الدين .. ٣٦٠
- العرض والحساب وقراءة الكتاب .. ٣٦١
- الصراط حق .. ٣٦٢
- المراد بورود جَهنَّم بالنسبة للمؤمنين .. ٣٦٢

- الإيمان بالميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة. ٣٦٣
- ميزان الأعمال حسي مُشاهد .. ٣٦٣
- وزن العامل مع وزن أعماله .. ٣٦٤
- الصراط بعد الميزان .. ٣٦٥
- قوله: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان .. ". ٣٦٥
- الجنَّة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان .. ٣٦٧
- الأدلة على أبدية النَّار .. ٣٦٨
- خلق الله تعالى لكل من الجنَّة والنار أَهْلاً .. ٣٦٨
- الله تعالى منزه عن الظلم .. ٣٦٩
- قوله: "والاستطاعة التي يجب بها الفعل .. ". ٣٧٠
- الاستطاعة التي يترتب عليها التكليف .. ٣٧٠
- الاستطاعة القدرية الكونية .. ٣٧١
- الاستطاعة المشروطة في الشرع .. ٣٧٢
- رفع التكليف عند العجز من الأدلة الدالة على العذر بالجهل .. ٣٧٢
- قوله: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد .. ". ٣٧٣
- من الأدلة على خلق الله لأفعال العباد .. ٣٧٤
- شبهة ورد .. ٣٧٤
- من لوازم الإيمان الاستسلام لحكم الله .. ٣٧٥
- قوله: "ولم يكلفهم الله تعالى إلاَّ ما يطيقون .. ". ٣٧٦
- القضاء يكون كونياً وشرعياً .. ٣٧٧
- يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم .. ٣٧٨
- الله تعالى حرم على نفسه الظلم وهو قادر عليه .. ٣٧٨
- الله تعالى منزه عن العبث .. ٣٧٩

- قوله: "وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات". ٣٧٩
- انتفاع الميت فيما تسبب إليه في حياته .. ٣٧٩
- انتفاع الميت بدعاء الآخرين واستغفارهم له .. ٣٨٠
- وصول ثواب الصدقة للميت .. ٣٨١
- انتفاع الميت من أعمال ولده الصالحة .. ٣٨١
- وصول ثواب الصوم .. ٣٨٣
- وصول ثواب الحج .. ٣٨٤
- قضاء الدين عن الميت .. ٣٨٥
- قراءة القرآن على الميت .. ٣٨٥
- معنى قوله تعالى:)**وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى**(. ٣٨٦
- قوله: "والله تعالى يستجيب الدعوات .. ". ٣٨٧
- غضب الله على من لا يسأله .. ٣٨٨
- معان مستخلصة من ندب الله تعالى إلى الدعاء .. ٣٨٩
- التعلق بالأسباب شرك، والإعراض عنها نقص في الشرع .. ٣٨٩
- استجابة الدعاء .. ٣٩٠
- شروط الدعاء وموانع قبوله .. ٣٩١
- قوله: "ويملك كل شيء ولا يملكه شيء .. ". ٣٩٢
- قوله: "ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر .. ". ٣٩٢
- قوله: "والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى". ٣٩٣
- قوله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ .. ". ٣٩٤
- حكم الإسلام في الشيعة الروافض، وكلام ابن تيمية فيهم .. ٣٩٥
- ثناء الله ورسوله على الصحابة خيراً .. ٣٩٩
- عند الشيعة من لوازم موالاة أئمتهم البراء من الصحابة .. ٤٠٢

- حب الصحابة دين وإيمان وإحسان .. ٤٠٢
- قوله: "ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر". ٤٠٣
- الدليل على ثبوت خلافة أبي بكر بالنص .. ٤٠٣
- حجة من قال لم يستخلف بالنص .. ٤٠٥
- ما حصل في سقيفة بني ساعدة .. ٤٠٧
- قوله: "ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ". ٤٠٨
- من فضائل عمر رضي الله عنه .. ٤٠٨
- قصة مقتل عمر ومبايعة عثمان .. ٤٠٩
- من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه .. ٤١٥
- قوله: "ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ". ٤١٥
- سبب امتناع أَهْل الشام عن مبايعة علي بن أبي طالب. ٤١٥
- الحق مع علي في خلافة مع معاوية .. ٤١٧
- من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. ٤١٧
- قوله: "وهم الخلفاء الراشدون .. ". ٤١٧
- ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة. ٤١٨
- العشرة المبشرون بالجنة .. ٤١٨
- من فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .. ٤١٩
- قوله: "ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات، فقد برئ من النفاق". ٤٢٠
- حكم من يشتم أصحاب النبي ﷺ .. ٤٢٠
- أَهْل بيت النبي ﷺ .. ٤٢١
- قوله: "وعلماء السَّلَف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين .. ". ٤٢٢
- وجوب اتباع السَّلَف .. ٤٢٢

- قوله: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء .. ". ٤٢٣
- حكم من يرفع رجلاً إلى مرتبة النبي ﷺ .. ٤٢٤
- قوله: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم .. ". ٤٢٥
- مرد الإعجاز إلى الله وحده .. ٤٢٥
- الاستقامة أعظم الكرامات .. ٤٢٥
- إذا صح الدين حصلت الكرامة .. ٤٢٦
- أنواع الفراسة .. ٤٢٧
- أشراط السَّاعة .. ٤٢٧
- قوله: "ولا نصدق كاهناً ولا عرّافاً .. ". ٤٣١
- الكهان والمنجمون ليسوا بشيء .. ٤٣٢
- كسب الكاهن حرام .. ٤٣٢
- حكم من يتكهن فيدعي علم الغيب .. ٤٣٢
- التنجيم وادعاء أن للنجوم أثراً .. ٤٣٣
- حكم الإسلام في السحر وفيمن يتعاطاه .. ٤٣٤
- فيمن يعتقد في البله الولاية .. ٤٣٦
- قوله: "ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً". ٤٣٧
- وجوب رد النزاع إلى الله ورسوله .. ٤٣٩
- اختلاف التنوع لا يستدعي التنازع والشحناء .. ٤٤٠
- ثناء الشارع خيراً على المختلفين اختلاف تنوع .. ٤٤١
- اختلاف التضاد لا يمنع من إنصاف المخالفين .. ٤٤١
- في اختلاف التضاد يُمدح فيه أَهْل الحق فقط .. ٤٤٢
- ذم الاختلاف في الكتاب وضرب بعضه ببعض .. ٤٤٢
- قوله: "ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين

الإسلام .. ". ٤٤٣
- الإسلام بين الغلو والتقصير .. ٤٤٣
- الإسلام بين التشبيه والتعطيل .. ٤٤٤
- الإسلام بين الجبر والقدر .. ٤٤٤
- من لوازم وشروط متابعة الحق التبرؤ من الباطل وأهله .. ٤٤٥
- تعريف ببعض الفرق الضالة .. ٤٤٦
- سبب الضلال العدول عن صراط الله المستقيم .. ٤٤٧
- معنى الاستقامة .. ٤٤٨
- الأسئلة والأجوبة .. ٤٥٠
- **الفهرس** ... ٤٨١

www.abubaseer.bizland.com